

الحياة في الدنيا والآخرة بعد ظهور الإسلام

Printed in Lebanon

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعيد بجامعة الأزهر

دار الجيّد
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلمة الاولى

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك ونشكرك ونسألك
التوفيق والرعاية والتوجيه وبعد .

فهذا سفر جديد في تاريخ الأدب العربي بعد ظهور الإسلام يشتمل
على تصوير واسع للحياة الأدبية . في عصر صدر الإسلام وعصر
بنى أمية وصدر العصر العباسي .

وقد توخيت فيه الدقة والتحليل والدراسة لشتى ألوان الأدب
ومظاهر نهضته في هذه المصور البعيدة ؛ مع الإشارة إلى شتى المصادر
والمراجع ؛ ومع تنظيم البحوث والاستقصاء فيها .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

محمد عبد المنعم مفاهيمي

الاستاذ بكلية اللغة العربية

منهج الدراسة بكلية اللغة العربية

تاريخ الأدب

تاريخ الأدب في صدر الإسلام : آثار الإسلام في لغة العرب وحياتها الاجتماعية . القرآن الكريم : نزوله وأسلوبه وإعجازه وجمعه وروايته وأثره في اللغة والأدب . النثر ومميزاته في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه . أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثرها في اللغة والأدب . الخطابة وأشهر الخطباء . الكتابة وأشهر الكتاب . الشعر وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه وأشهر الشعراء المخضرمين .

تاريخ الأدب في عهد بني أمية : انتشار اللغة وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة طرود اللحن ووضع النحو والنقط والشكل . بدء تدوين العلوم ، عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ، أشهر مجامع العلم والأدب .

النثر : الخطابة والخطباء ، الكتابة وأشهر الكتاب ، الأجوبة والمجاورات الشعر : مميزاته وما طرأ عليه من أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه وأخيلته ، صيرورته حرفة للتكسب ، طبقات الشعراء وطوائفهم كالعشاق والسياسيين والهجائيين ، فنون الشعراء . النقد الكلامي وأمثلة منه ، الموازنة الأدبية وأمثلة منها . الرواية والرواة . الأغاني وأثرها في الشعر وأشهر المغنين .

دراسة تاريخ واحد من كل من طائفة من الطوائف الأربع الآتية : دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما يستطيع من تفاصيل حياتهم الأدبية وكل ما له أثر فيها مع استنباط خصائص كل في أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ونقد ما هو خليق بالنقد من ذلك مع الموازنة بينه وبين نظيره إن أمكن ومع الإبانة عن أثر كل في فنون الأدب ومنزله من رجاله ، وهذه الطوائف :

- ا — عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .
ب — حسان ، الخطيئة ، الخنساء .
ج — الحجاج ، زياد ، عبد الحميد الكاتب ، أبو حمزة ، قطرة بن الفجاءة ،
عبد الله بن الزبير ، قتيبة بن مسلم .
د — ج — رير ، الفرزدق ، الأخطل ، عمر بن أبي ربيعة ، جميل ،
ذو الرمة ، السكيت .
على ألا يتكرر واحد في سنتين متتابعتين .

النصوص

- ١ - دراسة نصوص من القرآن الكريم
- ٢ - دراسة طائفة من جيد المنثور يختارها المدرس من الأحاديث النبوية ومن الخطب والرسائل والمحاورات في صدر الإسلام وعهد بني أمية دراسة فهم ونقد وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مثل صحيح البخارى ونهج البلاغة والعقد الفريد وأمالى القالى وكامل المبرد والبيان والتبيين على ألا يقل المقروء عن نحو ٦٠ صفحة وعلى أن يحفظ الطلبة من ذلك نحو ٢٠٠ سطر مع التعريف بكتابات من هذه الكتب وبيان منزلته في موضوعه ومنهج مؤلفه .
- ٣ - دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من شعر صدر الإسلام وعهد بني أمية قراءة وفهما ونقدا وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مجموعات الشعر ودواوين مثل: حسان، الخنساء، الحطيئة، جرير، الفرزدق الأخطل، عمر بن أبي ربيعة، وفي مثل أمالى القالى على ألا يقل المقروء عن نحو ٤٠٠ بيت وعلى أن يحفظ الطلبة منه نحو ٢٠٠ بيت .

الحياة الادبية

في عصر صدر الاسلام

من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام دولة بني أمية

١٢ ق - ٤١ هـ

عصر صدر الاسلام

يفتح العصر الثاني من عصور الأدب العربي وهو عصر صدر الاسلام ،
ببعثة محمد ﷺ صلوات الله عليه ، ودعوته وهو بمكة قريشاً والعرب والناس كافة
إلى الاسلام عام ٦١٠ م ؛ وينتظم ما بعد ذلك بما امتد من عهد الرسول بمكة
والمدينة ^(١) وعهد أبي بكر ^(٢) وعمر ^(٣) وعثمان ^(٤) وعلي ^(٥) والحسن بن علي ^(٦)
وينتهى بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين وقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي
سفيان عام ٨٤١ ، ومدته ثلاثة وخمسون عاماً هجرياً .

وهو من أعظم العصور في التاريخ الاسلامي أثراً ، وأكثرها في حياة العرب
والمسلمين والعالم والانسانية خطراً ؛ ففيه بدأت ونمت وازدهرت وانتشرت
دعوة الاسلام دين البشرية الخالد ، ومنقذها الكريم من ضلال الجهل والسفه
والاستعباد والظلم والرق الفكري والبشري والاجتماعي ، وهادياً للاميين إلى
شاطى الأمن والاسلام والنور والحرية والمساواة ، وقائداً البر إلى حياة
المدينة والعلم والثقافة وحرية الانسان من العبودية والخوف والفقر والجور .

وناهيك به بعد ذلك عصرأ ازدهرت فيه اللغة ، ونبه فيه شأن الأدب ،
وصار فيه للسان العربي والشعب العربي السيادة والفوز والغلبة في شتى
الارحاء والامصار ،

(١) أى من عام ١٢ ق ٨ إلى عام ١١ هـ [٦١٠ - ٦٣٢ م] .

(٢) أى من ١١ - ١٣ هـ [٦٣٢ - ٦٣٤] .

(٣) ١٣ - ٢٣ هـ [٦٣٤ - ٦٤٤ م] .

(٤) ٢٤ - ٣٥ هـ [٦٤٤ - ٦٥٥ م] .

(٥) ٣٥ - ٤٠ هـ [٦٥٥ - ٦٦٠ م] .

(٦) ٤٠ - ٤١ هـ [٦٦٠ - ٦٦١ م] .

وكيف لا وقد افتتح بأروع جهاد عرفته الإنسانية ، وبأعظم دعوة وصلت إلى الأرض من السماء ، وبثورة لم يعرف التاريخ قط لها نظيراً ، ثورة على الجلود البشرية واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان وعبودية الطوائف والشعوب للأكثرين عدداً وعدداً ؛ ثورة فتحت صفحة جديدة في حياة الإنسانية ، وأحالت ظلام الحياة ضياءً ونوراً وظلمها عدلاً وأمناً وسلاماً وحرية ، بما شهد به أفذاذ المفكرين والمؤرخين ودعاة الإصلاح .

ومن أولى من محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بأن يرفع في العالم منارة السلام ، وراية المدنية ، وأن يصل الأرض بالسماء ، ويسعى بالإنسان ليلبغ ماينتظره من حضارة باهرة ، وحرية نادرة ، وحياة زاهرة ، فيها الأمن والأمل والرجاء ؛

صلى الله عليه ، ورفعته إلى أعلى عليين ، وأكرمه في أمته كما أكرم أمته به ، إنه على مايشاء قدير .

هذا وعصر صدر الاسلام مستقل عن العصر الأموي ، لاختلاف المؤثرات التي أثرت في الأدب العربي في هذا العصر ؛ منها في عصر بني أمية . وعلى ذلك سار كثير من الباحثين ومؤرخي الأدب ؛ وهو ما سرنا نحن عليه في هذا الكتاب . ولكن بعض الباحثين يجعل العصرين عصراً واحداً يبتدئ بانبثاق فجر الدعوة النبوية وينتهي بانتهاء عهد الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ ، ومدته على ذلك ١٤٤ عاماً وعلى ذلك سار أصحاب الوسيط^(١) والزيات في كتابه^(٢) ، تاريخ الأدب العربي . وسواهما من الباحثين .

(١) ٩٤ الوسيط ط ١٩٢٥

(٢) ٧٨ المرجع ط ١٩٣٥

الجاهليون والمخضرمون والاسلاميون

والذين شهدوا هذا العصر العظيم من الشعراء^(١) يسمون المخضرمين ، يقول ابن رشيقي :

« طبقات^(٢) الشعراء أربعة : جاهلي ، ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والاسلام ، وإسلامي ، ومحدث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج وهكذا في الهبوط إلى وقتنا الحاضر ،

أما الجاهليون فأمرهم مشهور ذائع ، وهم الذين نشأوا في جزيرة العرب قبل الاسلام من الشعراء والخطباء والبلغاء وأرباب الفصاحة واللسن والبيان ، وهذه الكلمة جمع لكلمة جاهلي من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم ، لما كان عليه العرب قبل الاسلام من أمية ظاهرة ، أو من الجهل ضد الحلم بمعنى السفه والعليش وسرعة الغضب لما كانوا عليه من الاسراع إلى الانتقام والاخذ بالنار وشن الحرب لأنفه الأسباب

وأما المخضرمون^(٣) فاذا تركنا حديث الاشتقاق اللغوي فإن الغالب على من

(١) وقل أن يطلق ذلك الاسم على البلغاء والادباء والخطباء مع أن مثل هذه الفنون الأدبية أخت الشعر وشبيهة به في كثير من خصائص الفن

(٢) ١/٧٢ العمدة لابن رشيقي طبع عام ١٩٢٥

(٣) من المخضرمة يقال أذن مخضرم أي مقطوعة فكأن الشاعر انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام ، وقيل : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرمًا ؛ وزعم هذا القائل أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي وقد أدركه كبيرًا ولم يسلم ، قال ابن رشيقي : وهذا عندي خطأ لأن النابغة الجعدي وليدا قد وقع عليهما هذا الاسم [١/٧٢ العمدة في ١٩٢٥ ، ٣٠٤ و ٢/٣٠٥ الزهر طبع صبيح] . وقال أبو الحسن الأخفش هو من قولهم ماء خضرم إذا تنهى في الكثرة والسعة فنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرمًا كأنه استوفى الأمرين [٢/٣٠٤ الزهر ، =

عاش في هذا العصر أن يكون محضراً إذ يغلب أن يكون قد أدرك الجاهلية والاسلام ، أما الذين نشأوا في الاسلام وتأدبوا بأدابه وقالوا الشعر متأثرين بالعوامل الجديدة التي نشأت مع الحياة الاسلامية فهؤلاء اسلاميون يغلب عليهم أن يكونوا قد عاشوا في دولة بنى أمية واستظلوا بظلمها ، إذ من الثابت أن كثيراً من الشعراء الذين تأثروا بالاسلام ومبادئه قد بهرتهم بلاغة القرآن وفصاحته فانقطعوا عن قول الشعر وعقمت ألسنتهم وبلاغاتهم عن إنشاده ولم يستمر على صلة بينا يبيع الثرة إلا هؤلاء الذين بعدوا عن روح الاسلام ولم يتأثروا به وعاشوا في عزلتهم في البادية ، فلما سكنت عنهم هذه الروعة قليلاً بالفهم لهذه البلاغة المعجزة وبخضوعهم لآثار بيئتهم وحياتهم الجديدة بدأوا في نظم الشعر ، ولم يعودوا إليه إلا وقد انتهى هذا العصر وبدأ عصر جديد هو العصر الأموي الخافل فكلمة « الاسلاميون » ، إذا تطلق على الشعراء الأمويين لأنهم عاشوا في ظلال الاسلام وتأثروا بمبادئه وصاغوا حياتهم وفق مبادئه الخالدة إلى حد كبير .

وهي جمع لكلمة إسلامي من « الاسلام » ، الذي اختير عليها لهذه العقيدة الجديدة بما تنطوي عليه من أمن وعدل وحق وخضوع مطلق له وتعاون ومسألة للناس ، وهي كلمة تشير إلى جميع خصائص الدعوة النبوية الجليلة التي عم أثرها الناس والحياة البشرية

== ١/١٧٢ العمدة] . وحكي كراعة علي بن الحسن : شاعر محضرم بالحاء مأخوذ من الحضرمة وهي الخلطة لأنه خلط الجاهلية والاسلام [٢/٢٠٥ الزهر ،
[١/٧٣ العمدة]

الاسلام

وأثره في حياة العرب الاجتماعية

جاء الاسلام والعرب قبائل موزعة ، وأحياء متخاصمة ، لا يجمعهم دين ، ولا يقرب بينهم نظام حكم واحد ، ولا يخضعون لرياسة موحدة ، ولا يركنون الى شريعة اجتماعية منظمه .

فأبد لهم من ذلك كله نظاما موحدا ، وحياة كريمة مهيبة في الاجتماع والسياسة والدين والدنيا ؛ ويظهر أثر الاسلام في حياتهم الاجتماعية فيما يلي :

١ — اعترف الاسلام للانسان بحريته واستقلاله الفكري والاجتماعي والمالي ، وجعله حراً طليقاً من كل قيد إلا من الخضوع لدين الله وللحاكم الأعلى الذي يحكم بما أمر الله ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس ، ورفع من كرامة الانسان وجعله خليفة له في الأرض يعمرها ويمحو الظلام والجهل والفوضى والجهود منها بما وهبه الله من عقل وماحت عليه من العلم والتفكير والعمران التي هي أسباب وثيقة للمدنية والحضارة .

٢ — نظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة ، فشرع الزواج ، وجعله رباطاً مقدساً بين المرأة والرجل ، وأباح للرجل في حالات خاصة حرية الجمع بين عدة أزواج لا يتجاوز في ذلك أربع زوجات مهما كان ، وأبطل كثيراً من العلاقات الأثيمة وحرم البغاء والزنا ، فحفظ الانساب ورفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحياة تقوم بشئون البيت وتربية الأولاد ، ويقوم هو بالسعى في الأرض في سبيل الرزق وكسب العيش له ولزوجه وأولاده ، وأباح للأرامل المتوفى عنهن أزواجهن الزواج بعد أن كان ولي المتوفى يعضلن عن الزواج ، وجعل للمرأة استقلالها المالي وجعل لها حظاً كبيراً من الميراث ، وفرض نفقتها هي وأولادها على الزوج ، وحتم عليهما حسن التعمد للابناء والقيام بتربيتهم

وتهديهم والسهر على تعليمهم حتى يبلغوا مبلغ الشباب إلى سوى ذلك من مظاهر
تشريع الاسلام للاسرة .

٣ — ودعا الاسلام إلى أن يكون الناس والمجتمع إخوة متعا بين متعاونين
في الحياة ، وساوى بين الناس في الحقوق والواجبات ؛ وهدم ما كانوا عليه من
نظام الجماعة الفاسد ، وحرم دعوة العصبية الجاحقة واستبدل بها دعوة الدين ؛
والطاعة للحاكم واحد يلزم شريعة الله ، وشرع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التي
تزيد في وحدة المجتمع كالزكاة والاحسان وصلاة الجماعة ، والحج ، وألقى عبء
حفظ النظام والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الأكبر .

وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم وحریاتهم ، وأباح
الطيبات من الرزق ومن سبل المعيشة الشريفة ؛ التي تتفق وروح الاسلام .
وحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة والخرافات الكاذبة ، وأزال
الفوارق الاجتماعية بين الناس والشعوب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

أثره في الحياة العقلية للامة العربية

١ — أول شيء للاسلام الكريم في هذا الميدان ، أنه حارب الأديان الفاسدة
والعقائد الضارة ، ووجه الناس كافة إلى الله وحده لا شريك له ، فرفع من كرامة
الانسان وشخصيته في الحياة ، وحارب التقليد ، ودعا إلى استقلال الانسان
بالفكر ، ونبه من شأن العقل وحكمه في كل شيء ، وبذلك حارب الاسلام الجحود
والخمول والهرمان وبعث العقل البشري قريبا فتيا يبحث في أسرار الوجود والحياة .

٢ — وحارب الاسلام الأوهام الفاسدة التي تضعف من شأن العقل وتدعوه
إلى السكسل والخوف وتبعث فيه روح الايمان الأعمى والتسليم المطاق ، وساب
الناس ما كانوا يزعمون من القدرة على تسخير ما في الوجود من غيب ، وجعل
كل ذلك مرده إلى الله يعلم الغيب وما هو أخفى ، فزالت عن العقل ظلمات كثيفة
كانت تحول بينه وبين الفهم والأدراك .

٣ — ودعا إلى العلم الصحيح والتفكير المستقل ؛ وبعث في الناس حب المعرفة والثقافة ، وفرض على العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه إلى غير ذلك من مقومات الحياة الصحيحة .

٤ — وبتشجيع الاسلام للمعرفة نشأت العلوم الاسلامية والفكرية وعكف العلماء على البحث والتنقيب مما كان أساس المدنية الاسلامية الباهرة الى غير ذلك من مظاهر الرقي العقلي والفكرى البعيد

أثره في حياة العرب السياسية

وأثر الاسلام في حياة العرب السياسية واضح لا يحتاج الى بيان أو برهان
١ — فقد صار العرب يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله وخلفاؤه من بعده فتجمعت الأهواء المنفرقة ، وتآلفت القلوب المتنافرة ، وتوحدت الظالم المتباينة في جزيرة العرب ، وأصبحت لهم وحدة سياسية واجتماعية كاملة فوق وحدتهم في الدم والعنصر واللسان والدين

٢ — وفتح المسلمون كثيرا من البلاد والشعوب وسكوها فتدبرن المسلمون على فنون الحكم وصار منهم الولاة والأمراء والقضاة والقواد ورجال الشرطة ، وقد سجل الكثير منهم مجدا يفخر به الدهر وترويه الأيام ، وأحسنوا معاملة أهل الأديان الأخرى والشعوب المحكومة : شعارهم الحق والعدل ولأخاء والمساواة بين بنى الانسان كافة

٣ — وكسب الاسلام للعرب وحدتهم السياسية الكاملة فاستقامت بلاد العرب استقلالا كاملا ، بعد أن كانت البحرين والحيرة تخضع لنفوذ الفرس ، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس ، وعرب غسان لنفوذ الروم

الاسلام

وأثره في الحياة الادبية

وقد أثر الاسلام في الحياة الادبية تأثيرا كبيرا سواء في الفاظ اللغة أم في أسلوبها أم في فنون الادب المختلفة من شعر ونثر وخطابة وكتابة أم في أغراض كل فن منها ؛ مما سنبحثه باستقصاء في الفصول الآتية :

ولقد جاء الاسلام والبلاغة العربية كثيرة متعددة النواحي رائعة التأثير دقيقة الأداء والتصوير ؛ يجرى الشعر على السنة العرب شعورا وطبعاً وملكة ، وتحفل نواديهم الادبية بالبليغ الماثور من جيد النثر خطابة ومحاوره ووصايا ونصائح وسواها ؛ والعرب يهزم البيان ، ويملكهم بلاغة القول ، ولا يرون العبقريّة إلا في شعر يروى أو كلام بليغ يؤثر .

ومع ذلك فقد غير الاسلام من مجرى الحياة الادبية تغييرا كبيرا واسعا . وليس يرجع ذلك إلى ما اقتبس منه المسلمون من البلاد المفتوحة من ثقافة وعلم وأدب وفن ؛ ولا إلى آثار مدنية وحضارة ، لأن العرب كانوا مازالون يؤثرون البداوة والخشونة ، ولم يسكنوا قد فرغوا بعد من قراع أعداء الدعوة ونضال خصوم الاسلام ؛ وإنما يرجع ذلك كله إلى المصدر الأول لثقافة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والادبية ، وهو القرآن الكريم والكتاب المعجز ؛ الذي أحال خشونة الطباع عنذوبة وسلاسة وقوة ، وبذل حوشية الالسنه سهولة ووضوحا وبلاغة ، وأورث العرب وضوحا في التفكير ودقة في التعبير والتصوير وروعة في الحجّة ورقة في الأسلوب .

نما سيأتى تفصيله ، وإنما نكتفي الآن بشرح أثر الاسلام في اللغة العربية .

الاسـلام

وأثره في اللغة العربية

وحدة اللغة وذيوها :

أثر الاسلام في اللغة جد خطير ؛ لا يمكن تفصيل القول فيه تفصيلا ، وإنما نكتفي بهذا الاجمال :

١ - جاء الاسلام والعرب لهجات مختلفة ، ولهجة قريش لها المنزلة الاولى بين هذه اللهجات بتأثير الاوقات ومواسم الحج ولنفوذ قريش الروحي والاقتصادي بين العرب وما كانوا عليه من ثقافة وخبرة وتجربة ، ونزل القرآن الكريم بلغة قريش فأيد هذه اللغة وأصبح لها السيادة والغلبة ، وكان من قريش ومن السلالات المضرية أبناء عمومتهم رجالات الدعوة وزعماء الدولة وأمرؤها وقوادها وقضاتها وحكامها وعمالها ، فكان لذلك أثر كبير في انتحال العرب لغة قريش بعد قليل ، أما ماتو ورث من لغة حمير ، فلم يكن متميزا عن اللغة القرشية كثيرا سواء في التصريف ام الاعراب أم الاسلوب ، بل كان أكثره ظاهرا في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة فالكتع في اللغة الحميرية هو الذئب في لغة قريش وأنطى في لهجة حمير بمعنى أعطى عند قريش والشناتر في كلام الحميرين هي الاصابع في لسان قريش وسامدون لغة حميرية وهي في لهجة قريش الغناء ؛ وهكذا (١) الى غير ذلك مما له نظير في لهجات المضربين أنفسهم كالسدفة فهي الظلة عند تميم والضوء عند قيس :

وافلته الخلاف بين الحميرية والقرشية فقد اندججت لغة حمير كأخواتها في لغة قريش التي أصبحت لها السيادة والغلبة على جميع اللغات واللهجات

(١) فالأرائك لغة حمير ، وكذلك : المعاذير ، والوزر ، والخور ، واللهو

(وهو عندهم المرأة) ، الى غير ذلك مما تجد بعضه في الإتيان [ص ٢٢٨ وما بعدها

ج ١ ط ١٩٤١]

٢ - وهذه الفتوحات الاسلامية الباهرة أدت إلى انتشار العرب في شتى البلاد المفتوحة وإلى ذبوع اللغة العربية في أكثر هذه الأقطار ، وصارت هي اللغة الرسمية فيها ، وأصبح يلهج بها بعد قليل سكان سوريا ومصر وفلسطين وإفريقيا الشمالية وصارت لغة الدين والسياسة والثقافة في هذه البلاد وسواها

أغراض اللغة

وزادت أغراض اللغة بتأثير الدين الجديد وما نشأ عنه من نظام ومدنية وعمران وثقافة :

فقد استعملت في شرح العقيدة الاسلامية والدعوة إليها وحجاج خصومها وتبيين مراميها واستنباط أحكامها كما استعملت في حفظ نظام الملك ونشر الأمن والعدل بين الناس وفيما استدعته حياة الحضرة الجديدة وشئون الثقافة والمعرفة

وفي إرشاد الناس إلى أحكام دينهم ، وتذكيرهم بأوامره ونواهيه إلى ما سوى ذلك من شتى الأغراض الجديدة التي تناولتها اللغة في هذا العصر زيادة عما كانت عليه في عصر ما قبل الاسلام . وبعد أن كانت اللغة في الجاهلية تعبر عن عقول محدودة صارت تنطق عن عقول استضاءت بهدى القرآن وتأدبت بأدب الاسلام

معانيها وأسلوبها

وظهر في معاني اللغة الدقة والتفكير والفهم والعمق بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين ومن خبرة وتجربة وإدراك صحيح للحياة ؛ كما اتسعت مادة المعاني باتساع المشاهدات والمنساطر والمعقولات والمعنويات ؛ وتعددت صور الخيال في روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد صور المشاهدات التي انتزع منها ؛ والتي كانت مادة له

أما أسلوب اللغة فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة في جزالة ، وأخذت بأطرافه القوة والجمال والوضوح وبروعة التأثير وقوة الحججة وتأجيج العاطفة والتهاب الشعور

ودقة الاحساس الأدبي ، وذلك لتأثرهم بالقرآن وبلاغته ، مما رقق من نفوسهم
الفاسية فسلست طباعهم وأستنتهم وملكاتهم فلم تقبل إلا السمع المهذب
من الأساليب .

وبتأثير الاسلام بطل سجع الكهان وأضرابهم ممن يستنبثون الحصى ويرزجون
الطير ، وبطل الفجر في الأسلوب فصار عفا كرى ، سمحا ينطق عن عاطفة دينية قوية
ويصور حياة روحية واسعة ، وينم عن تأدب بأدب الاسلام وتأثير بلاغة القرآن
ولقد غلب عليهم الأيجاز بادی ذی بدء لعدم فراغهم من أعباء الدعوة
والملك والفتوحات

ألفاظ الانفسية

وبتأثير الاسلام وبلاغة كتابه الحكيم جانب المتكلمون حوشية الألفاظ
والغريب من المفردات ولم يستعملوا منها إلا ما واهم الذوق وقبله الطبع فلم نعد نرى
مثل مستشزر وسجنجل ومسرهد وماشاهها ، إنما تجدنا لألفاظ العذبة الرشيدة
اللطيفة التي تتم عن استحكام الطبع وقوة الذوق وغلبته
وكذلك دخلت بعض الألفاظ الأعجمية في اللغة العربية وفي القرآن الكريم
الكثير منها (١)

وهناك ألفاظ أخرى حور الاسلام في معانيها ، فأخرجها من معناها إلى معنى
جديد بينه وبين الأول مناسبة كالصلاة والاسلام والصيام والزكاة والمؤمن

(١) وقد عقد السيوط في كتاب الاتقان فصلا عما وقع في القرآن الكريم من

ألفاظ أعجمية [٢٢١ وما بعدها ج ١ الاتقان]

ومن ذلك . الأبريق ، والديباج والدينار عن الفارسية ، والريون والاسفار
عن البيرانية وهواه ، عن الحبشية وكذلك الطاغوت وهدري ، وهوالحواريون ،
عن النبطية ، والرقيم وفردوس والقسط عن الرومية إلى ما سوى ذلك من
هذه الألفاظ .

والكافر والفاسق والمنافق وسوى ذلك ، مما لا يبعد عنك معانيها في اللغة ونقلها
الإسلام إلى معان جديدة .

وبعض الألفاظ منيع الإسلام استعمال مدلولاتها أو أعضائها غيرها فئات
فمن الأول مثلا :

المرباع والنشيطه والفضول ^(١) ؛ ومن الثاني : هم صباحا وعم مساء
و « أبيت اللعن ، الخ .

وقد أحدث الإسلام بعض الألفاظ الجديدة التي سميت « ألفاظا إسلامية » ،
ومنها : المصحف وقد أطلق على القرآن الكريم وأول من استعمل هذه اللفظة كما
يقولون هو أبو بكر الصديق بعد أن جمعت آيات الذكر الكريم وسوره في
الأوراق على عهد ؛ ومنها لفظ الجاهلية ، وقد ورد في القرآن الكريم وأحدثه
الإسلام للفترة التي كانت قبل بعثته محمد صلوات الله عليه .

(١) قال عبد الله بن عتبة يخاطب بسطام بن قيس :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
المرباع : ما كان يأخذ الرئيس من ربيع الغنيمة ، والفضول ما كان يأخذه
بما فضل من القسمة ولا يمكن قسمته على الغزاة . والصفايا : ما كان يصطفيه
لنفسه من الغنيمة . والنشيطه : ما كانوا يغنمونه عفرا في طريقهم إلى الغارة

القرآن الكريم

تمهيد

القرآن كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد .

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الأولى
والآخرة ، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة ، وقضت على هذه الاوهام الباطلة
والأساطير الكاذبة والعبادات الضالة والأديان المنحرفة ؛ وأحالت الظلام ضياء
والشقاء سعادة واليأس أملا والضللال هدى والهمجية مدنية والجهل علما ومعرفة
وفنا وأدبا وثقافة ينبع من معينها الزاخر كل من رغب فى الخير وطمع إلى
السلام والنور ؛ ونقلت الانسانية من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادئ
الطغيان والعبودية وسفك الدماء ونهب الأموال والأعراض إلى حياة فيها رضى
وأمن ، وطمأنينة وسلام ، وحرية وعدل وإخاء ، ومعرفة وعمران وحضارة ،
وحدود محدودة وضعت لسعادة الناس والجماعات والشعوب والانسانية قاطبة

قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على سيد الخلق
وأكرم الرسل وأشرف من فى الوجود محمد صلوات الله عليه ، فبلغه الناس ،
وبشر بدعوته العرب والبشر كافة ، وأذاع مبلدته فى كل مكان ، لحملت إلى العالم
السلام والعدل والحرية ، وفتحت صفحة جديدة فى تاريخ الانسانية ، وأنقذت
الناس من ضلال الجاهلية الأولى فنبارك الله رب العالمين .

د ألفاظ إذا اشتدت فامواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة
الآخرة . ومعان بيناهى عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم
الجنان ، إذا هى بعد ذلك لطباق السخاب . توهموا السحر ماتوهموه فلما أنزل الله
كتابه قالوا هو السحر المبين (١) ، . وتصوروا الشعر ماتصوروه فلما سمعوا آياته

البينة ، وبلاغته المتدفقة ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة ، وما فيه من روعة التصوير ودقة التعبير وشدة التأثير ؛ قالوا ، إى والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، كلا والقمر ، والليل إذا أدير ، والصبح إذا أسفر ، إنها لاحدى الكبر ، وما هو بقول بشر ، إن هو إلا وحى يوحى ؛ ومعجزة تتحدى ، وبلاغة تتلى وتروى ، أشرقت بنوره السماء والارض واهتدت بهديه الملائكة والبشر أجمعون

نزول القرآن

وبينما كان الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يتهد في غار حراء من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم وسنة أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م^(١) . إذ نزل عليه جبريل بالرسالة الالهية العظمى التى اصطفاه الله من بين الخلق لادائها للبشر كافة هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور

قال جبريل : يا محمد اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ،
فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم^(٢)

(١) سار على ذلك كثير من الباحثين ومنهم المرحوم الخضرى بك فى الجزء الاول من تاريخ الامم الاسلامية وإن كان الرافعى يقول أن ابتداء الوحى كان بمكة عام ٦١١ م [٣٤] [عجاز القرآن]

(٢) يروى السيوطى آراء أخرى لبعض العلماء ، فبعض يزعم أن « ن » كانت أيضا أول ما نزل من القرآن ، وآخرون يقولون « المدثر » ، وآخرون يقولون إنها الفاتحة الخ [راجع ٢٩ وما بعدها ج ١ من الاتقان ط ١٩٤١]

وأول سورة أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة هي « والنجم إذا هوى »
وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هي « ويل للطففين »
استمر نزول القرآن بعد البعثة في مكة قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه ،
ثم بعد الهجرة والرسول الأكرم بالمدينة حتى توفي إلى رحمة الله عام ١١هـ - ٦٣٢م
كان القرآن الكريم ينزل منجها مفرقا وفق الوقائع ومسيرة للجواهرات
وتدرجا في التكليف وتنقلا بالتشريع حسب الطباع ومدى استعداد النفوس ؛
وكانت آخر آية نزلت من القرآن الحكيم قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) حيث نزلت في حجة الوداع
ونزل قبلها بقليل سورة براءة .

وتم نزول القرآن الكريم قبل وفاة الرسول صلوات الله عليه في ثلاثة وعشرين
عاما ما بين بعثته إلى وفاته ، كان في ثلاث عشرة سنة منها يقيم بمكة ، وطنه الذي
ولد وربى ونشأ فيه ، وفي عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة بعد هجرته صلى الله
عليه وسلم من مكة حيث نشر الدعوة وحماها وأيدها

وبمجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، منها الطويل والقصير،
ومنها ما نزل في الموعدة والهداية وما نزل في التوحيد ومحاربة الشرك والأهواء ،
وما نزل في التشريع ونظم العبادات والمعاملات وقوانين الأسرة والجماعة
والحكومة الإسلامية ، وما نزل في أمور الآخرة والغيب وشرح تطور الإنسانية
وقصص الأمم الماضية وبغيا ومصيرها المحتوم ، أو نزل في شرح أسرار الوجود

(١) وفي الاتفاق خلاف كثير حول آخر ما نزل من القرآن ، فقيل آخر
آية نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » وآخر سورة نزلت « سورة
براءة » ، وقيل آخر آية نزلت آية الربا ؛ وقيل « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله »
وكان بين نزولها وبين موت الرسول أحد وثمانون يوما وقيل تسع ليال ، وقيل
آخر براءة الخ [١/٤٤] الاتفاق وما بعدها]

ومظاهر الغيب وأمور الآخرة ؛ وقد تشتمل السور على كثير من هذه الأغراض الموحدة

والسور قسمان : مكي ومدني

فالْمَكِّي منها على أرجح الآراء هو ما نزل قبل الهجرة ؛ والمدني ما نزل بعدها^(١) والسور المدنية اثنتان وعشرون سورة تبلغ نحو ثلث القرآن الكريم وهي : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم والعصر

وما عدا هذه السور وهي اثنتان وتسعون سورة فهو مكي

موضوعات السور المسكية والمدنية

أما لسور المسكية فأظهر موضوعاتها هي :

- ١ — الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان
- ٢ — تأييد رسالة محمد صلوات الله عليه وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة ألا وهي القرآن الكريم
- ٣ — إثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر والرد على من ينكر ذلك في إفاضة وقوة حجة وتأثير
- ٤ — قص قصص الأمم القديمة وعنادها وحجاجها مع الرسل والأنبياء وإصرارها على الضلال وما حل بها من المثلثات تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون
- ٥ — محاربة التقليد ودعوة العقل البشري إلى الاستقلال بالتفكير واتباع الحق من العقائد والطاعات ونبد الأوهام والأساطير والخرافات والتفكير في نواميس الله في الكون

(١) راجع ١/١٣ الاتقان للسيوطي ، وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة ، وقيل المكي ما كان خطابا لأهل مكة والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة [١٣ و ١/١٤ الاتقان] . هذا وتسمى السورة مكية إذا كان أغلبها مكيًا وتسمى مدنية إذا كان أكثرها مدنيًا

وأما أهم موضوعات السور المدنية فهي مايلي :

١ - تشريع النظم والقوانين للفرد والأسرة والجماعة والأمة لتسير الانسانية الى حياة كريمة مهذبة تليق بكرامة الانسان خليفة الله في الارض ، الى الفضيلة والخير والعدل والحق والامن والسلم وال عمران والحضارة

٢ - الدعوة الى الفضائل ومحاربة الرذائل بكل سلاح وكل وسيلة

٣ - تقرير وحدة الانسانية والاخوة البشرية العامة وتعزيز الصلات الاجتماعية بين الانسان والانسان ، وإلغاء الفروق بين الطبقات والجماعات والشعوب ، ورفع كرامة الانسان الادبية في الحياة ، وتعزيز شخصية الانسان وإيضاح رسالته ورسم الاهداف السكريمة التي يجب أن يسير إليها ويعمل لها في الحياة

٤ - وضع شرائع الحرب والسلام التي تسير مع الانسانية البالية وتوافق مصالح البشر في الحياة الدنيا على اختلاف الزمان والمكان

وعلى العموم فالسور المدنية احتوت على أكثر التشريع الاسلامي وأودعت أعظم الآداب الاجتماعية والسياسية التي تؤلف القلوب وتحوط المملك وتصون الشعوب (١).

وقصارى الكلام أن القرآن كتاب هداية ونور ودين ودنيا وخير عام وهو دستور الانسانية المهذبة ووثيقة الحرية والمساواة والاخاء التي نالها الانسان على طول الأيام والاحقاب

أسلوب القرآن

وأسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والروعة وجلالة الروح وإشراق البيان وجمال الديباجة وقوة المنطق وعبقورية التصوير والتعبير

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعدوبة وحرارة الايمان وتدفق البلاغة ؛ فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين

(١) ١٧ الأدب العربي في صدر الاسلام اعبد الله عفيفي بك

لؤلؤ الذكر الحكيم في أسلوب لا يضارعه أسلوب فلا هو شعر ولا هو سجع ولا هو مزاج ولا هو أثر مرسل ولا خطابة ، إنما هو نظم رائع وألفاظ عذبة ومعان سامية حسيمة ، وجلال وروعة ؛ جمع بلاغة جميع أساليب البيان . وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الإعجاز

تحمى الله به العرب فجزوا فتحدهم بسورة منه فهموا ، فتحدهم بأقصر سورة ثم بعدة آيات فخرسوا ؛ ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا له خاشعين ؛ وما لإيمان عمر حين سمع دله ، وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله : « والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر »^(١) ، حين سمع د فصلت ، وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى ، ما كل ذلك إلا دليل الإعجاز وعظمة البيان وجلال الأسلوب

ويقول أبو بكر الباقلاني المتوفى عام ٤٠٥ هـ في كتابه « إعجاز القرآن » ، في فصاحة الذكر الحكيم :

إن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعروف من نظام كلام العرب ومباين للألف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المتأد . وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة ، على هذا الطول وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعطل والتكلف ، والتجاوز والتعسف . وقد جاء القرآن ، على كثرتة وطوله ، متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » . « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ذلك إلى أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه ، لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها من ذكر قصص ومواظ ، واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ؛ ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلح والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور ؛ فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ ؛ دون التأبين ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل ؛ أو وصف الحرب ؛ أو وصف الروض ؛ أو وصف الخمر ، أو الغزل ؛ أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام . ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والناطقة إذا رهب ؛ وزهير إذا رغب ؛ وهم لا خلاف في تقدمهم في صناعة الشعر ؛ ولا شك في تميزهم في مذهب النظم .

ومنى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتى بالغاية في البراعة في معنى ، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه ، وبان الاختلاف في شعره ، ثم نجد في الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ؛ ومنهم من يوجد بضد ذلك . وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والوصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما تنصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف

وهناك شيء آخر وهو ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، بهذه الأساليب البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة ؛ مما يتعذر على البشر ، وقد علم أن تخير اللفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل

وأقرب من تخير الالفاظ للجان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، وبراعة اللفظ في المعنى البارع أعجب من براعته في المعنى المتداول المتكرر .

وللقرآن مزية أخرى غير ما تقدم ، وهي أنه من المقرر المعروف أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذ هذه الاسماع ، وتنشوف إليه النفوس ، ويرى وجه رونقه بأديا غامرا سائر ما يقرب به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكالياقوتة وسط العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير فاذا هي غرة جميعه ، واسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصصه برونقه وجماله وبعد فانك تجد في كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب بحلوة عليك في منظر بهيج ومعرض رشيق ، ونظم أنيق غير متعاص على الاسماع ، ولا ملو على الأفهام . ولا مستبكره في اللفظ ؛ يمر كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ؛ ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ؛ جموح على الطارق المنتاب ؛ كالروح في البدن ، والنور المسبطر في الأفق ؛ والغيث الشامل ؛ والضياء الباهر . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

جمع القرآن

١ - كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن - ابتداء أو بأمر الرسول صلوات الله عليه - على ما يتفق لهم من العصب والالواح والرقاع واللخاف^(١) وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وكل ما صلح للكتابة كان كل يكتب ما تيسر له كتابته ، وكان منهم بعض قليل كتبوا القرآن كله والإجماع على : على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وزيد ابن

(١) العصب : جمع عسيب وهو جريد النخل وكانوا يكشطون الخوص عنه ويكتبون في الطرف العريض . واللخاف جمع الخفة بفتح فسكون وهي صفائح الحجارة .

ثابت (١) ؛ وقبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عرض زيد القرآن عرضة على رسول الله صلوات الله عليه ، ففي عهده صلوات الله عليه كان القرآن مرتب السور والآيات ولمكنه غير مجموع في كتاب واحد

وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة في عهده عليه الصلاة والسلام وتوفي الرسول صلى الله عليه والقرآن محفوظ في صدر الصحابة وفي الرقاع التي كانوا يكتبون آياته وسوره فيها .

٢ - وتقلد أبو بكر خلافة المسلمين ونهض بعبء الدعوة النبوية وأخذ يحارب أهل الردة في معارك كثيرة كان منها غزوة أهل اليمامة التي مات فيها كثير من الصحابة والقراء رضوان الله عليهم . يقال إن عدد من قتل فيها سبعون قارئاً من الصحابة ، وخيف أن يكثّر موتهم في الغزوات والحروب .

ففزع أبو بكر وعمر عليهما رحمة الله من ذلك ، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والعصب والاكتاف ، ويروى أنه دخل على أبي بكر فقال له : يا خليفة رسول الله إن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهاقنون تهافت الفراش في النار وإنني أخشى أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته (٢)

فكر أبو بكر في الأمر واستشار فيه الصحابة وكان يفزع من أن يضع شيئاً لم يأمر به الرسول الاعظم صلوات الله عليه ؛ ولذلك قال أبو بكر لعمر : أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن يزيد يستشيريه في الأمر فذكره ذلك فقال عمر

(١) يروى أن زيد بن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى والرومية من حاجب النبي والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمه أيضاً [ص ٦٢٣٠٠٠٠] وكان كتاب الوحي حول رسول الله نحو الأربعين منهم جلة الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) راجع في ذلك الاتقان ١/٩٨ وما بعدها .

لهما : وما عليكما لو فعلتما ذلك حتى ألهمهما الله به فأمر أبو بكر زيد بن ثابت
بجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال ونسخه في قطع الأديم والأكثاف
والعسب وسمى أبو بكر هذه الألواح المكتوبة التي جمع فيها جميع القرآن
الكريم مصحفا وحفظت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر
طول حياته ثم حفصة بنت عمر صدرا من ولاية عثمان .

وهذا الجمع الأول ؛ وقد حدث في عهد أبي بكر على يد زيد بن ثابت (١)
وبإشراف الخليفة وعمر وكبار الصحابة وكان الغرض منه جمع نص القرآن
الكريم في مجموعة واحدة حتى لا يضيع شيء منه بموت الصحابة والقراء في
الغزوات والحروب .

وفي عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء في الأمصار فكان ابن مسعود في
السكوفة وأبو موسى الأشعري في البصرة والمقداد بن الأسود في دمشق وأخذ
عنهم أهل تلك البلاد وجوه القراء والترتيل ؛ مما أدى إلى تعدد القراءات
واختلاف المسلمين في قراءة القرآن اختلافا كثيرا حتى كان الواحد منهم يقول
للآخر ؛ قرأتني خير من قرأتك والآخر يقول ؛ بل قرأتني ؛ واستمر الأمر
على ذلك إلى أن شهد حذيفة بن اليمان وهو صحابي جليل غزوة أذريينجان
وغزوة إرمينية وشاهد هذا الاختلاف الكثير فلما عاد أئذ عثمان بعاقبة
هذا الاختلاف الويل وحذره من سوء المصير إذا استمر هذا الاختلاف ؛

فأرسل عثمان إلى حفصة يستأذنها في أخذ الصحف التي جمع فيها أبو بكر
القرآن فأذنت له ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام وسعيد بن العاص بأن ينسخوها في المصاحف ، وأمرهم بأن يرجعوا فيما
اختلفوا فيه إلى زيد بن ثابت ، وما اختلفوا فيه جميعا أن يكتبوه بالسان قريش
فإن القرآن نزل بالسانهم ؛ فكتبوا مصحفا عرضه على صحف حفصة فلم يختلف
في شيء فرد عثمان صحف حفصة إليها ، وفرح بما عمل فرحا شديدا ، وأمر الناس

(١) وكان يعاونه بعض كتاب الوحي وفيهم سالم مولى أبي حذيفة كما يروي

أن يكتبوا مصاحف ثم لما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمرو فأخذ منه المصحف فغسلت غسلًا

وكانت عدد المصاحف التي كتبها عثمان خمسة وقيل ستة وقيل سبعة ، وبعث عثمان إلى كل قطر مصحفًا ، فأرسل منها إلى الكوفة والبصرة ومكة والشام واليمن والبحرين وأبقى واحداً بالمدينة وهو مصحفه الذي سمي « الإمام » ،

ويسمى عمل عثمان ذلك « جمعاً ثانياً » ، للقرآن ، وقد قام به أربعة من جلة حفظة الذكر الحكيم وكتابه ، وكان الغرض من هذا الجمع القضاء على اختلاف المسلمين في قراءات القرآن ولهجاته حتى لا يتطرق إلى المصحف تصحيف أو تغيير وصدق الله العظيم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ،

فجمع أبي بكر لما كان كما يقول السيوطي في الاتفاق : « خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجاءه في صحائف مرتباً آيات سورة على ما وقفهم عليه رسول الله وجميع عثمان لما كثرت الاختلاف في وجوه القراءات حين قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك إلى تخطئه بعض فخشى من تقادم الأمر في ذلك فنسخ تلك المصحف في مصحف واحد مرتباً سورة واقترع من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم (١) ، والله أعلم .

(١) والخلاصة أن القرآن :

- ١ — كان سورة مرتبة الآيات في عهد رسول الله صلى الله عليه
- ٢ — أما ترتيب سورة فلم يكن في عهد رسول الله بدليل أن مصحف عثمان يخالف الترتيب المعروف اليوم لسور القرآن ، وما الخلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف عثمان إلا خلاف في ترتيب سور القرآن
- ٣ — كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر عام ١١ هـ ، وكان الجمع الثاني في عهد عثمان عام ٢٥ هـ .
- ٤ — كان تقسيم المصحف ثلاثين جزءاً زمن الحجاج

رواية القرآن أو قراءاته .

١ — عن النجاري عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله (ص) قال : « أقرأتني جبريل على حرف فراجعتة فلم أزل أستزيدته ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » (١) .

المراد من الأحرف السبعة المذكورة غير القراءات السبع .

٢ — والمراد من الأحرف السبعة ورود بعض آياته على وجوه كثيرة :

ففي القاموس : « نزل القرآن على سبعة أحرف : سبعة لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر ، وفي اللسان « أراد بالحرف اللغة ، وهذه اللغات متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قریش وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة هوازن أو هذيل ، والأرجح أن الأحرف في اللغات والقراءات هي اللهجات وقد يحى من اللغات ست وبقيت لغة قریش وهو الحرف الذي اختلفت القراءة فيه .

ومثال ذلك الاختلاف مارواه الفناري في حواشيه على « المواقف ، عن الامام ابن قتيبة الهمداني :

١ — ما يتغير فيه المعنى بسبب الزيادة : « وأنذر عشيرتک الأقربين ، ورهطک منهم المخلصين ، فهذه الجملة الأخيرة لم توجد في القراءات المذكورة ، ولكنها نقلت في حديث ابن عباس . ولا يخفى أن لها معنى زائدا على قوله تعالى : « وأنذر عشيرتک الأقربين » .

ومثال ما لا يتغير فيه المعنى قوله تعالى : « وما عملته أيديهم ، وفي قراءة « وما عملت أيديهم ، والمعنى واحد فيهما ، لان حذف الضمير العائد الى الموصوف جائز ، فهو كأنه مذكور . فهذان وجهان من الواجهة السبعة : ما لا يتغير فيه المعنى وما يتغير بسبب زيادة أو نقص .

(١) وورد أيضا « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ،

٢ . وقد يكون تغير المعنى بسبب تغير نفس الكلمة بدون زيادة عليها أو نقص ، وتحت هذا ثلاث صور :

أ. — إحداها : أن تتغير الكلمتان بتغير الشكل مع بقاء مادة الكلمة على حالتها مثل « الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل » و « البخل » بفتح الباء والخاء في الكلمة الثانية « فان احرف البخل والبخل واحد » ومعناها واحد « ولم يتغير سوى الشكل .

ب — ثانيها : أن تتغير الكلمتان بتغير مادتهما مع اتحاد معنهما كما « لصوف المنفوش » في موضع « العين المنفوش فان لفظهما مختلف ومعناها واحد . وقد قرأ كالصوف المنفوش ابن مسعود وسعيد بن جبير . ومن ذلك ما إذا تغيرت الكلمتان بتغير حرف واحد منهما « كقوله تعالى : « ثم نشرها لهما » في قراءة . وفي أخرى « ثم نشرها » بالزاي . وكذلك قوله : « حتى حين » وفي قراءة « عى حين » في لغة هذيل .

ج — ثالثها : أن تتغير الكلمتان في الشكل والمعنى مع اتحاد مادتهما ، كقوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بضم الهمة ، بمعنى أكتمها ، وأخفيها بفتح الهزة بمعنى أظهرها . ومن ذلك تغير الفعل من أمر إلى ماض مع اختلاف المعنى ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » و « بعد بين أسفارنا » في قراءة ، فالاول فعل أمر ، والثاني فعل ماضى ، ومعناه على الاول ظاهر . فقد كان بينهم وبين الشام قرى ظاهرة منفاربة فطلبوا بعدها لتكون تجارتهم عزيزة غالية الثمن . أما قراءة بعد ففيها إخبار منهم بغير الواقع جحوداً لنعمة الله . فهذه ثلاثة أوجه تضم إلى الوجهتين السابقتين ، فيكون المجموع خمسة ، وبقى وجهان آخران :

٣ . وذلك بأن يكون التغير راجعاً إلى أمر عارض للفظ ، وتحت هذا صورتان :

أ — الصورة الاولى . أن يكون بسبب التقديم والتأخير ، كقوله تعالى . « وجاءت سكرة الحق بالموت ، بدل « وجاءت سكرة الموت بالحق » .

ثانيتها . أن يكون بسبب الاعراب ، كقوله تعالى : « إن ترن أنا أقل منك ،
وفي رواية « أنا أقل ، بالضم ، وقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد ، ، وفي
قراءة « ولا يضار كاتب ولا شهيد ، بفتح الراء وضمها .

فبان أن التغير إما أن يكون راجعا الى زيادة كلمة أو نقص كلمة ، وإما
أن يكون راجعا الى نفس الكلمة في الشكل ، أو في إبدالها بمرادفها ، أو إبدال
فعل ماض بمضارع ؛ وإما أن يكون راجعا الى وصف الكلمة من تقديم
وتأخير وإعراب .

وسبب نزول القرآن على هذه الأوجه السبعة : أن العربى مجبول على لغته ،
فلو كلف بالقراءة على وجه واحد فانه يعسر عليه التحول ، وقد جاء النبي صلى الله
عليه وسلم للناس بشريعة سمحة ليس فيها على الناس من حرج ، قال تعالى : « وما جعل
عليكم في الدين من حرج ، ، فلو نزل القرآن على حرف واحد لعسر على باقى
القبائل التحول عن لغتهم الى القراءة به . وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ
على هذه الأوجه ، بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وهو معظمه ، وبعضه
بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، وبعضه بلغة اليمن الخ . فمن سماحة الدين أن
يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العربى فى أول أمرهم ، فأنزله على الأوجه التى
ينطقون بها ، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعلمه فى طباعهم من الخشية والتعصب
للغاتهم . فلو كلفهم من أول الأمر النطق بلغة غير لغتهم لفروا من تلاوة القرآن
وشق عليهم حفظه ، وذلك كان شأن التشريع الإسلامى فى جميع أطواره ، فانه مبني
على مصالح الناس الصحيحة التى يترتب عليها سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ودفع
المضار التى تؤذيهم أديبا وماديا .

ومما ينبغى الالتفات اليه فى هذا المقام أن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى
على هذه الأوجه التى ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه
الحكمى ، أو يقص شيء من بلاغته وفصاحته التى تحلى بها جميع معارضيه من
أهل البلاغة وأساطين البيان ، بل كان اختلافه فى التعبير آية أخرى من آيات
إعجازه ، إذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين أن يحتجوا

على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة المحتملة من أول الأمر . وأما ما روى عن عمر من أنه أنكر على ابن مسعود قراءته « حتى » : « حتى » ، بلغة هذيل وقال له : إن القرآن نزل بلغة قريش ، فقد اجابوا عنه بأن عمر قد راعى في ذلك نزوله في أول الأمر قبل أن يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه التخفيف عن الناس

وقد يكون عمر طالب من ابن مسعود أن يقرأ بلغة قريش ، لأن معظم القرآن قد نزل بلغة قريش ، وقد طال عهد الناس يومئذ بالاسلام ، فمن الحسن أن يمد عمر لحلمهم على قراءة القرآن بلغة واحدة ، ويمرهم على ذلك ، دفعا لما عساه أن يحدث من الاختلاف في كتاب الله تعالى . وأما قوله : فإنه نزل بلغة قريش ؛ فإنه يريد أن معظمه نزل بلغتهم . والحديث الذي معنا يدل على ذلك دلالة واضحة ، فإن القرآن نزل أولا على وجه واحد ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه أن يزداد على ذلك الوجه ، ولم يزل يزداد له حتى انتهى الى هذه السبعة . وفي رواية مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن أمي لا تطيق ذلك . ومعنى هذا أنه لو نزل بلغة قريش خاصة لانصرف الآخرون عن تلاوته والنظر فيه . وهم حديثون عهد بالاسلام ، لم تذهب من صدورهم نزعة الجاهلية الاولى ، ولم يفارقهم التعصب الشديد للغتهم ؛ فغفا الله عنهم واستجاب لنيه دعاءه في شأنهم . وأنزل عليه القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة .

وليس الغرض أن كل كلمة قد اجتمعت فيها اللغات السبع ، بل اللغات السبع مفرقة فيه كما ستعرفه . على أن معظمه نزل بلغة قريش كما ذكرنا آنفا . ولا يرد أن لغات العرب أكثر من سبعة . لأن المراد أشهرها وأفصحها ،

أما علاقة هذه الأحرف السبعة بالقراءات السبع المعروفة . فهي أن القراءات السبع وغيرها بعض هذه الأحرف المذكورة في الحديث . بمعنى أن ما نقله أئمة القراء متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعض الأحرف التي نزل بها القرآن . لما بيناه من أن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث تشمل لغة معظم القبائل العربية . فالقراءات السبع المتواترة وغيرها لا تخرج عن لغات

العرب الفصيحية حسنا ، ولذا كان من المتعذر نقل مفردات الأحرف السبعة المذكورة في الحديث كلها بطريق التواتر .
على أن عناية المسلمين الشديدة بكتاب الله تعالى . وحرصهم على تدوين كل ما يتعلق به ، حمل بعض جماهذة العلماء على جمع الروايات المختلفة ، سواء كانت متواترة أو غير متواترة ، في كتاب ضخم .

وبما لاخفاء فيه أن التواتر لم يتف عند القراءات السبع المرووفة ، بل قد تواتر غيرها أيضا . وقد وضع بعض المحققين ضابطا للقراءات المقبولة ، سواء كانت من السبع أو من غيرها وهو : كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الامام ، فهو من القراءات المقبولة ، سواء كانت سبعة أو أكثر من ذلك .

والحاصل : أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، وهي مختلفة في كثير من نواحي التكلم ، فاقترضت الحكمة أن ينزل القرآن على نبيه مشتملا على كل لغات العرب المشهورة ، كي لا تقوم لهم حجة على عجزهم عن محاكاته والإتيان بمثله ، وكان المسلمون يومئذ قد غلبت عليهم الامية ، فكانوا يحرصون على حفظ كل ما ينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه ، فنقلوا إلينا ما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترا على الضبط المتواتر من القراءات .

وقد يقال : هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم كتبت في زمن النبي ؟ فنقول إن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والأحوال فلم يكن نزوله مرتبا على الحالة التي هو عليها الآن ومن البدهى أن ترتيبه على هذه الحالة بأمر الله عز وجل كما ستعرفه ، فكانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر النبي كتبة الوحي الذين كانوا يعرفون الكتابة يومئذ فيكتبون ما يوحى إليه بنصه وشكله ، ويبلغه للناس فيحفظه القراء المشهورون بالحفظ كما أنزل بحسب لغاتهم المختلفة ، وهكذا ، حتى تم نزوله وترتيبه ، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كما هو على جبريل ، وبلغه للحفاظ مرتبا لحفظه على حالته التي تواتر بها إلينا .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباشر تحفيظ كبار الصحابة بنفسه زيادة على تعليم كسبة الوحي الذين كانوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والأمانة. ومن الذين علمهم الرسول مباشرة عبد الله بن مسعود ، فقد روى عنه البخارى أنه قال : « والله لقد أخذت من فى رسول الله بضعا وسبعين سورة » . وفى رواية لابن أبى داود أن ابن مسعود قال : « أخذت من فى رسول الله سبعين سورة ، وإن زيد ابن ثابت لصبي من الصبيان » . فهذا صريح فى أن بن مسعود تلقى هذه السور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الله بن عمر : كانت تنزل السورة فتحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم حلالها وحرامها الخ . فهذا صريح فى أنهم كانوا يحفظونه سورا كاملة مرتبة على هذه الحالة التى تواترت إلينا . وما هو واضح أن العرب يومئذ كانت لهم مقدرة شديدة على الحفظ ، حتى كان بعضهم يحفظ كل ما يسمعه من أول مرة . وقد سمع ابن عباس قصيدة عمر بن أبى ربيعة وهى تبلغ سبعين بيتا تقريبا مرة واحدة لحفظها حفظا جيدا وقرأها . فلم يعقهم الحفظ متفرقا عن الحفظ جملة واحدة كما قد يتوهم

وبالجملة : إن الحفاظ الذين كانوا يتلقون القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على جانب عظيم من الضبط والذكاء والفطنة ، ومنهم أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب وغيرهم من الخوّل الأذكياء وأساطين الحفاظ ، فهؤلاء هم الذين حفظوا القرآن مرتبا على ما هو عليه بعد أن تم نزوله ، ونقله عنهم غيرهم من القبائل ، بحيث نقلت كل قبيلة ما يوافق لغتها التى نزل بها .

ومن هنا تعلم أنه لم تكن هناك حاجة إلى كتابة القرآن مرتبا ، لأن الحفظ كان كافيا ، ولكنه كتب متفرقا ، وكانت الكتابة يومئذ على الجلود والأحجار الملساء ونحو ذلك ، فلما توفى الرسول صلوات الله عليه قتل كثير من القراء ، فتنبه عمر لذلك وقال لأبى بكر : أخشى أن يذهب القرآن بموت القراء فن الصواب أن نجمع الآيات المتفرقة التى كتبت فى عهد الرسول مرتبة طبقا للمحفوظ لنا ، فوافق أبو بكر بعد تردد لأنه كان يحب الوقوف عند الحد الذى

تركهم عليه الرسول ، لجمعت آيات القرآن المتفرقة ورتبت وفقا للحفظ بدون تغيير في الرسم الذي كانت عليه ، لأنها كانت مشتملة على كثير من لغات العرب التي نزل بها القرآن ، فكل ما فعله أبو بكر رضى الله عنه أنه جعل كل آية بجوار صاحبها حتى كملت كل سورة على حدة ، ولكنه لم يرتب السور ، ولم يحذف شيئا من اللغات المدونة فيه .

فلما شاع القرآن بين العرب وانتشر الاسلام في الامصار والاصقاع ، وقرأت كل قبيلة بلغتها ، دب الخلاف بين الناس ، وأخذ بعضهم يكفر صاحبه ويقول له : أنت تقرأ القرآن على غير ما أنزل ، لأن كل واحد كان يحفل ما نزل به القرآن من لغة الآخر فاستشار عثمان كبار الصحابة في أن يجمع الناس على قراءة واحدة كي لا تحدث بين المسلمين فرقة ، فوافقوه على رأيه . فجمع القراء المشهورين ، ومنهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم ، فكتبوا له المصحف باللغة قریش ، لأن معظم القرآن نزل بها ، وأقرهم على فعلهم سائر الصحابة يومئذ ، فبعث به الى الجهات المتفرقة ، وأمر بحرق ما عداه . فعمل عثمان رضى الله عنه كان مشتملا على أمرين لم يعملهما أبو بكر .

أحدهما : أنه جعل الكتابة مقصورة على لغة واحدة بعد أن كانت بلغات متفرقة .

ثانيهما : أنه رتب سورة القرآن فجعل كل سورة عقب الأخرى على حسب الترتيب الذي تلقاه الحفاظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين . وقد أحسن عثمان رضى الله عنه ومن وافقه من أئمة الدين بذلك العمل الجليل كل الاحسان ، فقد سد على الذين في قلوبهم مرض باب الاختلاق على كتاب الله المبين ، وحسم مادة التفرقة في أصل الدين ومنبعه المعين . وذلك بتوفيق الله الذي قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فقد صدق وعده الذي وعد به ، فألهم عثمان وباقي أصحاب رسول الله الاعلام وسيلة حفظه ، ولولا ذلك لكان اختلاف لهجات

الرب السكينة المتشعبة في أكبر العوالم التي أتاحت لأعداء الدين الفرص
لتحريف ذلك الكتاب الكريم وتبديل عباراته كما بدل غيره من الكتب .

وقصارى القول أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه ،
فبعضه نزل بلغة قريش ، وهو معظمه ، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضا ،
وبعضه نزل بلغة هذيل ، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتهما ، وهكذا . ولا يخفى
أن القبائل التي نزل بعض بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة لأن في نزول
بعضه بلغتها ترخيصا لها في قراءته جميعه بهذه اللغة . فالذي حصل في زمن أبي بكر
رضي الله عنه هو أنه جمع الآيات المتفرقة سويا فجعل كل آية بجوار صاحبها طبقا
للمحفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا نقص ، فجعل كل
سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه في صدور الحفاظ ، على أنه لم يغير شيئا
من المكتوب بل أبقاه على حاله ، وأما عثمان رضي الله عنه فقد كتب مصحفا
بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ

ومن هذا تعلم أن الأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم ، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ في القبائل ، وأنها لم
يوجد منها شيء في مصحف عثمان ، لأنه كان مقصورا على لغة قريش .

أما السبب في اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة
واحدة ؟ فقد أجاب عنه بعضهم بأن القرآن قد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب على الوجه الذي تقدم ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة
على هذه الحالة ، فتواتر نقله بلغات متعددة ، فلما كتب المصحف العثماني وبعث به
إلى تلك الجهات التي كان بها بعض القراء من الصحابة ، عملوا بمسا يمكنهم العمل به
من ذلك المصحف . فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة مما لا تدل عليه كتابة المصحف
ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف . وإليك نص عبارة الحفاظ ابن حجر في
ذلك : إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت إليها

المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة . وكانى المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال : ثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة بشرط موافقة الخط . وتركوا ما يخالف الخط امثالاً لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الامصار

وقد يكون عثمان رضى الله عنه لم يحرم قراءة القرآن باللغات التى تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين ، فكاتب مصحفه ليسكون مرجعاً يرجع إليه الناس عند الاختلاف ، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عابها الأخرى أمكنهم الرجوع إلى الأصل . وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصون عباراته من التبديل والتحريف ، وذلك يحصل حتماً بالاجماع على التمسك بنص ما كتب فى مصحفه ، أما غيره من المد والتسهيل والادغام والاضمار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير فى نص القرآن فذلك مالا ضرر فيه ألبتة ، وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : ، يا عمر : القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة .

وأخيراً نسوق إليك هذا الحديث الشريف ، وهو : روى أن عمر سمع هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فإذا هو على حروف لم يتلقها عمر من رسول الله قال . فسكنت أساوره فى الصلاة وتصبرت حتى سلم فلبسته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فسمع منى وسمع منه وقال لكل منا . كذلك أنزلت ؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه .

٢ - وبعد فقبائل العرب التى نزل القرآن بلمجاتها هى .

قريش - سعد - ثقيف - خزاعة - هذيل - كنانة - اسد - ضبة

- قيس واحلافها . ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش .

والقراء السبعة الذين رَووا القراءات السبع هم .

نافع بن أبي نعيم م ١٦٩ هـ

عبد الله بن كثير م ١٢٠ هـ

أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ .

عبد الله بن عاصم اليحصبي م ١١٨ هـ

عاصم بن بهدلة الأسدي م ١٢٨ هـ

حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ هـ

علي بن حمزة الكسائي م ١٨٩ هـ

وهناك سبع روايات تم عليها الإجماع ، وثلاث قوية السند ولم تصل إلى الإجماع وأربع أخرى بين القوة والضعف لجملة ذلك كله أربع عشرة قراءة .

القرآن وأثره في اللغة والأدب

القرآن كتاب العربية وناموس شريعة محمد صلوات الله .
تعبده به المسلمون منذ بدأ الإسلام حتى اليوم وحفظوه ورددوه وقرأوه بلغات
قريش التي نزل بها .

وكان له أثر عظيم في اللغة العربية وآدابها مما يمكن تصويره فيما يلي :

١ - أثره في اللغة :

١ - وحدة اللغة واللهجات العربية في لغة قريش وهي أفصح لهجات العرب
لفظاً وأبلغها أسلوباً وأعذبها نظاماً ، وكان ذلك من أسباب وحدة المسلمين
كافة إذ اتخذوا هذه اللغة القرشية لغتهم فزادتهم وحدة في اللغة فوق وحدتهم في الدين

٢ - حفظ القرآن الكريم العربية من العفاء والانقراض كما انقرضت من
قبل لغات كثيرة أصبحت في عداد اللغات الأثرية .

فأصبحت العربية لغة القرآن الذي كفل الله بقاءه إلى يوم الدين .

٣ - والقرآن أول عامل في ذبوع اللغة العربية وانتشارها في شتى البلاد

والأصقاع ، وأصبحت هي لغة الدين والسياسة والأدب والثقافة والقراءة والكتابة في شتى بلاد العالم الاسلامى الواسعة ، وكثير من البلاد التى فتحتها المسلمون هجر أهلها لغتهم الأصلية وتعلموا العربية واتخذوها لهم لسانا ليفهموا بها القرآن قانون الدين الخالد ، ولتفاهموا بها مع الحاكمين ومن يعاشرونهم ويخالطونهم من العرب .

٤ - رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده من بين سائر فنون الأدب

٥ - وقد ساعد القرآن على تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها فهجر المسلمون الكثير من الحوشى والغريب والمتناثر واختاروا العذوبة والسلاسة والسهولة والركة فى اللفظ والنظم

٦ - وسع القرآن الكريم نطاق اللغة باستحداث الألفاظ الاسلامية التى نقلت من معانيها إلى معان جديدة أتى بها القرآن الكريم كلفظ المؤمن والمنافق والاسلام والصلاة والصوم والنخ

٧ - والقرآن هو الذى دفع المسلمين إلى العناية بشئى العنوم الدينية والعربية ووضعها بما كانت هي أساس صرح المدنية الاسلامية الباهرة

أثره فى الأدب العربى

وللقرآن أثر كبير فى الأدب العربى :

١ - فقد نأثر به المسلمون فى بلاغته وفصاحته وعذوبته ، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم ورققت طباعهم ، واقتبسوا منه فى شعرهم ونثرهم ، والحق أنه هو الذى خرج أعلام البلاغة وفنول البيان والأدب من قديم

٢ - أحيا القرآن الكريم فنونا أدبية جديدة ، كالقصص وأدب الزهد وأدب التاريخ وأبطل سجع السكمان والهجاء السكاذب والفخر بغير العمل الصالح والخلق الكريم إلى غير ذلك من شئى الفنون الأدبية المرذولة .

٣ - بتأثير القرآن عكف الأدباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحبسها وبلاغاتها وأمثالها ووصاياها وخطبها مما كان مادة الثقافة الأدبية العربية على مر الأيام

٤ - وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم وكيف تحدى الله به العرب والناس كافة فملكهم الأعياء والعجز والقصور ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها

ولقد عنى به الأوروبيون عناية كبيرة ، فطبع أول طبعة في أوربا في فينيسيا عام ١٥٣٠ والثانية في غمبرغ عام ١٦٢٤ ثم في بادده عام ١٦٩٨ وفي بطرسبرج ١٨٨٧ وفي قازان عام ١٨٠٣ . كما ترجم إلى اللغات الأوروبية الحية وظهرت أول ترجمة له ليلياندر باللغة اللاتينية عام ١٥٤٣ م

خصائص القرآن

١ - وخصائص القرآن البيانية وما اشتمل عليه من رائع الحكم والأمثال وبلغ المجاز ودقيق التشبيه وجيد الاستعارة والكناية وساحر الطباق والجناس . وحكم الإيجاز والأطاب المفيد ، كل ذلك كثير جدا . إلى حد يصعب بيان مداه إلا في مؤلفات ضخمة . وقد تناول بعض هذه الخصائص السيوطي في الاتقان والرافعي في إعجاز القرآن . وعلى ضوء السيوطي كتب ملخصا صغيرا لها الأستاذ محمود مصطفى في كتابه في الأدب الإسلامي

وستترك نحن الحديث عن ذلك في هذا المجال

٢ أما خصائص القرآن في :

١ - أغراضه ومقاصده . فان القرآن قد جال في كل غرض . وهو في كل موضوع يطرقة في الاجتماع والسياسة والدين والتشريع والحكمة والقصص والزهد والتوجيه والأدب والتعليم والإرشاد والوعد والوعيد ، كتاب الله الحكيم المعجز الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ب — وأما أسلوب القرآن : فقد سبق أن فصلنا الكلام فيه وراجع ما كتبه
الرافعي عن أسلوب القرآن في ص ٢٤٧ وما بعدها من كتابه « إيجاز القرآن »
ج — وأما معانيه فحسبك ما تشتمل عليه من صدق وحق ووضوح وجلال ،
وهي من غير معين العرب الذي ينهلون منه . لقرب تناولها ووضوح صدقها واطمئنان
النفوس إليها ولما تنتظمه من الحجّة الباهرة والأدلة الساطعة والاحكام الصائبة
والتشبيهات الرائعة ؛ وبحق إنه معجزة البيان وآية النبوة المحمدية

د — وأما ألفاظه فحسبك جزالتها وقوتها مع السلاسة والعدوبه ومع البعد عن
الوحشي والغريب النافر والسوقي المبتذل والبعيد المعقد . وما فيها من سحر وجمال
ورشاقة وخفة وما تنطوي عليه من أسرار الفصاحة وخصائص البيان والاعجاز
٣ — وأما بلاغة القرآن فهي حديث الدنيا ، والأمر الذي سلمته به لخول
البلغاء وأساطين البيان على مرّ الاحقاب

أرأيت العرب وهم أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء كيف تحداهم القرآن
الكريم على أن يأتوا بمثله ثم بعشر سور منه ثم بسور ولو من أقصر سورهم ثم
بآيتين أو آيات في مثل بلاغته فعمجزوا وقالوا شعر أو سحر أو كهانة أو
أساطير الأولين.

كلا وربّ إن هو إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر ، والوحي الحق الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ثم أرأيت ما يقول الوليد بن المغيرة في القرآن وقد تردد على محمد خفية
وخيفة وسمع منه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده
ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي تقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي
يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو ولا
يعلى عليه

ثم اسمعت حديث اسبلاص عمر بعد أن سمع أخته وزوجها وهما يقرآن طه ،
وحديث هذا الاعرابي الذي سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر فسهجد » وقال :
سهجدت لفصاحته

لا وربك إنه السحر المبين ، والاعجاز البالغ والبلاغة النادرة ، وما هو بقول
البشر إن هو إلا وحى يوحى ، وكتاب نزل من السماء إلى الأرض نورا وهدى
وخيرا وطمأنينة للقلوب والنفوس

إعجاز القرآن

وتحسب لنا تناول الإعجاز من شتى جوانبه ونواحيه ؛ وإنما نوجز لك القول
إيجازاً ، وتركك لذوقك ونفسك ، حتى تعرف أسرار الإعجاز ، وتقف
على خصائصه .

(١) جعل عبد الله عفيفى وجوه الإعجاز فى :

١ - اشتمال القرآن على الأسلوب المنطوق والأسلوب العلمى

٢ - وما يشتمل عليه من قوة روحية خارقة .

٣ - وما أفاض فيه مما يحملون من أحداث التاريخ .

[راجع كتابه تاريخ الأدب العربى فى أصدر الإسلام وبنى أميه]

وجعل المرحوم الأستاذ محمود مصطفى وجوه الإعجاز فى :

١ - ما انطوى عليه القرآن من الأخبار بالمغيبات .

٢ - وما نبأ به من أخبار الأمم الماضية .

٣ - وما اشتمل عليه من حسن تأليف والنشام كلم وتخير ألفاظ وحسن

مقاطع ومطابقة هذا النظام لمقتضيات الأحوال مضموماً إلى ذلك جلال الغرض

وسمو المعانى وصفاء الحكم وانطباق المثل .

ونفى أن يكون مرجع الإعجاز إلى ما ذهب إليه البعض من الصرفة وأن الرب

كانوا قادرين على معارضة القرآن لولا أن صرفهم الله عن ذلك كما نفى أن يكون

الإعجاز لما أخبر به القرآن من قصص التاريخ الماضية أو لما اشتمل على من

معان سامية ، كعلو حكمته ودقة تشريعه وظهور الفكرة فيه .

وذهب الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد فى مقال له بمجلة الأزهر إلى خطأ ==

ولعلك قد قرأت تحليل عبد القاهر وعلماء البلاغة الآية الكريمة : رب إني
وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، أو شرحهم للآية الحكيمة : وقال اركبوا
فيها باسم الله مجريها ومرسها — إنا إن ربى لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج
كالجبال ونادى نوح ابنه كان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين
قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ، وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى
وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ،
رلعلك على ذكر من هذه الوجوه البلاغية التى يذكرونها فى الموازنة بين قوله

== من يذهب إلى أن أعجاز القرآن فى أسلوبه وبلاغته لحسب لافى مادته الفكرية
وما ينطوى عليه من مبادئ وقوانين ، لأن هناك جوانب للأعجاز تتناول سائر
النشاط الإنسانى . الاجتماعى منه والاقتصادى والسياسى والنفسى والعلمى إلى غير
ذلك من وجوه الرقى البشرى .

وكتب زميلنا الأستاذ أحمد الشرباصى بحثاً فى أسرار القرآن الكريم نشره
بمجلة الأزهر ، عدد منها : أنه كتاب عربى مبين — واستعماله الكلمة الحاوية
لكثير من المعانى ، والايجاز ، وأن الله تعالى لم يجعله أبواباً مستقلة وأنه يعرض
قصص الانبياء والمرسلين فى صور مختلفة .

وكتب الأستاذ الجليل « السيد القاياتى » فى مجلة الأزهر ينفى أن يكون لامية
الرسول شأن فى صدق النبوة وقيام الأعجاز وأن يكون العرب قد وقعت منهم
معارضة للقرآن .

وراجع الآراء القديمة فى إعجاز القرآن فى الاتقان ١٩٧ - ١١٢ ج ٢ ط ١ ١٩٤١
وقد ألف كثير منهم فى الأعجاز ومن أشهرهم عبد القاهر والباقلانى ولكنهم
حاموا حول الأعجاز ولم يكتبوا فيه .

وراجع الكلام على الأعجاز فى إعجاز القرآن للرافعى ص ١٨٢ وما بعدها
ط ١٩٢٨ .

تعالى ، واسمكم في القصاص حياة ، وقول اكنتم بن صيفي : القتل أنفي للقتل .
ولملك قرأت ما كتبه الزمخشري في بلاغة كثير من الآيات القرآنية الحكيمة أو
ما كتبه في قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » الى قوله تعالى : « واشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يلطمون » . أو ما دونه علماء البلاغة في بلاغة الآية الكريمة « خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

فكل ذلك لا يضيرك على أى حال في فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه وهو
من جهة أخرى وسيلة لتربية ذوقك وملكتك في النقد والبيان .

ولكننا نعود بك إلى فطرتك الأدبية وحدها فنطالها بالفهم والنقد والحكم
في قضية الإعجاز ، وأنت تعلم أن الأمة العربية أمة تحب البلاغة وتعشقها وتجيدها
ويهزها البيان الجليد والفصاحة الرائعة ، وفيها مقال البلاغة وهصاقع الخطباء
وأعلام الشعراء ، لا ترى لأحد عليها شغرا ، ولا تحسب روعة البيان وسحر الكلام
إلاها ؛ وكانت كما يقول الجاحظ . أكثر ما كانت شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت
لغة فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته وهو في ذلك يحتاج
عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة
واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريبا لعجزهم عنها تكشف
عن نقصهم ما كانوا مستورا وظهور منه ما كان خفيا ، حين لم يجدوا حيلة ولا حجة
قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمسكك ما لا يمكننا ،
قال . فها توها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه
أحد يتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه
ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ؛ فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم
وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجم منهم وعارض شعراءه
وأصحابه وخطباء أمته ؛ والعرب لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب
الطوال البليغة والفصاح الموزج ، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنشور ، ثم

يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم
مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في
الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة .

وبعد فأى أثر أدب أعجبك : « كقفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » لا مرى
القيس ، وكرثية ابن الرومي لولده :

بكاؤكا يشقى وإن كان لا يجدى لجودا فقد أودى نظيركا عندي
وكوصف البحتري لايوان كسرى :

صنت نفسى عمن يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جيس (١)
وكرثية المعري للفقير الحنفى :

غير محسد فى ملنى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد
وكقصيدة ابن زيدون :

أضحى التئانى بدىلا من تدانىنا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
وكقصيدة المتنبي فى سيف الدولة :

أتوك يحزون الجديد كأنما سروا بجياد ما لهم قوائم
وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهونائم
تمر بك الأبطال كلنى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
أو قصيدته فى كافور :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لا مرى فىك تجديد
أو قصيدة أبى تمام فى المعتصم وفتح عمورية :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
أليس سر هذا الاعجاب هو خصائص هذا الأثر البيانى والأدبى ، وأليس
مرجه إلى صدق الشعور وحرارة العاطفة وروعة التصوير وجمال النظم
وإحكام البيان ؟

(١) الجدا : العطاء . الجيس : الجبان اللئيم

فاذا لما وقفت أمام نهج البلاغة للأمام بن أبي طالب ، أو كليلة ودمنة لابن المقفع ، أو أمام البؤساء ترجمة حافظ بك ابراهيم أو حيال وماجدولين ، للنفلوطي أو مجنون ليلى لشوقي بك أو الايام لطفه حسين ، أو « على هامش السيرة » له أو « عبقرية عمر » للعقاد . فأعجبك وراعتك ، وسحرك ماتجده في هذه الآثار الأدبية الكاملة من حذق وبراعة ولطف حيلة وبلاغة تصوير ، أفليس مرجع ذلك كله إلى خصائص هذا الآثار الأدبية وشخصية مؤلفه الأديب أو الشاعر أو الخطيب أو الكاتب واكتمال فنه الأدبي ، في أثره المعجب ؛ والست تجد من ذلك الكثير من الآثار والنصوص

فاذا ماترقى بك ذوقك في الحكم الأدبي ، فقلت : أن لا أستعيد من الآثار الأدبية إلا الآثار الخالدة على مر الأيام ؛ والى تمرؤها وتعيد قراءتها فتجد نفسك كما بدأت متلهفة موهبة مأخوذة بجلال هذا البيان وعظمته وعبقرية صاحبه ، وتجد هذا الأثر الأدبي أمام ذوقك وطبعك عضنا ناضرا باهرا كما بما كتبه صاحبه لساعتك التي أنت فيها ، وتجد ما فيه من حديث عن النفس الإنسانية ، وعن الحياة وعبرها وعظمتها واحداثها ، وعن البشر وأخلاقهم ومطامحهم وألوان تفكيرهم في الحياة ، وعن الأهداف المثلى للإنسانية كافة والمبادئ الشريفة التي يجب أن تكون دستور الأمم والجماعات والأفراد . تجد ما فيه من ذلك كله جديدا كأنه كتب لهذا العصر ووصف الحياة التي يحياها الناس وتحيها أنت معهم . فقل بربك هل تجد أثرا ترفعه في نفسك إلى هذه المنزلة وتراه مستوفيا لهذا الخصائص وتطمئن نفسك حين تقول هذا هو ضالتي المنشودة وطلبي المأمولة وبغيتي المرتجاة ؛ وهل تجد أثرا سلم له ذلك كله وسلم من القصور والعيوب والمؤاخذة وسقطات الطبع والأسلوب والنظم والفكرة ، وهل تجده له ذلك كله مع طوله وإحكامه وروعته وجديده ونبل دعوته وأهدافه وجلال غايته ورسائله ، وبعد مرماه وعمق منزعه وأنه يتناول الإنسانية كافة والعصور قاطبة ويصلح لكل مكان وزمان ، ولا يلبى مهما توارت الأيام والعصور .

إلى ورني إن هذا هو الغاية البعيدة ، والأمل الخال ، والسر الدفين في ضمير

الأيام ، والسكنز المخبوء في جوف صحراء عرضها السماء والأرض .
ولن تجده مهما حاولت أن تجده إلا في كتاب واحد وأثر أدبي خالده ، وفي
هذا البيان ذى المجد الطريف والتألق : إى وربى إنك لن تجده إلا في القرآن
الكريم والذكر الحكيم والكتاب المعجز والأثر الخالد ، وفي هذا البيان الكامل
والبلاغة الساحرة والفصاحة النادرة والآيات البينات الباهرة .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، أو هل ترى نظماً
أحسن تأليفاً وأشد تشاكلاً وروعة من نظمه المجيب وأسلوبه الغريب
المخالف لأساليب كلام العرب في نظمها ونثرها ، أو هل تجد هذه الروعة التي
تجدها له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المصدق منهم والجاحد ، وتلك الجودة
التي تراها له على مر الأيام وتوالى العصور ؟

وإذا لم تصعد إلى هذه المرتبة البعيدة إلا بكتاب واحد هو القرآن الكريم ،
فم حاولت الموازنة بينه كله أو بمضه أو القليل الأقل منه وبين ما سواه من
الآثار الأدبية فلم تجد مجالاً للموازنة ولا موضعاً للمشابهة لبعد ما بين الأثرين كبعد
ما بين السماء والأرض ؛ فهل ذلك إلا لأنه كتاب معجز وأنه آية الآيات والناطق
بصدق إعجازه وعظمه بلاغته .

وقد يقول معاند أو مكابر : أين أنت وآداب اللغات وأين أنت وما فيها من
آثار أدبية خالدة ، فلشكسبير وجوته وهوجو وغيرهم من أفذاذ الغرب الكثير
من الآثار الخالدات ، بل أين أنت من الكتب السماوية المقدسة ، وأين أنت من
مزممار داود ، وحده ؛ أفلا يشبه أثر من هذه الآثار كلها القرآن الكريم في
مكانته وبلاغته وإعجازه . وأنا أقول لك أيها القارئ الكريم ، لعلك قد قرأت
بعض الآثار الأدبية لهؤلاء الأعلام الخالدين في الأدب ، ألسنت تجد شكسبير مثلاً
في أية قصة من قصصه وفي جميع آثاره مترجماً عن عواطف النفس الإنسانية
معمراً عن آمالها وآلامها بجيدا الحديث عنها ولكن هل تجد له هذا السمو

والرفعة ونبل الدعوة وجلال الغاية ، وعظمة الهدف والرسالة ودقة التحليل عن العواطف والمشاعر والنفوس الانسانية كافة ، وهل تجد له هذا التوجيه الجديد للبشرية جميعا ، وهذا الدعم القوى لمبادئ العدالة والحق والحرية والآخاء والمساواة في الحياة ؛ كلا وربك وان تجد لأعظم من شكسبير شيئا من ذلك قليلا أو كثيرا ، فضلا عن خصائص الفن الادبي الرائع السكامل التي لن تجد ما يشبهها في غير القرآن الكريم .

وهاك أروع ما في الكتب السماوية المقدسة وهو مزامير داود خذ أى قطعة منها وليكن المزمور الاول ، وهو بنصه كما في الكتاب المقدس :

« طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف . وفى مجلس المستترئين لم يجلس ؛ ولكن فى ناموس الرب مشورته ، وفى ناموسه يلهمج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه ، التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل : وكل ما يصنعه ينجح

ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعصافاة التى تذرهبها الريح ، لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين ، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار ، لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك ،

ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ومع علمنا بأنه مترجم نعود بك إلى ناحية أخرى فى الموازنة وهى أنه شتان ما بين هذه الروح وروح القرآن الكريم ومن المحال الموازنة بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ، أو مثل قوله تعالى : « ولا تمش فى الأرض مراحا لأنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ، أو مثل قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون » إلى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم

وبعد فان القرآن كله معجز ، وهو نمط فريد رائع ومستوى رفيع شريف

من البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والسحر والأخذ بتجامع القلوب ومشاعر النفوس فكلمه منهج واحد في النظم ودرجة واحدة في الفصاحة وقل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) .

وأخيرا نقول لك إنك أيها الناقد الحصيف حين تحلل أثرا أدبيا ما ، تكشف عن كل ما يتصل به — هذا الأثر من عرامل البيئة والعصر ومن شخصية صاحبه ، وتوازن بينه وبين ما يشبهه من الآثار ، وتبين خصائص فنه الأدبي وما يوجه إليه من أهداف وما يدعو إليه من آراء وأفكار ثم تضعه بعد ذلك في منزله الصحيحة من البيان والأدب والتفكير الإنساني .

وهذا هو ما تكلفك به حين تبحث عن قضية الإعجاز :

١ - فإليك أن تبحث عن البيئة الأدبية التي نزل فيها القرآن الكريم ، وأن توضح أنه كلام الله لا كلام بشر وأن تثبت ذلك بالحجج الدامغة

٢ - ثم عليك أن تحلل خصائصه الأدبية والفنية تحليلا كاملا وتوازن بينه وبين شتى الآثار الأدبية الخادرة

٣ - ثم عليك أن تحلل معانيه وأفكاره وأهدافه ودعوته .

٤ - وبعد ذلك تنقد وتحكم وتناقش .

واضيق مجال النقد والبحث نقول لك أيها القارئ الكريم إن أظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم تتجلى فيما يلي :

١ - بلاغة القرآن النادرة التي لا يحيط بها وصف ولا يستطيع أن يكشف خصائصها باحث ، ويكفيك أن عاوم البلاغة والنقد والإعجاز قد وضعت

(١) وذهب بعض علماء البلاغة الى أن بلاغة القرآن تتفاوت مع الإعجاز [راجع تفصيل ذلك في كتب البلاغة وفي الاتقان للسيوطي ص ٢١٠ > ٢]

للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ثم هي الآن وبعد مضي أكثر من عشرة قرون من الزمان لاتزال في أول الغاية (١)

٢ — روعة القرآن وجدته وأخذه بالافتدة والاسماع والمشاعر والعواطف والنفوس

٣ — عظمة تصويره للحياة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وللنفس البشرية في سلمها وحربها ولهاوها وجدها وأملها وألمها وكفرها وإيمانها وللشعور العليا في الحياة المهدبة الكريمة التي يعمل لها الانسان وتسير لشاغلها الامين الانسانية

٤ — سمو الروح في القرآن الكريم ، فهو ليس كتاب قصص أو تسليية أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو خلاصة لكل ما في الحياة من ثقافة وحقائق ويزيد على ذلك بأنه منهج كامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة ، وما أجدرنا بأن نقول إنه هو كتاب الانسانية كافة

٥ — جلال أثره الأدبي في لغة العرب وأدبهم وفي حياتهم بل وفي حياة المسلمين والعالم

٦ — خلوده على مر الايام والامكنة والعصور مع أنه تحدى ولا يزال يتحدى الناس كافة ، ومع ما يشتمل عليه تاريخ العالم من أفذاذ المفكرين والأدباء والبلغاء

٧ — بساطة أسلوب القرآن الكريم ووضوحه وجماله وقوته وجزالته وعذوبته .

(١) وبلاغة القرآن أوسع مدى من البحث عن استعاراته وكنائياته وتشبيهاته وأمثاله وحكمته وإيجازه وبجازه فهي تشمل كل خصائص الفن الأدبي والبياني في القرآن الكريم

٨ - شرف معانيه ، وسمو حكمه ، وجلال دعوته ، وصدق حجته ، وخلق منزعه ، وعلو تصويره .

٩ - والدليل الآخر على الإعجاز هو عظمة أغراضه ومقاصده ورفعة مراميه ومناحيه ، وعبقرية غاياته ورسائله ، وتوجيه البشرية كافة إلى حياة جديدة فيها الأمل والنعيم والسعادة ، وفيها الخير المطلق والأمن والسلام ، وفيها الرضاء والبشر والأخاء والحق والعدالة والحرية والمساواة بين الناس .

وصدق الله العظيم : تبارك الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ،

أحاديث رسول الله

وأثرها في اللغة والأدب

البلاغة النبوية:

كان صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب لسانا وأفصحهم بيانا وأعذبهم أسلوبا وأروعهم حكمة وأصدقهم قولاً وأوضحهم عبارة وأطبعهم على البلاغة والفصاحة والبيان

وبلاغته النبوية تلى في منزلها الأدبية الذكر الحكيم وهي هذه : البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها وحسرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكاف لها وهي على السهولة بعيدة عنوعة . إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء (١)

ولقد أخذ البلغاء والأدباء والمصنفون بهذه البلاغة الباهرة حتى لقد قال له أبو بكر : لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذي هو أفصح منك فن أدبك ؟ . وحتى قال له علي رضي الله عنه وسمعه يخاطب وقد بنى نهدي : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال عليه الصلاة والسلام : أدبني ربّي فأحسن تأديبي ، ويقول الجاهل في بلاغته صلى الله عليه وسلم :

« كلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة » ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل

يا محمد : وما أنا من المتكلمين ، فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب
التقدير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقتضو في موضع القصر ، وهجر
الغريب الوحش ، ورغب عن المبهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ،
ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالنأييد ، ويسر بالثوفيق ، وألقى
الله عليه المحبة ، وعشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن
الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى
معاودته ، لم تسقط له كثافة ، ولا زالت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له
خصم ، ولا ألجمه خطيب : بل يبد الخلق الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس
إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم : ولا يحتاج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفالج إلا
بالحق ، ولا يستعين بالخلافة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمر ولا يلز ، ولا يبطئ
ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر : وما سمع كلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ،
ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ،
ولا أسهل خرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فخواه ، من كلامه صلى الله
عليه وسلم ،

وهل نجد أبلغ أو أروع أو أعظم من بلاغته صلى الله عليه وسلم . فأنت حين
تسمع خطبته النبوية الأولى في أهله وعشيرته لما أنزل الله تعالى قوله الكريم
« وأنذر عشيرتلك الأقربين » :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت
الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقا وإلى الناس
كافة والله ليموتن كما تنامون ، ولتبعن كما تستيقظون ولتجزون بالاحسان إحسانا ،
وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبدا ، أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر بين يدي
عذاب شديد ،

لا نجد إلا بلاغة وسمرا وجلالا وصدقا وحقا وروعة وكيف لا وقد أيد الله
نبيه الكريم بمجزة البيان فاختره من قريش أبلغ العرب لسانا واصطفاه من
أعلى بيوتها حيث البلاغة والفصاحة والبيان واللسن والحجة والمنطق ومقارعة

البلغاء ومحاوره الفصحاء . ثم أنشأه في بني سعد الذين خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم . « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر » . ثم عليه لغات جميع قبائل العرب وأقدره على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها

فلا جرم أن يكون المسأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن يقتبس الأديب من لفظه ، وينتفع البليغ بصوغه ، ويستمد مفسر القرآن من أثره ، وبستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه ، ويستظهر الحكيم بحكمته ؛ إذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلفو ، ولا يقصد إلى غير توضيح قرآن ، أو تقرير شرع ، أو هداية إلى حق ، أو تنفير من شر ، أو حكمة ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم .

وإن شئت فانظر إلى هذا الكلام البليغ الشريف الذى ينبع من منبع الحق والنبوة فستجد وربك بلاغة ليس فوقها بلاغة .

لما أعطى رسول الله ما أعطى من مغانم حنين في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة ، وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله . إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا النى الذى أصبت : قسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب . ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار شيء . فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومى . قال : فأجمع لى قومك فى الحظيرة ^(١) فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . لجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون . فردم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه

(١) الحظيرة : أرض يضرب عليها سياج . وكانت حظيرة الأنصار إلى

جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لحمد الله وأنتى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يامعشر الأنصار ماقالة (١) قد بلغتنى عنكم ، وموجسدة وجدتموها فى أنفسكم ! ألم آتكم ضللا فهداكم الله ؟ وعالة (٢) فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى لله ورسوله المن والفضل . فقال ألا تجيبونى . يامعشر الأنصار ! قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم . ولصدقتم (٣) أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك . وعائلا فأسيناك وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة (٤) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلدوا ووكلتكم إلى إسلامكم أفعلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رجالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرا من الأنصار . ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار (٥) اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . قال فبكى القوم حتى أخضلوا الحام (٦) وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا .

ذلك مثل صغير من أمثلة بلاغته التى تجمع بين السمو الروحى الأعظم والجمال الفنى النادر وإن شئت فقف عند قوله صلى الله عليه وسلم : « إن قوما ركبوا فى سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ماشئت فان أخذوا على يده نجوا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » .

-
- (١) القالة : أحداثه الشر ونقيضها القول (٢) عالة جمع عائل الكثير العيال مع قلة المال (٣) أدخلت اللام على صدقتم الثانية دون الأولى ، لأن الصدق أيسر (٤) اللعاعة : البقية اليسيرة ، يقال لم يبق إلا لمساءة أى بقية يسيرة (٥) الشعب بالكسر — ما انفرج بين جبلين ، أو الطريق فى الجبل — وجمعة شعاب (٦) أخضل لحيته . بلها .

فستأخذك الروضة والاعجاب . وحسبك أن كلامه صلى الله عليه وسلم كله دين وتقوى وهداية ونور وروحية وحياة وقوة وجمال ، وكأنه هو ما يعنيه الرسول بقوله : إن من البيان لسحرا ،

جوامع كله صلى الله عليه :

١ - قال صلى الله عليه وسلم في دعائه ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ، ونفس لا تشبع

ومن دعائه : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قاي وتجمع بها أمرى وتتم بها تقى ، وتصلح بها رغائى وترفع بها شاهدى وتركى بها عملى ، وتلمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى من كل سوء .

وكان رسول الله فى جنازة ، فبكى النساء فأنهرهن عمر ، فقال عليه الصلاة والسلام : دعن يا عمر ، فإن النفس مصابة والعين دامة والعهد قريب

ومن جوامع كله قوله . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقوله . اليد العليا خير من اليد السفلى . وقوله . الصبر عند الصدقة الأولى . وقوله : ترك الشر صدقة

وقال صلى الله عليه وسلم . إذا أعطاك الله خيرا فليبن عليك (١) وأبدأ بن تعول وارتنخ من الفضل (٢) ولا تدم على الكفاف . ولا تهجز عن نفسك (٣)

(١) فليبن عليك أى فليظهر عليك بالصدقة والمعروف وحسن الحال . فابدأ بن يلزمك أمرهم ، ومفهوم قوله . فابدأ بن تعول لا تجعلهم فى العطاء (٢) وارتنخ من الفضل أى اعط ، فضل من مالك شيئا فشيئا كما تفعل مرضخه . الزوى حين مرضخه . أى تكسره شيئا فشيئا .

(٣) لا تهجز عن نفسك . أى لا تجمع لغيرك وتبخل على نفسك .

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شحب وجهه ، وهزل جسمه ، وغارت عيناه لفرط صيامه وقيامه ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدين ميمٍ (١) فأوغل فيه برفق فأنبت المنبت (٢) . لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٣) قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء .

وقال صلى الله عليه وسلم . إن روح القدس نفث في روعي (٤) أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنوا الزكاة مغرما ومن رائع بلاغته صلوات الله عليه قوله : لا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه . وقوله : الناس كلهم سواء كاسان المشط . وقوله : المرء ككشير بأخوانه . وقوله للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع . وقوله : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . وقوله : الناس بأزمانهم أشبه منهم آبائهم . وقوله : لا تمنع بينك على شمالك . وقوله : علق سوطك حيث يراه أهلك ومن بليغ حكمه صلى الله عليه وسلم قوله : لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين (٥)

(١) إن هذا الدين متين : أى قوى رصين ، ومن قوة الدين أن يروى النفس ولا يعتتها .

(٢) المنبت المنقطع في طريقه : سمي بذلك لانهبات ظهر ما يحمله . أى انقطاعه

(٣) الدمن جمع دمنة ، وهى الفضلات المتلبدة ، وقد ينبت عليها النبات أخضر زاهيا ، وهو مر وخبث ،

(٤) الروح بضم الراء : القلب

(٥) قاله صلى الله عليه وسلم لأبي عزة الشاعر وكان ككشيرا ما يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال النبي فأسر يوم بدر وجيء به إلى النبي فشكا =

وقوله : هدثه على دخن . والدخن دخان النار يريد أن الصالح لم يذهب بالاحقاد كما أن النار يبقى شيء منها تحت الرماد فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان . وقوله : إن من البيان لسحرا . وقوله لأبي تميمه الجهمي : إياك والخيلة . فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما الخيلة ؟ فقال عليه السلام سبل الأزار . وقوله : إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره . وقوله : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وقوله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم ضيفه .

ومن حكمه قوله صلى الله عليه وسلم لا نجشة حادى إبله وفي هوادجها النساء : ورفقا بالقواوير ، وهى كناية عن النساء . وقال صلى الله عليه وسلم . بعثت فى نفس الساعة . ومنها قوله : يا خيل الله اركبي ، وقوله : الآن حى الوطيس^(١) وقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وقوله : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، وقوله : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، وقوله : الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله . وقوله : من لا يرحم لا يرحم ، وقوله . من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضداف الإيمان

إليه الفقر والعيال فرق له وخلق سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعره فأمسك عنه مدة ثم عاد إلى حاله الأولى فأمر يوم أحد فحاطب النبي بمثل خطابه الأول فقال النبي : لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمد — دا مرتين ثم قتله صبرا وقال لا يلسع المؤمن من حجر مرتين [٣٤ ج ١ العمدة لابن رشيى ط ١٩٢٥]

(١) الوطيس . التنور ويجتمع النيران استعاره الرسول صلى الله عليه وسلم لأهوال الحرب .

خصائص البلاغة النبوية :

أما أسلوب الرسول صلوات الله وسلم عليه فهو السهل الممتنع والبلاغة القريبة البعيدة ، والفصاحة المعجزة الرائعة . والنمط الغريب والطريقة المحكمة والنظم العجيب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز غالبا ولذلك كانت كلماته حكم وجوامع وقال : « إنا معشر الأنبياء بكاء » ؛ وكان يكره الفضول والتشديق وخلابة القول وإلباس الباطل ثوب الحق ؛ وربما أطال صلوات الله عليه في كلامه للإرشاد والوعظ وتبليغ الرسالة ، وإن كان الغالب أن يقل كلامه ويخرج قصدا في ألفاظه محيطا بمعانيه

هذا إلى إحكام الأسلوب في غير تعقيد ولا تكلف مع الوضوح والسلاسة ومع التخيير والروني ومع العذوبة والجلالة ومع الأفراغ الجيد والسبك المحكم ومع الجزالة والقوة والإشراق وجودة التصوير والتأثير ، وحسن الأفهام والمهابة والخلاوة والروعة والقبول ، ومع تجنب سجع الكهان ومن شابههم

أما ألفاظه صلى الله عليه فقد نفي منها الوحشي والغريب والمبتذل والساقط والمستكره ونزهت عن الخطأ واللحن والقصور ، واختيرت اختيار الطبع المتمكن والفطرة السليمة فهي رشيقة جليلة قوية بليغة مشرقة عذبة تنطق عن سلامة الملكة وقوتها

وأما معانيه صلوات الله عليه فهي الحكمة الصادقة والآدب الرفيع والحق المنزه عن الريب والهدى والنور والرأى الناضج والبصيرة النافذة والألهام الذي وهبه الله أياه

وأما موضوع حديثه وكلام صلوات الله عليه فهو :

١ — تبليغ الدعوة وتأيد الرسالة والدعوة إلى الدين الحق الخالد الذي لا ريب فيه

٢ — شرح القرآن والإرشاد إلى أحكامه وعبره وعظاته

٣ - تشريع النظم الاجتماعية والسياسية والعبادات الدينية لخير الفرد والمجتمع والامة والانسانية

٤ - النعى على المشركين وتقبيح ما هم فيه من عناد وضلال وبهتان وتوجيه عقولهم وأربابهم بأبلغ بيان وأقوم حجة إلى الدين الحق والمحنة الواضحة

٥ - تقرير الايمان بالانبياء والمرسلين والملائكة واليوم الآخر إلى غير ذلك من شتى الموضوعات النبيلة والأغراض السامية التي دعا إليها الرسول الكريم ، والتي هي من خصائص بلاغته صلى الله عليه وسلم ولا بدع في كل ذلك ، فميلاده صلى الله عليه في بلاد العرب ونشأته في مكة : وانحداره من قريش أبلغ العرب وأفصحهم : وتربيته في بني سعد ، ومخالطته للعرب في مواسم الحج ورحلات التجارة :

وتمكن البلاغة والطبع والملسكة من نفسه : والمواقف الفذة الخالدة التي شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرب ومشاهد الدعوة والغزوات والخطابة في الوفود وفي أنصار الرسالة والمسامة بلغات العرب ولهجاتهم إلى غير ذلك ، كله من بواعث البلاغة واسباب الفصاحة في نفسه وحياته صلوات الله عليه منزلة الحديث النبوي في البلاغة

وحديث رسول الله أفصح كلام العرب وأبلغ بيانهم وهو يلي في المنزلة الأدبية كتاب الله الحكيم

وسمو الروح وجلال الغاية وعظمة النفس واكتتال الشخصية وحرارة العقيدة وقوة العاطفة وتأجيج الشعور وكهولة الرأي والتفكير والتجربة والفهم والادراك الصحيح كل ذلك بعض أسباب هذه المنزلة الرفيعة السامية التي وضع فيها الحديث النبوي الشريف ، والذي أصبح ميراثا خالدا في البيان العربي بصنعة المحككة وطبعه القوي وصقله البديع ولفظه المونق وحكمته الناصعة ، بما بهر العرب ، فمعجزوا عن الاتيان بمثل بلاغته صلوات الله عليه .

أثر الحديث في اللغة والأدب :

أما أثر الحديث النبوي في اللغة فيتلخص فيما يأتي

١ — أدخل الرسول صلى الله عليه كشيروا من التراكيب البيانية الجديدة في اللغة العربية مما سبق ذكره

٢ — وزاد فيها ألفاظا جديدة ، كتسميته « صفرا الأول » محرما ، وكلفظ الزمارة للزانية ، التي وردت في حديث أبي هريرة « إن النبي نهى عن كسب الزمارة » وككلمة الصير بمعنى الشق في قوله صلى الله عليه وسلم ، « من اطلع من صير باب فقد دمر »

وللحديث الشريف أثر في توسيع معاني بعض الألفاظ واشتقاق أخرى ، مما لا داعي للأفاضة فيه

٣ — وساعد على توحيد لهجات العربية وعلى ذيوها وخلودها فهو متمم للقرآن الكريم في هذا السبيل .

٤ — وكان محورا لعلوم دينية وعربية كثيرة وضعت لدراسة الحديث النبوي الشريف .

أما أثر الحديث في الأدب فيمكننا إيجازه فيما يلي :

١ — ساعد الحديث الشريف على تهذيب الالسنه ، وتقنيف الطباع ، والقضاء على عهد الخوشية والغربة والمعاظلة والتعقيد في البيان ؛ وأحل محل ذلك السلاسة والسهولة والرواق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان

٢ — قضى على جميع السكمان ، ورفع منزلة النثر ، وهذب أغراض الأدب وفنونه

٣ — وقد خلّد الحديث على مر الأيام والأجيال وأصبح موردا عذبا من الثقافة الأدبية على توالي العصور ^(١)

(١) راجع : أو ابد رسول الله وبلاغته في البيان والتبيين ص ٢٧ > ٢ وفي مصادر كتب الأدب والحديث ، وراجع أمثال رسول الله في العقد ص ٥٧ > ٢

وراجع مقاله الزبير بن عبد المطلب في وصف ابن أخيه محمد صلوات الله في الإلهام ١١٥ / ٢

الرسول والشعر

١ - كان صلى الله عليه وسلم يعرف منزلة الشعر ومكانته عند العرب ويقدره فقرب إليه الشعراء وكافأهم وسمع لهم واستنشدهم ، بل اتخذ له شعراء يؤيدون الدعوة ويهجون خصومها وأمرهم بقول الشعر ودعاهم بتأييد الله . وذلك واضح مشهور

٢ - وكان صلى الله عليه وسلم عليا بالشعر وروايته ونقده ، ومن أولى منه بذلك وهو أفصح للعرب وأصحهم ملكة وفطرة ؟

٣ - ولا نغني بهذا أنه كان يقول الشعر فإن الله عز وجل نزهه عن قوله ونفى عنه أن يكون قد علمه إياه

٤ - والروايات كثيرة في إعجاب الرسول بالشعر وفهمه له واستنشاده إياه وسماعه من الشعراء ومكافأته لهم ، وكان عصر الرسول صلى الله حافلا بالشعراء والبلغاء والخطباء والفصحاء

يقول أنس بن مالك : قدم علينا الرسول المدينة وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر (١) . وكان شعراؤه (ص) : حسانا وكمبا وابن أبي رواحة (١) وقال المفضل . ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به (٢)

ويقول الجاحظ : وكان لرسول الله شعراء يناخون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس خطيب رسول الله (٣)

(١) ٣٨٨ / ٣ العقد

(٢) ١٩ جهرة أشعار العرب

(٣) ١٤٧ / ١ البيان

وقال صلى الله عليه وسلم . إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا (١).
وقال . الشعر كلام جزل تنكلم به العرب في نواديها وتسئل به الضغائن
بينها (٢)

وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر والاعجاب به ومكافأة الشعراء
وخدمهم وتوجيههم كثير (٣)

وموقف الرسول صلوات الله عليه من حسان ودعاؤه له معروف (٤)
وأشدد كعب بن زهير أمامه مدحته وغزله (٥) وكافأه الرسول حيث كساه
بردا (٦)

ومدحه عباس بن مرداس فكساه الرسول حلة (٧)
واقرا قصة وفود النابتة الجمعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)
ففيها تصوير لمدى إعجاب الرسول بالشعر وتقديره للشعراء
وأذن الرسول لحسان بهجاء قريش (٩) وسمع شعر عمرو بن سالم الخزاعي يمدح
فيه رسول الله ويستنصره على قريش الذين اعتدوا على خزاعة - حلفاء الرسول
بعد الهدنة بين قريش ورسول الله (١٠)

(١) ١٤ الجهرة في أشعار العرب ط ١٩٢٦

(٢) ١٤ الجهرة ، ١٠ ، ١ - المدة ط ١٩٢٥

(٣) راجع ٣٨٢ - ٣٨٧ / ٣ المقعد الفريد ، والجزء الأول من المدة

لابن رشيق ، ١٢ وما بعدها من دلائل الإعجاز

(٤) راجع ٤/٩٠ المقعد ، ٣/٣٨٤ أيضا و ١٤ الجهرة

(٥) ٣/٣٩١ المقعد (٦) ٣/٣٩٣ المقعد ، ١٥ و ١٦ الجهرة

(٧) ٣/٣٩٢ و ٣/٤٠١ المقعد

(٨) ١٨٦ ، ١ المقعد ، ١٦ الجهرة

(٩) ٧/٣٩٥ المقعد ، ٤/٩٠ أيضا ، و ١٤ جهرة أشعار العرب

(١٠) ١٦ الجهرة

ووفد قرة العامري على رسول الله وأسلم لحياه وكساه بردين وحمله على فرس
واستعمله على قومه فذكر ذلك قرة في قصيدة طويلة (١)
ووفد عليه صلى الله عليه قيس بن عاصم التميمي (٢)
واستنشد رسول الله (ص) الشريد من شعر أمية مائه قافية وهو يقول :
هيه ، استحسنانا لها (٣)

وأنشد الرسول بيت طرفه . « ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ، » فقال .
هذا من كلام النبوة (٤)
وأنشدت عائشه أمام الرسول شعرا لزبير بن جناب فيه حكمة ، فقال لها (ص)
صدق (٥)

وأنشدت عائشه أمامه شعرا فيه حكمة (٦)
ولما سمع صلى الله عليه وسلم شعر قتيلة أخت النصر بن الحارث بن كلدة لما قتله
في غزوة بدر قال . لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلت (٧)
ويذكر عبد القاهر في دلائل الإعجاز كثيرا من الروايات التي تدل على رعاية
الرسول صلى الله عليه للشعر وإعجابه به ومكافأته عليه
ولمجد القاهر في هذا المجال كلام كثير خلاصته :
١ — أن الرسول إذا كان قد روى عنه بعض الآثار في التفسير من الشعر فأنما
كان يعنى بذلك الشعر الذي يخاصم الدعوة وينهج نهجا هو خلاف مبادئها العالیه
٢ — أن الرسول له مواقف كبيرة في استحسان الشعر والارتياح لسماعه
واستنشاده والأمر به

(١) ٧ : الجهرة (٢) ١٧ و ١٨ الجهرة

(٣) ٩٠ ج ٤ العقد الفريد لابن عبد ربه

(٤) ٣٨٠ / ٣ المرجع

(٥) ٣٨٢ و ٣٨٣ / ٣ المرجع

(٦) ١٤١ ج ١ المقدم

(٧) ٩ و ١٠ / ١ الأغاني طبع

٣ — وكان عليه السلام ذا علم بالشعر وروايته، الى آخر ما كتبه عبيد القاهر في هذا الباب

ولا يغض من الشعر أن الله عز وجل يقول في نبيه : وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، لأن حكمة ذلك واضحة وهي .

١ — دفع الشبه عن القرآن وتنزيهه عن الشعر

٢ — أن الرسول كان في شغل بدظام الأمور وهداية الانسانية وبث كلمة الاسلام والسلام في الارض

٣ — أنه لم يخلق شاعرا وإنما خلق مفكرا ومصلحا وزعيما روحيا للبشرية كافة

٤ — أن الشعر على ما كان عليه في عصر النبوة ووفق منهج الجاهلين فيه من الفجور والكذب والمبالغة والنفاق لا يليق بالنبى ولا ينبغي له

وهذا كله على أى حال لا يضيع من منزلة الشعر وليس معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن قوله

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهجون نهجه ويتفنون موقفه حيال الشعر والأدلة على ذلك كثيرة

ويقول ابن رشيقي : وليس من بنى المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي ^(١) : ويقول في العباس بن عبد المطلب : وكان شاعرا مقلقا حسن التهدي ^(٢)

وتقول عائشة : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم ^(٣) . ويقول المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة ^(٤) وكانت تروى ألف بيت للبيد وهل أقل ما تروى لغيره ^(٥)

(١) ١ / ١٥ العمدة ط ١٩٢٥

(٢) ٩٠ / العقد

(٣) ٣٨٢ / ٣ المرجع

وكان أبو بكر ذاحلق بالشعر ونقده روى عنه أنه قدم النابغة وقال : هو
أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبغدهم قعرا (١)
وكان على ناقد ، روى عنه أنه فضل أمرا القيس وقال فيه :
رأيت أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرغبة (٢)
وعمر بن الخطاب وعلمه بالشعر ونقده له وبصره به وحكومتهم بين الشعراء ؛
كل ذلك مشهور وسيأتي

(١) ٢٩٧ / ٢ المزمع

(٢) ٢٩٧ / ٢ المزمع

النثر الفنى فى عصر صدر الاسلام نماذج له .

١ روى عن عبدالله بن عباس رضوان الله عليهم ما قال : وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان (١) بن بدر بن عمرو بن (٢) الالهتم فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجرب منهم آخذ لهم بحقهم وأمنعهم من الظلم وهذا بعلم ذلك : (يعنى عمرا) فقال عمرو : أجعل يا رسول الله . إنه مانع لحوزته (٣) مطاع فى عشيرته شديد العارضة (٤) فيهم . فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن (٥) زمن (٦) المروءة أحمق الالب للئيم الخصال حديث الفنى ، فرأى الكراهة فى وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال : يا رسول رضىيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة .

- (١) الزبرقان هو حصين بن بدر النخعي ولاء رسول الله صدقات قومه وأقره أبو بكر وعمر على ذلك وقد وهم صاحب لسان العرب فنسبه الى فزارة .
- (٢) عمرو بن الالهتم : سيد من سادات تميم وهو القائل :
ذرىنى فإن البيخل يأثم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
- (٣) الحوزة : الناحية . وفلان مانع لحوزته . أى يحمى حماه .
- (٤) رجل شديد العارضة . ذو جلد وصرامة .
- (٥) العطن . مبرك الإبل حول الخوض . ورجل رحب العطن . كثير المال واسع القدرة وضيق العطن عكسه
- (٦) الزمن : المصائب بعامه لا يرجى زوالها ، ورواية الميبدانى زمر المروءة والزمر القليل المروءة

ورواه أبو القاسم الزجاجي : وإن من الشعر لحكماً . قال : ووجهه عندي أن من الشعر ما يلزم المقول فيه كزوم الحكم للحكموم عليه إصابة للمعنى وقصدا للصواب .

٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أَدب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام : أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص (١) في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد (٢) في الغنى والفقر وأن أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمي وأصل من قطعني وأن يسكون صمتي فكراً (٣) ونطقي ذكراً (٤) ونظري عبداً (٥)

٣ — ومن حكمه صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال (٦) وإضاعة المال وكثرة السؤال . وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى (٧) . المرء كثير بأخيه (٨) استعينوا على حوائجكم بالكتمان (٩) أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك (١٠) . لو تكاشفتهم ما تدافعتهم وما هلك امرؤ عرف قدره (١١) . رحم الله عبداً قال خيراً فغتم أو سكت فسلم . حصنوا أموالكم بالزكاة (١٢) . العلماء ورثة الأنبياء (١٣) الخمر مفتاح كل شر . اتقوا دعوة المظلوم فأنها لينة الحجاب (١٤) .

-
- (١) أن يكون باطنك كظاهرك (٢) الاقتصاد
(٣) لا أداع التفكر عند السكوت (٤) أتكلم بالحكمة والاعتبار
(٥) أعتبر بما أراه (٦) مالا طائل تحته من الكلام
(٧) المعطي خير من الآخذ (٨) الصحبة قوة
(٩) لا تنفش أمرك فيقضى (١٠) يعني يعينك على كل حال
(١١) لو علم بعضكم سريرة بعض لمسا كان هناك داع إلى التكاثر ومن عرف قدره جانبه الهلاك

(١٢) الزكاة صون للأموال

(١٣) لانهم يرشدون الناس ويهدونهم الصراط المستقيم

(١٤) تبلغ إلى الله تعالى

جعلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها . احذروا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ^(١) . زرعها تزدد حبا . ما عال من اقتصد ^(٢) . خير الأمور أوسطها . إياك وما يعتذر منه . كل ميسر لما خلق له . الوحدة خير . من جليس سوء . المستشير معان والمستشار مؤتمن ^(٣) . أنزلوا الناس منازلهم . إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

٤ - تأبين أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى (٤) بثوب فكشف عنه الثوب وقال : بأني أنت وأمي ! طببت حيا وطببت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فمضت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مـلالة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس . ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء الشئون (٥) فأما ما لا نستطيع نفيه عنا (٦) فكمد وإدناف يتحالفان ولا يبرحان اللهم فأبلغه عنا السلام اذكرنا يا محمد عند ربك ولتكن من بالك فاولا ما خلفت من السكينة لم نغم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

٥ - تأبين السيدة عائشة لأبيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه وقفت السيدة عائشة على قبره وقالت . نضر

(١) فان ضرره متوقع على كل حال ولا خير فيه

(٢) من استعمل الاقتصاد لا يفتقر

(٣) الشورى يتقوى بها المستشير والمستشار لا ينبغي أن يغش

(٤) مسجى الميت : غطاء .

(٥) الشئون . جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين :

(٦) السكمد . الحزن الشديد ، والإدناف : ثقل المرض

الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سميك؛ فلقد كنت للدنيا مذلاً بادبارك عنها وللآخرة معزاً بأقبالك عليها ، واثن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأعظم المصائب بعدما فقدك ، ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض عنك . وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر فيك واستغني به بالاستغفار لك .

٦ - الأحنف بين يدى عمر :

وقدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده في أنفسهم وما يوجب كل واحد منهم وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخسالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصر وبنى الأصفر ^(١) ؛ فهم من الميساء العذبة والجنان المختلفة في مثل حواء السلي ^(٢) وحدقة ^(٣) البعير تأتيمهم بمارهم غضة لم تنحصر ^(٤) . وإنا نزلنا أرضاً طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة ^(٥) لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها . يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ^(٦) لولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنهش ^(٧) ركبتنا

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم .

(٢) السلي : غلاف رقيق يكون فيه المولود . والحولاء . جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد ، وهذا يكون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة

(٣) قال في اللسان . وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حدقة البعير أى نزلوا في خصب وشبهه بحدقة البعير لانهاريا من الماء .

(٤) خصر : برد

(٥) أرض سبخة نشاشة . لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها

(٦) رنق الماء : صفاء

(٧) نهشه ، رفعه كأنه نهشه ، والركيسة . الضميمة

ونجبر فاقتنا وتزد في عيالنا عيالاً وفي رجالنا رجالاً تصغر درهمنا وتأمر لنا بحفر
بئر نستعذب به الماء هلكتنا ، فقال عمر : هذا والله السيد

٧ — اسلام أبي ذر * :

قال أبو ذر ^(١) : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة
يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل وكله . وأتني بخبره ، فانطلق
فلقيه ، ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ،
وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني من الخبر ؟
فأخذت جراباً وعصاً ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن
أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأكون في المسجد ، فربي علي ، فقال :
كان الرجل غريباً ؟ قلت : نعم ! فانطلق إلى المنزل وانطقت معه لياسأني عن
شيء ولا أخبره .

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ،
فربي علي ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا ، قال . انطلق
معي ، ثم قال : ما أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له : إن كنت علي
أخبرتكم اقال . فاني أفعل ، قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه
نبي ، فأرسلت أخى ليكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه ،
فقال : أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فاني
إن رأيت أحداً أخافه عليك قت إلى الحائط كأنى أصلح نعلي ، وامض أنت
فضي ومضيت معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرضه ، فأسلت مكانى ، فقال لي : يا أباذر ،

* الزبيدي ص ٤٤ ج ٢ ، وقصص العرب

(١) هو من غفار ، وهي قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرأ
ولا أحداً ولا الخندق ، لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه
المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالربذة سنة ٣٢ هـ

اكنتم هذا الامر ، وارجع إلى بلدك ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريش فيه ، فقال ، يامعشر قريش ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي^(١) فقاموا فضربت لأموت ، فأدركني العباس ، فأكب علي ، ثم أقبل عليهم ، فقال ، وبلستم تقتلون رجلاً من غفار ومتجر كم ومكرم علي غفار ! فأقلعوا عني فلما أن أصبحت في الغد رجعت فقلت مثل ماقلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ! وأدركني العباس ، فأكب علي ، وقال مثل مقالته بالأمس !

٨ وفاة النبي (٢).

قال أبو ذؤيب (٣) الهذلي . بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فأرجس أهل الحى خيفة عليه ، فبت بلبلة ثابتة النجوم ، طويلة الأناة ، لا ينجاب ديجورها^(٤) ، ولا يطلع نورها ! حتى إذا قرب السحر ، غفوت ، فتهفت لى هاتف يقول .

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام^(٥)
قبض النبي محمد فميوننا نذرى الدموع عليه بالتسجام^(٦)
فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفألت

(١) صبا ، خرج من دين إلى دين ،

(٢) بلوغ الأرب ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأدب ص ١٤٢ ج ٣ ، معامد

التنصيب ص ١٩٣ ج ١

(٣) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله بن سعد حينما فتح إفريقيا وعاد إلى مصر ومات بها .

(٤) الديجور : الظلام .

(٥) الآطام : القصور وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع السطح جمعه آطام

(٦) سجم الدمع : قطر وسال قليلا أو كثيرا

به ذبحاً يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، أو هو ميت عن علمه .

فركبت ناقتي وسرت حتى أصبت فطلبت شيئاً أزجره ، فعن لي شيهم^(١) قد أرم^(٢) على صل^(٣) ، وهو يتلوى ، والشيهيم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك شيئاً مهماً ، فقلت : تلوى الصل : انفتال^(٤) ، الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهيم إياه : غلبة القائم على الأمر

فجئت ناقتي حتى إذا كنت بالعلية^(٥) زجرت الطير فأخبرني بوفاته ونعب^(٦) غراب سانحاً بمثل ذلك : فتعوذت من شر ما عن لي في طريق ، ثم قدمت المدينة ، ولاهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، أهلوا جمعاً بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد . فأصبت خالياً ، فأثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مرتجأ^(٧) ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة . صاروا إلى الانصار .

فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالمًا وجماعة من قريش ، ورأيت الانصار فيهم سعد بن عباد ومعه شعراؤهم ، وأمامهم حسان بن ثابت ، وكعب ؛ في ملائمتهم ، فأويت إلى الانصار ، فتكلموا فأكثروا ، وتكلم أبو بكر ، فله من رجل لا يطيل الكلام ، ويعلم مواضع الفصل .

- (١) الشيهيم : ذكر القنافذ
(٢) أرم عليه ؛ عض
(٣) الصل ، الحية
(٤) انفتل عن الشيء ، انصرف
(٥) علية القوم : حائهم

(٦) نعب الغراب : صاح . والسانح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك . والعرب تحتلف في العيافة ، فمنهم من يتيمن بالسانح ويتشائم بالبارح ومنهم من يخالف ذلك
(٧) أرتج الباب : أغلقه .

والله لقد تسكلم بكلام لم يسمعه سامع إلا انقاد له ، وما ل إليه . وتسكلم بعده عمر رضى الله عنه بكلام دون كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضى الله عنه ، ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه !

٩ — وصف عمر :

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريرا للرواب ، رفيقا بالضعيف ، غير عتاب للقرىب ، رلا جاف للقرىب

١٠ — وصف على :

قال معاوية لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى عليا ، قال : أعفنى يا أمير المؤمنين قال : لتصفنه قال : اما اذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى ^(١) شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخطب نفسه ، يهجه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحد دنا يحينا اذا سألناه وينبأنا اذا استبأناه ونحن مع تقريره ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيته ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا يئس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ^(٢) وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتملبل تملبل السليم ^(٣) ويبكى بكاء الحزين ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غبرى . ألى تعرضت أم الى تشوقت ؟

(١) المدى ، الغاية (٢) السدول جمع سدول وهو الشتر

(٣) السليم : الملسوع وانما سمي كذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سميت البيداء مفازة مع أنها مهلكة

هيات هيات اقد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير ، وخطرك (١) حمير ؛
وخطبك (٢) يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فبكى معاوية حتى أنشأت (٣) دموعه لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان
كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدا في حجرها

١١ — ولله حسن بن علي رضي الله عنهما المتوفى سنة ٤٩ هـ

أيها الناس نافسوا في المسكارم وساروها في المغام ولا تحتسبوا بمعروف لم
تعملوه (٤) ولا تكسبو بالمطل ذما (٥) واعلموا أن جوائح الناس من نعم الله
عليكم فلا تناوا النعم فتحول نقما، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن
أعفى (٦) الناس من عفا عن قدرة ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين

١٢ — وقال :

لا تتكلف مالا تطيق ولا تعرض لما لا تدرك ولا تعتمد بما لا تقدر عليه
ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح
إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ولا تناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له

١٣ — وللإمام علي كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها (٧) لم تظفروا
بمثلها ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا
لم يعلم أن يتعلم وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر فإن
الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، من لا صبر له لا إيمان له، ومن
لا رأس له لا جسد له ولا خير في قراءة إلا بتدبر ولا في عبادة إلا بتفكير ولا

(١) الخطر، القدر والمنزلة (٢) الخطب ، الشأن

(٣) أخضله : به

(٤) أي لا تمدوا بمعروف صنعتوه متأخرا

(٥) أي لا تماطلوا فتدمروا

(٦) أعظمهم عفوا ٧٥، تهكموها

في حلم إلا بعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم من لم يزين لعباد الله معاصي الله ولم يؤمنهم مسكره ولم يرئسهم من روحه (١)

١٤ — وله :

البشاشة جبل الوداد ^(٢) والاحتمال قبر العيوب ^(٣) احذروا صولة ^(٤) الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع ، من نصب نفسه إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه

١٥ — وله كرم الله وجهه إلى الحسن

يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وكل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما في يدك أحب إلى من طلب ما في يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حتى فبئس الطعام الحرام وجد في تحصيل معاشك وإياك والاتكال على المني فانها بضائع النوكى ^(٥)

١٦ — وله كرم الله وجهه في الحكم :

البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حقيقته (٦) والمقل (٧) غريب في بلدته والعجزة آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة ^(٨) نعم القرين الرضا والمسلم ورائة كريمة والآداب حلال بمجدة ^(٩) والفكر مرآة صافية ^(١٠)

(١) يقطع أمهم من رحمته

(٢) طلاقة الوجه تجذب المحبة

(٣) من احتمل المسكاره من غيره فقد دفن معاييه (٤) بطشه

(٥) الحق (٦) أى يميزه عن اقامتها

(٧) الممسدم (٨) وقاية (٩) حلال لا تبلى

(١٠) يرى به الانسان عواقب الامور والقصد التفسر في الاشياء قبل مباشرتها

إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ^(١) ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه إن ملاك العقل ومكارم الاخلاق صون العرض وأداء الفرض والوفاء بالعهد والانتهاز للوعد

١٧ — وله كرم الله وجهه ينصح عامله بالبصرة
دع الاسراف مقتصدًا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر
ضرورتك (٢) وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجوا أن يمطيك الله أجر المتواضعين
وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة (٣)
أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين وإنما المرء مجزى بما أسلف وقادم على
ما قدم والسلام
١٨ — ومن حكم الرسول :

رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم . التمسوا الرزق في خبايا
الأرض . ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت
فأبقيت . الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفهم لعياله . جمال الرجل فصاحة
لسانه . الجبان محروم . العالم والمتعلم شريكان في الخير .

ومن حكم سيد أبي بكر الصديق

صنائع المعروف تقي مصارع السوء . ليست مع العزاء مصيبة
ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنسك والمكر .

- (١) المقصود أن الانسان بعمله لا ينسبه
- (٢) بمعنى احفظ لنفسك من مالك ما تصرفه في حاجات معيشتك وتصدق بالباقي
يفعلك في المآب يوم تحتاج فيه إلى ما يزيد في حسناتك لتمحي سيئاتك
- (٣) المحتاجة المسكينة (٤) وذلك انما يكون بحرثا وتقليبها للزراعة

كثير القول ينسى بعضه وإيما لك ما وعى عنك .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

من كنتم سره كان الخيـسار في يده . أشق الولاة من شقيت به رعيته .
لا يمكن حبك كلنا (١) ولا بغضك تلقا من يعرف الشركان أجدر أن يقع
فيه . أعقل الناس أضرهم للناس ؛ لا تؤخر عمل يومك الى غـدك أبـت
الدرهم إلا أن تخرج أعناقها من يأس من شيء استغنى عنه

ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن (٢) أنتم الى إمام فعال
أحوج منكم الى إمام قوال يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك

ومن حكم سيدنا علي

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، الناس أعداء ما جهلوا ، الناس من خوف
الذل في الذل ، الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو ، اذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو عنه شكرا للقدرة عليه ، قيمة كل أمر ما يحسن ، المرء مخبوء تحت لسانه ،
استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من
شئت تكن أميره ، خير أموالك ما كفاك وخير أخوانك من واساك ، الناس بزمانهم
أشبه منهم بآبائهم ، ما هلك أمرؤ عرف قدره ، من عذب لسانه كثر أخوانه ، بشر
مال البخيل بحادث أو وارث . بالبر يستعبد الحر . إعادة الاعتذار تذكير الذنب .
إذا تم العقل نقص الكلام . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . من
أكثر فكره في العواقب لم يشجع . الشرف بالعقل والآداب ، لا بالأصل والنسب

(١) السكف : فرط المحبة ،

(٢) يقول : ان الذين يردعون عن الشرور بواسطة القهر والحكم أكثر ممن
يردعون بواسطة الدين لأن الناس كما قيل عبيد العصا ، وإن الذين يؤثر فيهم
الوراع الديني قليل جدا

أكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع . قلب الاحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه . يعيش البخيل في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . الولايات مضامير (١) الرجال . الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حسب أمه . من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . الحرمان خير من الامتنان .

١٩ — استمناح أعرابي لسيدنا علي :

يروى أن أعرابيا وقف على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال . إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أذن قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن أنيت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له علي : خط (٢) حاجتك في الأرض فاني أرى الضرر بتايك . فكتب الأعرابي على الأرض : . إني فقير . فقال علي : يا قنبر (٣) ادفع إليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال . كسوتني حلة تلي محاسنها فدوف أكسوك من حسن الثنا حالا إن الثناء ليحيي ذكر صاحبك كالغيث يحيي نداء السهل والجبل لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبيد سيحجزى بالذي فعلا فقال علي . يا قنبر أعطاه خمسين ديناراً ، أما الحلة فلدسألتك وأما الدنانير فلا تدبك .

(١) المضامير . جمع مضمار وهو الوقت أو الموضع الذي تضرع فيه الخيل لأجل السباق .

(١) ايما دعاء الى كتابة حاجته رفعا به وصيانة لماء وجهه وتلك كانت عادته ، فقد ذكر صاحب العقد أنه رضى الله عنه . كما . يقول لأصحابه من كانت له إلى منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .
(٢) قنبر كجهمفر : مولى نعلي وخادمه .

٢٠ - وهذه كلمة أدبية موزونة الى أبي بكر وعمر بمشاها الى علي :

روى عن أبي عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل ثمرها ورخص عرها ويسر خيرها وازاح ضيرها ورد كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من أهلها بلغ أبابكر الصديق رضى الله عنه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه تلكؤ وشماس وتهمم ونفاس وكره ان يتأدى الحال وتبدو المداوة وتفرج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عاقل ذى دهاء او صاحب سلامة ضيف القلب خوار العنان دعانى لحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيراً معه يستضيء برأيه ويستعلى على لسانه ، فقال لى يا أبا عبيدة : ما ايمن ناصيتك وايمين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود : ابو عبيدة امين هذه الامة وطال ما اعز الله بك الاسلام واصلاح فسادك على يدك ولم تنزل للدين ملجأ والمؤمنين دوحاً ولا هلك ركناً ولاخوانك رداً قد اردت لك الامر له ما بعده خطره مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبك ولم تستجب حيته لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل اليأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يدك فتأن له يا أبا عبيدة وتلطف فيه وانصح الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهذه العصابة غير آل جهمداً ولا قال جدها والله كالكوكب وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق امض الى على واخضع جاحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابي طالب ومكانه من قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :

البحر مغرقة والبر مفرقة والجو اكلف والليل اغاف والسماء جلاء والارض صلحاء والصعود متمذر والهبوط متمسر والحق رؤف والباطل شئوف عنوف والمعجب قاذح الشرار والضعف رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والفتنة

ثقوب العداوة وهذا الشيطان متكئ، على شماله متجبل بيمينه نافج حضنيه لاهله
 ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله
 صلى الله عليه وسلم ولدينه ثالبا يوسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى اهل
 الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل والزور دأب له مذ كان على عهد ابينا آدم صلى
 الله عليه وسلم وعاده منه منذ اهانته الله عز وجل في سالف الدهر لا ينجى منه
 الا بعض النواجد على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله وعدو
 الدين بالاشد فالاشد والاحد فالاحد واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه
 وجنب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غيبه، ولقد
 اودك من افاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من
 أثر البقاء معك ما هذا الذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك
 رأيك ويتخارص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك وبتراء معه نفسك وتكثر معه
 صعداؤك ولا يفيض به لسانك أنجمه بعد إفصاح أتليس بعد ايضاح أدين غير
 دين الله عز وجل أخلق غير خلق القرآن أهدي غير النبی صلى الله عليه وسلم أمثلى
 يدب له الضراء او يشى اليه الخثر أم مثلك ينقبض عليه الفضاء او يكسف في عينه
 القمر ماهذه القمعة بالشنان وماهذه الوعوة باللسان انك جد عارف باستجابتنا
 لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن أوطاننا واموالنا واولادنا
 واحبتنا هجرة الى الله تعالى عز ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم في زمان انت
 فيه في كن الصبي وخدر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى ما يراد ويشاد
 ولا تحصل ما يساق ويقاد سوى ما انت جار عليه الى غابتك اتى اليها عسدى بك
 وعندها حرج رحلك غير مجبول القدر ولا بمحدود الفضل ونحن في اثناء ذلك نعانى
 احوالا تزيل الرواسى ونفاسى احوالا تشيب النواصى خائفين غمارها راكبين
 تيارها نتجرع صابها ونشرج عبابها ونسوغ عبابها ونحكم اساسها ونهرم اهراسها
 والعيون تتحدج بالحدس والانوف تتعاس بالكبر والصدور تستغرق بالغبط
 والاعناق تتطارل بالفجر والشفار تشحن بالمسكرو الارض تميم بالخوف ولا تنتظر
 عند المساء صباها ولا عند الصباح مساء ولا تدفع في نحر امرانا الا بعد ان

نحسو الموت دونه ولا نبليغ الى شئ الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوم مناداً
 الا بعد الياس من الحياة عنده فادين في كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالاب والام والخال والعلم والنشب والسبد واللبد والهلة والبللة بطيب نفس
 وقرورعين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة أوجه وذلاقة السن
 هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلا ولولا حمداثة سنك لم
 تكن عنها ناكلا كيف وفؤادك مشهوم وعودك معجوم وغيبك مخبور والقول
 فيك كثير والآن قد بلغ الله بك وارحص الخير لك وجعل مرادك بين يديك
 وعن علم أقول ما تسمع فارتقب زمانك وفلص اليه أردانك ودع التجسس
 والتعسس لمن لا يضلح اليك اذا خطا ولا يترحزح عنك اذا عطا فالامرغض والنفوس
 فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا وسيغفها العضب فلا تنب اعوجاجا
 وماؤها العذب فلا تحمل اجاجا والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هـ — ومن يرغب عنه لا لمن يرغب
 فيه ويحاش عليه ومن تضامل له لا لمن ينتفع اليه ومن
 يقول هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الصبر فذكر فتيانا من قريش فقلت أين أنت من علي فقال إني لأكره
 لفاطمة مينة شبابيه وحدثاته سنة فقلت له متى كنته يدك ورعته عينك حفت بهما
 البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به لك ورغبته فيك وما كنت
 عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك وواجد
 رائحة سواك وكنت لك إذا ذاك خيراً منك الآن لي واثن كان عرض بك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت
 عن سواك وان يختلج في نفسك شئ فسلم فالحكم مرضى والصواب مسموع
 والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل
 وهو عن هذه العصاة راض وعليها حذب يسره ما يسرها ويسكبه ما كادها
 ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما استخطها ألم تعلم أنه لم يدع احداً من أصحابه
 وخطائته واقاربه وشجرائه الا أبانه بفميلة وخصه بمكرمة وافرده بخلافة لوي

اضفقت الامة عليه لسان عنده ابطالها وكفالتها وكرامتها وغزارتها أنظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشر اسدى بددا عدى عباهل مباهل طلاحاً مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا ساقى ولا واقى ولا هادى ولا حادى كلا والله ما اشتاق إلى ربه تعالى ولا سأله المصير إلى رضوانه حتى ضرب الصوى واوضح الهدى وامن الممالك والمطامح وسهل المبارك والمهايع وشدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جده وجدع انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه وتفل في وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل وبعد فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ومعك في دار واحدة وبقعة جامعة إن استقروا لك وأشاروا عندى بك فانا واضع يدى فى يدك وصائر إلى رأيهم فيك وإن تسكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفتاح لمغالقتهم والمرشد لضالهم والراصد لغاويهم فقد أمر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب إلى التناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمانية فارق بهم واحن عليهم وإن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر واقعاً وباب الفتنة غلقاً فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبسيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لى عمر كن لدى الباب هنية فلى معك نصيب من القول فوقفت ولا أدرى ما كان بعدى إلا أنه لحقنى ووجهه ينسدى تهللاً وقال قل لعل :

و الرقاد محله واللجاج ملحمه والهوى مفحمه وماننا أحد إلا وله مقام معلوم وحق مشاع أو مقسوم ونبا ظاهر أو مكتوم وانت اكيس الكيسى من منح الشارد تألفاً وقارب البعيد تلطفاً ووزن كل أمرى بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبهه ولا خيره مكان شره ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة ولا فى علم معتمل فى جهل ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجائب وبين الذنب

وكل صال فبناره وكل سميل فالى قراره وما كان سبكوت هذه العصابة إلى هذه
 الغاية لى وشى وكلامها اليوم لفتق اوراق قد جدع الله بمحمد صلى
 الله عليه وسلم انف كل ذى كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب
 فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخبزواتة التى فى فراش رأىك وما هذا الشجا
 المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحة التى اكلت شر اسيفك والقذاة التى
 اعشت ناظرك وما هذا الدخس والدس اللذان يدلان على ضيق الباع وخور
 الطباع وما هذا الذى لبست بسية جلدة النر واشتعلت عليه بالاشعاع والسكر
 لك ما استسعت اليها وسريت سري ابن انقد اليها ان العوان لا تعلم الخمر وان
 الحصان لا تكلم خبيرة وما احوج الفرعاء الى قال وما افقر الصلحاء الى حال لقد
 خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر محبس ليس لاحد فيه مجلس . . ولم
 يسير فيك قولا ولم يستنزل فيك قرآنا ولم يجزم فى شأنك حكما ولستنا فى كسروية
 كسرى ولا فى قيصرية قيصر انما ذلك لاخذان فارس وابناء الاصفر قوم جهلهم جزرا
 لسيوفنا وخزرا لرماحنا ومرى لطعاننا وتبعنا لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة وضياء
 رسالة وثمره حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهدية بالحق
 والصدق مأمونة على الفتق والرتق لها من الله عز وجل قلب ابى وساعد قوى
 ويد ناصرة وعين باصرة أظن ان أبى بكر الصديق وثب على هذا الامر مفتاناً
 على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أنراه امتلخ احلامها وأزاع ابصارها وحل
 عقدها واحال عقولها واستل من صدورهم حقيتها وانتزع من اكبادها عصبيتها
 ونكث رشاءها وأنصب مائها واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها
 ليلاً ووزنها كيلاً وبفظها رقاداً وصلاحها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين
 وان كيده لمتين كلا والله باى خيل ورجل وبأى سنن وانصل وبأى قوة ومنه
 وبأى ايد وشدة وبأى عشيرة وامرة وبأى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما
 وسمته منيع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فولحت اليه وتطامن لها
 فلصقت به ومال عنها فالت اليه واشتعل ذونها فاشتعلت عليه حبة حياء الله بها
 وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سر به الله جمالها ويد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله

به لها واطل ما حلقت فوقه في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت لفتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا يحمل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة ولا يجد حقلك فيما آتاك ربك ولكن لك من يزاحك بمنكب اضخم من منكبك وقرب امس من قربك وسن اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها رقي من الجاهلية وفرع في الاسلام والشريعة وواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقية ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا تخرج ببازل ولا هبع ان عذرت نفسك فيما تهدر به شقة شفتك من صاغيتك فاعذرنا فيما تسمع منا في اين وسكون بما لا تبعده منه ولا تاضله عليه ولئن حدثت بهذا نفسك ليتنخشن عليك ما ينسيك الاولى ويليليك عن الاخرى ولو علم من عرضنا به بما في انفسنا له وعليه ولما سكنت ولا تخذت انت وليجة الى بعض الارب. فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفرع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك كله بحضرة الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه ولعمري انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قرابة والقربة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وكذلك صاروا اجمعين وهمما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدا والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك وانفت سخيمة صدرك عن نفائك فان يكن في الامد طول وفي الاجل فسمحة فمستأ كله مريا او غير مري وستشربه هنيا ار غير هنى حين لا راد لقولك الا من كان منك ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك يمض لها بك ويفرى قادمك ويرى على هديك هنالك تفرع السن من ندم وتجرع المساء وزوجا بدم وحينئذ تأسى على ماضى من عمرك ودرج من قومك فتود ان لو سقيت بالكساس التي ابيتها ورددت للحال التي استبريتها والله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المجو لضرائها وسرائها وهو الولي الحميد الغفور الودود.

قال ابو عبيدة رضى الله عنه : فشيئت متزماً أتوجى كما بما اخطو على أم رأسى
فرقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصلت الى على في خلاء فأبثته بشى كله
وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت في اوصاله حياها قال حلت
معلوطة وولت مخروطة حل لاحيت التمس أدنى لها من ان اقول لها

احدى لياليك فبيسى هيسى لا تنعمى اللييلة بالنعريس

نعم يا ابا عبيدة أكل هذا في انفس القوم يحبون عليه ويضطجعون به قال ابو عبيدة
فقلت لاجواب لك عندي ايما أنا قاض حق الدين ورائق فتق الاسلام للمسلمين
وساد ثلثة الامة يعلم الله ذلك من جلالان قلبي وقرارة نفسى قال على رضى الله
عنه والله ما كان قعودى في كسر هذا البنت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف
ولا زراية على مسلم بل لما وقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه
واودعنى من الحزن بفقدته وذلك انى لم اشهد بعده مشهداً الا جددلى حزناً وذكرونى
شجواً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فقد عكفت على عهد
الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب مود لمن اخلاص عمله وسلم لعلمه
ومشيئة ربه على انى ما علمت ان التظاهر على واقع ولا عن الحق الذى سبق الى
دافع واذا قد أفهم الوادى بن وحشد البادى من اجلى فلا مرحباً بما ساء احداً من
المسلمين وفى النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بمنصرى
وبنصرى ونصت لجنته بأخصى ومفرق لكنى ما جم الى ان ألقى الله عز وجل
وعنده احتسب ما نزل بنى وانا غاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءنى
وسركم ليقضى الله امرأ كان مفعولا وكان الله على كل شىء شهيداً . قال ابو عبيدة :
فعدت الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنصصت القول على غرة ولم اخنزل
شتناً من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ رافى نخرق
الى أبى بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جيلاً وجلس زهيتاً وأستاذن للقيام ونهض
فشيعه عمر تكريمة له واستثارة لما عنده فقال له على ما فعدت عن صاحبكم كارهاً له
ولا اتينته فرقاً منه وما افول ما افول لعلته وانى لأعرف مسعى طرفى ومخطى قدمى
ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكنى قد ازممت على فأسى ثقة بالله فى الالبالة فى الدنيا

والآخرة ، فقال له عمر كففك غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحائها والدلاء
برشائها فانا من خلفها وورائها ان قدحنا اورينا وان متحنا ارويها وان جرحنا
ادمينها وان نصحنها اربينا ولقد سمعت اما ثيلك التي لغوت بها عن صدر أكل
بالجوى ولو شئت لقلت على مقاتلك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك
قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقه افراق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعز
من ذلك فان من حق مصابه ان لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا
يزرى على اخبارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حوانا والله لو
تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في مساء وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف
عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصره دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده
ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن
العكوف على عهده النصيحة لهباده والرقبة على خلقه وبذل ما يصلحون به
ويرشدون اليه وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذي
سبق إليك دافع فأي تظاهر وقع عليك وأى حق لك ليط دونك وقد علمت
ما قالت الانصار لك بالامس سرأ وجهرأ وما تقلبت عليه بطنأ وظهراً فهل
ذكرتك أو أشارت بك أو وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذي قال
بلسانه تصلح لهذا الأمر أو اوما بعينه أو همهم في نفسه اتظن أن الناس قد ضلوا
من أجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم تحاملاً عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحي وتتوكف مناجاة
المملك لك ، ذلك أمر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الأمر
معهوداً بانشودة أو مشدوداً باطراف ليطه كلا والله أن الغيبة لحلقة وان الشجرة
لمورقة ولا عجماء بعد حمد الله إلا وقد فصحت ولا عجماء إلا وقد سميت ولا
بلهاء إلا وقد فطنت ولا شوكة إلا وقد نقحت ومن أعجب شأنك قولك لولا
سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي وهل ترك الدين لاحد من أهله أن يشفي
غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها واقلع

جرأومتها وهو وليها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت أنك ما جئتم فلعمري أن من اتقى الله عز وجل وأثر رضاه وطالب ما عنده أمسك لسانه وأطبق فاه وجعل سميه لما وراءه. قال على رضى الله عنه: والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته ولا أقررت وأنا أريد حولا عنه وأن أخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من أثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل في كل الحوادث أرجع يا أبا حفص نافع القلب فسيح البال مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمعته وقلته إلا ما يشد الازر ويخط الوزر ويضع الاصر ويجمع الألفة ويرفع الكلفة ويوقع الزافة بحونة الله عز وجل وحسن توفيقه

٢١ — كتاب على إلى الاشر النخعي :

وكتب للاشر النخعي لما ولاه على مصر واعمالها عهدا يجمع كثيرا من المحاسن وهو: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خرجها وجهاد عنوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وإتباع طاعته وإتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احدا لا بإتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من عزه . وأمره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويرزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله . ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السن عباده فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فمالك هو اك وشيخ بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت او كرهت واشعر قلبك الرقة للرعية والمحبة لهم والاطمئنان بهم ولا تكون عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلامهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم الدال ويؤتى على ايديهم في العدد

والخطأ فأعظمهم من عفوك وسفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوهِ
وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك
امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك
عن عفوهِ ورحمته ولا تندمن على عفوهِ ولا تهجن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة
وجدت منها مندوحة ولا تقوان انى مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب
ومنهك للدين وتقرب من الغير . واذا أحدث لك ما انت فيه من سلطانك أهمية
أو مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من
نفسك فان ذلك يطامن اليك من طهاحك ويكشفيك عنك من غربك ويقي
اليك بما عزب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمتهِ والتشبه
به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل محتال . انصف
الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من
رعتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن
خاصمه الله ادحض حاجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شئ أدعى الى
تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إفاة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين
وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الامور لىك أوسطها فى الحق واعمها فى
العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يحذف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة
يغتفر مع رضا العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل
معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسأل بالالفاف واقل شكراً عند الاعطاء
وابطأ عنراً عند المنع وأضف صبراً عند ملات الدهر من أهل الخاصة وإنما
عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم
وميلك معهم . وليكن أبعد رعتك منك وأشناهم عندك أطلبهم لمعائب الناس
فان فى الناس عيوباً والى أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما
عليك تطهير مظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر
الله منك ما تحب ستره من رعتك . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك
سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان

الساعي غاش وان تشبه بالناصحين . ولا تدخان في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إلى أن قال : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعييتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تحك الخصوم ولا يتماذى في الزلة ولا يحصر من الفم إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يسكتني بأذى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تسكشاف الأمور وأصرهم عند اتضاح الحكم من لا يزدحمه أطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاقد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل عنه وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا .

ثم ختمه بقوله :

والواجب عليك ان تذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدى بما شاهدت بما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحاجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان ينحتم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام

النثر

وميزاته في أغراضه وأسايبه ومعانيه

تمهيد :

١ - الادب قسمان : شعر ونثر ؛ فالشعر هو الكلام الموزون المقفى المعتمد على الخيال . والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية . والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويشير الشعور والوجدان . والنثر غالبا ما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويتعمد إثارة العواطف ، ويصاغ في أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منشورا .

٢ - والنثر نوعان : أحدهما ما يدور في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم فيرسلونه إرسالا على سبيلهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة ، وهذا ما نسميه لغة التخاطب ، وهذا لا يعنى به الادب وليس قسما منه ، فليس شعرا ، وهو في الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى وينادى به الذى هو أحد قسمي الادب ، وإنما هو كلام عادى لم يقصد أصحابه فيه غالبا إلى الاجادة ولا إلى جمال فنى وإنما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعانى وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض .

والثانى هو ما يسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفكارا منظمة ، فى عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب ، وهذا هو الذى يعد قسما للشعر فى باب الادب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية . والكتابة عند الاوربيين : وصف أو قصص ، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ .

٣ - ولكن هل الشعر هو السابق فى النشأة الادبية أو النثر الفنى ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعه مقلدين فى ذلك بعض المستشرقين

كالمسيو مرسيه الفرنسى أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفنى ^(١) . ويستدلون على ذلك بما يأتى ^(٢) :

١ - الشعر في آداب الأمم الاوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هو ميروس تُلشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فنى ، وفى الأدب الانكليزى ترى أن قدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التى تصف أعمال د بيولف ، وهى ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادى . فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر .

ب - كثرة الشعراء في العهد الأول لأدب أى أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

ج - ومن أقوى الأسباب التى قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر فى رأيهم أن الأدب المنشور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة فى تاريخ كل أمة قصائد هو ميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تدبج الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربى القديم قبل أن تدبج الكتابة ، ومنشئ الأدب المنشور لابد له من تدوين ما يخطر له

د - الشعر يعتمد على الخيال فى حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير فى حياة الأفراد والجماعات
هـ - الجماعات الساذجة نجد عندها كلاماً موزوناً دون أن نجد عندها نثراً فنياً صحيحاً .

و - الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعراً قبل أن يغنوا نثراً لأنهم يجدون فى الشعر أوزاناً تلائم تقطيع الغناء وانغامه

(١) راجع ص ٣٣ / ١ النثر الفنى لزكى مبارك

(٢) ص ١٠ ١٢ ١٧٣ وما بعدها التوجيه الادبى ط ١٩٤٠ . الباب السابع من كتاب أصول النقد الادبى للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلى لطلح حسين . وراجع فى ذلك البحث : الطبع والصناعة للهيبارى و ١/٣٧ الجوارى للجاسق

أما الدلائل الأولى فلا يدل على شيء ، بل هو إن دل فانما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحافظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يخف عليها النسيان وهو السبب في كثرة الشعراء في العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة وفي زيادتهم على الكتاب ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثاني منهارا .

ولعدم وجود الكتابة في العصور القديمة التي هي وسيلة لتخليد النثر الفني ضاع أغلب ما لدى الأمم من نثر فني ، فكيف إذا يستدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنثور للكتابة في تدوينه ، وبذلك تجد الدليل الثالث لا يكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة .

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح في الأول مبالغ فيه في الثاني فلم لا يكون النثر الفني في بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضا كالشعر ، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقاية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها في هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لا يؤدي إلى غاية .

وأما أن الأمم التي لم تصعد درجة في الحضارة لها شعر وليس لها نثر فني خطأ في الرأي ، فإن هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب مألوفها من شعر نثر فني ملائم لعقائباتهم ومظاهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح ، وذلك يشاهد كثيرا في بيئةنا المصرية العامة التي يمثل بها هؤلاء تأييدا لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لا يمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غني من قديم قبل أن يغنوا نثرا فنشأ ذلك أن الشعر أصلح للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته . فكيف يتركونه ويغنون بنثر فني لا يلائم الغناء . والحق أن النثر وجد أولا ثم تحول إلى النثر الفني ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأي إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم .

ويؤيده أيضا وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الاجيال في الامم التي أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هي التي أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمان طويل .

ويؤيده أيضا إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر (١) ٤ — وبعد فالتشر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما في سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلته أو فواصله في الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما أتحدت فواصله في وزنها لافي الحرف الأخير منها بما نسميه تقفيه . مثل قوله تعالى : ومما سرق مصفوفه ، وزراني مبثوثه .

والمرسل هو ما خلعت فواصله من الاتحاد في الوزن والقافية معا مثل : ولا يلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ،

شبهة للمستشرقين :

فالتشر الأدبي أو الفني إذا هو الكلام الذي يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن ولا قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن القرن الأول الهجري لم يكن فيه نثر فني يعتد به ، إنما كان الشأن للشعر ، والقرآن لا يصح عده نثرا ولا شعرا (٢) ، وقد احتذى الدكتور في ذلك حذو الأستاذ مرسبه الفرنسي وهو أول من ذهب إلى ذلك ، إلى أن النثر الفني في الأدب العربي يتبدى بأبن المقفع (٣) ، وابن المقفع في نظر هؤلاء . أول مثال للتطورات

(١) راجع ٧ ، تاريخ الأدب العربي للزيات وسواه

(٢) ٣٣ / ١ النثر الفني (٣) ٣٨ / ١ المرجع

الجديدة في الانشاء للعربي^(١) ، ، و هو أول مؤلف للانشاء الادبي في اللغة العربية ،^(٢) ، وقد آمن الدكتور طه بهذا الرأي وبأن الشعر أسبق من النثر الفني في آداب اللغة العربية ، وأذاع ذلك في كثير من مؤلفاته^(٣) ، وقد ثار بهض الباحثين في وجه هذه النظرية وماجموها^(٤)

وهذه النظرية — وهي أن الشعر سبق النثر الفني في الوجود — نجد أصولها عند أرسطو في كتابه « الشعر » فهو يقول فيه : « والأقدم من الاشعار الأقصر ، والاولون كانوا يقرون الاعتقاد في النفوس بالانخييل الشعري ثم نبغت الخطابة بعد ذلك لمحاولوا تقرير الاعتقادات بالاعتناع »^(٥) ، فأرسطو يرى أن الشعر وجد قبل الخطابة وهي نوع من أنواع النثر ، وقد عجم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفني وجودا ، « على أن بعض كبار المستشرقين من علماء الالمان كجلد زهر وبر وكلبان على الرأي القائل بأن السجع كان المرحلة التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب »^(٦) ، وهذا يهدم المذهب الجديد السابق .

ونحن لانميل إلى هذا المذهب الجديد ولا نؤيده ، فالقرآن أثر من آثار النثر

(١) ٧ مجلة الادب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بعنوان
خواطر في الادب العربي .

(٢) ص ٩ المرجع السابق

(٣) ١٢ التوجيه الادبي ، ٣٦٤ - ٣٦٨ الادب الجاهلي ، ١٥ و ١٦ المجلد
في تاريخ الادب العربي ، و من حديث الشعر وللنثر ،

(٤) راجع ٥٨ - ٦٦ تاريخ الادب في العصر الجاهلي للأستاذ محمد هاشم ،
٣٣ / ١ النثر الفني .

(٥) راجع الفن التاسع من الشفاء ، وهو « الشعر »

(٦) ٦٢ الادب الجاهلي لمحمد هاشم

الفنى ، وكذلك الكتب الدينية والأدبية القديمة التى يشير إليها القرآن الكريم ، وكثير من الأمم القديمة كان لها نثر فنى الميلاذ بكثير ، فاليونانيين آثار كبيرة فى الخطابة من قبل الميلاذ بقرون عديدة ، والرومانيين آثار فيها قبل الميلاذ وبعده (١) فلم لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاذ بخمسة قرون ، على أن لعبد الحميد الكاتب آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال ، والقديما من النقاد يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول : وكان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا (٢) ، وكذلك كثير من الباحثين كالزهاوى (٣) وسواه

وإذا فالنثر الفنى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ، ثم نما وازدهر بعد عصر النبوة على يد كثير من أعلام النثر إلى أن نبغ فيه عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسواهما

وصف للنثر الفنى فى صدر الاسلام :

وبعد فقد كان للعرب فى جاهليتهم نثر فنى (٤) ، بقى فى ماروى لنا من أم المهم

(١) راجع ٦٥ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٢) ١ / ٨ العمدة

(٣) راجع الجزء الأول من « سحر الشعر »

(١) هذا وينسكرك طه حسين وجود نثر فنى فى الجاهلية لأن كل ما يضاف إلى عرب الجنوب من نثر فنى لا يخلو من ظواهر لمجاتهم فيه إذا جاء كله بلغة قریش التى لم يكن لهم بها علم ولأنهم كان لهم لغة مروفة كتبوا بها وتركوا لنافيا نصوصا مشورة كشفها المستشرقون وهى لاتوافق لغة قریش فى شئ . فكل ما يضاف إلى اليمانيين عنده من نثر مرسل أو مسجوع أو خطابة فى الجاهلية من نثر . أما عرب الشالية فيرى رفض ما يضاف إلى ربيعة وغيرها من عرب العراق والبحرين والجزيرة ويتردد فيها ينسب إلى مصر . وهذا هو موقفه بالنسبة للشعر الجاهلى أيضا . [راجع الادب الجاهلى]

وحكمهم ووصاياهم وخطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم ومخاوراتهم ووثق كبريائهم .
ثم نزل القرآن الكريم وجاءت الدعوة النبوية الكريمة واختلف العرب حيالها
بين مكذب ومصدق ، فكثرت دواعي الحجاج والكلام والخطابة ، واخذ النثر
ينمو ويزدهر ويسمو ويقوى ،

وتتلذذ على القرآن والحديث اعلام من البلغاء والخطباء والفصحاء فنهجوا
نهجهم في تأييد الدعوة ونشر الرسالة والإرشاد إلى الحق والخير والاسلام ،
وتحميس الجنود والتبشير بالنصر . فكان لذلك كله أثر في نهضة النثر الفنى بعد
عصر النبوة .

ولقد كان فى كلام الله وحديث رسول ألوان رائعة كثيرة من المعانى الشريفة
والأساليب الرفيعة والألفاظ الساحرة فاقتدى العرب بهما ، ونهلوا من مواردهما
وأخذوا يصوغون أدبهم على مثالها .

فاتسعت أغراض النثر واستحكمت أساليبه وعذبت ألفاظه ، وعمقت معانيه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف جملا
للنثر دولة ووضعاه فى منزلة أسمى من منزلة الشعر ، فأصبح هو أهم ألوان الادب
فى ذلك العصر الكريم .

موضوعات النثر الفنى :

شملت موضوعات النثر الفنى فى هذا العصر ما يأتى :

١ . الدعوة إلى العقيدة الاسلامية وبيان مبادئها وغاياتها وأهدافها
المنلى الكريمة .

٢ . بيان السياسة الشرعية والاجتماعية فى عهود الخلفاء الى ولايتهم وقضائهم
وقوادهم : كعهد على رضى الله عنه الى الأشتر النخعى وعهد عمر إلى أبى
موسى الأشعرى .

٣ — الخطابة فى الأمور الجامعة والحوادث المفاجئة وفى المناسبات الكثيرة .

٤ — وكتبت به الرسائل الدينية والسياسية التى تصدر عن الخليفة أو عن ولايته

هـ — واصبح أداة الدعوة والدولة ولسان المدنية الاسلامية كافة .
وهذه اغراض لم يكن للعرب من قبل إلفها إنما هي أغراض جديدة
وجه الدين الجديد العرب إليها .

معاني النثر الاسلامى :

ومعاني النثر الاسلامى فى هذا العصر كانت :

- ١ — تنبع من معين النبوة وأدب القرآن الكريم ، من الدعوة الى التوحيد
والخلق والفضيلة والحق والخير والأخاء الانسانى وتقرير الايمان بالله وانبيائه
وكتبه وملائكته واليوم الآخر
- ٢ — وكانت تصدر عن عقل خصب وذهن متوقد وتفكير منظم ، وملسكات
حسيفة تنفذ بثقافة الاسلام وكتابته الحكيم
- ٣ — وصارت المعانى منظمة والافكار مرتبة بعد الخلط الذى كانت عليه
فى الجاهلية .

٤ — وتمتاز بظهور حرارة الايمان وقوة العقيدة فيها وبغلبة الروح
الدينى عليها .

هـ — وهى فوق ذلك كله صورة للحياة الاسلامية فى هذا العصر الكريم بما
اشتمل عليه من فتوحات وانتصارات وأحداث سياسية وثورات فكرية واجتماعية
أسلوب النثر الإسلامى :

١ — ويمتاز أسلوب النثر الإسلامى بحسن سبك وجمال رصفه وقوة نظمه
وأحكام فصوله والنشام أجزاءه وذلك من تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث
النبوى الجليل .

٢ — كما يمتاز ببعده عن الغرابة والاستكراه والسجع المتكلف والخطأ فى
مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال

٣ — وبكثرة ما فيه من اقتباس من القرآن وكلام الرسول صلوات الله عليه

٤ — وبقوته ووضوحه وجلاله وسلاسته ، مما تجده واضحا في الآثار الفنية الأدبية التي حفل بها هذا العصر
ألفاظه :

وقد بعدت ألفاظ النثر الاسلامي عن الغرابة والوحشية والابتذال ، واختيرت اختيارا جيدا ، ووضعت في مواضعها الملائمة ووشيت بالبلاغة والعذوبة والسحر وبعدت عن الخطأ وسلمت من العيب والحن والقصور
وهذا كله من أثر بلاغة القرآن والحديث في ألسنة المسلمين في هذا العهد

موازنة بين النثر الجاهلي ونثر صدر الاسلام

كان الجاهليون لا يحفلون بانتقاء الالفاظ والتعمق في المعاني وترتيبها ، ولا يولعون بالتأنق في صوغ العبارات وسجع الكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرفي الجملة وبخاصة الحكمة والمثل ، على قصد منهم إلى الإيجاز في الالفاظ ، وتعتمد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليقة المنفهم لكلامهم ودقيق صكناياتهم . أما النثر الاسلامي فيمتاز بما يأتي :

١ — اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشعائر الدين .

٢ — عناية أهل هذا العصر بعض العناية بهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرصوا على آخر ، وسعد من بين هذه الالفاظ بالاستعمال والرواج مادار في عبارات القرآن والسنة ، مع حقلهم بتوليد الحديث من القديم

٣ — تأنيقهم في صوغ عباراتهم ومحاكاة فيها لأساليب الكتاب والسنة ، واقتباسهم منها واستشهادهم بهما ، وبقائهم على اتباع خطة الإيجاز أول هذا العصر ، وميلهم إلى الاطناب أواخره ،

٤ — ترتيبهم للمعاني والأفكار بدون تغلل فيها ؛ ويظهر ذلك جلياً في الخطب التي كانوا يمدونها قبل القول ، وفي الرسائل التي كانت تدور بين الخلفاء والأمراء أخريات هذا العصر

أهم ألوان النشر الفني في صدر الاسلام

أولا — الخطابة

نماذج للخطابة في العصر :

١ — خطب رسول الله ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ، ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس إن لكم معالم ^(١) فاتموا لي معالمكم ، وإن لكم نهاية فاتموا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبهة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

٢ — وخطب صلى الله عليه وسلم فقال :

أيها الناس كأن الموت فيهما على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذي نشيع من الأمور سفر ^(٣) ، عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجدانهم ^(٤) ، ونأكل من ترأثم ، كأننا مخلصون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة ^(٥) .

(١) جمع معلم وهو ما يستدل به على الشيء .

(٢) أى من استرضاء .

(٣) سفر : مسافرون .

(٤) الأجدات جمع جدت (كسبب) : وهو القبر ، ونبوئهم : نزلهم .

(٥) الجائحة : المهلكة من الجوع : وهو الإهلاك والاستتصال

كالاجتياح .

طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس أدل الفقه والحكمة ، وخالف أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليفته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم تستهوه البدعة (١) .

٣ . الخطبة المدنية الأولى :

لما كانت أول جمعة للنبي الكريم بالمدينة خطب المسلمين ، فقال : الحمد لله ، أحمدده واستعينه ، وأستغفره ، واستهديه ، وأومن به ، ولا أكفره وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى والنور والموعظة : على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الآجل ؛ من يطع الله ورسوله فقد رشده ، ومن يعصه فقد غوى وفرط (٢) . وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم : أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا . احذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله يوقى مقته ، ويوقى عقوبته ، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحفظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لسلككم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، جاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، وأكثروا من ذكر الله ، واعلموا لما بعد اليوم ؛ فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله .

(١) طوبى : مؤنث أطيب .

(٢) فرط : ظلم واعتدى

٤ — خطبة الوداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله : أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحشكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير أما بعد أيها الناس : إسمعوا مني أبين لكم ، فاني لأدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ^(١) . وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ^(٢) ، والعمد قود ^(٣) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، واسكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس :

(١) وضع الدين أسقطه . وقد أسقط الرسول ربا الجاهلية فلا يؤدي فضله
(٢) يريد بمآثر الجاهلية ما كان يستأثر به بعضهم على بعض كالحقوق التي كان يتوارثها سادات العرب . قال الشاعر :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيط والفضول
فالمرباع ما يأخذه الرئيس من الغنيمة وهو ربحها ، والفضول ما امتنع على القسمة لقلته وخص به .

وسدانة الكعبة خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقه ، وفعلها سدن يسدن .
- كنصر - وقد كانت السدانة لبنى عبد الدار ، فأفرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عليها والسقاية إرواء الحاج ، وقد كانت في أسر من قريش .

(٣) القود : قتل النفس بالنفس أو القصاص عامة .

إنما النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا (٢) عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض — إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ، واحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان (٣) ألا هل بلغت ، اللهم ، أشهد . إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهم حقاً . لكم ألا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بأذنكم ، ولا يأتين بفاحشة (٤) فان فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن (٥) وتمجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فان انتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عنكم عوان (٦) لا يمسكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً فاني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا . كتاب الله وأهل بيتي ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد أيها الناس إن ربكم

(١) النسيء : شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها . فكانوا ينسئون المحرم ويؤجلونه إلى صفر .

(٢) ليواطئوا عدة ما حرم الله : أي ليوافقوا ويطابقوا عدة الشهور .

(٣) إنما حدد رجب ، لأن العرب كانت تؤخره من شهر إلى شهر كما نشاء أهواؤهم إذا أرادوا الحرب أو السلام .

(٤) كل قبيح من القول والفعل فهو فاحشه ، ومن الفاحشة خروج المرأة من دار زوجها بغير إذنه ، وتطاولها عليه بالهجر من القول .

(٥) عضل الزوج زوجته أساء عشرتها حتى تنزل له عن حقها عنده .

(٦) العوانى جمع عانية : أي أسيرة .

واحد وإن أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب اكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالقوى ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال . فليبلغ الشاهد منكم الغائب، أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من اثلاث والولد للفراش وللعاهر الحجر من دعي إلى غير أبيه أو تولى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ — ولأمر المؤمنين أبي بكر رضى الله عنه المتوفى سنة ١٣ هـ

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن أفواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

٦ — خطبة أبي بكر يوم السقيفة .

وخطب أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة (١) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هم من حجر منحوت ، وخشب منجور (٢) ، ثم قرأ : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » : وقالوا « مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (٣) » ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخص

(١) هي سقيفة بني ساعدة ، وفد اجتمع الأنصار فيها يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا نولى هذا . الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة

(٢) النجر : نحت الخشب .

(٣) الزلفى : القرية .

الله المهاجرين الأولين من قومه بنصديقه ، والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على (١) شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم لإياهم ؛ وكل الناس لهم مخالف زار (٢) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (٣) الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض ، وأمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم .

وانتم يامعشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ؛ رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة (٤) أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلكم ، فنهض الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا تفتنون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور ؛

٧ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ووصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام فقال .
« إني قد ولت لك لأبلوك (٥) وأجربك وأخرجك (٦) ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ؛ فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ؛ وقد ولت لك عمل خالد (٧) ، فإياك وعيبة (٨) الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها »

(١) على بمعنى مع .

(٢) زرى عليه زراية : عابه .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره .

(٤) جلة . جمع جليل .

(٥) بلاه يبلوه ، امتحنه واختبره .

(٦) خرجته ، دربه وعلمه .

(٧) هو جالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيده إلى الشام وأولاهم عزله .

(٨) العيبة ، بضم العين وكسرهما ، الكبر والفخر ، وفي الحديث : « إن الله قد وضع عنكم عيبة الجاهلية » ، يعني الكبر .

وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم ، وأبدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعينه بعضنا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها ، باتمام وكوعها وسجودها ، والتخشع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به ، ولا ترishهم (١) فيروا خللك ، ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة (٢) عسكريك ، وأمنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لسكلامهم ؛ ولا تجعل شرك لعلايتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تنزن عن المشير خبرك ، فتوثى من قبل نفسك

وأسر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار ، وتنكشف عندك الأسرار ، وأكثر حرسك ، وبددهم في عسكريك ، وأكثر مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وعقب (٣) بينهم بالليل ، وأجعل الذوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانما أيسرها لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع إليها ، ولا تغفلها مدقماً (٤) ، ولا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضيهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم ، واكتف بعلايتهم ، ولا تجالس العباين (٥) ، وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب

(١) من الريث ، وهو الإبطاء

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس

(٣) عقبه تعقباً : جاء بعقبه .

(٤) لا تغفل : من خذا يغزو كنصر ، وخذى يخذى كرضى : إذا استرخى

والمدقع : الملقق بالدقعاء (وهي الأرض) أو الحارب أو أشد الهزلى هزالا ، أى ولا تضعف ولا نجبن أمام تنفيذ العقوبة ، وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٥) من عبث كفرح ، أى لعب .

الغلول (١) . فإنه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، ويستجدون قوما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

٨ — خطبة لعمر بن الخطاب :

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ولي الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إني ذاع فأمنوا ، اللهم إني غليظ فليكن لأهل طاعتك ، ووافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وأرزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة (٢) والنفاق ، من غير ظلم مني لهم ، ولا اعتداء عليهم .

اللهم إني شحيح فسخرني في نوائب المعروف ، قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة . واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة .

اللهم أرزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت

في كل حين .

اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فأرزقني النشاط فيها ، والقدرة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وأرزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات .

اللهم أرزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .

٩ — وصيته لسعد بن أبي وقاص

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) الدعارة : الفجور .

ووصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص حين أمره على حرب العراق فقال .

يا سعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس يذنبه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعةهم في ذات الله سواء الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى (ص) عليه فالزمه فانه الأمر

١٠ — وخطب أيضاً فقال :

أيها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلايتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل أحدهم على موضع يغرقه فذهبه فقال : هو موضعى ولى أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلموا وأن تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمتنا الله وإياكم

١١ — وخطب اذ ولى الخلافة

صعد المنبر لحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك وموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وأرزقنى الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والتفاح من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمّة واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقنى خفض الجناح واين الجانب للؤمنين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكّر الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند العمل اطاعتك فأرزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياة منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى واصلاح الساعات والخذر من الشبهات اللهم ارزقنى التفكر والتدبر بما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير .

١٢ - آخر خطبة خطبها عثمان :

وكانت آخر خطبة خطبها عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 « إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لنتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا
 إليها ، إن الدنيا تنفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطلوا أنفسكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية
 فأثروا (١) ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله .
 اتقوا الله جل وعز ، فإن تقواه الجنة (٢) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا
 من الله الغير (٣) ، والزموا جماعتكم ، لاتصيروا أحزابا ، واذكروا نعمة الله
 عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ،

١٣ - خطبة أم الخير بنت الحريش في وقعة صفين

وكتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن
 سراقه البارقي برحلهما ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه .
 فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ، فقالت ، أما أنا فغير رائغة عن طاعة
 ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر تختلج في صدرى فلما شيعها
 وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني
 بقولك في الخير خيرا ، وبالشر شرا ، فإلى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطعمك
 بركي أن أسربياطل ، ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق .
 فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها
 في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
 الله وبركاته ، فقال لها . وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟
 قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة (٤) السلطان مدحضة (٥) لما يجب عليه ،

() آثروا : فضلوا وقدموا

(٢) جنة : وقاية

(٣) غير الدهر ، أحداثه المنيرة

(٤) البديهة ، أول كل شيء وما يفجأ منه

(٥) المدحضة ، المزلّة

ولكل أجل كتاب، قال: صدقت فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟
 قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أئمة،
 عند ملك رقيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم قالت: يا أمير المؤمنين،
 يعينك الله من دحض (١) المقال، وما تردى (٢) عاقبته، قال: ليس هذا أردنا،
 أخبرنا كيف كان كلامك إذ قتل عمار (٣) بن ياسر؟ قالت: لم أكن والله
 زورته (٤) قبل، ولا رويته بعد، إنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن
 أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال،
 أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم، أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين
 قال: هات، قال كأتى بها بين بردين زهريين (٥) كثيفي النسج وهى على جمل
 ارمك (٦)، وبيدها سوط منتشر العنقيرة، وهى كالفضل يهدر (٧) في شقشقة تقول
 «يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم، إن الله قد أوضح لكم
 الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدلهمة (٨)،
 فأين تريدون، رحيمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة
 عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: ولنبلونكم

-
- (١) دحضت الحجة دحضا من بات نفع: بطالت ودحضت رجله، زلقت،
 ومكان دحض زلق
 (٢) تردى، تهلك
 (٣) عمار بن ياسر، من أصحاب الإمام على، قتل يوم صفين
 (٤) زور الشئ، حسنه وقومه وهذبه
 (٥) الزهر، ما يعلو الثوب الجديد كالذى تراه في القبطية، في رواية أخرى
 عليها برد زبيدى نسبة إلى زبيد، بفتح الزاى، بلد باليمن
 (٦) وصف من الرمكة بالضم وهى لون الرماد.
 (٧) يهدر. بصوت، والشقشقة. شئ يخرج به البعير من فيه إذا هاج.
 (٨) أدلهم الظلام. كثف وأسود.

حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول :

اللهم قد عيل الصبر ، وضمف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وببكدك يارب أرمة القلوب ، فأجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل (١) والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها لحن بدرية (٢) وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية (٣) ، وثبها معاوية حين الغفلة ، وليدرك ثارات بنى عبد شمس (٤) ، ثم قالت :

قاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا إيمان لهم لهم ينتهون ، صبراً يامعشر المهاجرين ، والانصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهمل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة (٥) ، لا تدري أين يسلك بها من لجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حين تحمل بهم الدامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل .

(١) تمنى الامام عليا كرم الله وجهه .

(٢) الاحن جمع إحنة وهي الضغينة والحقد ، تسمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخا معاوية (حنظلة بن أبى سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وخاله (الوليد بن عتبة) .

(٣) تشير إلى ما كان من هند زوج أبى سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله ، وأخذت كبده فلاكتها ثم أرسلتها .

(٤) هو الجد الثالث لمعاوية ، فهو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

(٥) القسورة . الأسد

ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسمعوا لها ، فآله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون — رحمكم الله — عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره وأبي سبطيه (١) ، خلق من طينته ، وتفرع من نبعته (٢) وجعله باب دينه ، وأبان بيفضه المنافقين ، وهاهو ذا مفلق الهام (٣) ، ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن (٤) ، فبالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا ، وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا .

قد اجتهدت في القول ، وبالنسبة في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولوقتلتك ما حرجت (٥) في ذلك ، قالت : والله ما يسوؤني يابن هند أن يجرى قتلى على يدي من يسمعني الله بشقائه ، قال : هيات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون قال معاوية : يا أم الخير ، هذا ثناؤك الذي

(١) هما الحسن والحسين رضي الله عنهما ، والسبط . ولد الابن والابنة

(٢) النبعة في الأصل واحدة النبع وهو شجر تنخذ منه القسي والسهام .

(٣) الهام جمع هامة . وهي الرأس .

(٤) كانت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد في السنة الثالثة ، وغزوة الأحزاب (غزوة الخندق) في الخامسة ، وغزوة خيبر في السابعة ، وغزوة هوازن (غزوة حنين) في الثامنة ، وفي كلها أبلى الإمام علي بلاء حسنا ، تفصل أنباء كتب التاريخ .

(٥) حرج : أثم .

تذنين ؟ قالت . لكن الله يشهد — وكفى بالله شهيدا . ما أردت به ثمان نقصا ،
ولقد كان سابقا إلى الخسرات ، وإنه لرفيع الدرجة غدا ، قال . فماتتولين في
طلحة (١) بن عبيد الله ؟ قالت . وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ،
وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، قال .
فماتتولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن (٢) عمه رسول صلى الله عليه وسلم
وحواريه (٣) وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق
الله يا معاوية — فان قریشا تحدث أنك أحملها — أن تعفيني من هذه المسائل ،
وتسألني عما شئت من غيرها ، قال . نعم ، ونعمة عين (٤) ، قد أعفيتك منها ، ثم
أمر لها بجائزة رفيعة وردما مكرمة .

١٤ — خطبة الإمام على بعد التحكيم :

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد التحكيم فقال :
الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح (٥) ، والحدث (٦) الجلل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وآله .

أما بعد ، فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتمقّب الندامة
وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيي ،

(١) طلحة والزبير من كبار الصحابة ، خرجا مع السيدة عائشة بعد مقتل عثمان
إلى البصرة وقتلا في وقعة الجمل .

(٢) أم الزبير هي : صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(٤) أى افعل ذلك لإنعاما بعينك وإكراما .

(٥) من فدحه الدين أى أثقله

(٦) الحدث الحادث .

لو كان يطاع لقصير أمر^(١) ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفافة ، والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضمن الزند بقصدحه ، فسكنت وإراكم كما قال أخو هوازن^(٢) :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا نخبى الغد
١٥ — خطبة الإمام على وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر :

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان بن بشير الانصارى في ألفين فأنوا عين التمر^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلى في ثلاثمائة ، فسكتب إلى على يستعده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« منيت^(٤) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ما تنظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يحممكم ، ولا حمية تحمشمكم^(٥) ؟ أقوم فيكم مستصرخا ، وأنا دينكم متغوئا^(٦) ، فلا تسهون لي قولا ، ولا تظلمون لي أمرا ، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثأري ، ولا يبلغ بكم مرام ! دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجر جرحتم^(٧) جرجرة الجمل الأسر^(٨) ، وتناقلتم تناقل

(١) قصير . هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده ألا يأمن الزباء ملكة الجزيرة ، وقد دعته إليها ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها فقتلته ، فقال قصير . لا يطاع لقصير أمر ، فذهبت مثلا

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) بلد على الفرات شمالي الكوفة .

(٤) منيت : بليت

(٥) حمش كفرح : غضب ، وأحش : أغضب .

(٦) قائل : واغوثاه .

(٧) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتة ، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب .

(٨) الجمل الأسر : المصاب بداء السرر (كسب) وهو وجع في الركركرة (بكسر الكافين) وهي رحي زور البعير .

النضو، الأدبر^(١)، ثم خرج الى منكم جنيد متذائب ضعيف^(٢)، كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون .

١٦ - خطبة الإمام علي وقد أنار الضحاك بن قيس على الحيرة :

ووجهه مناوية الضحاك بن قيس فأغار على الحيرة^(٣)، وغنم من أموال أهلها، وبلغ ذلك علوا فاستصرخ الناس، فتناعدوا عنه، فقام فيهم خطيبا فقال :
« أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم^(٤) ،
الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت وكيت^(٥) ،
فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياذ^(٦) .

ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استتراع قلب من قاساكم ، أعاليل بأضاليل^(٧) ، دفاع ذى الدين المطول^(٨) ، هيات لا يمنع الضيم الذليل :

(١) النضو ، البعير المهزول ، والأدبر ، المجروح .

(٢) جنيد ، متضرع جند ، متذائب ، مضطرب ، من قولهم ، تذاببت الريح أى اضطرب هبوبها .

(٣) بلد شمال الكوفة .

(٤) يوهى ، يشق ويخرق ، والصم جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت

(٥) كيت وكيت بفتح آخرهما ، ويكسر ، أى كذا وكذا .

(٦) حيدى حياذ ، كلمة يقولها الهارب الفار ، من حاد حيدانا أى مال

وانحرف ، أى ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب وهى نظيرة قولهم « فيحى فياح » أى اتسمى .

(٧) الأضاليل جمع أضلولة بالضم ؛ وهى الضلال ؛ وفى كتب اللغة ، العلالة

بالضم والتعلة كمنجية والعلة بالفتح ؛ ما يتعلل به ، وليس فيها كلمة أعاليل ولا مفردا ؛ ولا بد أن تكون جمع أعلولة بالضم كأضاليل وأعاجيب
والأعيب ... الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعلل بأباطيل لا جدوى لها .

(٨) المطول ، مبالغة فى ماطل .

ولا يدرك الحق إلا بالجسد ، أى دار بعدد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدنى
تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتوه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخيبي ،
ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل ^(١) .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو
بكم ، ما بالكم ؟ ما دوائكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم ! أقولا بغير علم ،
وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق ؟

١٧ — ولما بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة يوم السقيفة بايعوه بعدها فى
المسجد البيعة العامة ، وبعدها خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه
بالذى هو أهله .

أما بعد فانى قد وليت عليكم وليت بخيركم : فان أحسنت فأعينون وإن
أسأت فقومون .

الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه
حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ،
لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ،
ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ،
فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .
قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ،

١٨ — ومن خطبة عثمان فى الوعظ قال بعد حمد الله والثناء عليه :
إنكم فى دار قلعة ^(٢) وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه

-
- (١) سهم أفوق ، مكسور الفوق ، يضم الفاء ، والفوف : مدخل الوتر من
السهم والناصل ، العارى عن النصل .
(٢) لا دوام لها .

فلقد أتيتكم : صبيحتكم أو مسيتكم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تُغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (١) : اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها (٢) ومتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا الدنيا حيث رمى بها الله ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلا ، فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه (٣) الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً » .

ومن خطبه رضى الله عنه :

أما بعد . قال الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا إليها . إن الدنيا تفتى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم (٤) الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبق على ما يفنى ، إن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير (٥) ، والزموا جماعتكم ألا تصيروا أحزاباً واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

(١) الغرور (بالفتح) الدنيا أو ما غرك أو يخص بالشیطان وهو أيضاً ما يتغرغر به . وبالضم مصدر غر أو جمع غار .

(٢) عمر الرجل المكان (كنصر) أقام به . والعمارة (بالكسر) ما يعمر به المكان وبالضم أجرة الإقامة به وبالفتح كل ما يلبس على الرأس .

(٣) ذراه فرقه في الهواء .

(٤) البطر . كفر النعمة .

(٥) أى أحداثه التى تغير حال الشيء ، قيل هو ملرد وجمعه أشبار ، وقيل جمع غيرة كغيب جمع غيبة .

١٩ — خطبة السيدة فاطمة الزهراء

حين يبيع أبو بكر ومنعها ميراثها في فذلك :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . . فان تفردوه تجدوه أنى
دون أنسائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم . فبلغ النذارة صادعا بالرسالة ، مائلا
على مدرجة المشركين (١) ضاربا للبهيم (٢) آخذا بكظمهم (٣) يجذ الاصنام (٤)
وينسكت الهام (٥) حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق
عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من
النار مذقة الشارب (٦) ، ونهزة الطامع وقبسة العجلان ، وموطىء الاقدام تشربون
الطارق (٧) ، وتفتاتون الورق (٨) ، اذلة خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس
من حولكم ، فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد اللثيا والتي وبعد ما منى
بهم (٩) الرجال وذؤبان العرب ، كلما حشوا نارا للحرب ونجم قرن للضلال ،
ففرت فاغرة من المشركين قذف باخيه في لهواتها فلا ينكفى . حتى يطلأ سماخها
باخصه ، ويحمد لهمسا بحده مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في
أولياء الله وأنتم في بلمنية وادعون آمنون
حتى إذا اختار الله لنيه دار أنبيائه ظهرت حسكة النفاق ، ونطق كاظم الغارين ،

(١) مائلا على مدرجة المشركين أى معترضا طريقهم .

(٢) التبع من الناس عليهم وأشرافهم .

(٣) الكظم مخرج النفس .

(٤) الجذ : الكسر .

(٥) النسكت . الضرب بطرف القضييب .

(٦) المذقة . الشربة من اللبن المخلوط .

(٧) الطارق الماء المشوب بأبوال الابل وأروائها .

(٨) تريد بالورق ورق الشجر .

(٩) جمع بهمة — بضم الهاء — الشجاع الشديد البأس .

ونبغ حامل الآفلين ، وهدر فنيق (١) المبطلين يخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، فاستنهمضكم فوجدكم خفافاً ، وأحشكم فألفاكم غضاباً فوسستم غير لابلكم ، وأوردتموها غير شربكم . هذا والمهد قريب والسكام رحيب ، والجرح لما يندمل بدار ، أزعتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فبهيات منكم وأنى بكم توفكون ، وهذا كتاب الله بين ظهركم ، زواجه بينة ، وشواهد لا تمحى ، وأوامره واضحة ، أرغبة : أنه تدبرون ، أم بغيره تحكون ، بثس للظالمين بدلاً ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تريبوا أختها (٢) إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتغاء (٣) ونصبر منكم على حر المدى وأنتم اللائى تزعمون أن لا إرث لنا ألكم الجاهلية يفون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، وبها معشر المهاجرة ، أفى الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبيه ؟ لقد جئت شيئاً فرياً (٤) فدونسكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعيم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة ؛ وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون .

٢. — وخطب أبو بكر رضى الله عنه حين أشار عليه الصحابة بترك المرتدين من العرب وشأنهم لأنه لا طاقة لمن بقى من المسلمين بالحرب أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله

(١) الفنيق : الجمل الفحل

(٢) تريد أنكم منعمتم ابن عم رسول الله حقه في الخلافة ثم اتبعتم هذه المظالم مظلمة أخرى من غير إهمال .

(٣) الارتغاء صوت الأبل أى تنتمزون اضطراب الاصوات لتنتفعوا بما أردتم والحس وشرب الطائر

(٤) تخاطب أبا بكر رضى الله عنه .

حتى لا يهتوك ، أيها الناس أن أكثر أعدائكم وفل عدوكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ، قوله الحق ووعد الصدق : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ، اتصفون — وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

أيها الناس ، والله لو أفردت من جمعكم لجاهدتم في حق الله حق جهاده حتى أبلغ من نفسى عدوا أو أقتل مقتلا ، والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتم عليه واستعنت بالله ، إنه خير معين .

٢١ - من خطبة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه في استنصار أهل الشام . فقال أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؛ وبالدن من العز خلفاً ، إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ، ومن الدهول في سكرة ، يرتج عليكم حوارى فتعمهون ، فكأن قلوبكم مألوسة (١) فأنتم لاتعقلون ، ما أنتم لى بثقة سحيس الليالى (٢) وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر (٣) عز يفتقر اليكم ؛ ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها ، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمري الله شفر نار الحرب أنم ، تسكادون ولا تسكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينال عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وأيم الله لى لا ظن بكم أن لو حس الوغى واستجر الموت قد انفرجتكم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس ، والله أن امرأ يهشم عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره .

(١) الألس والمؤاساة . الخداع والخيانة والغش والسرقة

(٢) سحيس الليالى أى أبد الدهر

(٣) الزوافر جمع زافرة : الأنصار والعشيرة ، يقال جاهدنا ومعه زافرتة أى

قومه ورهطه .

٢٢ - ومن كلام عائشة أم المؤمنين :

بلغها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أزفلة (١) من الناس فلما حضروا اسدلت أستارها وعلت وسادها ، ثم قالت .

أبي وما أبيه !! أبي والله لا تطوه (٢) الأيدي ، ذلك طود منيف ، وظل مديد
هيات كذبت الظنون ، أنجح إذ أكديتم (٣) ، وسبق إذ ونيتم ، سبق الجواد إذا
استولى على الأمد ، فتي قریش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش (٤) ،
مملقها ، ويرأب شعبها (٥) ، ويلم شعبها ، حتى حليت قلوبها ، ثم استشره (٦) في دين
الله ، فسا برحت شكيمته (٧) في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائها مسجداً يحيى فيه
ما أمات البطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمة ، وقينذ (٨) الجوانح شجى
النشيج (٩) ، فانهطت إليه أسوان مكة وولدائها يسخرون منه ويستمنون به
والله يستزى بهم ويتدلم في طغيانهم يعمهون ، فأكبرت ذلك رجالات قریش
لخنت قسيها ، وفوقت سهامها ، وامتلوه (١٠) غرضاً ، فافلوا له صفاة ، ولاقصفوا

١٠ ، الجماعة

٢٠ ، لا تتناولوه

٣٠ ، جبنتم

٤٠ ، يهطى ويفضل من راش السهم إذا جعل فيه ريشا ليكون أسد له وكذلك

المحسن يقوى الفقير على الحياة

٥٠ ، الشعب ؛ الصدع

٦٠ ، جد واجتهد .

٧٠ ، أنفته وحميته

٨٠ ، عليل

٩٠ ، الشجى الحزين ، النشيج ، صوت البكاء

١٠٠ ، نصبوه

له قناة ، ومر على سيسائه (١) حتى إذا ضرب الدين بجرانه (٢) ، وألقى بركه ، ورسست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ماعنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب الشيطان رواقه ، ومد طابه ، ونصب حباله ، وأجلب بخيله ورجله ، واضطرب جبل الاسلام ، ومرج (٣) عهده ، وماج أهله ، وبغى النوازل ، وظننت رجال أن تدأكشب نهزها (٤) ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أنظهم ؟ فقام حاسرا مشمرا لجمع حاشيته ، ورفع قطريه ، فرد رسن الاسلام على غربه ، ولم شعثه بطبه ا وأقام أوده بثقافه ، فابذعر النفاق بوطنه ، وانتاش الدين فنعشه (٥) ، فلما أراح الحق على أهله ، وقرر الروس على كواهلها ، وحقق الدماء في أهبا ، أنه منيته ، فسد ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ، ذاك ابن الخطاب لله أم حفلات له ، ودرت عليه ا لقد أرحدت به ، فنفخ الكفرة وذبها (٦) وثم د الشرك شذر منذر ، وبعج الأرض وبخمها (٧) ، فقالت أكلمها ، ولفظت جنينها ، ترأمة ويصدف عنها ، وتصدى له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيثا وودعها كما حبها . فأروني ماترتابون ، وأى يومى أبى تنعمون ؟ أيوم لإقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه وقد نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت ، أنشدكم الله ، هل أنكرتم عما قلت شيئا ؟ قالوا : اللهم لا

١ ، شدته ، واليساء ، عظم الظلم ، والعرب تضربه مثلا للشدة

٢ ، الجران ، الصدر وكذلك البرك

٣ ، اختلاط

٤ ، أكشب ، قرب ، النيز ، اختلاس الشيء ، والظفر به مبادرة .

٥ ، رفعه

٦ ، صغرها

٧ ، بعج الأرض وبخمها شقها

وصف الخطابة في صدر الاسلام

تمهيد

علمت أن القرآن رفع من منزلة النثر ، فاحتل المكانة التي كانت للشعر من قبل . وذلك لأن الاسلام رفع من شأن العقل ، ولا يتذال الشعر بالتكسب به ، ولأن العقيدة الجديدة — وهي ما هي — تستلزم الخطابة وتستدعيها ؛ فضلا عن كثرة التنازع السياسي والديني بعد عصر عمر

وإذا كانت هذه هي منزلة النثر عامة فإن الخطابة احتلت الذروة من بين ألوان النثر خاصة في هذا العصر ، عصر صدر الاسلام . والخطابة هي كما تعلم فن إقناع الجماهير واستمالة النظم والتأثير فيهم ؛ وقد كان هذا العصر أعظم العصور الأدبية خطرا وأكبرها أثرا في الخطابة ، فقد بلغت النماذج واستكملت عناصرها الفنية والأدبية ؛ وظهر الكثير من أعلام الخطباء ومصنفات البيان ؛ وإمامهم هو الرسول الأعظم ، والخطيب الأول ، محمد صلوات الله عليه

أسباب رقي الخطابة

١ — النورة الروحية الكبرى التي قام بها قائد الإنسانية الأعظم وهادياها الكريم محمد صلوات الله عليه ؛ وماتحتاج إليه من فن الخطابة بين أنصار الدعوة وخصوصا ، فإن ذلك كان أهم سبب لرق الخطابة في هذا العهد

٢ — رفع الاسلام من شأن العقل وخفضه من غلواء العاطفة ، ودعوته إلى الإقناع بالمنطق والحجة والقول الصادق المبين

٣ — ابتذال الشعر بالتكسب به رفع من منزلة الخطابة ونوه بها

٤ — الرقي السياسي والاجتماعي ، فقد أصبحت العرب أمة واحدة ، لها رئيس أعلى ، وناظمت شئونها الاجتماعية تنظيما استدعى الخطابة ، سواء كان من الخليفة أو قواده أو عماله أم من أفراد الأمة وخطبائها ، أم في مجالس القضاء والشورى ، والفصل في الأمور

٥ — سلامة الملكات وقوة الطبع وعذوبة الالسنه ، والقدرة على

الارتجال ، وذبوع آثار بلاغة القرآن والحديث في النفوس والعقول والأذواق (١)

٦ — كثرة الخلافات حول الخلافة بعد موت الرسول وبعد مقتل عمر ، وما يستلزمه ذلك من كثرة فن الخطابة والحجج بين الآراء والأفكار والأحزاب السياسية

٧ — كثرة الحاجة إليها في شئون الدين والاجتماع والسياسة إلى غير ذلك ذلك من أسباب رقى الخطابة ونهضتها وقوتها في هذا العصر الكريم

أغراض الخطابة

وأغراض الخطابة في هذا العصر كثيرة متنوعة ، ومن أهمها :

١ — الدعوة إلى الدين وحجج المشركون ، ونضال المنكر بين الحق والصدق والبيان المبين

٢ — الدفاع عن الرأي حين اختلف الأنصار والمهاجرون فيمن يلي الخلافة بعد الرسول ، وحين اختلف المسلمون بعد عمر فيمن يختارونه لهذا المنصب الرفيع ، وحين انقسم المسلمون بعد ذلك إلى شيعة وخوارج وإلى أنصار اهل ومؤيدي معاوية وبني أمية

٣ — الحض على قتال أعداء المسلمين ، وتحسيس الجند وتشجيعهم حين ملاقات الأعداء ، والتبشير بالنصر وسوى ذلك مما دعت إليه الفتوحات الإسلامية الكثيرة

١٠ ، وإذا كان قدور دعن بعض الرجال في هذا العصر آثار قليلة جدا من العى والمجز فهذا نادر ضئيل جدا . كما ورد في الكامل أن يزيد بن أبي سفيان ولأه أبو بكر ولاية في الشام فصعد على المنبر فتكلم فارتج عليه ، فقطع الخطبة وقال . سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا ، وأنتم إلى أمير فعال أخرج منكم إلى أمير قوال ، فكان ذلك منه بلاغة ما بعدها بلاغة اعتذار ، مما أشاد به عمرو بن العاص حين سمع هذه الكلمات ،

- ٤ — الخطب في الشؤون الدينية من جماعة وصلاة عيدين وحج ومن وعظ وإرشاد وحض على الاستمسك بعروة الدين ومبادئ الاسلام
- ٥ — شرح خطة سياسية أو رأى ديني أو منهج اجتماعي أو غير ذلك مما استلزمته الحياة الاسلامية في ذلك العهد البعيد

أسلوب الخطابة

- ١ — تمتاز الخطابة الاسلامية بصفاء الاسلوب ومتانتها وشدة وقوته وتأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس وامتلأه للشعور والوجدان
- ٢ — كما تمتاز بترك التكلف وهجران السجع المتعمد ، وإيثار الطبع وماتمليه الملكة الموهوبة الملهمه

- ٣ — كثرة الحكم وظهور العاطفة الدينية وذبوع الاقتباس من أسلوب الذكر المبين ومحركاته في الاقتناع والتأثير وجمال التصوير وبلاغة التعبير
- ٤ — وكانت تبدأ بحمد الله والثناء عليه وتختتم بمثل : أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، : وكان أبو بكر يختم خطبه بقوله ، اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك ، وكان عمر يلزم فى آخر خطبه قوله اللهم لاتدعننى فى غمرة ولا تأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين ،
- ٥ — وقد كانوا يسيرون فى خطبهم على طرفى الإيجاز والاطناب اتباعاً لمقتضيات الأحوال والمقامات

ألفاظها

وألفاظ الخطابة فى هذا العصر ألفاظ القرآن فى عذوبتها وجمالها وسهولتها والبعد عن الحوشى والغريب والمبتذل والمتنافر فيها فوق سلامتها من الخطأ والعيب واللحن ، وفوق ما فيها من موسيقى وروعة وجلال وقوة تأثير

هيئة الخطيب :

وفد ظل الخطباء فى هذا العصر على ما ألفوه من لبس العمامة والاشتغال بالرداء واختصار المخصرة وكان صلى الله عليه وسلم يعتمد على عصا فى السلم وعلى قوس فى الحرب إلى أن اتخذ المنبر وكانوا يقومون على شرف ويخطبون من

قيام إلى غير ذلك من المظاهر التي كانوا يحرصون عليها في الخطابة لئتم للخطيب روعة التأثير والاقناع

معاني الخطابة في صدر الإسلام :

ومعاني الخطابة في هذا العصر لا تخرج عما عرفت من الحكمة والصدق والحق والخير والطهر .

وهي مع ذلك مرتبة منظمة صادرة عن عقليّة موهوبة مهذبة مثقفة
ففضلا عن دقتها وعمقها ووضوحها وجلالها وتأثيرها
وهذه هي التي كانوا ينهلون منه هذه الحكمة : هو القرآن الشريف والحديث
النبي الخالد .

وسمو الروح ، وعظمة الإيمان : وقوة العقيدة وجلال الغاية : كل هذه
خصائص ظاهرة لمعاني الخطابة في الإسلام
وهي مع ذلك مرتبطة بالأجزاء ، سليمة المنطق : مرتبة مهذبة واضحة
أشهر الخطباء

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلغاء كثرة رائعة عجيبة
وفي صدر الخطباء الخطيب الأول والامام الأكبر والزعيم الروحي الأعظم
محمد صلوات الله عليه ، وقد مرّ بك طرف من بلاغاته وخطابته صلى الله عليه
ومن الخطباء . أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وخالد وعبد الله بن عباس وعبد
الله بن الزبير ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاوية : وسواهم من اعلام
الخطباء والبلغاء ، رضوان الله عليهم أجمعين
ومن الخطباء المشهورين ، عطار بن حجاب بن زراره وكان الخطيب عند
النبي صلى الله عليه كما يقول الجاحظ (١)

أعلام الخطباء في العصر الإسلامي

على بن أبي طالب

المتوفى عام ٤٠ هـ

أسرته :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جده عبد المطلب
ابن هاشم سيد قريش وزعيمها وعلما المشهور
والده أبو طالب ، كان شريفا عظيما ، اشتغل بالنجارة في الجاهلية ،
ولما مات أبوه ورث عنه السقاية والرفادة . وهو الذي كفل ابن أخيه محمد
صلوات الله عليه ، وشمله بالرعاية والعون والتأييد ، ولما تعاهدت قريش علي :
مقاطعة بني هاشم وبني المطلب قال :

لويا وخصا من لؤي بني كعب	ألا أبلغا عني - علي ذات بينها -
نبيا كموسى خط في أول السكتب	ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا
ويصبح من لم ين ذنباً كذى الذنب	أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي
أواصرنا بعد المودة والفرب	ولا تتبعوا أمر الوشاة وتمقطعوا
أمر علي من ذاقه حلب الحرب	وتستجلبوا حربا عوانا وربما
لواء من عرض الزمان ولا كرب	فلسنا ورب البيت نسلم أحدا

وظل كذلك إلى أن توفاه الله عليه رحمته .

أما والدته فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشمية
ولدت هاشميا . أسلمت وهاجرت إلى المدينة وماتت في حياة الرسول .

وعلى خليفة المسلمين بعد عثمان ؛ وابن عم الرسول صلى الله عليه ، وزوج ابنته ،
والد الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، ورابع الخلفاء الراشدين وإمام الخطباء
من المسلمين بعد رسول الله

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمكة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة
(وقبل الهجرة بثان سنين)

ونشأ بها النشأة العامة ، في كنفالة الرسول كما أحد أولاده . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان متزوجاً خديجة ، وكانت ذات مال كثير ، وكان الرسول يتجر فيه فحصل له ربح وفير ، فلما أصيبت قريش بالفتح والجساعة ، قال الرسول لعمه العباس : « إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا فلنخفف من عياله : تأخذ أنت واحداً وأنا واحد ، . وكان لأبي طالب من الذكور أربعة أولاد ، كل واحد بينه وبين الذي يليه عشر سنين ، وكان أسنهم طالباً ، فعقيلاً ، لجعراً ، فعلياً : فلما جاء الإسلام أسلم على الجعفر فعقيل ، أما طالب فمات على الكفر كأيبيه . وكان لإسلام علي وهو صغير في السنة الثامنة أو العاشرة من عمره قبل أن يتدنس بشيء من رجس الجاهلية ، ولذلك قيل فيه . « كرم الله وجهه » ، لأنه لم يسجد لصنم قط .

ولما علم أبوه بإسلامه وصلاته مع الرسول قال له : « أي بني : أي شيء الذي أنت عليه » ؟ قال : « يا أبت آمنت بالله ورسوله ! وصدقت ما جاء به واتبعته » . فقال له : « أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه » .

وكان ذا منزلة سامية عند الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والمسلمين كافة كان على جانب كبير من التقوى ، وكان أوفرهم نصيباً وأكرمهم مدداً من الرسول ، ولهذا كانت إله الفتوى في حياة الرسول وبعده ، حتى ضرب به المثل بعد وفاة الرسول فقيل : « قضية ولا أبا حسن لها » . قال عبد الله بن عباس : « قسم علم الناس على خمسة أجزاء ، فكان أعلى منها أربعة ولسائر الناس جزء شاركهم فيه فكان أعلمهم به » . وقال عبد الله ابن مسعود : « كان علي رضي الله عنه أفرض أهل المدينة وأقضاهم » . يريد أعلمهم بعلم الميراث والفصل في القضايا بين الناس . ومن دلائل عبقريته أنه كان يسأل عن الأمور المشككة فيجب فيها على الهدية ويحل مشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، وكان بطلاً مقداماً ،

وفارسا شجاعا ، ونالنا من أعلام الاسلام ، كما كان خطيبا مصقعا ، وبليغا مفوها ،
ومستشارا مؤتمنا عند أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما .
ألوان من حياته :

١ — رجهاد على رضوان الله عليه في نشر الدعوة في حياة الرسول الكريم
ذائع مشهور
وتعلمون موقفه الخالد ليلة الهجرة ، وكيف نام في الموضع الذي ينام فيه
الرسول ليلة الهجرة ليفدى الرسول ، ويعتصم نحاح هجرته مع أنه كان يعلم ما يترقبه
من قتل وتعذيب .

ثم ما جر على إلى المدينة وأقام فيها مع الرسول الكريم ، يكمل ثقافته الدينية
بما يتلقاه من الرسول ، وكان من كتاب الوحي ، واشترك في غزواته ومشاهدته
ماعداء غزوة تبوك .

٢ — وتوفي رسول الله صلوات الله وولى الخلافة أبو بكر بعده خلق كثير
من المسلمون ، ولكن عليا كان كريما رائع التضحية وما يضربه من المثل العظيمة ،
فوقف مع أبي بكر يشد أزره ؛ ويسند ظهره ، ويشير عليه في المشكلات ، وتوفي
أبو بكر وتولى الخلافة عمر ، فكان على له ظهرا مميئا ، كان يشير عليه بالصواب
والرشد إذا تفاقمت الأمور واشتدت الخطوب .

ثم قام عثمان بعد عمر بالخلافة فبايعه على وظل يعاونه إلى أن تفاقمت الأمور
وقامت الثورة على عثمان ومات فيها قتيلًا ، وبروى أن عثمان كتب إلى على وهو
محاصر في داره :
أما بعد :

فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطيين ، وطمع في من لا يدفع عن
نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب ، فأقبل إلى صديقاً كنت أوعدوا :

فإن كنت ما كولا فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولما أمزق

فبعث إليه بابنیه : الحسن والحسين يدافعان عنه . ولكنهما لم يستطيعا مقاومة الجاهلین الثائرة فقتل عثمان

٣ — خلافته :

وبويع على بالخلافة بعد عثمان على كره منه سنة ٣٥ هـ فأخذ معاوية بن أبي سفيان يؤلب بنى أمية عليه لأنه لم يأخذ بدم عثمان ؛ وقد كان الثوار يوم بويع لعل مجتمعين ولم تغمد سيوفهم ، فرأى رضى الله عنه أن من الحكمة تركهم حتى تغمد نار الفتنة وتم البيعة ، ورأى معاوية أنه يجب الأخذ بدم عثمان قبل الشروع فى البيعة ؛ وانضم إليه فى هذا أهل الشام وطائفة من أهل مصر والعراق . قضى رحمه الله فى الخلافة نحو خمس سنوات من ذى الحجة عام ٣٥ هـ الى رمضان عام ٤٠ هـ .

وقد كانت الأحداث التى وقعت فى خلافته أحداثا عظيمة جعلته فى كفاح دائم وحروب مستمرة

خرجت عليه عائشة بالبصرة ومعها طلحة والزبير ، ومركة الجبل مشمورة ثم استمرت الحروب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سجالا ، ومنها موقعة صفين ثم كان أمر التحكيم الذى قبله على على كره منه ، وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى فيه .

ثم انتهى الأمر بقتل الخوارج لعل بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، رحمه الله عليه بالكوفة فى السابع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ ودفن بها وعمره ثلاثة وستون عاما وتولى بعده ابنه الحسن خلافة المسلمين ثم تنازل عنها لمعاوية عام ٤١ هـ .

نهج البلاغة للإمام على

وهو كتاب جليل ، وأثر أدبى خالد ، بعد كلام الله وكلام رسوله . جمع فيه الشريف الرضى م ٢٠٦ هـ كل ما ينسب للإمام على من خطبه

ووصايا ونصائح وحكم وأمثال ومواظب وآراء ومحاورات ورسائل وعهود ، وقيل ان الذى قام بجمعه «و الشريف المرتضى م ٤٢٦ هـ

والشيعة على أن الكتاب بحملته وتفصيله لأمير المؤمنين على ، وذهب بعض الباحثين الى أنه منحول مفترى عليه أما حجج الذين ينفون نسبته عن على فأهمها :

١ - أن فى الكتاب أقوالا شديده اللهجة فى حق بعض الصحابة كما فى الخطبة الشقشقية السابقة ولكن بعض الباحثين يؤيدون نسبة هذه الخطبة اليه

٢ - ما فى الكتاب من أفكار عميقة واصطلاحات صوفية متأخرة . واصطلاحات كلامية أيضا لم توجد فى عصره .

٣ - ما فى بعض رسائل الكتاب من طول كثير مما يدع للشك مجالا فى صحة نسبتها إلى الامام على كما فى عهد على الى الاثر النخعي .

٤ - خلو الكتب المؤلفة قبل الشريف الرضى من كثير مما فى نهج البلاغة وقد ذهب كثير من الباحثين إلى نسبة الكتاب لعلى

ولكن مما لا ريب أن بعضا مما فى الكتاب متحمل مدخول ، لاتصح نسبته إلى الامام ، ولاداعى لتفصيل القول فى ذلك ، فلهذا موضوع آخر غير هذا المكان هذا وقد تنقف بثقافة نهج البلاغة كثير من عاشق الادب ودارسيه فى القديم والحديث . ولايزل إلى اليوم من أهم كتب الادب والثقافة الدينية والعربية

والكتاب على الاسلوب نظم العبارة مصقول البيان لطيف الروح ينحدر إلى النفس بسهولة

وموضوعات الكتاب كما يقول الرضى ثلاثة : اولها الخطب والأوامر ، وثانيها . الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواظب .

ويماز مع ذلك بطوله وضخامته بأهمية ما فيه من آراء فى الاخلاق والسياسة والذين والاجتماع وبأنه ثروة فكرية وأدبية واسعة .

بلاغة على

وعلى كريم الله وجهه في الذنوة من البلاغة والفصاحة والبيان وهو أخطب الخطباء بعد رسول الله صلوات الله ولذلك أسباب :

- ١ — أسرته وبيئته ومكانهما في البلاغة
- ٢ — تأثره ببلاغة القرآن والرسول
- ٣ — كانت حياته كلها كفاح ونضال وجهاد وهذا من أهم ما يمدى على الخطابة ويدعو إليها
- ٤ — نشأته وطبعه من صغره على البيان واللسن الفصاحة
- ٥ — قوة عارضته ، وحدة ذكائه وعبقريته ، وجليل شخصيته ووجه للصراحة والرأى الواضح . وكل ذلك مما يبعث الخطابة ويعين عليها وتمتاز خطابته بخصائص كثيرة من أهمها :
- ١ — تمثيلها لحياته وشخصيته وآرائه وعقيدته في الحياة
- ٢ — بلاغة أسلوبه وإحكامه وإثرائه واستمداده من أسلوب الذكر الحديث والبلاغة النبوية الشريفة
- ٣ — دقة معانيه وإحكامها وترتيبها وجلالها وعظمة الروح فيها وعلو الافق بما لا يكون إلا لمثل على كرم الله وجهه
- ٤ — جولة ألفاظه إذا استثنينا منها هذه الألفاظ الاصطلاحية الكثيرة ويقول فيه الرضى :

كان أمير المؤمنين على عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ؛ ومنه عليه السلام ظهرت مكذوبتها ، رعه أخذت قوانينها ... من أجل هذا كان إذا خطب فهو أخطب العرب بعد رسول الله ، وإذا كتب كان أبلغ الناس قولاً وأصدقهم وصفاً وأسيرهم مثلاً رضى الله عنه

بعض آثار من كلام علي

١ - وبما قاله عليه السلام قبل موته
أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبدة لكم ، وغدا مفارقكم ، إن أبق فأننا
وله دمي ، وإن أفن فالفساء ميعادي ، وأن أغفر فالعفو لي قرينة ؛ وهو لكم
حسنة . فاعفوا واصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله ما لجأتني من الموت
وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كمتارب ورد . وطالب وجد
وما عند الله خير للأبرار

ومن دعائه عليه السلام :

اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أضام في
سلطانك ، أو أضطهد في الأمر لك

٢ - وقال من وصية لولده محمد بن الحنفية حين أعطاه الراية يوم الجمل
« تزول الجبال ولا تزول . عض على ناجذك ^(١) أعر الله جمجمتك ^(٢) تدفى
الأرض قدمك ^(٣) . أرم ببصرك أقصى القوم ، وغض بصرك ؛ واعلم أن النصر
بيد الله سبحانه »

٣ - ومن كلامه عليه السلام بصف بيعة بالخلافة ويرد على من زعم أن البيعة له
أخذت قسرا

بسطم يدي فكشفتها ؛ ومددت يدي فقبضتم ، ثم تدا كنتم على تذاك
الابل الهيم ^(١) على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النمل وسقط الرداء
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن أبتهج بها الصغير وهدج ^(٢) ، إليها الكبير ،
وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعاب .

(١) أي احرص على أن يكون الأمر لك

(٢) أي لا تشعر نفسك أن رأسك الآن لك بل أعرها الله جل ذكره وهذا

آثر قول في الاستهانة بالنفس يوم الروح

(٣) تدفعل أمر من وتد - يفتح التاء - الوتد ثبته

(٤) تدا كنتم تزاجتم والهيم جمع هيماء وهي التي برح بها العطش

(٥) هدج مشى مشية ضعف

٤ — ومن كلامه في التحريض على القتال لما أغار سفيان الاسدي على الانبار وقتل عامله عليها :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ^(١) ألبسه الله الذل ، وسياء ^(٢) الخسف ^(٣) وديث بالصغار ^(٤) . وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً ولم علاناً ، وقلت لكم أغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقر ^(٥) دارهم إلا ذلوا ؛ فتخاذلتم وتواكلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات ^(٦) .

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الانبار ، وقتل حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ^(٧) وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينزع حجلها وقلبها ورعائها ^(٨) ، ثم انصرفوا موفورين ^(٩) ، ما نال رجلاً منهم كلم ^(١٠) ولا أريق لهم دم . فلو أن رجلاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . يا عجباً كل العجب ! يا عجب يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الاحزان ، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً ترمون ولا ترون ، ويغار عليكم ولا تغيرون ، ويعصى الله فيكم ^(١) (١) رغب (كفرح) فيه أرادته . وعنه كرهه . وإليه ابتل ، ورغب (ككرم) اشتد نهجه .

(٢) علامة . (٣) الذل . (٤) ديث : وصم ، والصغار الذل .

(٥) عقر : وسط .

(٦) قال المبرد : قوله شنت عليكم الغارات يقول صبت . يقال شنت الماء وكذلك فسرها صاحب القاموس المحيط .

(٧) جمع مسالحة وهي التفر حيث يتخشى طروق العدو .

(٨) الحجل : الخيل ، انقلاب السوار ، الرعاش جمع رعشة وهي القرط .

(٩) تأمين لم ينقص منهم أحد . (١٠) جرح .

وترضون ، إذا قات أغزروهم في الشتاء قاتم هذا أو ان قر وصر (١) ، وإن قلت
لكم اغزروهم في الصيف قاتم هذه حمارة (٢) القيظ . أنظرنا ينصرم الحر عنا ،
فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال
ولا رجال ، ويا طغام (٣) الاحلام ، ويا عقول ربات الحجال (٤) والله لقد أفسدتم
على رأيي بالمصيان ، ولقد ملأتم جوفى غيظاً حتى قالت قريش : ابن أبي طالب
رجل شجاع ولكن لا رأى له في الحرب لله درهم (٥) ومن ذا يكون أعلم
بها مني وأشد لها مراساً ، فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد
نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع (يقولها ثلاثاً) ، فقام إليه
رجل ومعه أخوه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخى هذا كما قال الله تعالى : رب
إني لا أملك إلا نفسي وأخى ، فرنا بأمرك ، فوالله لننتهين إليه ولو حال دونه
جنم الغنصى وشوك القتاد ، فدعا لها بخير ، ثم قال لهما وأين تقعان بما أريد .

هـ — الخطبة الشقشقية :

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وانه ليعلم أن محلى منها محل القطب من
الرحى ، ينحدر عنى السيل ، ولا يرقى إلى الطير ، فسدلت دونها ثوبا وطويت

(١) القر بالضم : البرد ، ويوم قر بالفتح وليلة قررة كذلك باردة والقررة

بالكسرة البرد والرجل مقرر . والصر : الريح الشديدة كالصرصر .

(٢) حمارة القيظ شدته ومثلها صبارة الشتاء .

(٣) الطغام : السفلة من الناس والواحد طغامة .

(٤) الحجال جمع حجلة وهى الستر : أى ذوات الخدور كناية عن النساء
أو جمع حجل بكسر فسكون وهو الخلخال .

(٥) الدر : النفس ، واللبن ، والعمل ، والمراد من نسبة الدر إلى الله بأحد
هذه المعانى هو تعظيمه لأن الشئ إذا نسب إلى العظيم كان عظيماً .

عنها كمشحاً ، وطفقة رثى به بين أن أصول بيد جنداء ^(١) أو أصبر على طخية عمية ^(٢) يهرم فيها السكير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكمدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العيين قذى ، وفي الخلق شجاً ، أرى ترائي منها ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ، ثم تمثل بقول الأعشى :

شستان مايومى على كورها ويوم حيان أخى جبار ^(٣)

فيأعجبنا بينا هو يستقبلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشد ما تشظرا ضرعها فصيراهما في حوزة خشناء يغلظ كلها ، ويغشين مسها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ^(٤) ان أشفق لها خرم وأن أسلس لها تقحم

ففى الناس . لعمر الله بغيظ وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة ^(٥) زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى . متى اعتراض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرب إلى هذه النظائر ، لكنى أسفقت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجل منهم

(١) اليد الجنداء المقطوعة

(٢) الطخية قطعة من الغيم والسحاب

(٣) كان حيان ابن السمين نديماً للأعشى وهو في هذا البيت يشكو نفارته ما بينه وبينه فهو يسير في الرضاء على كور ناقته بينا نديمه يقيم في رفاقه العيش
(٤) الصعبة من النياق التي لم تتركب ولم ترض وأشفق الرجل ناقته إذا كسها بالذمام ؛ وخرم أى قطع أنفها .

(٥) هؤلاء الجماعة أهل الشورى هم : على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف .

لضغنه (١) ، ومال الآخر لصهره ، مسح هن وهن (٢) ، إلى أن قام ثالث القوم ،
 نالجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه (٣) ، وقام معه نبو أبيه يخضمون مال الله خضمة
 الابل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما
 واعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى ، ينشالون على كل جانب ، حتى لقد
 وطئ الحسنان ، وشق عطفاه ، مجتمعين حول كربيضة الغنم (٤) ، فلما نهضت
 بالامر نكثت طائفة ، ومرفت أخرى ، وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام
 الله حيث يقول :

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
 والعاقبة للمتقين

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حلت الدنيا في أعينهم وراقهم
 زبرجها ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام
 الحججة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا
 سغب مظلوم ، لألقيت حبلا على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ،
 ولا لفيتم دنياكم هذه عندي من عطفة عز .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد ، عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته
 فناوله كنانا فاقبل ينظر فيه ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ، يا أمير المؤمنين

(١) صغا : مال وهذا الذي يرى على رضي الله عنه أنه صغا لضغنه هو طلحة
 ابن عبيد الله والذي مال لصهره هو عبد الرحمن بن عوف وكان زوجا لأخت
 عثمان رضي الله عنه

(٢) هن من الالفاظ التي يكتنى بها عن شيء يجب ستره

(٣) نالجا حضنيه أى رافيا لها ، والحضن ما بين الابط والكشح والنثيل
 الروث والمعتاف موضع العلف

(٤) ربيضة الغنم القطعة الرابضة منها

لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت ا فقال هيات يا ابن عباس اتلك شقشة (١)
هدرت ثم قرث ، قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا
الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

حول هذه الخطبة

وينكر كثيرون هذه الخطبة لما تشتمل عليه من اتهام للخلفاء الثلاثة رضوان
الله عليهم بما لا يصدر مثله عن أمير المؤمنين على رحمة الله مع جلاله وعفته وتساعده
وفرط أدبه وفضله وكرمه

٦ — ومن الحكم لعلى بن أبى طالب :

إيمان المرء يعرف بإيمانه . أدب المرء خير من ذهبه . أداء الدين من الدين .
أحسن إلى المسىء تسد . إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب . أخوك من واصلك
بنشب لا من واصلك بنسب . بشر نفسك بالظفر بعد الصبر . بركة المال فى أداء
الزكاة ، بيع الدنيا بالآخرة تبيع . بكاء المرء من خشية الله تعالى قرة العين . باكر
تسعد . بطن المرء عدوه . بركة العمر حسن العمل . بلاء الإنسان من اللسان .
بشاشة الوجه عطية ثانية . توكل على الله يكفيك . تدارك فى آخر العمر ما فاتك
فى أوله . تكاسل المرء فى الصلاة من ضعف الإيمان . تفاؤل عن المكروه توفر .
ثمة الدين موت العلماء . ثبات الملك بالعدل . ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا .
ثناء الرجل على معطيه مستزيد . جد بما تجد . جولة الباطل ساعة وجولة الحق
إلى قيام الساعة . جودة الكلام فى الاختصار . جليس المرء مثله . جليس المرء
غنيمة . جالس الفقراء تزد شكرا . جل من لا يموت . حياء المرء ستره .
حوضات الطعام خير من حوضات الكلام . خف الله تأمن غيره . خالف
نفسك تسترح . خير الأصحاب من يدلك على الخير . خليل المرء دليل عقله .
خوف الله يجلو القلب . خلو القلب خير من ملء الكيس . خير المال ما أنفق فى
سبيل الله . دليل عقل المرء فعله ودليل علمه قوله . درام السرور برؤية الإخوان

(١) الشقشة ما يخرج البعير من فيه إذا هاج .

دولة الأرذال آفة الرجال . دين الرجل حديثه . دولة الملوك في العدل . دار من جفاك تغجيلا . دم على كظم الغيظ تحمد عواقبك . ذنب واحد كثير وذكر وألف طاعة قليل . ذكر الأولياء ينزل الرحمة . ذليل الخلق عزيز عند الله . ذكر الموت جلاء القلب . ذكر الشباب حسرة . رؤية الحبيب جلاء العين . رفاهية العيش في الأمن . رسول الموت الولادة . زيارة الحبيب إطراء المحبة . زوايا الدنيا مشحونة بالزبايا . زيارة الضعفاء من التواضع . زينة الباطن خير من زينة الظاهر . سيرة المرء تنبئ عن سريره . سمو المرء التواضع . شين العلم العساف . شمرؤا في طلب الجنة . شريك ناعيك . شحيح غنى أفقر من فقير سخى صدق المرء نجاته . صحة البدن في الصوم . الصبر يورث الظفر . صلاة الليل بهاء النهار . صلاح الانسان في حفظ اللسان . صاحب الاختيار تأمن الاشرار . صمت الجاهل ستره . صلاح الدين في الورع وفساده في الطمع . ضل سعى من رجا غير الله تعالى . ضرب الحبيب أوجع . ضل من ركن إلى الاشرار . طاب من وثق بالله . طلب الادب أولى من طلب الذهب . ظلم المرء يصصره ظلامه المظلوم لا تضيع . ظمأ المال أشد من ظمأ الماء . ظل عمر الظالم قصير وظل عمر الكريم فسيح . عش قنعاً تكن ملكاً . عيب الكلام تطويله . عاقبة الظالم وخيمة . غدرك من ذلك على الاسامة . فاز من ظفر بالدين . فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله . فاز من سلم من شر نفسه . فسدت نعمة من كفرها . قبول الحق من الدين . كلام الله دواء القلب . كفران النعمة مزيلها . كفى بالثيب داء . كمال العلم في الحلم . لين الكلام قيد القلوب . من كثر كلامه كثر ملامه . مجلس العلم روضة من رياض الجنة . مصاحبة الاشرار ركوب البحر . نسيان الموت صدأ القلب . نعم آمنا تكن في أممـد الفرش . نصرة الوجه في الصدق . ولاية الاحق سريعة الزوال وحدة المرء خير من جليس السوء . هم السعيد آخرته وهم الشقي دنياه . هلاك المرء في المعجب . هربك من نفسك أنفع من هربك من الأسد . لادين لمن لا مروءة له . لا فقر للعاقل . يعمل النعمان في ساعة فتنة أشهر . يسود المرء قومه بالاحسان إليهم

٧ - ومن روائع الحكم ودرر الكلام من كلام علي بن ابي طالب

الدين يعصم . الدنيا تسلم ، الصيانة رأس المروءة . الحق سيف قاطع . العجب عنوان الخفاقة . البشاشة جبل المودة . الارتقاء إلى الفضائل صعب . الانحطاط إلى الرذائل سهل . السكوت عن الآحق جوابه . إمام عادل خير من مطر وابل . الخس حتى وإن نقل إلى منازل الاموات . العاقل إذا سكنت ففكر وإذا انطق ذكر وإذا نظر اعتبر . الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر . إنجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله ، أحسن الجود عفو بعد مقدرة ، بركوب الاهوال تكسب الاموال ، بالسخاء يستر العيوب ، تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه ، ثوب التقى أشرف الملابس ، ثوب الآخرة ينسج مشقة الدنيا ، ثروة العاقل في علمه وثروة الجاهل في ماله ، ثلاث يوجبن المحبة الدين والتواضع والسخاء . جهاد النفس أفضل الجهاد . حسن الأدب يستر قبح النسب . حلالوه الظفر تمحو مرارة الصبر . حد اللسان يقطع الأوصال . خير البناء ماجرى على السنة الاخيار . دوام الفتن من أعظم المحن رب سكون أبلغ من كلام . زلّة العالم كانه كسار السفينة تفرق وتغرق معها غيرها . زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة . سلاح اللثام قبح الكلام . سمع الأذن لا ينفع مع غفلة القلب . شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً شيئاً لا يعرف فضلهما إلا من فقد هما الشباب والعافية سميت حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت . صوم النفس عن لذات الدنيا أفضل الصيام . صدر العاقل صندوق سره . ضع فخرك وأحطط كبرك وكما تزرع تحصد وكما تدين تدان . ضعف البصر لا يضر مع استنارة البصيرة . طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه ومن ملك هواه ولم يملكه . طلب البناء بغير استحقاق خرق . ظن العاقل أصبح من يقين الجاهل . ظرف الرجل تنزهه عن المحارم ومبادرته إلى المسكارم . عليك بالآخرة تأتاك الدنيا صاغرة . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . عجيب لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء . عجيب لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . عبد المطامع أسير لا يفك أسره . عاشق أهل الفضائل تابل . عداوة الأقارب أمس من اسع العقارب . غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . غنى المؤمن بالله . غنى العاقل في حكمته . غنى الجاهل في قنيتة . في الذكر حياة القلوب . في رضا الله نيل المطلوب في الدنيا عمل ولا حساب وفي الآخرة

الحساب ولا عمل . في الاستشارة عين الهداية . فقد البصر أهون من فقد البصيرة . قد يبعد القريب . قد يلين الصليب . قلة الأكل تمنع كثيرا من ألال الجسم . قل الحق وإن كان عليك . قليل الحق يدفع كثير الباطل كما أن قليل النار يحرق كثير الخطب . كل طير يأوى إلى شكله ، كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا العلم فإنه يتسع ، كم يفتح بالصبر من غلق . كيف ينجو من الله هارب . كيف يسلم من الموت طالبه ، كن عالما ناطقا أو مستمعا واعيا ، كلام الرجل ميزان عقله ، كلما قاربت أجلا فأحسن عملا ، وليس من عادة الكرام تأخير الانعام ، للشدائد تذخر الرجال ، من توفر وقر ، ومن تسكبر حقر ، من استشار العاقل ملك ، من استبد برأيه هلك ، ما حقر نفسه إلا عاقل . ما أعجب برأيه إلا جاهل ، نعم الادم الجوع ، هدى من أطاع ربه ، وخاف ذنبه ، هلك أو رآه لا يعرف قدره ، هانت عليه نفسه من أمر عليه لسانه ، وقروا كباركم توفركم صغاركم ، وقار الشيب أجمل من نضارة الشباب ، لا تثقن بعمد من لا دين له ، لا تعد ما تعجز عن الوفاء به ، لا تثق بمن يذيع سرك ، لا يسترقك الطمع فقد جملك الله حرا . يستدل على الكريم بحسن بشره وبذل خيره يستدل على إدبار الدول بأربع : تضييع الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأبدال وتأخير الأفاضل ، يبلغ الصادق بصدقه مالا يبلغه الكاذب باحتياله

٨ — وعن علي بن أبي رافع ، قال: كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكتابه ، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة فأرسلت إلى بنت علي بن أبي طالب فقالت لي : إنه قد بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهو في يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في يوم الأضحى ، فأرسلت إليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يابنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه . فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ، فقالت : استعمرته من أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأنزني به في العيد ثم أردته ، فبعثت إلى .

أمير المؤمنين فحسنته فقال لى : أنتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ، فقلت معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بعير لى ورضاهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنها بنتك وسألتنى أن أعيرها تتزين به ، فأعرتهم — إياه عارية مضمونة مردودة عل أن ترده سالما إلى موضعه . فقال : رده من يومك وإياك أن تعود إلى مثله فتتالك عقوبتى إلى مثله ثم قال ويل لابتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت لى هاشمية قطعت يدها فى سرقة . فبلغت مقالته ابنته فقالت له يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فن أحق بابسه منى فقال لها : يا بنت ابن أبى طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين والانصار يتزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا فقبحضته منها ورددته إلى موضعه .

ووصف على رضى الله عنه الدنيا وقد سئل ذلك ، فقال .
وما أضف لك من دار أولها عناء وآخرها فناء ، من صبح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فتن ، حلالها حساب وحرامها عذاب (١)
وراجع وصف على رضى الله عنه لرسول الله (٢)
وراجع وصف ضرار الصدائى لعلى رضى الله عنه وقد طلب منه ذلك معاوية (٣)
ووصف الحسن البصرى لعلى بن أبى طالب (٤)
وجواب على رضى الله عنه لمن سأله عن الإيمان (٥)
وصيغة صلاته على النبي صلى الله عليه وكان يعلمها أصحابه (٦)
وقد سبق ذكر كثير من آثاره فى نماذج الخطابة والنثر الفنى

(١) ٢/١٢٦ الأمالى

(٢) ٢/٦٩ الأمالى

(٣) ٢/١٤٧ الأمالى

(٤) ١٧٠ و ١٩٤ النوادر - الأمالى

(٥) ١٧١ النوادر

(٦) ١٧٣ النوادر

الامام على والشعر

وينسب لامسبير المؤمنين على رضى الله ديوان شعر كبير ، وهو مطبوع متداول ، ونسب إليه ابن رشيقي شمرأ في الجزء الاول من العمدة .
والحق أن أكثر ما ينسب لعلى من الشعر منتحل ، وأنه لم يفرغ للشعر ولم يؤثر عنه إلا القليل منه .

وليس بمعقول أن يكف ليبد عن الشعر ويخوض فيه مثل الامام على كرم الله إلى هذا الحد الذى يصوره لنا الديوان المنسوب إليه .

هذا وأكثر ما ينسب لعلى تصح نسبته لغيره ولاداعى للأفاضة في ذلك كله ، وان كان جمل شعره في الزهد والحكمة والموعظة ، وما نسب إليه قصيدة طويلة سموها القصيدة الزينية ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب
وبما نسب اليه قوله يرثى النبي صلى الله عليه وسلم :

أمن بعد تكفيني النبي ودفنه	بأثوابه آسى على هالك ثوى
رزنا رسول الله فينا فلن نرى	بذاك عديلا ماحيينا من الورى
لقد غشيتنا ظلمة بعد موته	نهارا فقد زادت على ظلمة الدجى
وكنا برؤياه نرى النور والهدى	صباحا مساء راح فينا أو اغتدى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا	ويا خير ميت ضم التراب والثرى
كان أمور الناس بعدك ضمنت	سفينة نوح حين في البحر قد سما
وضاق فضاء الارض عنهم برحمته	لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
فقد نزلت بالمسلمين مصيبة	كصدع الصفا لشعب للصدع في الصفا
فلن يستقل الناس تلك مصيبة	ولن يجبر العظم الذى منهم وهى
وفى كل وقت للصلاة يهيجها	بلال ويدعو باسمه كلما دعا
ويطلب أقوام مواريث هالك	وفينا مواريث النبوة والهدى

وقوله :

لقد خاب من غرته دنيا دنية	وما هي ان غرت قرونا بطائل
وقلت لها غري سواي فاني	عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فان محمداً	رهين بقفر بين تلك الجنادل
وهيها أتلتنا بالكنوز ودرها	وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعا للفناء مصيرها	وتطلب من خزانها بالطوائل
فغري سواي اني غنير راغب	لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسي بما قد رزقته	فشأئك يادنيا وأهل الغوائل
فاني أخاف الله يوم لقائه	واخشى عقابا دائما غير زائل

عمر بن الخطاب

نسبه وأسرته ونشأته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى . وأمه بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم .
ولد لثلاث عشرة سنة مضت من ميلاد الرسول صلوات الله عليه -
عام ٥٨٤ -

ونشأ في مكة شجاعاً ألياً بطلاً صريحاً لا يرى فيما يعتقد أنه الحق هوادة ولا مجاملة ، وكان يسفر بين قريش وقبائل العرب .

ثم بعث الرسول صلوات الله وسنة ٢٧ سنة ، وحارب الاسلام حرباً شديدة ثم أسلم وأعلن إسلامه في العام السادس من البعثة وهاجر بعد الرسول صلوات الله عليه في غير خيفة أو خفية . وحضر مع الرسول صلى الله عليه غزواته كلها . وكان يستمع لمشورته ورأيه ، وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين لرسول الله . وقد صاهره الرسول فتزوج بنته حفصة ، ولما مات الرسول كان امر الفضل في إعلان البيعة لأبي بكر ، فكان لأبي بكر بمنزلة الوزير الأول يشير عليه ويعينه ، وكان أبو بكر يحيل عليه الفصل في القضايا والمشكلات .

خلافته :

وتوفي أبو بكر عام ١٣ هـ ، وكان قد عهد بالامر بعده إلى عمر ، وكان بدء خلافته يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣ هـ = ٢٣ أغسطس ٦٣٤ م .
وفي عهده زادت الفتوحات الاسلامية ، وانتشرت الدعوة الاسلامية في الشرق والغرب ، وانتصر المسلمون على فارس والروم انتصارات ساحقة . ومصرت الكوفة والبصرة ودونت الدواوين .

وكان مثلاً أعلى في العدالة والديمقراطية والتفاني في إعزاز كلمة الاسلام

ورفع شأن المسلمين، وكان مثالا للرحمة والبر والعطف على الرعية والصرامة
في الحق والجند في نشر الاسلام .
وقتل عليه رضوان الله عام ٢٣ هـ
بلاغة عمر :

كان عمر أديبا يتذوق الادب وينقد الشعر ، ويروى المأثور من
بلاغة الجاهليين .
وكانت له آراء دقيقة في نقد الشعر ، كما كانت له مواقف كريمة في رعاية
الشعراء وتوجيههم وتشجيعهم .
وله بعض المأثور من الشعر بما سجل صاحب العمدة وسواه آثاراً منه .
وله كثير من الخطب والرسائل والوصايا والنصائح ، والكلمات الحكيمة
والامثال الذائعة والآراء الحصيفة .
وكان رحمه الله خطيباً بليغاً ومفوهاً مؤثراً ، قوى الحججة شديد العارضة رائع
الأسلوب والديباجة تنبع معانيه من ينابيع الحكمة والنبوة ، وتنوع موضوعات
خطابته بحسب المقامات والاحوال .
وقد مر بك الكثير من نماذج نثره في الخطب والوصايا والنصائح والحكم .
وهالك آثاراً قليلة أخرى لهذا العبقرى العظيم :

من خطبة له لما بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله ،
فوثب مغضباً حتى صعد المنبر ، لحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال :

أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر : إنه لما توفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبغيرها ^(١) ، فأجمع رأينا كلنا أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة ، يمدّه الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم
فالزم بيتك ومسجدك ، فانه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر الصديق
أوكلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال والله لأن آخر ^(٢) من السماء ، فتخطفتنى
الطير أحب إلى من أن يكون هذا رأيي . ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها من كان يعبد محمداً
فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . أيها الناس : أئن
كثر أعدائكم ، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله
هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعد الصديق . بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ^(٣) فإذا هو زاهق ^(٤) . وكم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين ، والله يا أيها الناس لو أفردت من جميعكم
لجاهدتم في الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذراً ^(٥) أو أقتل قتلاً . والله أيها الناس

(١) أى منعت زكاتها .

(٢) أسقط .

(٣) دمه : أصاب دماغه .

(٤) زهق الشئ : هلك ، والباطل : الضمحل .

(٥) يقال أبلاه عذراً : قدمه إليه فقبله . والمعنى هنا فعل ما يعذر معه أى لم يقضه .

لو منعوني عقالا لجاهدتهم^(١) عليه، واستعنت الله عليهم وهو خير معين^(٢)؛ ثم نزل:
لجاهد في الله حق جهاده حتى أذعن العرب بالحق.

وقد سبق لعمر كثير من الآثار في نماذج النثر الفني والخطابة^(٣)

(١) عقال : زكاة عام من الإبل والغنم وقيل العقال الحبل الذي تعقل به
الفريضة فكان يعطى معها.

(٢) وقد تقدمت هذه الخطبة لأبي بكر في صفحة ١٢١

(٣) راجع ص ٧٢ و ٧٦ و ٨٠ و ٨٥ و ١٠٩ و ١١٠ من هذا الكتاب

بعض مواقف عمر من الشعراء

١ — عمر وأبو كلاب بن أمية *

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر ابن الخطاب، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فسألها : أى الأعمال أفضل فى الاسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فاغراه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ، فأنهت أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قلت ؟ أبلاني	ريب المنون وهذان الجديدان (١)
لما ترى حجري قد رك (٢) جانبه	فقد يسرك صلبا غير كذبان (٢)
لما ترىنى لا أمضى إلى سفر	إلا معى واحد منكم أو اثنان
يا ابنى أمية ، إني عنكما غانى	وما الغنى غير أئى مرعش فانى
يا ابنى أمية ، إلا تشهدا كبرى	فان نايكما والشكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى (٤) ثلاثنا	وإذ فراقكما والموت سيان
أصبحت هزه الراعى الضأن أعجبه	ماذا يريك منى راعى الضان ؟
انعق بضائك فى نجم (٥) تحفره	من الأباطح واحبسها بجمدان (٦)
إن نرع ضائنا فانى قد رعيتهم	بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى
فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :	

لمن شيخان قد نشدا كلاهما كتاب الله إن رقب الكتابا

* المحاسن والمسارى ص ٥٨٨ طبع لبيزج ، ذيل الأمالى ص ١٠٨ ،
 (١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك . ضوف (٣) الكذبان : الرخو
 (٤) الأحوى : الأسود (٥) النجم : ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان
 جبل بطريق مكة وواد .

نفض مده شققا عليه ونجبه أبا عرنا^(١) الصعابا
 إذا هتفت حمامة بطن واد على بيضاتها دعوا كلابا
 تركت أباك مرعشة يداها وأملك ما تسيف لها شرابا
 أنادي به وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا
 فان مهاجرين تكنفاه لبتك شيخه ؛ خطئا وخابا
 وإن أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا^(٢) طرابا
 إذا بلغ الرسم^(٣) فكان شدا^(٤) يخر ، فخالط الذقن الترابا
 فبلغت أياته عمر فلم يرد كلابا ، فاهتز أمية واختلط^(٥) جزعا عليه ، وتغنت
 الركبان بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول .

أعمرك ما تركت أبا كلاب كبير السن مكتثبا مصابا
 وأما لا يزال لهسا حزين تنادي بعد رقتها كلابا
 لكسب المال أو طلب المعالي ولستكنى رجوت به الثوابا
 ثم أتاه يوما وهو في مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والانصار ، فوقف
 عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عدلت بغير علم ولا تدرين عاذل ما ألاق
 فاما كنت عاذلتى فردى كلابا إذ توجه للعراق
 ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق
 فلا والله ما باليت وجدى ولا شمتى عليك ولا اشتياق

(١) جمع بعير .

(٢) الشسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس ضمراً .

(٣) الرسم : سير الأبل

(٤) الشد . الحضر والعدو (٥) فسد عقله

سأستعدي على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتساق
وأدعو الله بمجتهداً عليه بيطن الأخشبين^(١) إلى دفاق^(٢)
فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن رحل كلاباً ،
فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وأكفيه
أمره ، وكنت أعتمد — إذا أردت أن أحلب لبناً — أغزر ناقة في إبله وأسمها
فأسقيه .

فبعث عمر إلى أميه من جاء به إليه . فأدخله يتهادى ، وقد ضعف بصره وانحنى
فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك
من حاجة ؟ قال : نعم : أشتى أن أرى كلاباً ، فأشمه شمة ، وأضمه ضمة قبل أن
أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل ؛
فناوله عمر الإناء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه ، قال :
نعم والله يا أمير المؤمنين ، لاقى لأشم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال :
هذا كلاب عندك حاضراً قد جشاك به . فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل
عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب ألزم أباك لجاهد فيهما ما بقيا
٢ — عمر وأبو محجن الثقفي :

كان أبو محجن^(٣) الثقفي من المعاقرين للخمر ، المحدودين في شربها ، أقام

(١) الأخشبان ، جبلا مكة ، أبو قبيس والاحمر ، وجبلا منى

(٢) دفاق ، موضع أو واد .

٥ المذهب ص ٤٨ ج ٢ ، الخزانة ص ٥٥٣ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٨ ج ٢٠

السكامل لابن الأثير ص ٢٣٢ ج ٢ ، المسعودي ص ٤٢٣ ج ١

(٣) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وسمع من النبي صلى

الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان جواداً كريماً من الفرسان المشهورين

في الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ

دليه عمر بن الخطاب الحارثي مراراً، ودو لا ياتهي، فنفاه إلى جزيرة في البحر، وبعث معه حرسياً (١) فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص، وهو في حربه مع الفرس — وكانت حرب القادسية.

ولما بلغ عمر كتب إلى سعد بحبسه، فحبسه في القصر، وتطلع أبو محجن إلى الحرب، فرآها مشتهلة، فذهب إلى سلمى بنت أبي حفص زوج سعد، فقال لها: هل لك في خير؟ قالت: وما ذاك أقال تخلين عني وتعينيني بالبقاء (٢)، فله على إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى تضحي رجلي في قيدي، فقالت: وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

كفى حزنًا أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك شدودا على وثاقيا
إذا قتت عناني الحديد وغلقت مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة فقد تكوني واحدا لا أخاليا
وقد شف جسمي أني كل شارق (٣) أعالج كبلا (٤) مصتما قد برانيا
فله دري يوم أترك مؤثقا وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيسا عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس (٥) بعهدده لئن فرجت ألا أזור الحوانيا (٦)
فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقتك:

فاقتاد أبو محجن الفرس؛ وأخرجها ثم وكسها، ودب عليها، وفي ذلك اليوم أظهر من شجاعته عجباً. ولما تجاوز أهل العسكرين أقبل أبو محجن حتى دخل القصر، ووضع نفسه عن دابته، وأعاد رجليه في القيد وقال:

لقد علمت ثقيف غير نحر بأنا نحن أكرمهم سيوفا

(١) الحرسى، واحد حرس السلطان.

(٢) البقاء، فرس سعد بن أبي وقاص.

(٣) أصل الشارق: اليوم الذي فيه الشمس، والمراد كل يوم.

(٤) السكيل القيد (٥) خاس بالعهد، غدر ونكث.

(٦) الحانية: الدكان.

وأكثرهم دروعا سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوف
فإن أحبس فقد عرفوا بلأني وإن أطلق أجرعهم حتوفا
فقلت له سلى : يا أبا محجن ، في أى شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما
والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب في الجاهلية
وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فينفثه أحيانا ، فحبسنى لأنى قلت :
إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنى بالفلاة (١) فأننى أخاف إذا مامت أن لا أذرقها
فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أنى محجن ، فدعاه وأطلقه ، وقال . اذهب فإنا
أنا مؤاخذك بشيء تقول حتى تفعله ، فقال . والله لا أجهت لسانى إلى قبيح أبداً
٢ — عمرو الخطيئة والزبرقان بن بدر

قدم الزبرقان على عمر في سنة مجدية ، ليؤدى صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة
بقرقرى (٢) ، ومعه ابنه أوس وسواده وبناته وامراته ، فقال له الزبرقان — وقد
عرفه ولم يعرفه الخطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة ،
قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلاً يكفينى مشونة عيالى ،
وأصفيه مدحى أبداً .

فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لبنا وممرا ، ويجاورك
أحسن جوار وأكرم ؟ فقال الخطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو
هذا كله ، قال فقد أصبته ، قال : عند من ؟ قال : عندى ؛ قال ومن انت ؟
قال . الزبرقان بن بدر . قال . وأين محلك ؟ قال : أركب هذه الابل ، واستقبل
مطلع الشمس ، وسل عن القبر (٣) حتى تأتى منزلى .

(١) الفلاة . الأرض المملوكة .

الآغاني ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب
ص ٢٢٧ ، ابن أبي الحديد ص ١٠٣ ج ٣ ، الكامل ص ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١
(٢) قرقرى : أرض بالهامة فيها قرى وزورع كثيرة ونخيل .

(٣) الزبرقان . البدر ، وسمى به الحصين بن بدر الحسنة ، وكان رسول الله
قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر ، توفى أيام معاوية
سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً .

ثم كتب إلى أمه ، وكان اسمها أم شذرة : أن أحسنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وكان الخطيئة دميما سي الخلق ، لا تأخذه العين ، ومده عيال كذلك ، فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها ، وقصرت ^(١) به .

ونظر بغيض ^(٢) وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن اتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذي أحل علي صاحبها ذنبا ، فلما ألح عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره ، فان تركت وجفيت تحوات اليكم ، فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً .

فلما لم يجهم دسوا إلى هنيدة زوجة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته ، ليسكة — وكانت جميلة كاملة — فظهرت من المرأة للخطيئة جفوة ، وهي في ذلك تداريه ، ثم أرادوا النجعة ^(٣) ، فقالت له أم شذرة : قد حضرت النجعة ، فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم رده إلينا حتى نلحقك ، فانه لا يسعنا جميعا ، فأرسل إليها : بل تقصدي أنت . فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وتناقلت عن رده إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه ، وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه أجابهم ، فقال : أما الآن فنعم ! أنا صائر معكم ، وتحمل معهم . فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طناب من أطناهم جلة ^(٤) هجرية ، وأراحوا ^(٥) عليهم إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لقاحاً ^(٦) وكسوة .

(١) قصرت به . لم تسكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

(٢) كانت بغيض وأنف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف ، وكانوا أشرف من الزبرقان إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه .

(٣) النجعة : طلب السكلا في موضعه .

(٤) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه .

(٥) إراحة الابل : ردها في العشى .

(٦) اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فركب فرسه ، وأخذ ربحه ، وسار حتى وقف على نادى القرعيين ، فقال : ردوا على جارى افعالوا : ما هو لك بجار ، وقد اطرحتة وضيعته ، فألم (١) أن يكون بين الحيين حرب ؛ فحضرهم أهل الخبجا من قومهم ، ولاموا بغيضا وقالوا : أردد على الرجل جاره ، فقال : لست مخرجه وقد آويته ، وهو رجل حر مالك لأمره ، فخيروه ، فان اختارنى لم أخرجه ، وإن اختاره لم أكرهه .

فخيروا الخطيئة فاختر بغيضا ورهطه ، فجاء الزبرقان ووقف عليه ، وقال له : أبا مليكة ، أفارقت جوارى عن سخط وذم ؟ قال : لا ، فانصرف وتركه . وجعل الخطيئة يمدح القرعيين من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول . لا ذنب للرجل عدى ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط فهبجا بغيضا ، فقال .

أرى ليلى يخوف المساء حلت	وأعوزها به المساء الرواء (٢)
وقد وردت مياه بنى قريع	فما وصلوا القرابة مذ أساموا
تحلا (٣) يوم ورد الناس ليلى	وتصدر وهى مخنقة (٤) ظاء
ألم أك جار شماس بن لآى	فأسلمنى وقد نزل البلاء
فقلت . تحولى يا أم بكر	إلى حيث المعكأرم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوف	تعالى سمكه ودحا الفناء (٥)
وما أضحى لشماس بن لآى	قديم فى الفعال (٦) ولا رباء (٧)
سوى أن الخطيئة قال قولا	فهذا من مقالته جزاء

(١) ألم . قرب (٢) الرواء . الكثير .

(٣) تحلا . تمنع (٤) مخنقة . ضامرة

(٥) دحا الفناء . عظم واتسع

(٦) الفعال . اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه

(٧) الرباء . الطول والمنة والفضل

فحينئذ قال الخطيئة يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها :

والله مامعشر لاموا امرأ جنباً ^(١) ما كان ذنب بغيض ، لا أبالكتم ،
لقد مريتكم ^(٢) لو أن درتكم ^(٣) وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم
لما بدالى منكم عيب أنفسكم أزمنت ياسا ميينا من نوالكم
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا جاراً لقوم أطالوا هون من ناله
ملوا قراه وهرته ^(٤) كلاهم دع المكارم لا ترحل لبغيتهم -
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

في آل لاي بن شماس بأكياس ^(٥) في بئس جاء يحدو آخر الناس
يوما يحى بها مسحى وإبساسى ^(٦) كيما يكون لكم متحى ^(٧) ولمراسى ^(٨)
ولم يكن لجراحي فيكم آسى ولن ترى طارداً للحجر كالياس
ذا فاقة حل في مستوعر شاسى ^(٩) وغادروه مقيماً بين أرماس ^(١٠)
وجرحوه بأنياب وأضراس واقعدفانك أنت الطاعم ^(١١) الكاسى
لا يذهب العرف بين الله والناس

(١) الجنب : القريب

(٢) جمع كيس : اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه

(٣) مرى الناقة يمرىها : مسح ضرعها ، والمراد مدارانهم ومدحهم ليدروا عليه بالعطاء

(٤) الدرة اللبن

(٥) الإبساس : أن تدعو الناقة باسمها وتلاطفها لتدر

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليحذب الدلو

(٧) الامراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزلق منها

(٨) المستوعر : المسكان الوعر ، والشاسى : المسكان الغليظ المرتفع

(٩) الرمس : القبر وجمعه أرماس ، والهون : المذلة : أى تركوه كالميت

(١٠) هرته الكلاب : نبحته . وهو كناية عن أن كان غريباً مضطهداً بينهم

(١١) الطاعم المطعوم . وانكاسى . المكسو

ما كان ذنبى أن فلت معاولكم من آل لاي صفاة^(١) أصلها راسى
قد ناضلوك فسلوا من كائنهم بجدا تليدا ونبلا غير أنكاس^(٢)
فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمرا اليه واستنشد فأنشده ،
فقال عمر . ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروتى إلا
أن آكل وألبس ، فقال عمر . على بحسان ، لحن به ، فسأله : فقال . أتراه هجاء ؟
قال . نعم وسليح عليه ! فحبسه عمر ، فقال فى الحبس .

أعوذ بجدك إني امرؤ سقتنى الأعداى اليك السجلا^(٣)
فانك خير من الزبرقان أشد نكالا وأرجى نوالا
تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا
ولا تأخذنى بقول الوشاة فان لكل زمان رجلا
فان كان ما زعموا صادقا فسيقت اليك نسائي رجلا^(٤)
حواسر لى يشتكين الوجا^(٥) يخفضن آلا^(٦) ويرفعن آلا
فلم يلتفت عمر اليه ، حتى قال

ماذا تقول لأفراخ بنى (٧) مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
أفقيت كاسهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألفت إليك مقاليد النهى اليشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(٨)

(١) الصفاة . الحجر الصلد الضخم لا يذبت (٢) أنكاس . جمع نكس ، وهو
أضعف السهلام ، ومعنى البيت . أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين
التخليّة ، وجز الناصية والأسر ، فان اختار جز الناصية جزوها له وخلصوا سبيله ،
ثم جعلوا ذلك الشعر فى كائنهم ، فاذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم
(٢) السجلا . جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة (٤) جمع رجلة ، أى راجله
(٥) الوجا . الحفا وقيل شدته (٦) الآلا . عمد الخيمة (٧) ذو مرخ . واد بالحجاز
(٨) الأثر ، واحدها أثر ، ومعناها الاستئثار والمكرمة

فامتن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بهـ القرر^(١)
 أهلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية^(٢) يعنى بها البصر
 فبكى عمر حين قال : « ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ » : فقال عمرو بن العاص
 ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيثة فقال
 عمر : على بالكرسى ، فأتى به ، فجلس عليه ؛ ثم قال ، أشيروا على فى الشاعر فانه
 يقول الهجر ، وينسب بالحرم ، ويمدح الناس ويذمهم . بغير ما فيهم . ما أراى إلا
 قاطما لسانه ، ثم قال ، على بالطست ، فأتى بها ثم قال ، على بالمخصف^(٣) ، على
 بالسكين ، لابل على بالموسى فهو أوحى^(٤) ، افضج الحطيثة وقال ، إني والله يا أمير
 المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامراتى ونفسى ؛ فتبسم عمر ، ثم قال . ما الذى
 قلت ؟ قال ، قلت لأبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتى وأبأ بنيك فسمانى فى المجلس
 وقلت لأبى خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
 وقلت لأمى خاصة

تنهى واجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
 أغربالا^(٥) إذا استودعت سرا وكانونا^(٦) على المتحدثينا ؟
 حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
 وقلت لامراتى

أطوف ما أطوف ثم آتى إلى بيت قعيـ دته لكاع
 وقلت لنفسى

أبنت شفتاى اليوم إلا تكلم بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
 أرى لى وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

(١) القرر . جمع قرة ، وهى البرد (٢) الداوية ، الفلاة الواسعة
 (٣) المخصف ، مخز الاسكافى (٤) أوحى . أسرع (٥) الغربال . النمام
 (٦) الكانون . الثقل من الناس ، وقيل الكانون ، الذى يجلس حتى
 يحصى الأخبار والأحاديث

فقالوا : لا يعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه أن قل : لا أعود ، فقال ،
لا أعود يا أمير المؤمنين ، فقال له النجاء ثم قال له عمر : يا حطيئة كباأني بك عند
فقي من قریش ، قد بسط لك نمرقة (١) ، وكسر لك أخرى وقال . غننا يا حطيئة ،
فطفقت تغنيه بأعراض الناس (٢)

قال ابن أسلم : لما أنقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد
بسط له نمرقه ، وكسر له أخرى وقاية : غننا يا حطيئة ، فجعل يغنيه ، فقلت له :
يا حطيئة أتذكر قول عمر ؟ ففرغ وقال . يرحم الله ذلك المرء أما أنه لو كان حياً
ما فعات !

عمر والشعر

وكان عمر رضى الله عنه :

- ١ — راوية للشعر يتمثل به في كثير من مواقفه
- ٢ — بل كان شاعرا روى صاحب الممثلة والمقد بعض آثاره ، وروى عنه
« روى أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » (٣)
- ٣ — وكان ذا بصر بالشعر ونقده وفهمه .
- ٤ — وكان يحنو على الشعراء ويكافئهم ويوجههم إلى الخير ويرشدهم إلى حفظ
أعراض المسلمين وشرفهم وكرامتهم
وكتب الأدب مشحونة بكثير من الروايات الأدبية حول ذلك

(١) النمرقة الوسادة .

(٢) يروى أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة
فاشتري منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة في ذلك

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتما يضر ولا مديحا ينفع
ومنعني عرض اللائم فلم يخف ذمى وأصبح آمنا لا يفرع

(٣) ٢١٢ ج ١ البيان والتبيين

قال عمر بن الخطاب :
 امرؤ القيس سابق الشعراء ، خشف^(١) لهم عين شعر فافتقر^(٢) عن معان
 عور^(٣) أصبح بصر^(٤)
 ويقول عمر : النابغة أشعر شعراء عطفان^(٥) وزهير أشعر الناس^(٦)
 وأعجب بيت لزهير^(٧) وبيت لعبدة بن الطاييب^(٨)
 وروى عنه أنه مدح زهيراً بأنه كان لا يعاقل في الكلام ولا يقول إلا الحق
 وموقف عمر لما استعداه الزبرقان على الخطيئة معروف وقد سبق ذكره^(٩)
 وكذلك موقفه من رهط تميم ابن مقبل لما استعدوه على الزجاشي وقد مجاهم
 وكان عمر شاعراً وكذلك أبو بكر وعلي ، وعلى أشعر الثلاثة^(١٠)
 وقال عمر لابنه عبد الرحمن : يا بني احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك . وقال :
 أرووا من من الشعر أعفه^(١١)
 وكان عمر أعلم الناس بالشعر^(١٢)
 وراجع ذكر ما دار بين متمم بن نويرة وعمر ورثاء متمم له بعد وفاته
 في النوادر^(١٣)

-
- (١) من الخشف وهي البئر التي حفرت في حجارة نخرج عنها ماء كثير
 (٢) أى فتح ، من الفقر وهو فم القناة .
 (٣) يريد أن امرأ القيس من اليمن وأهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار
 فجعل لهم معاني عورا فتح امرؤ القيس أصبح بصرها فانه يمانى النسب نزارى
 الدار والمنشأ . (٤) ٢٩٦ ج ٢ المزهرة طبع صبيح .
 (٥) ٣٧٩ ج ٣ العقد (٦) ٣٧٩ و ٣٨٠ ج ٣ المرجع (٨) ٣٨٦ ج ٣ العقد
 (٧) ٣٨٧ ج ٣ العقد
 (٩) وراجع في العقد ص ٤٠٨ ج ٣ و ٣٣٣ ر ٢ ، وفي البيان والتبيين ٢٢٤ ج ٢
 وراجع رأيه في الشعر في العقد ص ٢٨٦ ج ٣
 (١٠) ٣٨٨ ج ٣ العقد (١١) ١٨ الجهرة
 (١٢) ١٦٩ و ١٧٠ ج ١ البيان وراجع تحكيمة في الشعر في ص ١٦٩ ج ١
 (١٣) ١٧٨ النوادر ملحق بالأمالي

آثار أخرى لعمر

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه وهو غائب .

أما بعد فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ومن شكر زاده ومن
أقرضه جزاه فاجعل التقوى جلاء بصرك وعماد ظهرك فإنه لا عمل لمن لا نية له
ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لا خلق له (١)

رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ،
أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى اليك ، فإنه لا ينفع
تكلم بحق لا نفاذ له . آس (٣) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى
لا يطمع شريف في حيفك (٤) ، ولا يئس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ،
واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم
حلالا . لا يمنعك قضاء قضيتك اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك
أن ترجع إلى الحق : فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .
الفهم الفهم فيما تلجلج (٥) في صدرك بما ليس في كتاب ولا سنة (٦) . اعرف الأشياء
والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق
واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له

(١) ٢ / ٥٥ الآمال

(٢) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه
الرسالة . وله موقف مشهور في التحكيم بين علي ومعاوية .

(٣) آس بين الناس : سو بينهم . (٤) الحيف : الميل أي ميلك معه لشرفه .

(٥) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٦) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلدون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب (١) ؛ فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان (٢) . وإياك والقلق والضجر (٣) والتأذى بالخصوم والتشكر عند الخصومات ، فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق (٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله (٥) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائنه رحمة ، والسلام (٦) .

كتاب عمر الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ينصحانه .
بسم الله الرحمن الرحيم .

من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام عليكما فانى أحد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد جاءنى كتابكما تزعمان أنه بلغكما أنى وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها (٧) يجلس بين يدى الصديق والعدو والشريف والوضيع ؛ وكتبتما أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وأنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تحذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقد يما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس (٨) ، يقربان كل بعيد ويبلبان كل

-
- (١) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة . (٢) درأ : دفع يريد منع الحدود . (٣) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر . (٤) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته . (٥) شأنه . ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه . (٦) يريد ماذا يكون ثواب الناس بحجاب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

- (٧) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود عن العرب والمراد جميع المسلمين . (٨) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

جديد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار ،
ثم توفي كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . كتبنا ترعمان أن أمر هذه
الامة ، يرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك
وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون
رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ورغبة بعض الناس لإصلاح دنياهم .
وكتبنا توداني بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما .
ولما كتبنا نصيحة لى . وقد صدقنا . فتعهداني منكما بكتاب ، فلا غنى في عنكما .
والسلام عليكما ا

ثانياً - الكتابة الفنية

في عصر صدر الاسلام

نماذج لها :

١ - كتاب الرسول الى المنذر بن ساوى

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى : سلام عليك ، فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ولانه من يطع رسي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نهىهم فقد نهى لي . وأن رسي قد أثنوا عليك خيراً وإني قد شفعتك في قومك فترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنما مهما تصلح فلن نزالك ، ومن أقام على يهوديته أو نصرانيته فعليه الجزية .

٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . واسلم تسلم فان توليت فانما أئتم المجوس عليك .

٣ — كتابه إلى النجاشي

بسم الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة إلى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى

٤ — كتابه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بالموادعة :

هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بأنهم آمنون على أوالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من نارأهم ، وأن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفته ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتقى .

٥ — صالح الخديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سميل بن عمرو : اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغللال ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عامًا قابلا خرجنا إليك فدخلنا بأصحابك فأقمت بها ثلاثا وإن معك سلاح الرأكب والسبوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا .

٦ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل يعزيه بإبن له مات

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فإن أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فاعظم الله لك الأجر وأطعمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهاليها ومواليها من مواهب الله السنية وعوارفه المستودعة بمنعها إلى أجل معدود وتقضى لوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى ، وكان ابتك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة فتعك به من غبطة وسرور وقبضه عنك بأجر كثير .

واعلم أن الجوع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً . فأحسن الجزاء وتجز الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد

٨ - من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم الأنصاري حين ولاه اليمن :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الحارث بن كعب عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمر فيه بأمره . ومنه :
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عقد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

أمره بتقوى الله في أمره كله ، فد إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، وينهى الناس بالذي لهم وبالذي عليهم ، ويأمر الناس في الحق ، ويشهد عليهم في الظلم ، فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال . ، ألا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر بالنار وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين) .

٩ — كتاب أبي بكر إلى أهل الردة :

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم — سنة إحدى عشرة هجرية — كتابا واحدا ، ونصه .

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعصى ، فاني أحمد (١) إليكم الله الذي لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به ، وأكفر من أبي وأجاهده . أما بعد ، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى الخلق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، ، لينذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، وانصح لأمره ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال : « إنك ميت وأنهم ميتون » وقال . « وما جعلنا البشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون » ، وقال للمؤمنين « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » فمن كان إنسا يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان إنسا يعبد الله وحده لا شريك له فان الله له بالمرصاد ، (٢) حتى قيوم (٣) لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه .

(١) أي أحمدته مملوك ، فأقام إلى مقام مع . وقيل معناه أحمد إليك نعمته الله وأحدثك بها .

(٢) المرصاد الطريق ، وفلان يرصد فلانا أي يقعد له على طريقه يترقبه ، والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يفوته منها شيء .

(٣) القيوم . الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(٤) السنة : فتور يتقدم النوم

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدِين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه مخذول ، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا ، قال الله تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل^(١) .

وقد بلغى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر الإسلام وعمل به ، اغترارا بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جل ثناؤه : « ولإذ قلنا للبلائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وقال جل ذكره : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » .

وإني أنفذت إليكم « فسلانا » في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ، وأمرته ألا يقا تل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا ، قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته أن يقا تل على ذلك ، ثم لا يبق على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبي النساء والذراري ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله .

(١) الصرف . التوبة ، والعدل . الفدية ، وقيل الصرف . القيمة ، والعدل . المنزل ، وأصله في الفدية ، يقال . لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أى لم يأخذوا منهم دية ولم يفلوا بقتيلهم ، رجلا واحدا ، ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى سار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذي يناب عليه وألزم أكثر منه .

وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل جمع لكم ، والداعية الأذان ، فإذا أذن المسلمون فأذنوا ، كُتِبُوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم ، وإن أذنوا سألوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم .

١٠ — كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص .

وكتب عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص والى مصر ، وقد استبطأ ورود الخراج من قبله :

د من عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص :

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد عجبت من كثرة كتبتى إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك الى بنيات (١) الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فى المسلمين ، وعندى من قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام .

١١ — رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

د بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد . فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطنى فى الخراج ، ويذعم أنى أعند (٢) عن الحق ، وأنكسب (٣) عن الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن مصالح ما ألتزم ، ولكن أهل الأرض استنظرونى

(١) بنيات الطرق : الأباطيل .

(٢) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عودا : مال .

(٣) نكسب عنه كنصر وفرح نكبأ (كشءس رسيب) .

الى أن تدرك غلتهم ، فنظارت للمسلمين ، فكان الريق بهم خيرا من أن تخرق (١)
بهم ، فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه ، والسلام .

١٣ — كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص :

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ، وقد أمره على حرب
الدراني .

و أما بعد . فاني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان
تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المسكيدة في الحرب ، وأمرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا من المصاى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف
عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون : مصية عدوهم الله ، ولولا ذلك لم تكن انا
بهم قوة ، لان عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في
المصية كان لهم الفضل (٢) علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم
بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حيلة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم
ولا تعملوا بمعاصي الله وأتتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فان
يسلط علينا ، قرب قوم سلط عليهم ثم منهم كما سلط على بني اسرائيل — لما
عملوا بمساخط — كفار الجوس ، فجاءوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ،
وأسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه انصر على عدوكم أسأل الله تعالى
ذلك لنا ولكم

وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشعهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن
منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم . والسفر لم ينقص قوتهم — فانهم سائرون
الى عدوهم ، حامى الانفس والكراع (٣) ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة
حتى تكون لهم راحة يحبون فيها أنفسهم ، ويرمون (٤) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح

(١) الخرق كقفل وسبب ضد الريق وفعله كفرح .

(٢) الفضل : الزيادة .

(٣) الكراع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل .

(٤) رمة كضرب ونصر : أصلحه .

منازلهم عن قرى أهل الصالح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ^(١) أحدا من أهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوا خيرا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصالح .

وإذا وطئت أرض العدو فاذك^(٢) العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليسكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذب لا ينفعك خبره ، وإن صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك ، وايسر عيناك .

وليكن منك عدد نوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا^(٣) بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتضع الطلائع عوراتهم ، وتثق^(٤) للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتأخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاء ، ولا تخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حايت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تنخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكابة ، فإذا عاينت العدو فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تناجلهم المناجزة ، مالم يستكرك القتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها ، فتصنع بمدوك كصنعه بك .

ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهديك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان .

(١) رزاه ماله : أصاب منه شيئا .

(٢) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الجواسيس

(٣) السرايا جمع سرية كخزيه . وهى القطعة من الجيش .

(٤) تنقاه : اختاره .

١٣ . كتاب معاوية إلى علي .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب حين شجر بينهما الخلاف :
بسم الله الرحمن الرحيم : من معاوية بن سخر إلى علي بن أبي طالب .
أما بعد . فلعمرى لو بأبيك اليوم الذين بأيوك وأنت برىء من دم عثمان ،
لكنك كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولعنك أغريت بدم عثمان
المهاجرين وخدلت عنه الأنصار : فأطاعتك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ؛
وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت داء
شورى بين المسلمين ، وإلما كان المهازيون هم الحكماء على الناس والحق فيهم
فلما فارقه كان الحكماء على الناس أهل الشام ولعمري ما حجتك عليهم كحجتك
أطاحة والزبير ؛ لأنهما بأيك ولم أبايعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك
على أهل على البصرة ؛ لأن أهل البصر أطاعوك ؛ ولم يطعك أهل الشام ؛ فأما شرفك
فى الإسلام ؛ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعك من قریش
فلست أدفعه .

١٤ — رد على علي معاوية .

فكتب إليه الإمام علي :

بسم الله الرحمن الرحيم : من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن سخر .
أما بعد . فقد أتاني كتابك كتاب امرى ليس له بصريه يدیه ، ولا قائد يرشده
دعاه الهوى فاجابه ، وقاده فاتبعه ، زعمت أنك إنما أنشد عليك بيعتى خفى (١)
بعثان ، ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ،
وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجههم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ،
وما أمرت فلزمتنى خطيئة الأمر ؛ ولا قتلت فأخاف على نفسى قصاص القتال .
وأما قولك إن أهل الشام هم حكماء أهل الحجاز . فهات رجلاً من قریش الشام

(١) كانت أى الخلافة .

(٢) خفربه كعزرب خفرا وخفوراً : نقض عهده وغدره .

يقبل في الشورى ، أو تحول له الخلافة ، فإن سميت كذباك المهاجرون والآنصار ،
ونحن نأتيك به من قریش الحجاز .

١٥ — وصية أبي بكر إلى عمر رضى الله عنه :

إني مستخداك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله
بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا تقبل ناغلة حتى تؤدى الفريضة فانما
ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وحق لميزان
لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه
يوم القيامة باتباعهم الباطل وينحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا
إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فاذا ذكرتهم
قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ؛
ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر
آية الرحمة مع آية العذاب ليسكون العبد راغبا راهبا ، ولا يتمنى على الله غير الحق
ولا ياتى بعده إلى التهلكة . فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من
الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت
ولست بمعجز الله .

١٦ — كتب عمر رضى الله عنه الى أبي موسى الأشعرى :

أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء
بجهولة وضغائن شموله ، وأهواء متعبة ، ودنيا مؤثرة ، فأقيم الحدود ولو ساعة
من نهار . واذا عرض لك أوران أحدهما لله والآخر للدنيا فأثر نصيبك من
الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فإن الدنيا تنعد والآخرة تبقى ، وكن من
خشية الله على وجل ، وأخف الفساق وأجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا ، واذا
كانت بين القبائل نائرة وتداعوا بالفسلان فأنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم
بالسيف حتى يفتتقوا إلى أمر الله . وتكون دعواهم الى الله وإلى الامام ، وقد بلغ
أمير المؤمنين أن ضبة تدعو يا ضبة !! وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها
خيبرا قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابي هذا فانهمسكم عقوبة حتى

يفرقوا إن لم يفهموا ، وعهد مرضى المسلمين واشهد جنازتهم ، واقتنع بابك
وباشر أمرهم بنفسك ، فاعلم أنت أمرؤ منهم غير أن الله جعلك أئقاهم حملا وقد بلغ
أمير المؤمنين أنه فشاك ولاهل بيتك هيبة في لباسك ومطعمك ومركبك
ليس للمسلمين مثله فإياك يا عبد الله أن تكون البيعة التي ديت بواد خصيب فلم
يكن لها همة إلا السمن ؛ وإيما حنقها في السمن ، وأعلم أن للعامل ردا إلى الله
فاذا زاع العامل زاغت رعيته وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

١٧ - وكتب على رضى الله عنه كتاب حائف بين ربيعة واثنين
هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وبأديها ربيعة حاضرها وبأديها أنهم
على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويحجبون من دعا إليه وأمر به لا
يشترون به ثمنًا ولا يرضون به بدلا وأنهم بدأ واحسده على من خائف ذلك .
لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستدلال قوم قوما
ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم ، وسفبههم وعالمهم ، وحليمهم
وجاهلهم ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه إن عهد الله كان مسأولا ، وكتبه
على بن أبي طالب

١٨ - وكتب إلى عبد الله بن عباس يعظه

أما بعد فإن المرء قد يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوؤه فوت مالم يكن
ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . وليكن أسفاك على ما فات منها
وما نلت من دنياك فلا تسكثر به فرحا ، وما نالتك منها فلا تأس عليه جزعا ،
وليكن همك فيما بعد الموت ^(١)

وصف الكتابة في صدر الاسلام

تمهيد :

١ - تعلمون أن الكتابة انتقلت من الأنبار والخيرة على يد بشر بن عبد الملك أخى أكيدر بن عبد الملك السكندى صاحب دومة الجندل ، وأن بشرا خرج إلى مكة وتزوج بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثرت من يكتب بها من قریش

قال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يفتخر على قریش بذلك :
لا تعبدوا نعام بشر عايكمو فقد كان ميمون النقيبة أزهر
أناكم يحمل الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فاجريتم الافلام عودا وبدأة وضاعيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وعرف خط أهل الحجاز بالحجازى ، ولما نشأت الكوفة أدخل عليه كتابها شيئا من الزخرف والتحسين فسمى الخط الكوفى

٢ . والكتابة على أى حال آكد أسباب الحضارة ، وأوثق وسائل العمران وكلما ازدادت شئون الحضارة واتسعت مذاهب الملك ، وتعددت مناحى التفكير ومناهج الثقافة ، ازدادت الحاجة إليها وازداد الكتاب إقبالا عليها وافتنانا فى مناحيها وتجويدا فى لغتها ومعانيها وتنوعا فى موضوعاتها وأغراضها

حالة الكتابة فى عصر النبوة :

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمكة نفر من يحسنون الكتابة ويبلغون نحو السبعة عشر ، ثم لما هاجر إلى المدينة ووقعت غزوة بدر وأسر المسلم من نحو سبعين رجلا من قریش وغيرهم ، جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء كل من يعجز عن دفع المائتين تعليم الكتابة لعشرة من فتيان المدينة فلا يطلق سراحه الا بعد تعليمهم فكثرت الكتابة فى المدينة ، وأخذت تنتشر فى كل ناحية دخلها الاسلام فى حياة الرسول وبعده

وبلغ عدد كتابه عليه السلام ثلاثة وأربعين كتاباً منهم زبد ين ثابت ومعاوية واختلاف في كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ؛ فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة وبحديث البخاري انه عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية اخذ الكتاب ليكتب فكتب ؛ ومن قال إنه امي استدل ؛ بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، وبحديث البخاري نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب وليس ما يمنع من أن الرسول صلوات الله عليه كان أمياً قبل بعثته لأنهم له المعجزة ثم بعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته ، تعلم الكتابة وعرفها وكان على كرم الله وجهه ، وعائشة وصفيّة من أمهات المؤمنين ، يحسنون الكتابة .

ولم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا بعد أناف الكتاب على خمسمائة ، بين رجل وامرأة وثق .
وفي العهد النبوي كتب القرآن الكريم ، ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأقبال والامراء والملوك ، وكتبت عهد الصلح بينه وبين قريش وغيرهم من دخل في ذمة المسلمين

وكان كتابه صلى الله عليه وسلم نوعين :
كتاب وحى ، وكتاب أعمال . ومن بين كتاب الأعمال :
الربيع بن العوام ؛ وجمل بن الصلت ، وكانا يكتبان الصدقات ، والمغيرة بن شعبه والخصين بن نعيم وكانا يكتبان التداين والمعاملات ، وحديفة بن الحبان ، وكان يكتب خرص النخل .
الكتابة بعد عهد النبوة :

ولما توفى رسول الله صلوات الله واتسعت الفتوحات الاسلامية ، كثرت الحاجة إلى الكتابة ؛ وقام الكتاب بأعمال الدعوة والدولة ، فكتبوا القرآن واستخدمهم الخلفاء في كتابة رسائلهم إلى العمال والولاة واقواد ، وفي وصاياهم إلى قضائهم ، ورسائلهم إلى أهل الأمصار ، وفي كتابة وثائق الصلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته في الحرب والسلام .

وكان الخليفة أو الوالي يكتب بيده أو يملأ على بعض الكتاب ، ولم تكن قد صارت بعد صناعة فنية كما حدث في عهد بني أمية وبني العباس .

بواعث الكتابة الأدبية في هذا العصر :

وكانت الحاجة إلى الكتابة كثيرة :

١ — فقد كان المسلمون في حاجة إليها لتدوين القرآن والكتابة رسائل الدعوة إلى الإسلام

٢ — كما كانوا في حاجة إليها في شئون الملك والسياسة ، والحرب والسلام وفي كتابة العمود والمصالحات والمنشورات والوصايا والنصائح

٣ — الحاجة إليها في تدوين الدواوين وتنظيمها

٤ — وساعد على ذلك معرفة الخط وانتشار الكتابة في مكة والمدينة وسواهما من الأمصار . ويروي أن زيد بن أرقم بن يغوث والعلاء بن عتبة كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء

تدوين الدواوين :

لما اتسعت الفتوحات في عهد عمر وكثرت موارد الدولة ووفرت الغنائم احتاجت الدولة إلى انشاء الدواوين لضبط مواردها ومصارفها وضبط أعطيات المسلمين ويقول الفخري :

« كان المسلمون هم الجنود وكان قتالهم لأجل الدين لا لأجل الدنيا وكان لا يزال فيهم دائما من يبذل شطرا صالحا من ماله في وجوه البر والقربى وكانوا لا يريدون على نصرهم إسلامهم ونصرهم لنبيهم جزاء إلا أن عند الله تعالى ولم يفرض النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه عطاء مقررا ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد أحضر إلى مسجد رسول الله وفرق فيهم حسب ما يراه ويجرى الأمر على ذلك مدة خلافة أبي بكر فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالى وأن كنوز الأكاسرة قد

ملكك وأن الخول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد
تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم . ولم يكن يعرف
كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان بالمدينة بعض مرازمة الفرس فلما رأى
حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئا يسمونه ديونا ، جميع دخلهم
وخرجهم مضبوط فيه لا يشد منه شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يلاحظ
عليها خال فتنبه عمر وقال : صنفه لى . فوصفه المرزبان فعظمه عمر لذلك
ودون الدواوين ،

وقد عهد الخلفاء بالكتابة في الدواوين إلى العرب والموالي والمتعربين وظلت
كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل المصر ففي العراق وفارس بالفارسية
وفي الشام بالرومية وفي مصر بالبطية حتى حذقها من العرب طائفة لحولت بعد
ذلك الكتابة في الدواوين إلى اللغة العربية وذلك في عصر بني أمية وسيأتي
تفصيل ذلك لإنشاء الله

أسلوب الكتابة في صدر الاسلام :

ويمتاز أسلوب الكتابة في هذا العصر بما يأتي .

١ — سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغرض وبعدها عن التكلف وخلوها
من عبارات التفخيم

٢ — ميلها إلى الإيجاز . حتى لقد كتب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم
رسالة وهو محاصر بدومة الجندل يقول فيها .
« من خالد إلى عياض : إياك أريد ،

٣ — وكانت الرسائل تبدأ باسمك اللهم ثم يقول من فلان إلى فلان ثم يلي
ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى ، ثم يشنون بقولهم
« إني أحمد الله إليك ، ، ثم يأتي الكاتب غالبا بأما بعد ، ويذكر غرضه الذي
يكتب لأجله ، ويختتمها بقوله والسلام عليك ورحمة الله ،

ومن مثل ذلك كتابه (ص) الى خالد بن الوليد وكان قد بعثه الى بنى الحارث
فأجابوه الى الاسلام وهالك نصه :

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عايك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد :

فاني كتابك جاءني مع رسولك يخبرني بأن بنى الحارث قد أسلموا قبل ان
تقاتلهم ، وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا اله الا الله وان
محمد عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل
معك وفدهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ثالثا - التوقيعات

نماذج للتوقيعات في هذا العصر

- توقيع لآبى بكر إلى خالد بن الوليد وقد استأذنه في ملاقاته العدو :
ادن من الموت توهب لك الحياة
- عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وقد استأذنه في بناء دار الأمانة
بالسكوفة :
- ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر
ووقع عمر على شكوى لأهل مصر من مروان بن الحكم :
- فان عصوك فقل لى برى بما تعملون
ووقع على في كتاب للحسين ضمن شيئا من أمر عثمان بن عفان :
- رأى الشيخ خير من مشهد الغلام
ووقع في كتاب الحصين بن المنذر أحد قواده بمفنيين حين شكوا إليه من
إسراع القتل في جيشه :
- بقية السيف أنهى عددا
ووقع عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : كن لرعيك كما تحب أن
يكون لك أميرك
- ووقع عثمان بن عفان في قصة رجل شكاه عيلة : قد أمرناك بما يقيمك
وليس في مال الله فضل للسرف
- ووقع على بن أبى طالب كرم الله وجهه في كتاب جاءه من الاشترا النخعي
فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله . وفي كتاب صمصمة بن صوحان يسأله
في شيء قيمة كل امرئ ما يحسن

الشعر

في صدر الاسلام

نماذج من شعر المخضرمين

قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس من عباد بني النجار من الأنصار ، ومن أول من أسلم عند قدوم رسول الله المدينة :

سبحوا الله شرق كل صباح	طلعت شمسك وكل هلال (١)
عالم السر والبيان لدينا	ليس ما قال ربنا بفضلال (٢)
وله الطير تستريد وتأوى	في وكور من آمناات الجبال (٣)
وله الوحش بالفسلة تراها	في حقاف وفي ظلال الجبال (٤)
يا بني الأرحام لا تقطعوها	وصلوها قصيرة من طوال
وانقروا الله في ضعيف اليتامى	ربما يستحيل غير الحلال
وأعلموا إن لليتيم وليا	عالمنا يمتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه	إن مال اليتيم يرعاه والى
يا بني التخوم لا تخزلوها	إن خزل التخوم ذو عقال (٥)

(١) يريد : سبحوا الله صباحا ومساء .

(٢) البيان هنا : الظهور ويريد به العلانية ، أى أنه سبحانه يعلم السر والعلانية وله الطير ، أى له من الخلق الطير .

(٣) تستريد : تذهب وتجىء في طلب الرزق .

(٤) الحقاف جمع حقف وهو المروج من الرمل .

(٥) التخوم : جمع تخم كفرح وهى حد الأرض بين الجارين ، والمعنى لا تقتطعوا منها شيئا ليس لكم أو لا تقتطعوا صلة الجوار بينكم وفي رواية لا تظلموها ، ويروى هذا البيت لأحيحة بن الجلاح - ومعنى « ذو عقال » ذو مرض صعب البرء وأصل العقال النواء في قوائم الدابة .

يا بني الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرها ومرالايالى
وأعدوا أن مرها لنفساد الـ مخلق ماكان من جديد وبالى
أجمعوا أهركم عل البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال
وقال حسام بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله فى انتصار المسايين على
المشركين فى وقعة بدر :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحى فى الورى القشيب (١)
تداولها الرياح وكل جون من الوسمى منهبر سكيب (٢)
فامسى رسمها خلقتا وأمست يبابا بعد ساكنها الحبيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكثيب
وشبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر لنا فى المشركين من النصيب (٤)
غداة كان جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغروب (٥)
فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه على الأعداء فى لفتح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب غاظى الكعوب (٦)

-
- (١) الوحى هنا الكتابة ، والرهاله . والقشيب الجديد
(٢) الجون : الأسود من السحاب لتركه والوسمى أول المطر .
(٣) البباب : الخراب
(٤) أى خبر بما صنع الله لنا من النصيب ، أى بما أحسن لنا واختار لنا
(٥) حراء جبل قرب مكة وفيه النار الذى كان يتعبد فيه رسول الله قبل
نزول الوحى . والمعنى كأن جمع المشركين جبل حراء عند غروب الشمس
فيكون مسودا مدهاما ، وكذلك يكون الجيش المدجج بالحديد والدرع
(٦) غاظى الكعوب غليظها صلبها يريد الرمح أى بأيديهم سيوف مرهفة
ورماح غليظة مكتنزة .

بنوا الأرس الغطارف وازرتها بنوا النجار في الدين الصائب (١)
فغادروا أبا جهل صريعا وعقبة قد تركنا بالحبوب (٢)
وشية قد تركنا في رجال ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
ينساديهم ربه... ول الله لما قذفناهم كباكب في القليب (٣)
الم يجدرنا كلامي كان حقا وأر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأى مصيب

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر
فالمرء ما عاش بمدود له أمل لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بواد تحمي صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدر

وقال الأشتر النخعي من أصحاب علي رضي الله عنهما :

بقيت وفري وانحرقت عن الدلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس (٤)

(١) الغطارف جمع غطريف وهو السيد الشجاع ، والصلب القوى. ويريد بالدين دين الإسلام.

(٢) الجبوب : موضع بيدر

(٣) القليب : البئر ، وقد قذف رسول الله بقتلى المشركين في بئر هناك وخاطبهم بعد دفنهم فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ والكباكب جمع كبكبة وهي جماعة من الناس .

(٤) أى بقيت مالى ولم أنفقه فيما يكسبني رفعة القدر .

إن لم أشن على ابن حرب غارة
خيلاً كأمثال السعالي (٢) شرباً
حتى الحسديد عليهم فسكأهم
لم تخل يوماً من نهاب نفوس (١)
تعدو ببيض في الكريهة شوس
ومضان برق أو شعاع شموس

وقال الخطيبه يمدح :

نزور امرأ يؤقى على الحمد ما له
يرى البخل لا يبقى على المراء ما له
كسوب ومتلاف إذا ما سألته
متى تأتة تعشو إلى ضوء ناره
ومن يؤت أثمان المحامد يحمد
ويعلم أن البخل غير مغلد
تهلل واهستر اهتزاز المهند
تجد خير نار عندها خير موقد (٣)

وقال معن بن أوس المازني في استصلاح ذي القربى :

وذى رحم قلبت أظفار ضغنائه
يحاول رغى لا يحاول غميره
فان أعف عنه أغض عينا على قذى
وأن انتصر منه أكن مثل رائش
بحلى عنه وهو ليس له حلم (٤)
وكالموت عندى أن يحل به الرغم (٥)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم
سهم عدو يستهاض بها العظم (٦)

(١) يريد بابن حرب معاوية .

(٢) السعالي : الغيلان ، والشرب جمع شارب وهو الضامر ، والشوس :
جمع أشوس وهو السيد المترفع أنفة .

(٣) تعشو : تقصد .

(٤) الضغن : الحقد (٥) الرغم : الذل

(٦) راش السهم : الزق عليه الريش ، وذلك أعون على تسديده وسرعته ،
واستهاض العظم وهاضه واهتاضه : كسره بعد الجبور .

صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه النأي والمرء قادر
ويشتم عرضي في مغيب جهادا
إذا سمته وصل القرابة سامني
فان أدعه للنصف يأب ويعصني
فلولا اتقاء الله والرحم التي
إذنت لعلاه بارق وخطمته
ويسعى إذا أبني ليهدم صالحني
يود لو أني مدم ذو خصاصة
وبعت - دغما في الحوادث نكبتني
فما زلت في ليني له وتعطيني
وخفض له مني الجناح تألفا
وقولي إذا أخشى عاييه مائة
وصبري على أشياء منه تربيني
لاستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلا بيننا فرفعتـه
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداووته حتى أرفأت نفاره
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه
وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه مادام في كفه السهم
وليس له عندي هوان ولا شتم
قطيعتها ، تلك السفاهة والاثم
ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
رعايتها حق وتعطيلها علم
بوسم شارب لا يشاكهم وسم^(١)
وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم
وأكره جهدي أن يخالطه العدم^(٢)
وما إن له فيها سناء ولا غنم^(٣)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه مني القرابة والرحم
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم
وكظمي على غيظي وقد ينفع السكظم
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٤)
برفقي وأحيائي وقد يرفع الشلم
بحلبي كما يشفي بالأدوية الكلم^(٥)
فعندنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

- (١) البارق : السيف ، وخطمه : ضرب أنفه أو جعل عليه الخطام أو قهره
الوسم : أثر الكي ، وشاكهم : شابهه
(٢) الخصاصة : الفقر . (٣) السناء : الرفعة .
(٤) الجرم : الخلق . (٥) الكلم : الجرح .
(٦) أرفأت : سكن بعد نفار .

والامام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ في النصائح

صن النفس واحملها على ما يزينها^(١) تعيش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تتجملوا نيباك دهر أو جفاك خليل^(٢)
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس إن قبل ماله ويغنى غنى المسال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل^(٣)
جواد إذا استغثت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات^(٤) قليل

وللخنساء المتوفاة سنة ٢٤ هـ

أعني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجواد الجليل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد^(٥) رفيع العما دساد^(٦) عشيرته أمردا^(٧)

(١) يعني احفظ النفس مما يشينها واجبرها على ما يزينها . (٢) يعني ولا تظهر للناس إلا ما تتجمل به ومعنى نيباك دهر أنه لم يساعدك وجفاك هجرك . (٣) متلون متقلب ومعنى ميله حيث تميل الريح أنه غير ثابت . (٤) النائبات الشدائد وعندها تعرف الإخوان .

(٥) النجاد ككتاب حمائل السيف وطولها كناية عن طول الجسم الدال على الشجاعة .

(٦) العماد الابنية الرفيعه جمع عماد وهي كناية عن السيادة والشرف .

(٧) يعني أن سيادته ابتدأت من صغره .

إذ القوم مسدوا أياديهم إلى المجد مد إليه يدا (١)
فقال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا (٢)
يحملة القوم ما عاظم وإن كان أصغرهم مولدا (٣)
وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى (٤)

وللهباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ

ترى الرجل النحيل فنزدرية (٥) وفى أثوابه أسد مزير (٦)
ويمجيك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير (٧)
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير (٨)
بغات الطير أكثرها فراخاً وأم الصفر مقلات نزور (٩)

(١) يعنى يد واحدة منه تغنى عن أيد كثيرة .

(٢) يعنى ينال على هيئة ما يتعب فيه الاقوام وزيادة .

(٣) يعنى يكلفون ما يحتاجون إليه على صغر سنه عنهم .

(٤) يعنى وجدته منفردا بالمجد

(٥) فنزدرية تحتقره

(٦) المزير الشديد القلب القوى الظاهر المزارة .

(٧) الطير ذو المناظر والرواء فتبتليه تختبره فيخلف ظنك تلقاه على خلاف
ما كنت تعتقده فيه .

(٨) الخير بكسر الخاء الكرم والشرف .

(٩) بغاث الطير شرارها والمقلات التي لا تفرخ إلا واحدا والنزور
القليلة الفراخ .

ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البزاة (١) ولا الصقور
لقد عظم البعير (٢) بغير لب فلم يتغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه (٣) ويحبسه على الخسف الجريير (٤)
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا تكبير (٥)
فإن أك في شراركم قليلا فاني في خيياركم كثير

ولا في الاسود الدولي م ٦٥ هـ

أترك بحارة السفينة (٦) فانها ندم وغب بعدد ذاك وخيم (٧)
يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا (٨) كئيبا يصيح به وأنت مستقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا أبدا وأنت من الرشاد (٩) عديم
لأبدأ بنفسك فامها عن غيرها (١٠) فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى بالقول منك وينفع التعليم
لأنه عن خلق وتأني مثله عار عليك إذا فليت عظيم

ولحسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ

وهو شاعر النبي صلى الله عليه وسلم في بيان أوصافه

(١) البزاة جمع باز وهو طائر صيد . (٢) البعير الجمل . (٣) يعنى يتوجه به
أين شاء ومتى أراد وكيف شاء . (٤) الخسف حبس الدابة بالإغلف والجريير حبيل
يكلم به الجمل ليحبس عن الأكل . (٥) الوليدة الصبية والهراوة هى العصا وغير
مصدر غاريغار والتكبير الانكار .

(٦) بحارة السفينة محركاته فى السفنة . (٧) الغب العاقبة والوخيم السيء .
(٨) السقام الممرض . (٩) الرشاد الهدى . (١٠) النى الضلال

لساني وسيفي جبارمان كلاهما (١) ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذبذبي (٢)
 وإن أك ذا مال كثير أجد به وإن يهتصر عودي على الجهد يحمدي (٣)
 فلا المال ينسبني حباثي وعفتي (٤) ولا واقعات الدهر يفلن مبردي (٥)
 وإني لمعط ما وجدت وقائل أو قد ناري ليلة الريح أو قد (٦)
 وإني لقوال لذى البث (٧) مرحبا وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد
 وإني لحلو تعتريني مرارة (٨) وإني لنراك لما أعود

وكان النضر بن الحارث شديد العداوة لله ولرسوله فلما أسر يوم بدر أمر
 النبي صلى الله عليه وسلم فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه صبرا (٩) . فعرضت
 للنبي أخوته قتيلة بيد الحارث فأئذنته :
 يا راكبا ان الأتيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (١٠)

(١) صارمان قاطعان . (٢) يعني أن لساني يدرك به مالا يدرك بالسيف .
 (٣) الاهتمام بالادناء وأمانة نحو الاغصان والجهد الفاقة والحاجة يعني وإن
 تطالب مني حاجة أقضها وإن كنت معدما
 (٤) يعني لا أظني عند الاستغناء
 (٥) واقعات الدهر تصرفاته وحوادثه والفل الثلم والمبرد الحديدية يسجل بها
 الحديد وغيره والمعنى أن حوادث الدهر لا تقعد من همي .
 (٦) يعني ليلة البرد والريح التي يصعب فيها إيقاد النيران .
 (٧) البث الشكوى من حاجة ومن غير مرصد من غير انتظار ولا وعد .
 (٨) يعني حلو للفكاهة هو الجد .
 (٩) الصبر : الحبس ، وصبر الانسان على القتل : نصبه ليقتل .
 (١٠) الأتيل . واد بنواحي المدينة قرب بدر، تقول أنك ستدرك الأتيل صبح
 الليلة الخامسة إذا لم يملك عاتق .

أبلغ به ميتا بان تحية منى إليه وعبرة مسسفوحة هل يسمعن النظر إن ناديته ؟
 ما إن تزال بها النجائب تخفق (١) جادت بواكفها وأخرى تخفق (٢)
 إن كان يسمع ميت لا ينطق ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه
 لله أرحام هناك تشفق (٣) رهف المقيد وهو عان موثق (٤)
 في قومها والفحل فحل معرق (٥) من الفق وهو المغيظ المحقق (٦)
 وأحتم ان كان عتي يعتق لو كنت قابل فدية لمديته
 بأعن ما ينسلي به من ينفق (٧) فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر :
 لو كنت سمعت شمرها ما قتلته .

وقالت الخنساء وهي مخضرمة

قذى بعينك أم بالعين عوار أم زرفت اذ خلعت من أهلها الدار
 كأن عيني لذكراه اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
 تبكى لصخره العبرى وقد ولعت ودونه من جديد التراب أستار

- (١) خفق السهم أسرع رناقة خيفق سريعة جدا .
- (٢) وكف الدمع : سال (٣) ناشه إذا تناوله .
- (٤) الرسف والرسيف : مشى المقيد ، والعانى الأسير .
- (٥) رواية اللسان : ولانت ضنء نجبية وهي أقوم لأن ها التنبية ، إذا دخلت على الضمير وجب أن يتبع بإشارة ، والعنء : النسل ، ورجل معرق أى أصيل
- (٦) الحقن : شدة الاغتيال وأحنقه غيره فهو محقق .
- (٧) أغلى بالشئ ، وغالى به . طلب فيه ثمنا غاليا أو اشتراه بمن غال .

تبكى خناس على صخر وحق لها
لا بد من ميتة في صرفها عبر
قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم
صلب التحيزة وهاب اذا منعوا
يا صخر وراد ماء قد تناذره
مشى السبتي الى هيجاء معضلة
وما عجول على بو تطيف به
ترنع ما رتعت حتى اذا اذكرت
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت
يوماً بأوجسد منى يوم فارقتي
وإن صخرأ لوالينا وسيدنا
وإن صخرأ لمقدام إذا ركبوا
وإن صخرأ لتأتم الهداة به
جلد جميل المحيا كامل ورع
حمال ألوية هباط أودية
فقلت لما رأيت الدهر ليس له
لقد نعى ابن نهيك لى أخائقة
فبت ساهرة للنجم أرقبه
لم تره جارة يمشى بساحتها
ولا تراه وما في البيت يأكله
ومطعم القوم شحها عند مسخهم
قد كان خالصتى من كل دى نسب
مثل الردينى لم تفسد شبيبته
جهم المحيا تضى الليل صورته
مورث المجد ميمون تقديسته

إذ راها الدهر إن الدهر ضرار
والدهر في صرفه حول وأطوار
نعم المعجم للداعين نصار
وفي الحروب جرى الصدر مهبصار
أهل الموارد ما في ورده عار
له سلاحان أنياب وأظفار
لها حنينان إعلان وإسرار
فانما هي أقبال وأدبار
فانما هي تخنن وتسجار
صخر ولدهر إجملاء وإمرار
وإن صخرأ إذا نشئتو لنحار
وإن صخرأ إذا جاءوا لعقار
كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروح مسعار
شهاد أندية للجيش جرار
معاتب وحده يسدى ونيار
كانت ترجم عنه قبل أخبار
حتى أتى دون غور النجم أشتار
لرية حين يخلى بينه الجسار
لكنه بارز بالصحن مهبمار
وفي الجدوب كريم الجد ميسار
فقد أصيب فما للعيش أوطار
كانت تحت طى البرد أسوار
أباؤه من طوال السمك أحرار
ضخم الدسيعة في العراء مغوار

فرع لفرع كريم غير مؤتشب جلد المبررة عند الجمع فخار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
ليكه مقتر أفنى حريته دهر وحالفه بؤس وإقتار
ورفقة حار حاديهم بهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار
لا يمنع القوم أن سألوه خلعتهم ولا يتجاوز بالليل بالليل مرار

وقال الحايثي يمدح آل لاي

ألا هبت أمانة بعد هذه تعاتني وما قضت كراهيها
فقلت لها أمان ذري عتاي فان النفس مبدية ثنائها
وليس لها من الحدثنان بد اذا ما الدهر من كتب رمائها
فهل ابصرت أو شبرت نفساً اتاهها في تمنيا مناهها
كأن ساورتني ذات سم نقيع لا يلائمها رقاها
لعمري الرقصات بكل فج من الركيان وعدها مناهها
لقد شدت حبال آل لاي حبالي بعد ما ضعفت قواها
ومن يطلب مساعي آل لاي تصعده الأمور إلى علاها
كرام يفضلون قروم سعد أولى إحسانها وأولى نهائها
وهم فرع الذري من آل سعد اذا ما عد من سعد ذراها
ونخلة ما جد في آل لاي اذا ما قام قائمها قضاها
إذا أعوجت قناه الأمر يوماً أقاموها لتبلغ منهاها
ويبنى المجد راحل آل لاي على العوجاء مضطراً حشاها
وتسمى للسياسة آل لاي فتدركها وما اتصت لحاها
لعمرك إن جارة آل لاي لعف جيبها حسن ثنائها

وقال أبو ذؤيب الهذلي وكان له أولاد سبعة فأتوا كلهم إلا طفلاً برئهم .
أمن المنون وريه يتفجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أو ما لجسمك لا يلامم مضجعا إلا أقض عليك ذاك المضجع
فاجبتها أما لجسمي أنه أودى بني من البلاد فودعوا
أودى بني وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة ما تفلح
سبقوا هوى وأعقبوا لهوهم فتخرموا وليكل جنب مصرع
فبقيت بعدهم بعيش ناصب وإخال إنى لا حق مستبجع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمه لا تنفع
فالعين بعدهم كأن حذاقها سميت بشوك ففى عورة تدمع
حتى كأنى للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تفرع
وتجسدى للشامتين أريمهم أنى لريب الدهر لا اتضعضع
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قسيل تقنع

وصلى متم بن نويرة الصبح مع أب بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
ثم أنشد :

نعم القتل إذا الرياح تناوحت تحت البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتله لو هو دعاك بذمة لم يغدر
لا يضمم الفحشاء تحت رداه حلو شمائله عفيف المئزر
ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ، قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتله ، فقال
متم يرثى أخاه مالكا وهى التى تسمى أم المرائى .

لعمري وما دهرى بتأبين مالك ولا جزعا بما ألم فأوجعا
لقد غيب المنال تحت دراهه ففى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برمايم لى النساء لعرسه إذا القشع من رد العشاء تقعما
تراه كظل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ سوء مطعما
فمبنى هلا تبكيان لمالك إذا هزت الريح الكئيب المرعا
وأرملة تدعو بأشمت نخسل كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا

وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت
ولا بكهام سيفه من عـدوه
أبى الصبر آيات أراها وأنى
ولانى متى ما أَدع باسمك لم تجب
تحيته منى وإن كان نائما
فان تكن الأيام فوق بيننا
فمشنا بخير فى الحياة وقبلنا
وكما كدما فى جذيمة حقة
فلما تفرقنا كأنى ومالك
فما شارف حنت حزينا ورجعت
ولا ذات أظآر ثلاث روائم
بأوجد منى يوم قام بمالك
مضى الله أرضا حلما قبر مالك

ولا طالبا من خشية الموت مفرعا
إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وكنت حريا أن تجيب وتسمعا
وأسمى ترابا فوقه الأرض بلقعا
فقد بان محمودا أخى حين ودها
أصاب المنايا رهط كسرى وتبعها
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معسا
أنيدا أبكى شجوها الترك أجمعا
رأى بجزا من حوار ومصرعا
مناد فصيح بالعراق فأسمعا
رهام الغواذى المزجيات فأمرعا

وقال أبو سفیان يذكر موقفه وبلاءه يوم أحد :

ولو شئت نجتنى كميت طمرة
فما زال مهرى مزجر الكلب منهم
أقاتلهم وأدعى يآل غالب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل
أباك وإخوانا له قد تابعوا

ولم أحمل النعماء لابن شعوب
لدى غدوة حتى دنت لغروب
وأدفعهم عنى بركن صليب
ولا تسأى من عبدة ونحيب
وحق لهم من عبدة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس لانى
ومن هاشم قرما بجيأ ومصقما
فآبوا وقد أودى الحلائب منهم
أصاهم من لم يكن لدماهم

قتلت من الجبار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيسوب
لهم خذب من مقبط وكثيب
كفيا ولا فى خطة بضرب

فاجابه كعب بن مالك

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجياً وقد سميت به بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشية والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي عليا فسراعه بضربة غضب به بخضيب

ولما كان يوم فتح مكة دخل أبو سفيان بن حرب على الرسول صلى الله عليه وسلم فأنشده .

لعمري انى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكل مدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهدى
وما د هداى غير نفسى ونالى مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهدا عن محمد وأدعى ولو لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهوهم وان كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بسلائط مع القوم ما لم أهدى كل مقعد
فقل لتقريف لا أريد قتالها وقل لتفريف تلك غيرى أوعدى
وما كنت فى الجيش الذى نال عامرا وما كان من جرى لسانى ولا بدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزاع جاءت من سهام وسرد
وقال الخطيب (١) .

وطاوى ثلاث (٢) عاصب البطن مرمل (٣) بيده لم (٤) يعرف لساكنها رسما (٥)

(١) هو أبو مليكة جروم بن أوس بن مالك نشأ منبوذا لا يعرف له أهل ولا وطن وقد انتسب الى قبائل مختلفة وشعره فى الطبقة الأولى من القوة والجزالة لولا أنه أكثر من قبيل الهجاء ،

(٢) أى مقيم ثلاث ليالى على الطوى : أى الجوع .

(٣) المرمل : الذى نفذ زاده . (٤) صحراء .

(٥) رسم الدار ما كان من آثارها لاصقا بالأرض .

أخى جفوة^(١) فيه من الانس وحشة
وأفرد في شعب^(٢) عجوزا ازاها
حنفاة عراة ما اغتذوا خبر ملة^(٤)
رأى شبحا وسط الغلام فراءه
فقال هيا رباة ضيف ولا قرى ا
فقال ابنة لما رآه بحسيرة
ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرا
فروى قليلا ثم أحجم رهة
فبيناهما عنت على البعد عانة
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
فأمهلها حتى تروى عطاشها
فخرت نحو ص ذاب جمحش سمينة
فيا بشره إذ جرها نحو قدمه
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
برى البؤس فيها من شرسته نعمى
ثلاثة أشبال تخالهم بهما^(٣)
ولا عرفوا للبرمذ خلقوا طعما
فلما رأى ضيفا تشمر واهما
بحقك لا نجرمه تا الليلة اللحم
أيا أبت اذبحنى ويسر لهم طعما
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
وان هو لم يذبح فتاه فقدهما
قد انتظمت من خلف مسحلبا نظما
على أنه منها إلى دمها أظما
فأرسل فيها من كناتته سهما
قد اكنزت شحما وقد طبقت لحما
ويا بشرهم لما رأوا كلها يدمى
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما

وقال مالك بن الربيع المازنى : برئ نفسه ويصف قبره وكان يخرج مع سعيد
ابن عفان أخى عثما بن عفان لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد
أن يلبس خفه فلقد غته أفعى فلما أحس بالموت أنشأ يقول :
دعاني الهوى من أهل أود وصحبتى بذى الطبيين فالتفت ورائيا
فما راعنى إلا سوابق عبرتى تقنعت منها إن الام ردائيا

(١) الجفوة : الوحشة .

(٢) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٣) جمع بهمة : الصغير من أولاد الضأن والمعز

(٤) الملة : الرماد الحار

ألم نرى بعث الضلالة بالهدى وأصبحت في جيش بن عفان غازيا (١)
فله درى حسين انك طائعا بنى بأعلى الرقتين وما ليا
تقول ابنتي لما رأت وشك رحلتى سفارك هذا تاركى لا أباليا
ألا ليت شعرى هل بكنت أم مالك كما كنت لو غادى نعيمك باكيا
إذا مت فاعتادى القبور وسامى عليهم اسقين السحاب الغوايا
ترى جدنا قد جرت الريح فوقه ترابا تكون القسطلاني هايا (٢)
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فاحفرا براية انى مقيم لياليا
وخطا بأطراف الاسنة مضجعي وردا على عيني فضل ردايا
ولا تحسداني بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض ان توسعاليا
خذاني لجراني ببردى اليكما فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
تفقدت من يكي على فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وادم غريب يجر لجامه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
وبالرمل لو يعلمن علمي نسوة بكين وفدين الطيب المداويا
عجورى وأختاي اللتان أصيبتا بموتى وينت لي تهيج البواكيا
لمعري لئن غالت خراسان هامتي لقد كنت عن بابي خراسان نايا
نحمل أصحابي عشاءا وغادروا أخائقة في عرصة الدار ناويا

(١) مالك شاعر فانتك كان يقطع الطريق، وكان من أحسن الناس وجها وأرقهم حديثا، فر به سعيه في طريقه الى خراسان وتألفه واتخذته في خاصته.

(٢) القسطلاني نسبة الى قسطلان، وهو الغبار الساطع، والهايا التراب الدقيق.

يقولون لا تبعدهم يدفونني وأين مكان البعد إلا مكانيا (١)
ومن الدناء قول أم حكيم زوج عبيد الله بن العباس أمير اليمن
من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان معاوية قد أرسل قائده الطاغية
بسر بن أرطاة إلى اليمن ، ففر من وجهه عبيد الله ، فعمد بسر إلى طفليه الصغيرين
فذبهما بمديّة فقالت ترثيهما :

يامن أحسن بابني اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحسن بابني اللذين هما	نخ العظام فنهى اليوم محتطف
نثيت بسراوما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجى ابني مرهفة	مشحودة وكذلك الاثم يقترف
حقى لقيت رجالا من أرومته	سم الانوف لهم في قومهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته	هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دل والهة حيرى مدله	على صبيين حلا اذ غدا السلف
وقالت فيهما وهو بما يتغنى به :	

ألا يامن رأى الأخوين	أههما هي الشكلي
تسائل : من رأى ابنيها ؟	وتستقى فلا تسقى
فلما استياست رجعت	بعبرة واله حيرى
تتابع بين ولولة	وبين مدامع ترى

وكان كعب بن مالك الأنصارى أحد من عاون عثمان على الثأرين وشهر سلاحه
فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف ولم ير أن الأمر يخلص اليه
ولا يجترى القوم على قتله فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدهم :

من مبلغ الأنصار عن آية	رسلا قصص عليهم التبيان
ان قد فعاتم فعلة مذكورة	كست الفضوح وأبدت الدنانا
بقه وودكم في داركم وأميركم	يعشى ضواحي داره النيرانا

بيننا رجبى دفعكم عن داره ملئت حريقا كاييا ودخانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه دخلوا عليه صائما عطشانا
يعلمون قلته السيوف وأنتم متلبثون مكانكم رضوانا
الله يعلم أنني لم أرضه لكم صنيعا يوم ذاك وشانا
يا لهف نفسي إذا قول ولا أرى نفرا من الأنصار لي أعوانا
والله لو شهد ابن قيس ثابت ومعاشر كانوا له أخوانا
وأبودجانة وابن أكرم ثابت وأخو المشاهد من بنى عجلانا
ورفاة العمري وابن معاذهم وأخو معاوى لم يخف خذلانا
قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيمانا

وكان ورقة بن نوفل يمر ببلال بن رباح وهو يعاذى العذاب الأليم من قریش
لإيمانه بالله وكان يحتمل هذا العذاب صابرا محتسبا وهو يقول : أحد أحد
فكان ورقة يقون أحد أحد يا بلال ! والله اثنى قتلتموه لاتخذنه حنانا — أى
قديسا — وقال فى ذلك :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يفرركم أحد
لا تعبدن إلها غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحانا نعوذ به وقبل قد سبح الجودى والحمد
مسخر كل ماتحت السمائم له لا ينبغي أن يباوى ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الا له و يودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خوائفه والخلد قد حاولت عاد فاخلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب به والجن والانس يجرى بينها البرد
وقال زيد بن عمرو بن نفيل

هزلت الجن و الجنان عني كذلك يفعل الجلد العنبر
فلا العزى أدين ولا لئنيتها ولا صنمى بنى طسم ادير
ولا عثما أدين وكان ربا لنافى الدهر اذ حلى صغير
أربا واحد أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجلا كان شأنهم الفجور
 رأينا المرء يعثر ذات يوم كما يتروح الغصن النفسير
 وقال عبد الله بن الزبير حين أسلم يعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بما هجاء
 به وهو مشرك :

يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور
 إذا جرى الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مشبور
 آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسى الفدا وأنت النذير
 وقال

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهم
 بما أتانى أن أحمد لا منى فيه فبت كائن محموم
 ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين رسوم
 لاني لمعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
 أيام تأمرنى بأغوى خطة سهم وتأمرنى به مخزوم
 فاغفر فدا لك والدائ كلاهما ذنبى فانك راحم مرحوم
 وعليك من أثر الملك علامة نور أضاء وخاتم مختوم
 مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم

وقال أبو دهل الجهمي بحسب النبي صلى الله عليه وسلم :
 إن البيوت معادن فنجازه ذهب وكل بيوته ضخم^(١)
 عقم النساء فما يلدن شبيهه لمن النساء بمثله عقم
 متلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفير والعدم^(٢)

(١) البيوت المراد بها القبائل المعادن جمع معدن وهو منبت الجواهر ، النجار :
 الأصل ، وكل بيوته ضخم أى أن القبائل التى اكتنفته من أخواله وأعمامه شريفة
 عظيمة مثل هاشم وأمية ومخزوم .

(٢) متلل بنعم : أى فرح بقول نعم . بلا متباعد : أى بعيد من قول لا ،
 وسيان : مثلان ، الوفير : المال الكثير ، العدم : قلة المال :

وقال متمم بن نويرة^(١)

لقد لامني عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك^(٢)
فقال أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك^(٣)
فقات له : إن الشجا يبعث الشسجا فدعني فهذا كله قبر مالك^(٤)

- (١) شاعر مخضرم صحابي قتل أخوه مالك في خلافة أبي بكر أيام الردة
فحزن عليه ورثاه بمرث بليغة منها هذه الأبيات
(٢) التذراف : جريان الدموع . السوافك : المراد منها المسفوك .
(٣) ثوى : أقام . اللوى والدكادك : اسماء موضعين .
(٤) الشسجا : الحزن .

الشعر

وما طرأ عليه في أغراضه وأسايبه ومعانيه

تمهيد :

١ — كان الشعر في الجاهلية ميدان البلاغة وجمال الفصاحة ، وشغل العرب الشاغل ، وسجل أيامهم الخالدة ومفاخرهم الثليدة ، والناساطق بآثرهم ، والمعبر عن آمالهم ، والذائد عن أعراضهم وأحسابهم

وكان للشعر أثره في نفوسهم وحياتهم ، وللشعراء منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة ، وكان يقوله الصغير والكبير والرجل والمرأة والفقي والفتاة ، والبطل الممجد في معارك الصحراء ، والصعلوك الفقير في وصف حياته ونفسيته ومطامحه ؛ وأنتم تملكون الكثير عن منزلة الشعر والشاعر في الجاهلية مما سبق تفصيله لكم في الأدب الجاهلي .

ب — وكان يذكي الشعر في نفوس العرب في الجاهلية بواعث كثيرة أهمها :

١ — هذه البلاغة والملكات القوية السليمة العالية .

٢ — ما كان فيه العرب من حرية ومن فراغ .

٣ — كثرة الحروب والخلافات بينهم ، مما كان يوجب روح الشاعرية فيهم ، ويشمل ملكات البيان في نفوسهم .

٤ — انقيادهم للعصبية وانتصارهم لها وسيرهم وراءها وتحكمها في نفوسهم وحياتهم ، والعصبية تثير الفخر وتدعو الى الهجاء وتحمل على الحماة . مما يستدعي الشعر ويستطلبه . إلى غير ذلك من الأسباب .

الشعر في صدر الاسلام :

١ — جاء الاسلام بهذه الدعوة الروحية العظمى ، وتلك الثورة الانسانية الكبرى .

نزل يهدي النفوس ، ويوقظ العقل ، ويهذب الخلق ، وينظم حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة والانسانية كافة تنظيما يوائم أسس مبادئ العدالة والحرية والإخاء الانسلي المنشود .

واختلف الناس حيال هذه الدعوة الكبرى في بدء النبوة ، فمن مصدق ومكذب ، مؤمن وجاحد ، وانتصر المسلمون لدينهم المجيد ، وشبهت خصومات وخلافات كثيرة ، بدأت بالهيجاج والحوار والنضال باللسان ، ثم انتقلت إلى السيف والرمح والسنان فبكرت الحروب والغزوات بين الرسول والمشركين بعد الهجرة .

وهذه الخلافات وتلك الثورة الكبرى من أعظم ما يبعث على الشعر ويستدعيه واتخذ رسول الله له شعراء يؤيدون الدعوة ويدافعون عنها ويهجون خصومها وهم : حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه . أما شعراء المشركين فمنهم عمرو بن العاصي وأبو سفيان وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبيري . وكثرت المنافرات والمفاخرات الأدبية بين أنصار الرسول وأنصار المشركين من الشعراء ، وسجل التاريخ الأدبي طائفة كبيرة من هذه المحاورات والمفاخرات وكان لحسان في ذلك المجال الحظ الأوفى .

وقد ساعد شعراء الرسول في هذه المعركة الأدبية إيمانهم الثابت وتأجيج عواطفهم وامتلاؤها بالرغبة في الذود عن الاسلام والرسول بكل ما يستطيعون ويمسكون ، وبلاغاتهم وطبائعهم الأدبية الاصيلية ، ثم تأثرهم ببلاغة القرآن والرسول واحتذاؤهم لها ، فوق تأييد الله ورسوله في دفاعهم الجبار عن دينه وكتابه وشريعته الخالدة المقدسة .

٢ — ثم انتهى الصراع الحربي في جزيرة العرب وألقى المشركون كافة السلاح أمم المسلمين ودخلوا في الدين الجديد وآمنوا بمحمد ودينه ، فسكنت الأمور واطمأنت النفوس وهدأت الخواطر وأخذ الناس يتأدبون بأداب الدين ويرعون أحكامه في عباداتهم ومعاملاتهم وحياتهم . فتركوا كثيرا من مفاخر جاهليتهم الباطلة ، وتقاليدهم بدائهم الزائفة ،

وتحاكوا إلى الله ورسوله فيما شجر بينهم من خلاف ، فأعرضوا عن الخير والبر والقمار والكذب والزور ، وتركوا الهجاء الكاذب والفخر الباطل والفول الفاحش ، وهجروا حب الانتقام والاختلاف بالنار وشن الحروب لأوهى الأسباب ، وأصاخوا إلى داعى الله ونداء الحق ، وأعرضوا عن اللغو والفجور والتشبيب بالنساء

هنالك ضعف الشعر ، وبطلت أغراضه أو الكثير منها ، وفقر الداعى إليه ، بتأثير هذا الوازع الدينى القوى ، ولما أعجبهم من بلاغة القرآن وروعته وعظمته وسموه ، وحسان وحديث ضعف شعره فى الاسلام مشهور ، حتى تعجب النقاد من ذلك ، وقال العمالي : « كان حسان يقول الشعر فى الجاهلية ، فيجيد جدا ، ويغير فى نواحي الفحول ، ويدعى أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كمادة الشعراء فى ذلك ؟ ويقول مثل قوله فى بنى جفنة ملوك غسان

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن ماوية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فلما أدرك الاسلام ، وتبدل الشيطان ملكاً تراجع شعره وكاد يرك فى قوله ، ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك ، «^(١)
٣ أما الشعراء فكانوا إزاء ذلك ، وحيال تأثرهم بالاسلام الكريم ، طوائف ثلاثا :

١ - طائفة تركت الشعر جملة ، حيث بهرها هذا الدين الخالد ، وتلك البلاغة الرائعة بلاغة القرآن الكريم ، ومن هذه الطائفة : لبيد الذى لم يؤثر عنه فى الاسلام إلا بيت واحد كما يقولون وهو :
الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى

حتى تبدلت من الاسلام سربالا
ب - وطائفة مع تأثرها بالاسلام والقرآن كالتائفة السابقة غيرت نهجها فى الشعر فنظمته متأثرة بأداب الدين وروحه وعقائده وأهدافه ، ولكن ظهر

عليها الضعف وبأن في شعرها العجز الفنى الذى تحدث عنه الثعالبي في شعر حسان ج وطائفة ثالثة ، خالفت الطائفتين السابقتين في أنها عاشت بعيدا في البادية وضعفت فيها النزعة الدينية القوية مع أنها في عصر النبوة ، وظلت على نهج حياتها السابقة في الجاهلية ، ومن هذه الطائفة : الخطيئة ولقيف من الشعراء سواء كضابئ البرجي وأبو محجن الثقفي وسواهما :

٤ - وبعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزهه الله عن الشعر فلم ينظم منه شيئا أما أسرته فكان فيها الخول من الشعراء (١) ، وأما أكثر أصحابه فنظم الشعر وأنشده ورواه ، وأما خلفاؤه رحمة الله عليهم فقد كانوا ذوى بصر بالشعر ومعرفة به ونقد له وإعجاب به وحب وأريحية ورغبة لسماعه وإنشاده كما عرفت سواء في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلى .

وكان عمر بن الخطاب وغيره يأمرون بتعلم الشعر ، وقد سبق في ذلك روايات كثيرة ، ولا بأس بأن نعيد بعضها عليك . قالت عائشة : « روى أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم » وقال ابن عباس : « إذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه من أشعار العرب » وقال عمر : « روى أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » إلى غير ذلك مما تجده في أول العمدة وجمهرة أشعار العرب وسواهما من مصادر الأدب والبيان .

وكان رسول الله يأمر شعراءه بقول الشعر ، فأمر حسان بهجاء المشركين ، وقال له : اهجمهم وروح القدس معك ، وبعث لابن رواحة فأنطلق إليه مسرعا فسلم ، فجلس بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم كأنه يتعجب من شعره : كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ قال : أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين ، (٢)

(١) يقول ابن سلام في طبقات الشعراء : كان أبو طالب شاعرا جيدا الكلام [٩٨ المرجع طبعة المحمودية] . ويقول : وأجمع الناس على أن الزبير ابن عبد المطلب شاعر (٩٩ المرجع)
(٢) راجع ص ٨٨ طبقات الشعر لابن سلام عبيد المحمودية .

وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك : أتري الله نسي قولك :
 زعمت سخينة أن ستغلب ربها و ايغابن مغالب (١) الغلاب
 وكان ابن الزبير يحارب رسول الله بعمره ثم أسلم ومدح النبي واعتذر اليه
 فقال :

إني لاعتذر اليك من الذي أسديت إذ أنا في ضلال أهيم
 أيام تأمرني بأغوى خطية وسهم، وتأمرني بها وغزوم،
 فاغفر فدي لك والداي كلاهما ذنبي فانك راحم مرحوم
 وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وغاتم مخنوم
 مضت العداوة فانهضت أسابها ودعت أوامر يبتنا (٢) وحلوم

وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عزة الجمعي الشاعر ، لأن المسلمين
 أسروه يوم بدر فرحمه الرسول وأطلق سراحه بعد أن عاهده أن لا يمين عليه بشعر
 ولكنه خان العهد وهجا الرسول فأسر يوم أحد فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم
 صبرا (٣) .

وكان هبيرة بن أبي وهب شاعراً من رجال قريش الممدودين وكان شديد
 العداوة لله ولرسوله فأخذه الله (٤)
 أغراض الشعر في صدر الإسلام

١ - هجر الشعراء الأغراض التي تتنافى والدين وأعمالهم الإسلام : كالغزل
 الفاحش ، والفخر الكاذب ، والهجاء المقذع ومن استمر منهم على الهجاء كالحطيئة
 حبس وزجر من الخلفاء الراشدين وموقف عمر من الحطيئة معروف ، كذلك
 بطل الكلام في الخمر ووصفها والميسر وقتيانه والجزور التي ينحرونها عليه ، وفي

(١) ٨٨ طبقات الشعراء.

(٢) ٩٦ و ٩٧ المرجع

(٣) راجع ١٠٤ و ١٠٥ طبقات الشعراء لابن سلام

(٤) ١٠٦ و ١٠٨ المرجع

تملق الناس بالمدح؛ وفي صيد الوحش وطرده مما كان يعده المسلم المتأثر
بالعقيدة الإسلامية عبثاً ولهوا

وكان كثير من هذه الأغراض شديد الصلة بحياتهم في الجاهلية كالخمر والميسر
وحياة البطولة والصراع والاختد بالثار والرغبة في الانتقام والديب والاستهتار
والفجور في الحب، ومن أجل ذلك كان فيها أجود أشعارهم وأملؤها بالقوة
والروعة والعاطفة؛ وهذا يفسر لك بعض الحق فيما يقال من أن الشعر ضعف في
صدر الإسلام

ب — واقتصروا في نظم الشعر في هذه الأغراض الآتية :

١ — الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومناضلة خصومه .

٢ — هجاء أعداء الدعوة في عصر النبوة ، وهجاء أصحاب الديانات الزائفة
بعد عصر النبوة .

٣ — رثاء من استشهدوا في غزوات الرسول وفي الفتوحات الإسلامية الكثيرة،
ومن قتل ظلماً من خلفائه وكبار أصحابه .

٤ — شيوعه على السنة الشعراء زمن الخلفاء الراشدين في الفخر والتباهي
بالانتصار على جيوش الفرس والروم والتمدح بشجاعة المسلمين وأبطالهم ووصف
المعادل والحصون وآلات القتال والحصار التي لم يكونوا عرفوها وأنواع
الحيوان الذي لم يشاهدوه ، ومنه الفيلة التي حارب الفرس عليها العرب ،
ووصف جبال التليج والأنهار العظام وسفائن البحر ذلك ؛ مما ملئت به كتب
المغازي والفتوح . ويكثر في هذا النوع الأراجيز .

٥ — الحكمة ، وقد كثرت في الشعر في هذا العصر بتأثير ثقافة القرآن
والدين وللتجارب الكثيرة التي أفادوها في الحياة ، يقول حسان أو حفيده سعيد :
وإن أمراً يمسى ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

ويقول الخطيئة :

لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول كعب بن زهير .

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٦ — المدح وأشهر شعرائه حسان والنابعة الجعدى وكعب بن زهير والخطيئة وفي هذا الفن يبدو أثر الإسلام في معانيه وألفاظه.

٧ — كما نفا. وه في الوعظ والتزهد في الدنيا والدعوة الى تقوى الله ، متأثرين في ذلك بالإسلام ،

معاني الشعر في صدر الإسلام

وقد تأثرت معاني الشعر في هذا العصر تأثرا واضحا بالإسلام والقرآن الكريم فغلب على معانيه :

١ — العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعاني والأفكار .

٢ — ظهور المعاني الإسلامية في الشعر وغلبتها عليه .

٣ . الصدق والحق وترك المبالغة والغلو .

٤ . الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار والخيالات والبحث .

٥ — توليد المعاني من العقائد الإسلامية كالصلاة والصيام والجنة والنار الخ .

٦ — ظهور العاطفة الدينية وذلبيتها على معاني الشعر في هذا العصر

أسلوب الشعر .

تأثر الشعراء في عصر النبوة وبعده بالقرآن الكريم وحديث رسول الله تأثرا ظاهرا في الأسلوب والأداء مما أحدث تغييرا واضحا في الأسلوب في هذا العصر :

١ — فقد هجروا الخوشى والغريب والمبتذل والساقط والمملحون

٢ — وامنعوا في جمال السبك وعذوبته وإحكامه وتلاوته

٣ — كثير في شعرهم الاقتباس من القرآن الكريم . كما يقول معن بن أرس :
فما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له مني الجناح تألفا لتدنيه مني القرابة والرحم
٤ — جزالة الأسلوب وقوته وكثرة روائعه وصوره الأدبية والبيانية .

٥ — هذا^(١) ويقسم الأقدمون الشعراء المخضرمين طائفتين متميزتين : شعراء
الوهر من أعراب نجد واليهامة وبواديها ، وشعراء المدر وهم أهل القرى كالمدينة
ومكة والطائف ، وقرى عبد القيس في البحرين ، والحيرة بسواد العراق . وبرون
أن شعراء أهل نجد واليهامة والوادي أفضل من شعر أهل القرى وأجزل لفظا وأضخم
أداءً وأوسع مذهبا في تنويع أساليب الكلام ولكن شعرهم لا يخلو من حوشية
في العبارة ، ومنهم كان فحول الشعراء .

وبرون أن شعراء المدر ألين شعرا وأرق لفظا وألطف كناية وأدب أسلوبا
وأن أشعرهم جميعا أهل المدينة ، ومنهم كان شعراء التي الذين نافحوا عنه الشعراء
الداشئين في قریش بعد أن لم يكن لها شعر يذكر ، وأن شعر الأنصار من الأوس
والخزرج في هذا العصر لان في اللفظ وهان في المعنى عما كان عليه في الجاهلية
وعلموا ذلك بأن الاسلام نسخ كثيرا من بواعث الشر التي تثير النفوس وتشعل
الاحقاد : كالاصبية الجاهلية ، وحب الانتقام ، والاخذ بالنار ، والنشوة بالخمر
والهجم السكاذب ، واكثر ما يجيش بالخواطر عند احتدام الشرور وتسكن اليه
النفوس عند الرضا والسرور . وأمر آخر ذكره ، وهو أن كثرة تلقيهم آيات هذا
القرآن المعجز ونزوله بينهم كل حين بما يبرهم ويأخذ بمجامع قلوبهم صغرة قيمة
شعرهم في أعينهم ، واستنسخوا معانيهم وأسلوبهم بالاضافة إلى معانيه وأسلوبه ،
فهبطت قوة شعرهم عما كانت عايد ، ومنلوا لذلك بقوة شعر حسان في الجاهلية
ولينه في الاسلام وشموخ شعر أمية بن أبي الصلت في الجاهلية واستخذائه في
الاسلام : لمكان حسده لرسول الله وأكبر من ذلك أن لبدا العامري وهو من

أخل شعراء الجاهلية ، عند ما انقطع إلى حفظ القرآن ومدارسته انقطع عن قول الشعر في الاسلام وية ولون : إن من لم يتعرض لهذا الاثام والانهار من أعراب البوادي بقي شعره إلا قليلا على غرار شعر الجاهلية من أمثال الخطيئة وكعب ابن زهير . وكل هذا كلام مقبول في جملة ، ولكن كثيرا من أهل العلم والنقد من المتقدمين والمتأخرين يرون أن بعض ما يستضعف من شعر شعراء مكة والمدينة والطائف مدسوس عليهم .

ألماظ الشعر :

وألماظ الشعر عامة في هذا العصر يغلب عليها العذوبة والخفة وترك الحوشية والتنافر والغرابة . ويتردد فيها كثير من الألماظ الاسلامية كالصيام والصلاة والزكاة والحج والايان والاسلام .

• • •

وبعد فقد كان المسلمون والخلفاء يراعون الشعر والشعراء . وكان أبرز عمل قاموا به هو الدعوة إلى المحافظة على الشعر الجاهلي وروايته وكتابته خوفاً من أن يندثر بكثرة من قتل من العرب في الفتوحات ولما شاهدوه من قلة الرغبة في الشعر عند الناس بتأثير الشعور الديني الجديد ، ومحافظة على لغة القرآن ولقهم بلاغته وإعجازه ولهذا قال عمر بن الخطاب :

عليكم بديوانكم لا تضلوا ، فقالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

أشهر الشعراء المخضرمين

١ - عبد الله بن رواحة

المتوفى سنة ٥٩ هـ

شاعر عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية . كان في حروب أهل المدينة في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم
نشأ بالمدينة وشب شاعرا يفهم الشعراء ولما هاجر الرسول صلوات الله عليه أسلم . وشهد بدرًا وكان في الاسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دافع عن الرسول بشعره وجادل مشركي مكة وكانت له روائع كثيرة في تأييد الاسلام . ولذلك كان الرسول يحبه ويدعو له . وأشد الرسول قصيدته :

نجالد الناس عرض فأنسهم	فينا النبي وفيها تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا	حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم	على البرية فضلا ما له غير
إن تفرست فيك الخير أعرفه	فراصة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم	في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن	تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فأقبل عليه بوجهه مبتسما ثم قال وإياك فثبت الله

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موتة ثالث ثلاثة أمراء : زيد بن حارثة . وجعفر بن أبي طالب . وابن رواحة . فلما قتل صاحبه كانه كره الأقدام فقال :

أقسمت يا نفس لنزله طائفة أو لتكرهه
وطالما قد كنت مطمئنة ما لي أراك تكرهن الجنة
فقتل يومئذ . ويقول قبيل نزوة مؤنة :

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد (الحساء)
فشأنك فأنعمي وخلالك ذم ولا أرنو إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وغادروني بأرض الشام مشهور الثواء
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

ومن شعره :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبداء
أو طعنة بيدي حيران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبداء
وقال في معركة مؤنة ،

يا نفس إلا تقتلي تموتي
هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقتل لقيت
إن تقبلي فملهما هديت
وإن تأخرت فقتل شقيت

* * *

ومن شعر عبد الله بن رواحة هذه القصيدة .

تذكر بعد ما شطت نجوداً وكانت نيمت قلبي وليداً (١)
كذي داء غدا في الناس يمشي ويحكمتم داءه زمناً عميداً (٢)

(١) شطت : بعدت — والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض —
ونيمت : فتنت ودهلت — والوليد : المولود وهو يعني أنه أحبها منذ الصغر
(٢) كذي داء : الخ : يعني أنه كصاحب الداء الذي كتم الناس ما به —
والعميد : المديد

تصيد عورة الفتيان حتى تصيدهم وتشنأ أن تصيدا (١)
فقد صادت فؤادك يوم أبدت أسىلا خدها صلتاً وجيدا (٢)
نزين معقد اللبات منها شنوف في القلائد — والفريدا (٣)
فان تضنن عليك بما لديها وتقلب وصل نائلها — جديدا (٤)
لعمرك ما يوافقني خليل إذا ما كان ذا خلف كنودا (٥)

* * *

وقد علم القبائل — غير نخر — إذا لم تلف مائلة ركودا (٦)
— بأنا نخرج الشتوات منا
إذا ما استحكمت ، حسبها وجودا (٧)

(١) تصيد : تصيد — والعورة : موضع الضعف وما اختفى — والفتيان :
الرجال — وتصيدهم تجذبهم وتخضعهم — وتشنأ : تكره وتأبى — أن تصيدا
يعنى تصيدهم عن غير عمد

(٢) صادت : ملكت — وأبدت : كشفت — أسىلا : وجهاً أسىلا
والاسيل الطويل ، — والصلت ، الطويل أيضا — والجيد ، العنق

(٣) معاهد اللبات : الاعناق والرقاب — والشنوف : الاقراط وما تدلى
من العقد — القلائد : العقد المزدوج

(٤) تضنن ، تبخل — لديها عندها — وتقلب وصل ألخ ، تتجاهله وتكره
— ونائلها : مواصلها والمعنى أنها تزعم أنها لم تصله قبل اليوم

(٥) ما يوافقني ، لا يعجبني — والخليل ، الصديق — والكنود ، الجحود

(٦) أقول بغير نخر إن الناس يعلمون انا إذا لم ننخر جزوراً توجد راكدة
فلا أقل من أن نخرج الشتوات وحسبها وجودا منصوبان على أنها مفعول لاجله

(٧) والشتوات ، طعام الشتاء بما يصنع من البر ولحم الغنم والشيء — إذا
ما استحكمت ألخ إذا حصل ضيق — وذلك حفظاً لما رتينا — والجود بالموجود
ليس بخلا

قدور تفرق الاوصال فيها خضيب لونها : بيضاً وسوداً (١)
 متى ما تأت يثرب أو تزرها تجدنا نحن أكرمها وجوداً (٢)
 وأغلظها على الأعداء ركنا وألينها لباغى الخير عوداً (٣)
 وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر وأقصدها وأرفاها عموداً (٤)
 إذا ندعى لأر أو لجار فنحن الأكثرون بها عديداً (٥)
 متى ما ندع في جشم بن عوف تجدنى لا أغم ولا وحيداً (٦)
 وحولى جمع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديداً (٧)
 زعمتم أنما نلتم ملوكاً ونزعم أنما نلنا عبيداً (٨)

(١) قدور : آنية طهى الطعام - تفرق الاوصال : عميقة فيها طعام كثير -
 والخضيب : متعددة الألوان - بيضاً وسوداً : حال ووصف للقدور
 (٢) يثرب : المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - أو تزرها وفي
 رواية أو تردها

(٣) أغلظها : أشدها وأقواها - وألينها : أسهلها - لباغى الخير : لطالب
 الجود والاحسان ، والمعنى أنهم مهاجون مرجون .
 (٤) أخطبها : أفصحها لساناً ، وأرشدنا رأياً - وأقصدها : أكثرها قصاداً
 (٥) ندعى : ننادى - لنأر أو لجار : للحرب أخذاً للثأر ، أو إغاثة للجار -
 لبينا الدعوة بفرسان لاعداد لهم وبها : يثرب

(٦) تدع : تنادى وتنشدنى - وجشم بن عوف : قبيلة الشاعر - لا أغم :
 لست بمجهولاً - ووحيد : لا أخ له ولا نفر

(٧) بل تجدنى كثير نفر كبير الشهرة لأن أنصار آل ساعدة بن عمرو ، وهم
 هم في الحرب والسلام - وتيم اللات : عبدها ، وهو لاسم قبيلة - لبسوا الحديد
 تقلدوا السلاح وأدرعوا الدروع

(٨) زعمتم : ادعيتهم - أنما : الذى - نلتم : ملكتم . ملوكاً : أقبالا
 وشجعاناً - ونحن بدورنا لا ندعى دعواكم ، بل نقول إن أسراننا من العبيد

وما نبغى من الأخلاف ونرا وقد نلنا المسود والمسودا (١)
 وكان نساؤكم في كل دار يهرشن المعاصم والخسودا (٢)
 تركنا جحجي كبشات فقع وغوغا في مجالسها قعودا (٣)
 ورهط أبي أمية قد أبجنا وأوس الله أثبعنا ثمودا (٤)

٢ - كعب بن مالك

من شعراء المدينة من بنى سلمة . نشأ بها وأسلم بعد الهجرة ودافع عن الرسول
 بشعره ولسانه فحمده وأثنى عليه . وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك فتأب الله
 عليهم كما قص في سورة براءة

وكان شاعرا مجيدا . قال يوم أحد من قصيدة .

لجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
 ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرتنا أو أربع
 فراحوا سراعا مرجمين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع
 ورحنا وأخوانا بطاء كأنه أسود على لحم بيشتة ظلع

(١) نبغى . نريد - والأخلاف . الأحزاب المتحالفون - والوتر . الانتقام
 وفي الأساس أن الوتر والوتيرة . التواني - وقد نلنا الخ . ملئنا ناصية الجميع
 (٢) وكان نساؤكم سبايا مأسورات يقاسين الذل والفاقة عليهن ثياب بالية
 قدرة أجتسامهن ، وهذه أوصاف الأسرى ، وقيل يتخذن ملهاة - من المهارشة
 وهي المداعبة قال في الأساس . اتهاشنت الكلاب واهترشت : هارش بعضها بعضا
 وهارشت يذنها مهارشة وهراشا ، وهما كلبا هراش ، وقيل . هرش الزمان اشتد
 وقسى ، والهرش المحنة والذل

(٣) جحجي . قبيلة هزمها الشاعر وقومه - وبنات فقع : مثل يضرب في الذلة
 عند العرب - والغوغاء : الطبقة لدنيا من الناس - وأوس قبيلة ييثرب - أثبعنا ثمودا
 أبدناهم حتى أمسو في الغابرين .

وقال كعب في أيام الخندق .

من سره ضرب يرعبل بعينه بعضنا كعمعة الالباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المازد وبين جزع الخندق
وقال بعد ذلك في كلمة أيضا .

قضينا من تهامة كل وتر وخير ثم أغمدنا السيوف
نخيرها ولو نطقنا لقات قواطهن دوسا أو ثقيفا
فلست بحاضن إن لم تروها بساحة داركم منا الوفا
فنتزع العروش ببطن وج وتترك داركم منا خلوا
ونهدم ما بنات اللات منكم ونسلها القلائد والشوفا

٣٠ — كعب بن زهير

المتوفى عام ٢٤ هـ

وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ، وصاحب « بانات
سعاد » . الجيدة المشهورة

ومن شعراء الرسول صلى الله عليه

أسرته شاعرة فهو ابن زهير صاحب المعلقة . قال الشعر في حدائنه ، فسكران
والده ينهيه عنه مخافة أن يقول مالا خير فيه فيروى عنه ، فيلزمه عاره الدهر فلم
ينته ، فأذاه فلم يرتدع ، فامتنحه امتحاناً شديداً ، فسكران يقول على البديهة
ما يحب زهير ، فأجازه له فمضى ونبغ فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الاسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم
فغضب كعب لإسلامه ، ونهاه عن الاسلام وهجاء وهجا رسول الله وأصحابه ،
فتوعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجيء
إلى النبي مسلماً تائباً ، فقام كعب يتراعى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد ،
وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض في وجهه ؛ جاء أبا بكر
رضي الله عنه بالمدينة وتوسل به إلى الرسول ، وعاذ به وآمن ، وأنشد
قصيدته المشهورة **بمدح** بهار رسول الله وهي من جيد شعره ، ومطلعها :

بانت^(١) سعاد فقلبي اليوم متبول^(٢) متيم^(٣) إثرها لم يفد مكبول^(٤)
فخلع عليه النبي بردته فبقيت في أهل بيته ، حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف
درهم ، وبيعت للمصور العباسي بأربعين ألفاً
وكان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر ،
وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد لزهير ما فضلت
على ابنه كعب ، وكفاه فصلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاء أن ينوه به
في شعره فقال :

فمن للقوافي شأنها من يحوكها^(٥) إذا مامني كعب وفوز جردل^(٦)
وكان يكثر من غريب الألفاظ على جودة في الوصف ، وسهولة في العبارة
في بعض المواضع ، وصعوبة في بعضها الآخر .
ومن شعره قوله في قصيدته بانت سعاد :

وقال كل خليل - ل كنت آله لا ألينك اني عنك أشغول
فقلت خلوا سبيلا لا أبالكم فسكل ما قد در الرحمن مفعول
كل ابن أثى وان طالت سلامته يوما على آلة حديد^(٧) محمول
أنبت أن رس - ول الله أرعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة^(٨) قرمان فيم - ا مواعظ وتفصيل
لاتأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل
ومن قوله أيضا :

(١) فارقت (٢) تبه الحب أسقمه وأضناه

(٣) معبد ومذال (٤) مقيد

(٥) شان ضد زان ، وحاك الثوب نسجه ، والقصيدة نظمها

(٦) فوزمات ، وجردل اسم الخطيئة الشاعر

(٧) بريد النعش ، وقيل الآلة ، والجدباء المصيبة الشديدة

(٨) كل عطية تبرع بها معطيها

ان كنت لا ترهب ذى لما تعرف من صفى عن الجاهل
فاخشى سمكوتى إذ أنا منصت فيك لمسدوح نخنا (١) القائل
فالسامع الذم شريك له ومطعم الماكول كالاكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٤ — الخمساء الشاعرة

المتوفاة عام ٢٤ هـ

هي تماضر الخمساء بنت عمرو بن الشريد السلية الشاعرة المشهورة . نشأت
وحاشت بين قومها بنى سليم، وسليم قبيلة عربية قوية من قبائل البدو وهي من أهم
قبائل قيس، وقيس أشهر مضر على الإطلاق . عرفت سليم بكثرة غزوها من
حولها من القبائل وخصوصاً غطفان ثم عرفت بعد الهجرة بمناة الرسول أيام
إقامته في المدينة، ولكنها ما لبثت أن وفد عليه معلنة إسلامها مؤيدة لإيمانها بدفاع
مجيد عن الرسول ورساله في غزوة حنين المشهورة . وليس من العسير تصور
معيشة قبيلة بدوية قebil الإسلام خلال بدو العرب لم تتغير كثيراً على مدى الأيام
والاعوام ولكن بدواة سليم لم تكن خالصة وإنما كان يشوبها القليل من الحضارة
فقرّبها من مكة يسرها الاتصال بها ويسر لها شهود موسم الحج كل عام وما يتبع
موسم الحج من أسواق تجارية واجتماعية وأدبية، ثم قربها من المدينة يسرها الاتصال
بها وبمدينتها وأخيراً وقوعها بالقرب أو على الطريق التجارية بين مكة والشام
يسر لها الاتصال التجاري وما يتبعه من اتصال اجتماعي . كل هذا كان ولا شك له
أثر في خلط بدواة تلك القبيلة بشيء من الحضارة مهما يكن يسيراً

ولم تكن أسرة عمرو بن الشريد ابى تماضر أو الخنساء أسرة ضعيفة الشأن بين بنى سليم، فنهجن نعلم أن العرب ما اعتدت برجال في حياتهم الاجتماعية قدر ما اعتدت بفرسانها، ولقد كان صخر ومعاوية ابنا الشريد أشهر فرسان بنى سليم، بل من أشهر فرسان مضر. ويروى الرواة أن أباهما عمرو بن الشريد، كان يأخذ بيد ولديه في موسم الحج ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد وكان يقول من أتى بهما أخوين فله حكمه فتقر له العرب بذلك.

هذه قبيلة الخنساء وتلك أسرتهما.. أحبها دريد بن الصمة فارس جشم وشاعرها المشهور، قالوا إن دريدا رآها يوما وهي تنهنا الأبل فهويها وقال فى هواه هذا شعرا منه.

حيوا تماضر وأربعوا صحبي وقنوا فان وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم واعتاده دام من الحب

ثم خطبها دريد إلى أبيها فقال له أبوها: ولكن هذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذا كرك لها وهى فاعلة، ثم دخل إليها وقال: يا خنساء أنك فارس هوازن وسيد جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين. قالت: يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ومتزوجة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد. وكان دريد يسميها فلما خرج إليه أبوها وقال له أنها امتنعت وقد تجيب أنصرف دريد وهو متيقن من رفضها. ولقد صعب هذا الرفض على دريد فهجاها بشعر يقول فيه:

وتزعم انى شيخ كبير وهل خبرتها انى ابن خمس
فلما أبلغوها هجاء دريد وقالوا لها ألا تجيبينه قالت: لا أجمع عليه أن أردده وأن أهجره.

قتل شقيقها معاوية ميم أخوها لأبيها صخر. وكان قتل معاوية فى يوم حورة الأول أما يوم حورة الثانى فقد أثاره صخر للاخذ بثأر أخيه. وفى يوم ذات الأثل طعن صخر طعنه أمهاته عاما وتوفى فى آخره. وكانت الخنساء تقول المقطعات

الصغيرة فلما قتل أخوها جرعت عليهما جرعا شديدا وبكتهما بكاء مرا ، وكان أشد وجدها على صخر ، لأنه شاطرهما هي وزوجها أمواله مرارا ، فهاج حزنها الشعر في نفسها ، فقالت المراثي المطولات ، وفاقت النساء والرجال فيها وأطالت عليهما البكاء العويل حتى تقرحت مآقيها ، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء .

ولعل أصدق صورة وأقواها لبر صخرها تلك التي رسمتها هي لعائشة أم المؤمنين ، قالوا أقبلت الخنساء الى المدينة حاجة نأنت عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على العصا ، وبعد أن ناقشتها عائشة في لبس الصدر ، قالت لها : ما دعاك الى هذا إلا صنائع من جميله ، قالت نعم إن لشعاري سببا وذلك أن زوجي كان رجلا منلافا للأموال يقامر بالقصداح فأتلف فيها ماله حتى بقيت على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخى صخر فإله ، نأيتيه وشكوت اليه حالنا فشامرنى ماله ، فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت إليه في العام المقبل أشكو إليه حالنا فعدالى بمثل ذلك فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة أو الرابعة خلت به صخر امرأته فعدلته ثم قالت إن زجهما مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء فإن كان لا بد من صلتها فاعطها أخس مالك فانما هو متلف والخيار فيه والشرار سيان فاناشأ يقول لامرأته :

والله لا أمنعها خي — ارءا وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكتي قد دت خمارها واتخذت من شعر صدرها

ثم شطر ماله فاعطاني أفصل شطرين ، فلما ملك اتخذت هذا الصدر ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت .

صبغت حياة الخنساء بصبغة سوداء قائمة وباتت تعرف بحبيد رثائها وعميق حزنها الذي لم تنصفه السنين شدر تفرج به عن نفسها وعزاء تنلقاه من كل من يلقيها ويسمونها صغيرة كان أم كبيرا حقيرا كان أم عظيما .

أصبحت الخنساء تشهد موسم الحج وقد سومت هودجها تنشد شعرها في رثاء

أخويها وأبيها وتعاضلهم العرب بمصيبتها بل تعاضلهم العرب بحيد شعرها في الرثاء .
لم تزل الخنساء وحدها تعاضلهم العرب بمصيبتها حتى أتتها همد بنت عتبة بن
ربيعة تقرن جملها اليها وقد سومت هودجها هي أيضاً تعاضلهم العرب بمصيبتها في
في شهداء بدر أبيها وعمها وأخيها . وفي هذا الموسم أنشدت كل منهما شعراً في
مصيبتها وأنشدت الخنساء قصيدتها .

من حس لى الآخرين كالغصنين أو من رآهما
أخوين كالصقورين لم ير ناظر شسرواهما
وبينما كانت الخنساء تندب أخويها كانت رسالة النبي تنتشر ويشيع نورها على
الحجاز وما جاوره .

وما لبثت أن توافدت اليه الوفود معلنة اسلامها . وكان بين هذه الوفود
وفد بنى سليم وفيهم الخنساء وأنشدت النبي شعرها فاعجب به وكان يستزيدها ويقول
لها هيه يا خنساء .

وقالوا قدم عدى بن هاشم على رسول الله وقال له أن فينا أشعر الناس
وأفرضهم وأسخاهم أما أسخاهم فحاتم بن سعد وأما أفرسهم فعمرو بن معدى
كرب قال الرسول ليس كما قلت يا عدى فان أشعر الناس الخنساء بنت عمرو .
أسامت الخنساء مع قومها ولكن الاسلام لم ينسها مصيبتها فكان الحاج
لا يستعرب منظر امرأة حليقة الرأس لابسة الصدر تندب على عصا من السكبر
وقد قرح البكاء عينيها حبي عميت تطوف في مكة والمدينة منشدة .

باعين جودى بالدموع المستهلل السوافح
فيضاً كما فاض الغروب المترغات من النواضح
ان البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

نمتها عائشة أم المؤمنين عن لثس الصدر ونهاها عمر بن الخطاب عن حزنها
ولكن حزنها صمد لكل شيء ولم يضعف . وقالوا أقبلت الخنساء حاجة
فمرت بالمدينة ومعهما ناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه الخنساء
نزلت المدينة بزى الجاهلية ناز وعظمتها يا أهدر المؤمنين فلقد طال بكائها في

الجاهلية والاسلام فقام عمر فاتاهما فقال : يا خنساء فرفعت رأسها وقالت :
ما تشاء ، قال ما الذى قرح عينيك ، قالت البكاء على السادات من مضر قال لانهم
هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاء اللهب وح : و جهنم . قالت فذاك الذى زادنى وجعاً ،
قال فأنشدبنى مما قلت قالت أما إني لا أنشدك بما قلت اليوم ، ولكن أنشدك بما
قلت الساعة ، فقالت :

سقى جدثاً أكابغ غمرة دونه من الغيث ديمات الربيع ووابله
فقال عمر دعوها فانها لا تزال حزينة أبداً .

واشترك بنوها الاربعة فى معركة القادسية ، فكان كلامها يزيدهم نشاطا واستتاراً
بالموت : « يا بنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . يقول الله عز وجل :
« يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، فاذا
رأيتهم الحرب قد شمروا عن ساقها واضطرمت لظى على سباقها وجللت ناراً على
أرواقها فتيقنوا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفرو بالمغنم
والكرامة فى دار الخلود والمقامة » .

قتل بنوها الاربعة فى حارب القادسية وكلنا نعلم كيف تلقت خبر موت بنينا
بقلم عامر بالإيمان قوى بالقيدة الراسخة التى تستمر باجل شئ فى سبيلها ، قالت
لما نعرهم إليها : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى
مستقر رحمته .

الخنساء لدى عائشة أم المؤمنين :

دخلت (١) الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدر (٢) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدتها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما لبسته !
قالت : إن له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف في ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع في مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين (٣) ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .
ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ، قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه ، فقسم ماله ، وخيرنا في أفضل الشطرين .
فقالت له زوجته : ألا ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ، فقال :

والله لا أمنحها شرارها فلو ملكت قددت (٤) خمارها
واتخذت من شعر صدرها
فأليت ألا يفارق الصدر جسدى ما بقيت !

-
- (١) العقد ص ٢٢ ج ١ ، سرح العيون ص ٢٩٩
(٢) الصدر : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت جميعها فأحدثت عليه ليست صدراً من صوف
(٣) شطر الشيء : نصفه
(٤) قددت : قدت

الخنساء تعاظم بمصائبها :

لما (١) كانت وقعة بدر ، قتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها آت ويوم (٢) الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند (٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت هودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ - وكانت سوقا يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرنوا جملي بحمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت ، أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فبم تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء بعمر بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت ، بابي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء ، أوسوا هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول .

أبكى أبي عمراً بعين غزيرة قايل إذا نام الخيل هودها
وصنوى لا أنسى معارية الذي له من سراة الحرثين (٤) وفودها
وصخرأ ، ومن ذا مثل صخر إذ غدا بساهمة الآطال (٥) قبا بقودها

(١) الأغاني ص ٢١٠ ج ٤ ، معاهد التنصيص ص ١١٧

(٢) سوم الشيء ، جعل له سومة وعلامة ليعرف ويتبين

(٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود والمراد حرة بني سليم ، وحرة بني هلال بالحجاز . أي هو مقصد الإشراف تأنيه وفودها فيما يلم بها .

(٥) الساهمة : الدقبة ، والآطال : جمع إطل وهو الحاصرة ، والقاب : جمع أقب ، وهي الفرس الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن .

فذلك يا هند الرزقة فاعلى و نيران حرب حين شب وقودها
فقلت هند تحبها :

أبكى عميد الأبطحين (١) كليهما وحاميهما من كل باغ يريدنا
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلى وشيبة والحامى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفى العز منها حين ينمى عديدها (٢)
ثم قالت :

من حس لى الأخوين كالأغصنين أو من راهما (٣)
قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حمهما
ويلى على الآخرين والى قبر الذى واراها
لا مثل كلى فى الكهو ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتذللا ن ولا يرام حمهما
رمحين خطيين فى كبى السماء سنهما
ما خلفا إذ ودعا فى سودد شروهما (٤)
سادا بغير تكلف عفواً يفيض ندهما

ومن رثاء الخنساء :

أعبنى هلا تبكيان على صخر بدمع خثيث لابلكى ولا نزر
فتستفرغان الدمع أو تذر يانه على ذى الندى والباع والسيد الغمر
فالسكا عن ذى اليمين فابسكيا عليه من الباكي المسلب من صبر

(١) الأبطحان : تريد بطحاء مكة وسهل تهامة .

(٢) عديدها : جموعها

(٣) راهما . أصله رآهما .

(٤) شروهما : مثلهما .

كأن لم يقل اهلا لطالب حاجة بوجه بشير الامر منشرح الصدر
ولم يغد في خييل بحنية القنا ليروى أطراف الردينية السمر
فشأن المنايا اذ أصابك ريبها لتغدو على الفتیان بعدك أو تسرى
فن يضمن المعروف في صلب ماله

ضمانك أو يقرى الضيوف كما تقرى

ومبثوثة من الجراد وزعتها لها زجل يملا القوب من الذعر
صحبتهم بالخيل تردى كأنها جراد زفته ريع نجد الى البحر
وقاله والنش يسبق خطوها لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا تسكت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر
وماذا ثوى في الله تحت ترابه من الخير يا بؤس الحوادث والدهر

* * *

ولها ثرى صخرها :

يا لهف نفسى على صخر وقد فرغت خيل الخيل وأقران لاقران
سمح اذا يسر الاقوام أقدمهم طلق اليدين وهوب غير منان
حلا حل (١) ما جد محض ضريبته مجذامة (٢) لهواه غير مبطان (٣)
سمح سجيته جزل عطيته وللامانة راع غير خوان
نعم الفتى أنت يوم الروح قد علوا كفه اذا التف فرسان بفرسان
سمح الخلائق محمود شيمائه على البناء اذا ما قصر الباني
ماوى الارامل واليتام ان سغبوا شهاد أنجية مطعام ضيفان
حلف الندى وعقيد المجد أى فتى

كالليث في الحرب لا نكس ولا وان (٤)

* * *

(٢) عاص

(٤) فاطر

(١) كريم

(٣) عظيم البطن

وقالت :

أيا عين مالك لا تهجمينا بصخر بن عمرو نجعنا به
رزينا أخوا المجيد والمكرمات فيا صخر لا يبعدنك المليك
وعظم الشجا في قلوب الهدا رقيع العماد يقوق الرجال
يخل الخطار ليوم الفخار ويلى السيوف ويقرى الضيوف
فيالك من نكبة الحقت رمتنا فلم يخطنا سهمها
بصخر بن عمرو بمجولة فيا أرض ماذا وعيت الندى
تعين من السودد المشتري فلوان حيا بكته البلاد
ولكننى سوف أبكى عليك فبىكى أذاك لآلته
وتذكر أيامك الصالحات تبقى الله قبرك صوب الغمام
فدمم الفتى فى زمان الهياج ودارت رحا القوم تحت السيوف
وقرن يرى الموت منه الرجال كريم المشاهد يوم الحفاظ
حملت عليه فغادرته وأنت على معرب قارح
وتبكين ادخل ماتسرهينا بجأت رزيته اذ رزينا
فاصبح فى العصة الساكثينا فقد كذب ركننا وحصنا حصينا
ونضلا اذا جاءك السائلونا ويجرى فيسبق سبقا مينا
ويحمى الزمار ويعطى المثينا اذا الطارق أمسى عزبرا ثميننا
أمرت معيشتنا ماحييننا كذلك الحوادث حيننا فحيننا
من الارض قد ضمنت رهينا بصخر بن عمرو وفى من تعينا
وابن المكارم لو تعلمينا لبكينه ثم حنت حنيننا
ومثل فراقك أبكى العيونا اذا المجيد ضيعة السايسونا
وما كنت تأتى الينا دفيننا فروى القلب وروى الجنينا
اذا ما الرماح بجمع رويننا وكانوا هنالك لا ينثوننا
يقارع عن نفس الخطرينا إذا ما النساء أرنت رنيننا
صريعنا وعفرت منه الجيننا كأن به حين يردى جنونا

وفتيه - ان صدق على شذب إذا وجهوهن وجهها هوينها
فولوا ش - لالا والفينهم ليستون نهجا وجونا حوينها
فسوف أبكيك يا ابن الشريد وأسهر عيني مع الساهرينا

• • •

ولها :

يؤرقني التذكر حين أمسى فأصبح قد بليت بفرط نكس
على صخر وأى فنى كصخر ليوم كريمة وطمان حلس
وللنخس الالاد إذا تعدى ليأخذ حق مظلوم بقمس
فلم اسمع به رزما لجن ولم أسمع به رزما لانس
أشد على صروف الدهر أيدا وأفصل في الخطوب بغير لبس
وضيف طبارق أو مستجير يروع قلبه من كل جرس
فاكرمه وامنه فامسى خليا باله من كل بؤس
وأكرم عند الناس جهدا لجاد أو لجار أو لعرس
ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسى
فقد ودعت يوم فراق صخر أبى حسسان لذائق وأنسى
فيا لهنى عليه ولهنى أمى أيصبح فى الضريح وفيه يمسى
بذكرنى طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عجولا وبأكية تنوح ليوم نحس
هما كلتا هما تيكى أخاهما عشية رزته أو غب أمسى
وما يسكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالناسى

* * *

ومن قولها في صخر أيضا :

أمن جدت الأيام عينك تهمل تبكى على صخر وفي الدهر مذهل (١)
ألا من لعين لا تجف دموعها إذا قلت أفنت تستمل فتحفل (٢)
على ماجد ضخم الدسيعة بارع له سورة في قومه ماتحول (٣)
فما بلغت كيف أمرى متناولا من المجد إلا والذي نلت أطول
ولا بليغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
ومن أجل البيتين الأخيرين فضلها معاوية بمحضر الأخطل ، وأقرها
الأخطل بالفضل .

..

ومن قولها : وقد تسابق أبوها وأخوها فسبق أبوها ، فقليل لها : لن مدحت
أباك لقد هجوب أخاك ، فقالت : وتخلصت من الموقف أحسن تخلص يجعل سبق
أبيها ليس عن عجز أخيرا ، ولكنه اعتراف بحقه وتسليم لكبر سنه .
جارى أباء فاقبلا وهما يتعاوران ملامة الحضر (٤)
حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر (٥)

(١) هملت العين (كضرب) كثر نزول دمعها . المذهل : هنا مصدر ميمي :
أى الذهول ، والمعنى إن الدهر في ذهول عنك لا يهيم أمرك ولا يرد لك
بالبيكاه فائتا .

(٢) استمل المطر . بدأ نزوله . حفلت السماء (كضرب) كثر مطرها .

(٣) الدسيعة . الجفنة . أو المائدة الكريمة . برع . تم في كل فضل وكال .

(٤) الحضر والإحضار : السرعة .

(٥) نزت : تحركت واضطربت . لزه به . ألصقه به . العذر بسكون الذال :
الشمر الذى على كاهل الفرس . أو أصلها العذر بضممتين جمع عذار وهو جانب
اللحية أو ما وقع عليه من اللجام .

وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدري
برزت صهيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى^(١)
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر^(٢)
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطلا إلى وكر

وقيل للخنساء : صفى لنا اخويك صخرًا ومعاوية فقالت : كان صخر واللهجنة
الزمان الا غبر وذعاف الخيس الاحمر وكان والله معاوية القاتل الفاعل ، قيل لها .
فأيها كان أسنى وأظفر قالت اما صخر فخر الشتاء وأما معاوية فبرد الهواء قيل
لها : فأيهما أوجسع وألجع قالت : اما صخر فحمر الكبد وأما معاوية فسقام
الجسد وانضأت .

اسدان محمرا المخالب نجدة بحران في الزمن الغضوب الانمر
فران في النادي رفيما سحبت في المجد فرعا سودد متخير
وقالت الخنساء ترثي أخاها :

فدى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت أن خلت من أهل الدار
كأن دمي من ذكرى اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
فالعين تبكي على صخر وحق لها ودونه من جديد الارض أستلر
بكاء والهبة ضلت ألفتها لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حق اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار
وان صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
حامي الحقيقة محمود الخليفة هو دى الطريقة نفاع وضرار
وقالت أيضا :

اهني جودا ولا تجسدا الا تبكيان لصخر الندى

(١) الغلواء : الغلو .

(٢) الكبير : الشرف والعظمة .

ألا تبكيان الجرى الجواد ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته امردا
يحملة القوم ما غلهم وان كان أصغرهم مولدا
جسوع الضيوف الى بابه يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وبما رثت به أخاها معاوية قولها من قصيدة .

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سر بالها
أبعد ابن عمرو من آل الشري د حلت به الأرض أبقاها
وأقسمت آسى على هالك وأسأل نائحة ماله
لتجرى المنية بعد الفتى الـ منقاد بالحو أذلالها (١)
سأحمل نفسى على خطوة فاما عليها ، ولما لها
نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريمة أبقى لها
فان تلك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها
فوال الكواكب من فقده وجلت الشمس أجلاها (٢)

وقولها من قصيدة ترثى بها أخاها سخر .

بكت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضى كراها
على صخر وأى فتى كصخر إذا ما الباب لم ترأم طلاها
لئن جرعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها

• • •

(١) المنادر بالحو أى المتروك بالموضع المسمى الحو — وأذلالها مجاريها —
تقول لتجر المنية فى مجاريها كما تشاء فما أبالى بما تفعل بعد موت هذا الفتى المقتول
بالحو .

(٢) أجلاها جمع جل أى ستر .

ومكثير من النقاد يعجبون بشاعرية الخنساء ويشيدون بها حتى إن جريراً سئل من أشعر الناس فقال أنا لولا الخنساء . وأغلب النقاد على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرقى النساء . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شجراً إلا ظهر الضعف فيه ، فقليل له وكذلك الخنساء ، فقال تلك غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية ، أقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قذى بعينيك أم بالدين عوار أم ذرفت إذ دخلت من أهلها الدار
لولا أن أبا بصير يعني « الأعشى » أنشدني قبلك لقلت إنك أشعر من بالسوق
ولشعر الخنساء رنين في السمع ، وهزة في القلب ووقع في النفس ، لأنه صادر
عن فؤاد محزون وما خرج من القلب حل في القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ
سهل الأسلوب حسن الדיباجة .

٥ - أبو محجن الثقفي

المتوفى عام ٣٠ هـ

شاعر مخضرم ، نشأ في الطائف وهي مدينة في الجنوب الشرق من مكة تبعد
عنها خمسة وسبعين ميلاً اشتهرت بطبيب هواثها وجودة مرارعتها وهي مصيف العرب
قال النخعي يصف أخت الحجاج بالنعمة والنرف

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكانت أشهر القبائل العربية بالطائف ، ثقيف ، قبيلة أبي محجن . وقد أنجبت
ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والاسلام ومن شعراء الجاهلية الشعراء المتدينين
أمية بن أبي الصلت ، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طريح الثقفي ، والشاعر
الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وساستها وقادتها الأمير
الحجاج بن يوسف الثقفي ، والقائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ولما
يكتمل العشرين ، والذي قال فيه القائل .

ساس الجيوش لسبع عشر حجة يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب في بلادهم سبباً في شيوخ الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها .

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب في الجاهلية ، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم . يتمدحو بشربها وإتلاف مالهم في سبيلها . وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وأبرحجن كان كما يقول أحمد أمين من هذه الطبقة ، فتى ، غنى ، من ثقيف ، من الطائف - شجاع ، كريم يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمروءة ويقول .

لاتسأل الناس عن مالى وكثرته وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى
القوم أعلم أنى من سرانهم إذا تطيش يد الرديدة الفرق
قد أوكب الهول مسدولاً عساكره واكتم السر فيه ضربة العنق
عف المطالب عما لست نائلة وإن ظلمت شديد الحقد والعنق
وقد أجود وما مالى بذى فنع (١) وقد أكر وراء المجر الفرق (٢)
سيكثر المال يوماً بعد قلت ويكتسى العود بهد اليبس بالورق
ظلت ثقيف على جاهليها لاتذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم من حولها ورأت
نفسها بمعول ، فاضطرت إلى الاسلام فى السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا
بالاسلام وتعاليمه فأسلم مع قومه ولم نسمع عنه فى حياة رسول الله وأبى بكر
شيئاً ولكننا نراه اصطدم مع عمرو هو الشديد فى الحق لاتأخذه فيه هوادة ،
فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب - يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس »
فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل فى حائل يبنى
بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

وانقد نظرت إلى الشموس ودونها

خرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر فى الخمر :

(١) الفنع زيادة المال والمال ذو فنع « كثير ،

(٢) المجر الهارب الذى ألقى إلى المجر :

إن كانت الخرق قد عزت وقد منعت
وحال من دونها الاسلام والخرج
فقد أباكرها صرفاً وأمرجها

رياً وأطرب أحياناً وأمتزج
لحده عمر وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانياً ، وهو لا يزال على رأيه ؛ مصمم على
تفكيره ، ماض في عزله وشربه ، يئس عمر من علاجه ، وضاق به ذرعاً ، فقرر
أن ينفيه في جزيرة كانت تنفي فيها العرب في الجاهلية خلفاءه - ا ، وبعث معه
حرسياً يحافظ عليه حتى لا يهرب ، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفاً معه ، وقد
عرف عمر كيف ينتقم ، فلم يألم أبو محجن من شيء ألمه من هذا

تظاهر أبو محجن بأنه يحمل غرارتين ملئتاً دقيقتاً وعهد إلى سيفه بفعل
نصله في غرارة ، وجفنه في غرارة ، ودفنها في الدقيق حتى إذا جاوز هو والحرسى
المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصباً جالساً للغداء ، فقام شاعرنا يوهى أنه يخرج
دقيقتاً ، فأخرج سيفه ، ووثب على الحرسى ، فخرج يعدو على بعيره راجعاً إلى
المدينة ، وذهب أبو محجن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة
والشهادة — إلى مواقع الغزوات ، إلى أشدها هولاً ، وأصعبها مراساً ، إلى
القادسية ، حيث المواقع الفاصلة ، بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولسكن عمر ، لم يخف عليه أمره ، فعرف أين توجه ، فما وصل إلى القادسية
حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبي وقاص بحبسه ، ففعل ذلك وحبسه في
قصره وقيدته ، فشئ يرسف في قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره ، فذهب
إلى سلى زوج سعد وقال لها :

هل لك إلى خير ؟

قالت : وما ذاك ؟

قال : تخلين عني وتميريننى باللقاء (فرس سعد) فله على إن سلمنى الله أن
أرجع إليك حتى تمنى رجلى في قيدي ، فابت : فقام نائراً حزيناً ، يرى القتال على
الباب وهو يرسف في القيد ، وانطأ لسانه بهذه الأبيات :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قهر عتاني الحديد وعلقت
مغاليق من دوى تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة
فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
هلم سلاحى لا أبالك أننى
أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا
ولله عهد لا أخيس بعده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرئت له ورأت الصدق فى قوله فأطلقته ، واقتاد
فرس سعد وخرج إلى موطن القتال وإذا به أمام الناس يقف بين الصفيين
ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره ، ورأوا
الفرس فرس سعد ، والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم ، حتى إذا انتصف
الليل وتمحيز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجله فى القيد (٢)
فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعدا بما كان منه فأطلقه
وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب .

وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد ، فاما اذ هرجتني فلا والله
لا أشربها أبدا .

لقد كان مما أخذه عمر عايه قوله :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى بالفلاة قاتنى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

(١) الحوانى جمع حانية وهى الحانوت

(٢) راجع ص ١٥٢ - ١٥٥ من هذا الكتاب

ودخل ابنه على معاوية فقال له أبوك القائل :
إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني بالفـلـاة فاني أخاف إذا ماتت ألا أذوقـها
فقال : أبي الذي يقول :
لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل القوم عن مالي وعن خلقي

٦ — أبو ذؤيب الهذلي

المتوفى عام ٢٦ هـ

هو خويلد بن خالد الجاهلي اسلامي أحد المخضرمين أسلم واشتهر بقول الشعر
الفعل الرصين .

خرج مع ابن سعد بن أبي سرح لغزو أفريقيا عام ٢٦ هجرية ثم عاد مع ابن
الزبير إلى مصر فاصيب أبناءه الخمسة فيها بالطامون فأتوا ورثاهم بمراثية المشهورة .
ومات أبو ذؤيب في مصر بعد عام ٢٦ هـ .
وكان له مكانة كبيرة في الشعر وأشهر قصائده عينيته التي رثى فيها أولاده
الخمس . وهي كما في المفضليات .

أمن المنون وريها تنو جمع والدع ليس بمعتب من يحز (١)
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع (٢)
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليه ذاك المضجع (٣)

(١) المنون . الموت يذكر وبؤنث ، وسمى الموت منونا ؛ لأنه بمن المرء .
أي ينقصه . ريب المنون . ما يأتى به من الفواجع . الاعتبار . فعل ما يرضى العاتب .
(٢) ابتذل الرجل (بالبناء للفاعل) . عمل عمله بنفسه . وقوله . ومثل مالك
ينفع أى في شراء العبيد وقيامهم بالعمل بذلك .
(٣) أقض عليه المضجع . أى امتلاً قضياً (حصى) والمراد أنه أرق
ولم يهدأ .

فأجبتا أن ما لجسمى أنه أودى بنى فأعقبوني حسرة
 أودى بنى فأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة ما تطلع
 سبقوا هوى وأعنقوا لهوام فتخرموا ولكل لجنب مصرع^(٢)
 فغبرت بدمهم بعيش ناصب وإخال أنى لاحق مستتب^(٣)
 ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع
 وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمه لا تنفع
 فالعين بعد دم كان جفونها سملت بشوك فهي عورا تدمع^(٤)
 وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع
 حتى كأنى للحوادث مروءة بصفا المشقر كل يوم تفرع^(٥)
 لا بد من تلف مقيم فانتظر بأرض قومك أم بأخرى المضجع
 ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجع

إلى آخر هذه القصيدة الجيدة

وله قصائد كثيرة في الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبعة ١٩٣٢ ، وسئل حسان من أشعر الناس فقال هذيل وأشعر هذيل غير مدافع

(١) أن هنا مخففة من الثقيلة ، أى أحببتا أن الذى حصل لجسمى أن أولادى هلكوا . وتركوني .

(٢) أصل هوى هوى (لغة هذيل تقلب ألف المقصور في هذه الحالة ياء وتدغمها في ياء المتكلم) أعنقوا . ساروا سيرا فسيحا سريعا ، والمراد أنهم ماتوا في مستقبل المعر فوصلوا إلى الغاية قبل غيرهم . تخرموا . أخذوا واحدا بعد واحد .
 (٣) غبرت . بقيت . مستتب : لاحق ، من قولك ، استتبعتنى فلان ، أى جعلنى أتبعه .

(٤) ويرى كأن حداقها وذلك مناسب لقوله سملت . أى ففتت وعورا مقصور عوراء .

(٥) المروءة . القطعة من أصلب الحجارة . الصفا . جمع صفاة ، وهى الجر الصلد الضخم . المشقر . حصن بالبحرين .

أبو ذؤيب . ويقول فيه ابن سلام كان شاعرا خللا لا غمزة فيه ولا وهن وجعله
من الطبقة الثالثة مع لييد والجمعدى والشماخ

٧ - الخطيئة

المتوفى عام ٥٩ هـ

هو أبو مليكة جرول الخطيئة العبسي الشاعر المشهور نشأ نشأة فقيرة في نجد
خامل النسب قليل الحسب مختلطا عليه أمراءه وأبيه انتسب إلى عبس فنسب إليها
ركان مع ذلك دميما قبيح الخلقة بخيلا بطرد أضيافه ويؤذى جيرانه ويقع في اعراض
الناس ويشلبهم فكانوا يخشون لسانه .

كان الخطيئة تليذ زهير في الشعر وروايته لذلك خرج شعره مصقولا قوى
الديباجة رائع الأسلوب ساحر النيان نظم الألفاظ له نصيب كبير من
الروعة والبلاغة .

وكان الخطيئة من لحول الشعراء ومتقدمهم وفصحائهم متصرفا في جميع فنون
الشعر من المديح والهجاء والفخر والنزل مجيدا في ذلك كله أدرك الجاهلية والاسلام
فأسلم ثم ارتد كما يقول صاحب الأغاني . ويقول أبو عبيدة فيه : كان الخطيئة متين
الشعر شرود القافية .

وفد على سعيد بن العاص وهو يعشى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولا
أولا ، والخطيئة قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ، فذهب الشرط
يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعو الرجل ، فتركوه
وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليا ، فقال لهم الخطيئة (١) : والله ما أصبتم
جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئا ؟ قال :
نعم ، قال : فمن أشعر العرب ؟ قال الذي يقول .

(١) الأغاني ص ١٦٧ ج ١

لا أعد الافتار عدما ولكن فقد من رزته الاعدام
وأشد القصبة حتى أتى عليها .

فقال له : من يقولها ؟ قال أبو دواد اليا دى ، قال : ثم من ؟
قال الذى يقول :

أفلسح ^(١) بما شئت فقد يدرك بالجهل وقد يخدع ^(٢) الأريب
ثم أنشد حاجتى فرغ منها : قال : ومن يقولها ؟ قال عبيد بن الأبرص ، قال : ثم من ؟
قال : لحسبك نى عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلى على الأخرى ثم
عديت فى إثر القوافى عداء الفصيل الصادى ، قال . ومن أنت قال : الحطيئة ،
فرحب به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه .
ومضى لوجهة إلى عتيبة بن النحاس العجلي ، فسأله فقال له : ما أنا على عمل
فأعطيك منه ، ولا فى مالى فضل عن قومي ، قال له : فلا عليك وانصرف .
فقال له بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك للشر قال : وكيف ؟ قالوا : هذا
الحطيئة ، وهو حاجتنا أخبث هجاء ، فقال : ردوه ، فردوه إليه ، فقال له : لم
كنتمنا نفسك ؟ كأنك كنت تطلب العمل علينا ! اجلس فلك عندنا ما يسرك ، فجلس
فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ^(٣) ومن لا يتقى الشتم يشتم
فقال له عتيبة : إن هذا من مهدمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه
إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له فجعل يعرض عليه الخبز ورقائق الثياب

-
- (١) أفلسح من الفلاح وهو البقاء ، أى عس بما شئت من عمل وحق ، فقد
يرزق الأحق ، ويحرم العاقل .
(٢) رجل يخدع : خدع مراراً .
(٣) يفره يتمه ولا ينقصه

فلا يريد لها ، ويرمى إلى السكرابيس ^(١) والأكسبة الغلاظ ، فيشتريها له ، حتى
قضى أربه ^(٢) : ثم مضى .

فلما جلس عتيبه في نادي قومه أقبل الحليته ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقام
العائد بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، قال : قد كنت قلت يدين فاستمعهما ،
ثم أنشأ يقول .

سئلت فلم تبخل ولم توطئ طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمد الخ

ومن شعره يهجو الزرقان ، ويناضل عن بغيض فصيدته التي يقول فيها :
والله ما معشر لا موأمرأ جذا ^(٣) في آل لاي بن شماس بأكياس ^(٤)
ما كان ذنب بغيض ، لا أبه لكم ، في بانس جاء يحدو آخر الناس
لقد دريتكم ^(٥) لو أن درتكم ^(٦) يوماً يحيى بها مسحى وإبساسى ^(٧)
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كيما يكون لكم منجى ^(٨) وإمراسى ^(٩)
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ولم يسكن الجراحى فيكم آسى
أزمت يأساً مبيتاً من نوالكم وإن ترى طاردا للحر كالإساس

(١) السكرابيس : ثياب القطن .

(٢) الأرب الحاجة .

(٣) الجنب الغريب

(٤) جمع كيس : اللبيب القطن ، والمراد بالمعشر الزرقان ورهطه .

(٥) مرمى الناقة يرميها مسح ضرعها ، والمراد مداراتهم ومدحهم ليدروا
عليه العطاء (٦) الدرة . اللبن .

(٧) الإساس الناعف بالناقة عند الحلب بأن يقال لها بس بس تسكيناً
لها لتدر

(٨) المتح : نزع الماء من البئر

(٩) الإمراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزل منيها .

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا ناقة حل في مستوعر شاسي (١)
 جارا لقوم أطالوا هون مسزله وغادروه مقبها بين أرماس (٢)
 ملوا قراه وهرته (٣) كلاهم وجرحوه بأنساب وأضراس
 دع المسكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم (٤) الكاسي
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستدعى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ؛ فرفعه عمر اليه واستنشدته فأنشده ،
 فقال عمر : ما أسمع هجاء ولكنها مماثلة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي
 إلا أن آكل وألبس ؟ فقال عمر : على بحسان ، لجسي به ، فسأله . فقال . أترأه
 هجاء ؟ فقال . نعم وسليح عليه الخبسه عمر ، فقال في الحبس قصائد يستعطف بها
 عمر ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال .

ما ذا تقول لأفراخ بذي مرخ (٥) زغب الحواضل لا ماء ولا شجر
 ألقيت كاسهم هم قعر مظلمة فاغفر ، عليك سلام الله ، يا عمر
 أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقيت إليك مقاليد النهي البشر
 لم يؤثروك بها إذ قد هوك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر (٦)
 فامن على صبيحة بالرمل مسكهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر (٧)
 أهلى فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية (٨) تعمى بها الخبر

-
- (١) المستوعر المكان الوعر ، والشاسي : المكان الغليظ المرتفع .
 (٢) الرمس القبر وجمعه أرماس ، والهون المذلة . أى تركوه كالميت .
 (٣) هرته السكلاب . نبخته ، وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم
 (٤) الطاعم : المطعوم . والكاسي : المكسو
 (٥) ذو مرخ : واد بالحجاز .
 (٦) الأثر : واحدها أثر ، ومعناها الاستئثار والمكرمة .
 (٧) القرر : جمع قرة ، وهي البرد .
 (٨) الداوية : القلاة الواسعة :

ومن شعره :

وفتيان صدق من عدى عليهم
إذا مادعوا لم يسألوا من دعاهم
وطاروا إلى الجرد العتاق فألجوا
أولئك آباء الغريب وغائة اله
أحلوا حياض الموت فوق جباههم
وكان ابن شهرمه يقول : أنا والله أعلم بحيد الشعر ، ولقد أحسن الخطيئة
حيث يقول في آل شماس قوم بغيض :

ألا طرقتنا بعد ما هجروا هند
وإن التي نكبتها عن معانره
أتت آل شماس بن لاي وإمما
فان الشق من تعادى صدورهم
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها
أقولوا عليهم لأبا لا يسكم
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها

(١) الصدق : الشدة في القتال . بصرى : مدينة بالشام . وصفائح بصرى الدروع
(٢) المناطق : جمع منطقة (بكسر الميم) وهي ما يشد على الوسط
(٣) غائة : جمع غائث . الصريخ : طالب النصرة . الرمل : الفقير . الدرادق
جمع رددق وهو الصى الفقير .

(٤) حياض الموت معناه الميتة . السوابق : جمع سابق وهو الجواد

(٥) العد . القديم

(٦) الحفيظة . الحية .

(٧) عقدوا ، أى عقدوا الألوية للحرب ، شدوا : اشتدوا في الحلة .

(٨) الضمير في ككدروها للنعمة المفهومة من أنعموا . والمراد تسكديروها
بالمز . وكدروا أى أنعموا ، المراد اتعبوا المنعم عليه بطلب الشكر

وشعر الحطيئة كان محل إعجاب النقاد والأدباء وروايتهم ومدحهم .
قال أبو صفوان : ما من أحد إلا لو أشاء أن أجد عليه . طعنا في شعره
لوجدته إلا الحطيئة .

وقال أبو حماد : ليس أحد يعد زهيرا شعر من الحطيئة . وقال رجل للحطيئة
من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية وقال هذا إذا طمع .
والنقاد يعجبون ببيته « لا يذهب العرف بين الله والناس » إعجابا كثيرا .
وقال ابن عباس للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : لولا الطمع والجشع
لكنت أشعر الناس .
وكان الحطيئة يقول إنما أنا حسب موضوع . وسئل كثير من أشعر الناس ؟
ففضل الحطيئة .

٨ - حسان

المتوفى عام ٥٤ هـ

تمهيد :

أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري أشهر
شعراء رسول الله والذي وقف مع الرسول يدافع عن الاسلام والعقيدة دفاها
حارا والعلم الذي طارت شهرته في كل مكان .
أسرته :

بنو النجار قوم حسان أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أم جده
عبد المطلب منهل ولذلك لحسان له برسول الله صلة قرابة بعيدة .

وبنو النجار من الخزرج وهي القبيلة العظيمة التي كانت تقيم في المدينة مع
الأوس . وهما من الأزد القحطانيين .

وكان ميلاد ونشأة حسان بالمدينة والمدينة في العصر الجاهلي كانت مجتمعما
صغيرا تسوده الحروب والخلافات الدامية التي كانت تقوم بين الأوس

والخزرج وبين اليمود سكان المدينة من قديم والذين وقد عليهم الأوس والخزرج فأقاموا معهم فيها وغلبوهم على أمرهم :

كان بين الأوس والخزرج في الجاهلية عداة شديدة وخصومات كثيرة وحروب وأيام وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس وحسان شاعر الخزرج فلما أسلمت القبيلتان وهاجر الرسول الكريم إلى المدينة ألف بين قلوبهم وجمع بين شتاتهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا
ميلاد حسان ونشأته :

ولد حسان بالمدينة قبل الهجرة بنحو ١٠ سنة وقبل مولد أبي بنحو ثمانى سنين واشترك مع قومه الخزرج في حروبهم ومفاخرتهم وجاشت نفسه بالشاعرية المتدفقة فكان شاعر قومه والمدافع عن أحسابهم ومفاخرهم وأخذ يناضل قيس بن الخطيم شاعر الأوس ويفاخره بقومه ويحدهم وحصفت شاعرية حسان وطارت شهرته في الجزيرة العربية ووفد على ملوك الحيرة وبنى غسان يمدحهم وينال جوائزهم وينافس لحول الشعراء مثل النابغة وغيره في الخطوة عندهم وكان له مكانته الممتازة في قصورهم .

وكان يؤيد من منزلة حسان في الشعر شرفه وحسبه وبجده التليد ، فقد كان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام من سادة قومه وأشرافهم ، وكان جده المنذر الحاكم بين الأوس والخزرج يوم سميحة ، وهو يوم من أيامهم ومن شعر حسان الرائع الجيد في مدح بنى جفنة من غسان ملوك الشام قوله :

يفشون حتى مانهر كلامهم

لا يسألون عن السواد المقبل

وستأنى القصيدة

وهكذا عاش حسان في الجاهلية يتكسب بالشعر كالأعشى والنابغة والحطيئة ، كان حسان يقصد بمدائحه بنى غسان عاما ويقعد عاما وكان يرجع عنهم

بالجوائز السنية والأموال الطائلة حتى قيل إنهم جعلوا له مرتبا شهريا يصل إليه وأنشد جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين لاميته المشهورة وعنده النابغة ففضلها جبلة على شعر النابغة

وما زال بنو غسان على برهم بحسان وإيثارهم له حتى وهو في اسلامه وهم في نصر انيتهم

وكان جبلة يقسم ألا يطيف به ذكر حسان إلا أرسل إليه ولا يمر به غاد أو رايح إلا وبعث معه ما يطرف به حسانا ، وأرسل له جبلة بعد أن ارتد عن الاسلام ولحق بقيصر الروم خمسائة دينار وخمسة أثواب ديباج فقال حسان :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغيظهم أبأؤهم بالاروم
لم ينسى بالشام إذ دو رهبها كلا ولا متصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا لبعض عطية المذموم
ويرى أن رسولا للمعاوية وفد على ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأعلمه
أنه قد كبر وعى فدفع إليه ألف دينار وحللا وقال له إن وجدته حيا فادفعها
إليه وإن وجدته ميتا فانشراخل على قبره واشتر له إبلا وانحرها على قبره ، فجاء فوجده
حيا فأخبره بذلك فبكى وقال : وددت أنك جئت ووجدتني ميتا

وكان يشبب في الجاهلية بأمرأة تدعى شحشاء ، وبفتاة من قومه تسمى عمرة ،
وقد تزوجها حسان ثم طلقها ثم اتبعها نفسه

وهكذا كانت حياة حسان في الجاهلية ترف ولهو ووصف للخمر وشرب
لها وانتجاع للولوك وإشادة بهم ، واشتراك في المعارك التي كانت تقوم كثيرها
بين قومه الخزرج وبين الأوس وتنويه بمجد قومه وأحسابهم وافتخار بمآثرهم
وأيامهم في الجاهلية إلى أن بلغ حسان سن الستين

حياته في الاسلام :

دخل حسان في الاسلام بعد الهجرة واطمأن قلبه إلى الدين الجديد ، وأخذ
يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلسانه فاتخذ شاعره وقربه لديه ورفع
مكانته عنده

كان ثلاثة رهط من قريش وهم عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصي قبل إسلامهم يهجون رسول الله والأنصار؛ فاستنصر رسول الله الأنصار وندبهم لرد عليهم فأجابته ثلاثة من الأنصار هم : كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأشعرهم حسان

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه : ما يمنع الذين نصرُوا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وقال : والله ما يسرنى به مقول ما بين بصري وصنعاء ، والله لو وضعت على صخر لفلقه أو على شجر لخلقه ، فقال له النبي : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسلك الشجرة من العجيين ، فقال : اجهم وروح القدس معك فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غيبش الظلام ، ثم قال صلى الله عليه وسلم له : إيت أبا بكر فهو أعلم بالقوم فأطلعه أبو بكر على مخازيمهم وما يتهمون به في نسبهم فجهاهم أوجع هجاء عليهم ولم يمس رسول الله من هجائه لهم شيء .

ومن هجائه لأبي سفيان ويبدو فيه أثر الإلهام والصنعة والحدق والنكاية قوله :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ، ووالده العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرام ، ولم يلحق عجائزك المجد
وإن امرأة كانت سمية أمه وسمراء مثلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ويروى أن أحد الصحابة قال - لما اشتد هجاء المشركين للرسول - لعلي ابن أبي طالب : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ، فقال علي : إن أذن لي رسول الله فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ليس هناك أو ليس عنده ذلك ، ثم ندب الأنصار فقال حسان : أنا لها . وكان حسان وكعب يمارضان المشركين بمثل قولهم في الوقائع والآيام والمآثر ويعير انهم بالمتالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم

بالكفر فكان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول
ابن رواحة ، فلما أسلخوا وفقهوا الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، ويقول له : أجب عني ، اللهم
أيده بروح القدس

* * *

هكذا عاش حسان في حياة الرسول يدافع عنه ويناضل المشركين ويرد على
شعرائهم ويهجو خصوم رسول الله يرفع من شأن الإسلام ودعوته ورسوله
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤثره ويقربه منه ، ويقسم له من الغنائم ،
والهدايا .

وقد وهب له « سيرين » ، أخت « مارية » القبطية ، أم ولد رسول الله ، وكان
المقوقس قد بعث بهما لرسول الله ، مع هدايا أخرى ، فأولدها حسان ابنة
عبد الرحمن ، وهب له رسول الله « بيرحى » وهو قصر بالمدينة ، وقفه أبو طلحة
على آل رسول صلوات الله عليه .

ولم يشهد مع رسول الله ، مشهداً ولا غزوة ، ويرى أنه كان جباناً ، يصف
في شعره شجاعته وبطولته ، ومع ذلك فهو شديد الخوف شديد الجبن ؛ يقيم بأطم
عال بالمدينة يسمى « فارعا » ،

وذلك ليس بعار على هذا شاعر العظيم :

١ — فانه عاش من صغره عيشة ترف ونعمة ، لا عيشة ، نضال وكفاح

وحروب .

٢ — وهو جانيس الملوك وشاعرها والذي يغدقون عليه الأموال والهبات

فلم يألف البؤس ، ولم يجرد سيفه من صغره للنهب والغنيمة .

٣ — وقد أدرك الإسلام بعد أن كبر ووهن عظمه .

٤ — ويروى أنه كان في الجاهلية ، بطلا شجاعا ، وأنه أدركه مرض أصاب

أعصابه فأصبح لا يرجى لقتال .

ويقول ابن قتيبة في حسان إذ كان جباناً (١) ، وكذلك يتهمه بالجن ، كثير
من الباحثين . ويرورن أنه أنشد أمام رسول الله قوله :
لقد غدت أمام القوم منتطقاً
بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز (٢) عنى نجاد السيف سابغة
فضفاضة مثل لون الذهب بالفاع
فتبسم رسول الله

(. . .)

واستمر حسان مهجلاً محترماً ، عند الخلفاء والصحابه حتى توفي : في عهد
معاوية عام ٤٥ هـ فرحمه الله وأجزل مثوبته كدفاء دفاعه عن دينه ورسوله وكتابه
الحكيم .
وكان عمر حسان عند موته عشرين ومائة سنة قضى نصفها في الجاهلية ونصفها
في الاسلام وروى بصره في آخر حياته ، واعتلت صحته حتى توفاه الله

(١) ١٠٤ الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) تحفز : تدفع . النوى بكسر النون : الغدير . السابغة أى درع واسعة

شعر حسان

آراء النقاد في شعره :

١ - قال ابن سلام فيه : هو كثير الشعر جيدة وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، وضعت عليه قریش أشعارا كثيرة لا تلحق به ^(١)

٢ - وقال الأصمعي : الشعر نكد بابه الشر هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره ^(٢) ،

ويروى عن الأصمعي أنه قال : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال له أبو حاتم تأتي له أشعار ائنة ، فقال تنسب إليه أشياء لا تصح عنه .

وقد سبق أن ذكرنا رأى الثعالبي فيه في موضع آخر من الكتاب (ص ٢٠٦) وقيل لحسان : لان شعرك أوهرم في الاسلام ، فقال : يا بن أخي ان الاسلام يحجز عن الكذب

وأنشد حسان شيئا من شعره في الجاهلية للناطقة فائى عليه ^(٣) ويقول فيه أبو عبيدة :

فضل حسان الشعراء بثلاثة ، كان شاعرا الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر الين كلها في الاسلام وقال : اجتمعت العرب على أن حسانا أشعر أهل المدينة وجمله ابن سلام أشعر شعراء المدينة ويقول المبرد في الكامل :

واعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق واحد ، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .

(١) ٨٤ طبقات الشعراء لابن سلام

(٢) ١٠٤ الشعر والشعراء

(٣) ١١٧ ذيل الأمل

وقال أبو الفرج الأصمعي :
حسان فحل من فحول الشعراء
وقال قوم الخطيئة له وقد حضرته الوفاة : يا أبا مليكة أوص
فقال : ويل لأمرء من راوية السوء ، قالوا أوص رحلك الله ، قال : أبلغوا
الأنصار أن صاحبهم أشمر العرب حيث يقول .
يغشون حتى مانهر كلاهم لايسالون عن السواد المقبل (١)

وروى أن حساناً ، وفد على النعمان بن المنذر ، فأذن له بعد أن تركه مدة
على الباب ، فخلأ به ، وناداه وأصاب منه مالا كثيراً ، حتى جاء النابغة ، فدح
النعمان ، بيأئيته المشهورة ، فاهتز النعمان ، لشعره وأمر له بمائة ناقة من الإبل
السود برعائنا : قال حسان ، ، ، فها حسدت أحدا قط حسدى له في شعره
وجزيل عطائه . وذكروا أن حساناً ، كان يذهب إلى النابغة ، ليعرض عليه
شعره في الجاهلية

وروى أن حساناً قال ، أتيت جبلة بن الأيهم الغساني ، وقد مدحته ، فأذن لي ،
فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ،
فقال ، أعرف هذين فقلت ، أيا هذا فأعرفه . وهو النابغة الذبياني ، —
وأما هذا فلا أعرفه . قال . هو علقمة بن عبدة ، ، فان شئت استنشدتكما ، ثم
إن شئت أن تنشدا بعدهما أنشدت قات : فذاك . فأنشده النابغة ،

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب
قال . فذهب نصفي . ثم قال : لعلقمة ، أنشد . فأنشد

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
فذهب نصفي الآخر فقال لي ، أنت أعلم الآن ، إن شئت سكنت ، وإن شئت
أنشدت : فتشددت وأنشدت .

لله در عصابة ... الخ

فقال لي : ادن — ادن ، لعمرى ما أنت بدونهما ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقصة لها جيب واحد وقال هذا لك عندنا في كل عام .

وذكروا أن الحطيثة ، وقف على حسان ، وهو ينشد من شعره ، وقال له : حسان ، — وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال : الحطيثة ، : لا أرى به بأسا فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ، كنيت ؟ قال . أبو مليكة . قال . ما كنت قط أهون على منك حين كنيت بامرأة فما اسمك ؟ قال . الحطيثة . فقال حسان : امض بسلام .

ويقول حسان في إحدى قصائده .

وقافية عجت بابل رزينة تلقيت من جو السماء نزولها

يراهم الذي ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

ويقول في أخرى .

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

وروى عن ، أنه وفد على النعمان بن المنذر قال ، فلما دخلت بلاده لقيني رجل فسألني عن وجهي وما أقدمني فاخبرته ، فانزلني فاذا هو صائح ، فقال : من أنت ، فقلت : من أهل الحجاز ؛ قال : كن خزرجيا ، قلت : أنا خزرجي قال : كن نجاريا قامت : أنا نجاري ، قال : كن حسانا ؛ قلت : أنا حسان ، قال كنت أحب لعمرك وأنا واصف لك هذا النعمان الرجل وما ينبغي لك أن تعمل به في أمره ، أنك إذا لقيت حاجبه وانتسبت وأعلمته مقدمك ، أقام شهراً لا يرد عليك شيئاً ثم يلقاك فيقول من أنت وما أقدمك ثم يمكث شهراً لا يرد عليك شيئاً ثم يستأذن لك فاذا دخلت على النعمان فستجد عنده أناسا فيستشدونك فلا تنشدهم حتى يأمر بك فاذا أمرك فأنشد فيستزيدك من عنده فلا تزده حتى يستزيدك هو فاذا فعلت هذا فانتظر ثوابه وما عنده فإن هذا ينبغي لك أن تعرفه من أمره قال حسان فقدمت إلى الحاجب فاذا الأمر على ما وصف لي ثم دخلت على النعمان ففعلت ما أمرني به الصائح فأنشدت شعري ثم خرجت من عنده فأقت أختلف

إليه فاجازني وأكرمني وجمعت أخبر صاحبي بما صنع فيقول إنه لا يزال هكذا حتى يأتيه أبو أمامة يعني النابغة فإذا قدم فلا حظ فيه لاحد من الشعراء قال فاقمت كذلك إلى أن دخلت عليه ليلة فوالله اني لجالس عنده إذا هو بصوت خلف قعته وكان يوما ترد عليه النعم الود ولم يكن للعرب نعم سود إلا للنعمان فأقبل النابغة فاستأذن فقدم وهو يقول

أنام أم يسمع رب القبه يا أوهب الناس ليعس صلبه
ضاربة بالمشفر الأذبة ذات نجاف في يدها جذبه^(١)

قال : أبو أمامة أدخلوه فأنشده قصيدته التي يقول فيها
ولست بمسبق أخا لا تله على شعث أي الرجال المذهب

فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلاهما من السود قال حسان فخرجت من من عنده لأدري أكنت له أحسد على شعره أم على ما نال من جزيل عطائه ، فرجعت إلى صاحبي فقتال انصرف فلا شيء لك عنده سوى ما أخذت

وبعد فقد أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المنذر ، وهم أهل المدينة ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس .
وكان أجزل شعره وأقواه وأحصفه ما قاله في شبيبته وكهولته في الجاهلية ، أي من مثل ما ناقض به قيس بن الخطيم في وقائع الأوس والخزرج ومدح به آل جفنة وآل النعمان بن المنذر . ولما أسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة ولما لم تطفئ من شعله خاطره ولم تغل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقية من النكايه لأعدائه أبقاها فيه انطباعه على الهجاء منذ شب ، ودعا الله أن يؤيد فيه هذه البقية بروح القدس .

وصف شعره

١ — أما شعر حسان في الجاهلية فهو لخل جزل قوى رائع بعيد في مذهب الشعر وعمره شأنه شأن الشعراء الجاهليين وأكثر أعراضه في الجاهلية :

١ — الهجاء وأول ما دله في مناقضة قيس بن الخطيم وشعراء الأوس ثم هجا خصومه وخصوم قومه عامة

٢ — المدح كما في مدحه لبني غسان وللتعمان بن المنذر ولسواهم من سادة العرب وأشرفهم

٣ — الفخر ، وقد وصف فيه مجده ومجد قومه وأحسابهم وآثرهم ومكانتهم عند العرب ، وفخره كثير متعدد النواحي والمعاني ، وكان فخره جيداً رائداً بعيداً في الجزالة واليلاغة والروعة .

٤ — الغزل والنسيب فقد تغزل بشعثاء وعمرة غزلاً رفيقاً مهجياً

أما منزلته في الشعر في الجاهلية فيصفها حسان نفسه ، اذ يصور ذهابه إلى التعمان وخوفه من النابغة ورهبته من شعره ، وذلك طبعاً إنما كان في عهد شبابه وبدء شاعريته ، ولكن حساناً يستمر خائفاً من النابغة ، فيقابله عند بني غسان فيرتاع ويرهب هذا الشاعر العظيم

ولقد يكون ذلك تصويراً من حسان لوساوس نفسه وخسرات فؤاده وإلا فقصيدته

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

مثلاً تقف مع أمهات قصائد المديح في الشعر الجاهلي .

واذا كان النابغة يحى في الشعر الجاهلي إماماً ومتبوعاً ، فلا على حسان أن نقول إنه يحى وراءه مصلياً ومغبراً في وجوه الشعراء ،

ب — أما شعره في الإسلام فهو يرى أنه لان بعض الشيء وأخذ الضعف الفني من بعض النواحي ، وأسباب ذلك كثيرة متعددة الجهات ،

١ — فقد يكون هرمه وشيخوخته من أسباب هذا الضعف الفنى الملحوظ .
٢ — وقد يكون أيضا كثرة ما دس على حسان من الشعر المنحول هو السبب فى ذلك أيضا ، وهذا النحل كان من المشتركين وكان من بعض كتاب السيرة أيضا كابن سحاق .

وقد ذكر ابن هشام كثيرا مما نحل واختلق ودس على حسان .

٣ — كثرة ارتجاز حسان فى شعره فى عصر النبوة والشعر المرتجل دائما لا يكون كالشعر الذى أعده صاحبه وهذبه وثقفه
٤ — ويروى أن حسانا فاضلا عال ذلك تعليلا مقبولا ، فقد قيل له : لأن شعرك أوهرم فى الإسلام يا أبا الحسام ، فقال : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .

٥ — والاصمى يمل سبب لين شعره فى الإسلام بأن الشعر تكبد يقوى فى الشر ويضعف فى الخير

ه — وقد يكون السبب أيضا فى هذا اللين هو انهيار حسان كغيره من الشعراء بلاغة القرآن وفصاحة رسول الله صلى الله عليه

على أن ما يستلان من شعره إنما هو بعض ما قاله فى وصف عقائد الإسلام وشعائره وتعداد فضائله ، أو قاله فى توحيد الله وتنزيه صفاته وتهجين عبادة الأوثان وما أعبد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ما قاله فى مدح رسول الله وأصحابه ، أو بعض ما قاله فى رثاء من استشهد فى الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه

أما شعره فى مناقضة المشركين وهجائهم وفى الذب عن رسول الله والدفاع عن الدين فقد كان قويا جزلا رائعا

وكان رسول الله إذا سمع هجاءه فى أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

ولهذا يرى النقاد أن شعره فى الإسلام كان لا يزال كمهده فى زمن الشباب قويا حسيفا رصينا فى مواضع خاصة فى هجائه المشركين ؛ وعند هيجه بممارضة

شعرهم ، وفي فخره وحماسته . ويرون أيضاً أن كثيراً مما وجد من شعره لينا ضعيفاً لم تكن نسبته إليه صحيحة ، وإنما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازي والسير . قال الأصمعي مرة : حسان أحد فحول الشعراء فقال أبو حاتم . تأتي له أشعار لينة ، فقال الأصمعي تنسب له أشياء لا تصح عنه والحق الذي شك فيه أن شعر حسان بعد الهجرة إلى فتح مكة كان قوياً جزلاً فصيحاً شديد الأسر ذاهباً في عمود البلاغ ، كما كان شعره في عهد الجاهلية ، والسبب في ذلك اشتعال شاعريته وثورة عواطفه والتهاب مشاعره ، ورغبته البعيدة في الذب عن خياض الاسلام ونضال خصوم الدين والرد على الذين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استسلم المشركون وألقوا السلاح أمام رسول الله وجنده وسكت صوت المعارضة سكنت شاعرية حسان وهذأت واخذ ينظم الشعر لينا ضعيفاً لا قوة ولا فخامة فيه كما كان شعره في صدر الاسلام والجاهلية .
وأغراض شعره في الاسلام متنوعة كثيرة وأهمها .

١ - الهجاء ، فقد أجاد فيه حسان كل الأجاد ، ووقف هجاءه على المشركين خاصة ولم يكن متناول الهجو قريشاً كلها ، بل المشركين منها بعامة وأشدّهم على رسول الله بخاصة ، من مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان ، وهم من أقرب قريش نسباً إليه ، وكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن في أصل نسبه وذم عشيرته بل في نفي نسبه عن نسبهم وأنه دعى فيهم أو لصيق أو متبني أو عبد ، ثم يذكر ما يستفيع من صفاته الخلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحيم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك في وقعه بدر وهزيمة قريش فيها ، وربما أقذع في ذلك إقذاءً شديداً .

٢ - المدح فقد مدح رسول الله وخلفاءه وكبار الصحابة والذين أبلوا في الدفاع عن الاسلام بلاء حسناً

٣ — الرثاء وقد أكثر منه في رثاء الشهداء في الغزوات الإسلامية ثم رثاء رسول الله صلوات الله عليه وخلفائه من بعده

٤ — الحكمة وضرب المثل وذلك بتأثير القرآن الكريم وبلاغة رسول الله وما أفاده في الحياة من خبرة وتجربة وثقافة عامة وإدراك صحيح لشيئون العيش والحياة

٥ — وصف الغزوات الإسلامية والاشادة ببطولة المسلمين فيها وانتصارهم على أعدائهم وما بذلوه من تضحية وفداء لإلاء لكلمة الاسلام والتميدة أسلوب شعره وألفاظه .

يمتاز حسان في أسلوبه بما يأتي :

١ — قلة التكلف أو المبالغة في التجويد والتعذيب والتنقيح ، يخالف في ذلك الأعشى والنابغة والخطيبه وزهيراً وسواهم من الشعراء المصنعين ، بل كان يرسل الشعر كما تجود به فطرته وقريحته ، لا يعتمد صنعة ، ولا يقصد تهذيباً ، ولا يؤثر الغريب ، وذلك أثر لهيشة المدن والبعد قليلاً عن البداوة .

٢ — وظهر في شعره بعد الاسلام روح التاثر بالاسلام ومبادئه وبالقرآن وبلاغته وبفصاحه الرسول وسموها .

٣ — وهذا اللين الفنى الذى حدثناك عنه وعن أسبابه والذى نراه في شعر حسان بعد استقرار الاسلام هو أحد الظواهر الفنية التى تلبسها عند حسان في شعره .

٤ — وقد كثرت في شعر حسان الألفاظ الإسلامية الحديثة التى استعملها الاسلام ووردت في القرآن الكريم كالصلاة والصيام والزكاة والحج والايمان والاسلام وسواها .

معانى شعره .

ومعانى حسان في الجمالية مطبوعة بطابع الجمالية وصورة حياتها وتفكيرها وأخلاقها وعاداتها ونظام التفكير والحياة فيها .

أما معانيه في الاسلام فهي مستمدة من معاني القرآن والحديث يكثُر فيها
حكايه حجج المشتركين والرد عليهم وضرب الأمثال والموعظة والحكمة مع
الدقة والعمق وظهور الحصافة عليها مما أفاده حسان من الاسلام الكريم .
وبعد فشعر حسان يبدو فيه تأثير الاسلام والقرآن في الأدب العربي ، ويكاد
هذا التأثير يفقد في شعر الحطيئة مع أنه من المخضرمين ، لأن الحطيئة أسلم ثم
ارتد ثم عاد الى الاسلام على طمع وجشع ورقة دين ، فلم يتملا بروح الاسلام
كغيره من شعراء الرسول .

روائع حسان :

والنقاد يعجبون بشعر كثير لحسان ، ومن ذا الذي لا يطرب لقوله :
يغشون حتى ماتر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
أو لقوله :

وان امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس إلا ماجنى لسعيد
وهذا البيت يقول فيه حسان : قلت شعرا لم أقل مثله^(١) . وقال بعض أهل
المدينة : ما ذكرت بيت حسان إلا اشتيت أن أعود في الفتوة وهو :
أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المطرب الغرد
وبسوى ذلك من روائع شعره وغرر حكمه وأمثاله
تقد النابغة لحسان :

ويروى^(٢) أن نابغة^(٣) بنى ذبيان كانت تضرب له قبة من آدم بسوق

(١) ١٠٥ الشعر والشعراء

(٢) أغاني ج ٣٤٠ ج ٩

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمتهم بعكاظ
ولقب بالنابغة لتبوعه في الشعر فجأة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو
صغير ، وهو من أشرف ذبيان وعمر طويلا ومات قبيل البعثة ،

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه حسان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها ،

قذى بعينيك أم بالعين عوار (١) . أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم (٢) في رأسه نار
وإن صخرأ لمولانا وسيدنا ، إن صخرأ إذا نشئ (٣) لنجار

فقال : لولا أن أبا بصير (٤) أنشدني قبلك لقات لك أشد الناس أذت
والله أشعر من كل أنثى ! قالت : والله ومن كل رجل .

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال .
حيث أقول :

لنا الجففات الغريلمن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنما

فقال : إنك قلت : « الجففات » فقلت العدد ؛ ولو قلت : « الجفان » لكان
أكثر . وقلت : « يلمن في الضحا » ، ولو قلت : « يبرقن بالدجا » ، لكان أبلغ في
المدح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً ، وقلت : « يقطرن من نجدة دما » ،
فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : « يجرين » ، لكان أكثرهم لانصباب الدم ،
ونفرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك .

فقام حسان منكسراً منقطعا !

والحققون يرون أن هذه القصة مختلفة .

(١) هوار : كل ما أعل العين ، وذرفت : قطرت .

(٢) العلم : الجبل . (٣) شتا القوم : أجدبوا في الشتاء .

(٤) أبو بصير : كنية الأعشى ،

حسان والنعمان :

قال حسان ^(١) بن ثابت: قدمت على النعمان بن المنذر وقدامتدحته فأتيته حاجيه عصام بن شهر لجاست إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ا قال . فكن قحطانيا ، قلت . فأنا قحطاني . قال : فكن يثربيا . قلت : فأنا يثربي ، قال : فكن خزرجياً ، قلت : فأنا خزرجي ، قال : فأنت حسان

أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فاني أرشدك إذا دخلت عليه ، فانه يسألك عن جبلة بن الایهم ويسبه ، فياك أن تساعد على ذلك ، ولكن أمر ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثل أيها الملك بينك وبين جبلة وهو ، نك وأنت منه ؟ وإن دعاك إلى الطعام فلا تأكله ، فان أقسم عليك فأصّب منه اليسير لإصابة بار بقسمه ، متشرف بمؤاكلته ، لا أكل جائع سغب ^(٢) ، ولا تطل محادثته ، ولا تبدأ بأخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تطل الإقامة في مجلسه .

فقلت : أحسن الله رفدك قد أوصيت واعياً ، ودخل ، ثم خرج إلى فقال لي : ادخل . فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجيبه بما أمرني ، ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي ، فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرني عصام به ، وبالشرب ففعلت مثل ذلك ، فأمرني بجائزة سنينة وخرجت .

حسان عند عمر بن الحارث :

قال حسان ^(٣) بن ثابت : قدمت على عمر بن الحارث ، فاعتاص على الوصول إليه ، فقلت للحاجب بعد مدة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوت الیمن كلها ثم

(١) الأغاني ص ١٦٤ ج ٩ .

(٢) السغب الجوع ، ولا يكون إلا مع تعب .

(٣) الأغاني ص ٢٢ ج ١٤ .

انقلبت عنكم، فأذن لي، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه، وعلقمه بن عبدة وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريضة، قد عرفت عيصك^(١) ونسبك في غسان، فأرجع فاني باعث إليك بصلة سانية، ولا أحتاج إلى الشعر، فاني أخاف عليك هذين السبعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحك، وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول:

رفاق النعال طيب حجراتهم يحيون بالريحان يوم السباب^(٢)
فأبيت وقلت: لا بد منه، فقال: ذاك إلى عميك، فقلت لهما: بخي الملك إلا قد متماني عليكما، فقالا: قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريضة، فأنشأت:

لله در عصابة نادمتها يوما بخلق^(٣) في الزمان الأول
أولاد جفنة^(٤) عند قبر أبيهم^(٥) قبر ابن^(٦) ماريه الكريم المفضل

(١) العيص: الأصل والفريضة أمه.

(٢) رفاق النعال: أي أن نعالهم رقيقة لا يخصصونها طباقا، وذلك كناية عن قلة مشيهم، لأنهم ملوك، بل يركبون الخيل غالبا، وحجزة الازار والسراويل مجتمع شديدا على الوسط من الجسم، كناية عن عفتهم، والسباب: يوم الشمانين، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا.

(٣) خلق: دمشق:

(٤) جفنة: هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام، وأولاده هم: النعمان والمندثر والمنيذر وجبله وأبو شمر، وكانوا جميعا ملوكا.

(٥) أراد بهذا: أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع.

(٦) هي مارية بنت ظالم السكندرية أم الحارث الأعرج وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل، فيقال لما يغلى به الثمن: بقرطى مارية، واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

يسفون من ورد البريص (١) عليهم كأساً تصفق (٢) بالرحيق السلسل
يغشون حتى ماتهم كلاهم لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فلبثت أزمانا طويلا فيهم ثم ادركت كأننى لم أفعل

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل (٣) عن موضعه سرورا حتى شاطر
البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لا ما يعللانى به منذ اليوم ، هذه والله البتارة
التي قد بترت المدائح ، أحسنت يا بن الفريضة ، هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة (٤)
فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على فى كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهات الثناء المسجوع ، فقام النابغة
فقال : ألا انعم صباحا أيها الملك المبارك ؛ السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ،
والدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ،
والمدار (٥) سمارك ، والمقاول لإخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دنارك ،
والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن
حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية بطانتك ، والعلام غايتك ، وأكرم الأحياء
أحياؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام
أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ، وأفخر الشبان
أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك

(١) البريص : غوطة دمشق .

(٢) ضفق الشراب : حوله مزوجا من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق :
الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد .

(٣) زحل عن موضعه : زحف .

(٤) مرجوحة : هى ما كان فى كل دينار منها عشرة دنانير .

(٥) المدار : جمع مدره ، وهو السيد السريف ، والمقدم فى اللسان

وأفصح الدارات ^(١) دارتك ، وأنزه الخدائق خدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ،
قدحالف الإضرريح ^(٢) عاتقك ، ولام المسك مسكك ^(٣) ، وجاور العنبر ترائبك ^(٤) ،
وصاحب النعيم جسديك .

المسجد آيتك ، واللجين صحافك ، والعصب ^(٥) مناديلك : والحوارى ^(٦)
طعامك ، والشهد لإدامك ، والخرطوم ^(٧) شرابك ، والأشراف مناصفك ^(٨) ،
والخسير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك والخذلان
مع ألوية حسادك ، والبر فمك ، قد طحطح ^(٩) عدوك غضبك ، وهزم
مقانبهم ^(١٠) ، مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك
الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك ، والغى أطرقك ، وألف
دينار مرجوحة لإمماؤك .

أيضاخرك المنذر اللخمى ؟ فوالله لففاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من
يمينه ، ولاخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من
كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه ، فهب لى أسارى قوى ،
واسترهن بذلك شكرى ، فانك من أشراف قحطان : وأنا من سروات عدنان .
فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمثل هذا فليثن
على الملوك ، ومثل ابن الفريفة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه !

-
- (١) الدارة : المحل يجمع البناء . (٢) الإضرريح : الخز
(٣) المسك : الجلد . (٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) العصب : نوع من البرد (٦) الحواري : لباب الدقيق
(٧) الخرطوم : أول مايجرى من العنب قبل أن يداس
(٨) جمع منصف وهو الخنادم .
(٩) طحطح : كسر وفرق وبدد لإهلاك .
(١٠) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين

نماذج من شعر حسان

١ - قال حسان رضى الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد^(١)
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد^(٢)
(وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة

من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأسمى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأندرنا ناراً وبشر بجنة وعلينا الإسلام فآله نحمد^(٣)
وأنت إله الخلق ربى وخالق بذلك ما عبرت في الناس أشهد^(٤)

(١) قوله أغر خبر لمبتدأ محذوف أى هو أغر أبيض الوجه . ويلوح يظهر
(٢) قوله إذا قال المؤذن في الخمس أى في الصلاة الخمس . وقوله أشهد أى أن
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

(٣) وشق له من اسمه يريد أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم اشتق
من اسم الله وهذا مما اختص به رسول الله في ذاته في الدنيا وأوضح
ذلك الشاعر بقوله فذو العرش محمود هو الله سبحانه وتعالى ، والذي من
صفات الله تقدس وعلا الحميد بمعنى المحمود وهو من الأسماء الحسنى فعيل
بمعنى مفعول وهذا محمد . وقوله والأوثان الخ ، جملة إسمية وقعت حالا واسم أمسى
يعود على النبي ، وحمل وهادياً على مستنيراً بالواو لأنهما صفتان ثابتة . ان في
الموصوف فعطفت إحداهما على الآخري بالواو لأن معناها الاجتماع ولو
عطفت بالفاء لم يحز والصقيل المهند السيف المهند المطبوع من حديد الهند ،
وقوله فآله نحمد قدم المفعول لافادة الحصر أى لاغيره

(٤) قوله وأنت مبتدأ خبره ربى وقوله إله الخلق اعتراض أتى به لتحسين
الكلام أى يا إله الخلق

تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلهاً أنت أعلى وأجود
لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياك نستهي وإياك نعبد

٢ — وقال أيضاً يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر
مستشعري خلق المأذى يقدمهم جلد النخيرة ماض غير عديد (١)
أعنى الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجلود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماء بدر زعمتم غير مورد
(وقد وردنا ولم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريح
مستعصمين بحبل غير منجذم مستحكم من جبال الله مهدود (٢)
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود
ماض على الهول ركاب لما قطعوا إذا السكاة تحاوا في الصناديد (٣)
واف وماض شهاب يستضاء به بدر أمار على كل الأماجيد
مبارك كضياء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود

(١) حذف النون من مستشعرين استخفافا وإضافة إلى ما بعده ، وصف جيشا فقال مخبرا عن فرسانه مستشعري خلق المأذى أى لابسى آلة الحرب والمأذى الدروع الصافية الحديد اللينة اللمس وأحدثها مأذية ويقدمهم يرأسهم جلد النخيرة ثابت الجائش قوى الطبيعة ويريد به النبي صلى الله عليه وسلم والرعد يد الجبان
(٢) قوله حتى شربنا رواء أى ماء عذبا كثيرا
وغير تصريح : التصريد سقى دون الرى ومستعصمين انتصب على الحال من ضمير شربنا . وقوله غير منجذم أى متقطع والحبل القوة وهو بذلك يشير إلى قول الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
(٣) قوله ماض على الهول صفة للرسول أى قادر على اقتحام الهول المشقة

٣ - وقال حسان يمدح رسول الله ويهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء (١)
 بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإمام (٢)
 تهجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء (٣)
 أنهمجوه ولست له بكف فشر كما لخير كما الفداء (٤)

(١) قوله فأنت مجوف ، المجوف كالمجوف هو الجبان الذي لا قلب له والنخب بمعنى النزع يقال رجل نخب أى جبان لا فؤاد له وقوله هواء أى خال يعنى من العقل أو الخير قال تعالى وأفتدتهم هواء وقوله فأنت مجوف يريد أبا سفيان وإنما التفت الى ضمير المخاطب ولم يقل فهو مجوف على ما هو الظاهر قصدا الى توجيه الخطاب اليه بما يكره ليكون أبلغ في الثم وأشد من الحكاية في النكاسة

(٢) قوله بأن سيوفنا أدخل الشاعر الباء على المفعول الثانى لأبلغ كأنه ضمه معنى أخبر . وقوله تركتك عبدا أى ذليلا . وسادتها الاماء ضميره يرجع الى الدار وإنما سادتها الاماء لكونها لم يبق فيها الاحرار والمراد الوصف بنهاية الذل والمهانة فان الاماء في نفس الامر في مهذلة وقد أثبت لها السيادة على العبيد فالعبيد اذا في غاية الذلة .

(٣) يخاطب به أبا سفيان بن الحرث فإنه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزاء المسكافة على الشيء بالخير أو الشر قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعه قال جزاؤك على الله الجنة باحسان .

(٤) قوله بكف الكف هو النظير والمنل والاستفهام للانكار أى ما كان يذبح لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فشر كما لخير كما الفداء مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرهما بلا ريبه جار على أسلوب الكلام المنصف وإنما أبهم الامر بين الفريقين ليكون ادعى للمخاطب الى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه

هجوت مباركاً برا حنيفاً أمين. الله شيعته الوفاء (١)
 فمن هجوا رسول الله منكم ويمدحه وينهره سواء (٢)
 فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاه (٣)
 فاما تثقفن بنو لؤى جذية إن قتلهم شفاء (٤)

(١) قوله حنيفاً الحنيف هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء وكان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب
 (٢) يقول لانبألى بكم فان هجاتم أو مدحتهم ونصرتهم فذلك عندنا على حد سواء إذ لا يضيره هجؤكم ولا يعوزه مدحكم ونصركم
 (٣) قوله وقاه الوقاه بالفتح والسكسر ما وقيت به الشيء يروى أن حسان لما انتهى إلى هذا البيت قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله يا حسان حر النار
 (٤) قوله أما هي الشرطية وما الزائدة أدغمت الميم في النون للتقارب .
 وتثقفن من قولهم تثقفه يشقفه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه قال تعالى واقتلوهم حيث تقفتموهم أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم . وقوله بنو لؤى يريد به لؤياً أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كهمالة وبنو لؤى هم كعب بن لؤى على عمود النسب النبوى وجذيمة وسعد وعامر أبو حسيل وبغيض على غيره وكان لوى يكسنى أبا كعب وكان التقدم في قریش لبنيه وبنى بنيه وأما جذيمة فهو أبو حى من خزاعة وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وهذا ربيعة أبو خزاعة وهو أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ودعا العرب إلى عبادة الاصنام والمراد من جذيمة هنا الحى لا الرجل ولذلك قال الشاعر أن قتلهم شفاء فاتى بضمير الجمع وإضافة القتل إلى الضمير من إضافة المصدر إلى مفعوله يريد أن إيقاع القتل هؤلاء القوم وتدميرهم شفاء لما فى الصدور بما وقع منهم لان رئيسهم الحارث بن أبى ضرار

أولئك معشر أنصروا علينا ففي أظفارنا منهم دماء (١)
وحلف الحرث بن أبي ضرار وحلف قريظة منا براء (٢)
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

* * *

٤ — وقال حسان رضى الله عنه في هجرة الرسول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم وقدس ومن يسرى إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقوقهم وحل على قوم بنور مجدد (٣)
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشداهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفوها عمى وهداة يهتدون بمهتد (٤)

(١) قوله أولئك معشر يعنى جذيمة . وأنصروا علينا بالبناء للمعلوم أى أعانوا علينا أعداءنا فانتقمنا منهم وبطشنا فيهم وافترسناهم افتراس السباع . ففي أظفارنا منهم دماء يريد ما كان من الحرث بن أبي ضرار وقومه كباياتى فى شرح البيت الآتى (٢) والحلف المحالف والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به والحرث بن أبي ضرار رأس بنى جذيمة وهو أبو جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنى بحلف الحرث حلفاء الذين وافقوه على مناواة رسول الله وقتاله قبل أن يسلم الحرث نخرج النبي لقتالهم فى شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة فانهزم المشركون ومن نجا من القتل أسركا أسرت النساء فن المسلمون على الأسرى بالعتق لما تزوج عليه السلام منهم جويرية بنت الحارث وكانت فى الأسرى

(٣) قوله ترحل عن قوم هم قريش وذلك فى السنة الأولى من الهجرة فى الثانى والعشرين من صفر أو فى غرة ربيع الأول منها حيث هاجر من مكة إلى المدينة وخرج عليه الصلاة وسلام مع أبى بكر ولبثا فى الغار ثلاثة أيام

(٤) قوله تسفوها عمى أى ضلوا وزاغوا عن الحق واستحجوا العمى عن الهدى والبيت بمعنى قول الله عز وجل قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور

لقد نزلت منه على أهل يثرب ركب هدى حلت عليهم بأسعد^(١)
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد^(٢)
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد^(٣)
وقال رضى الله عنه يرثى النبي صلى الله عليه وسلم :

* * *

(بطيية رسم للرسول ومعه منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمنح الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد^(٤)
وواضح آيات وبقى معالم وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد^(٥)

(١) قوله على أهل يثرب هم أهل المدينة . وقواه بأسعد أى بطالع أسعد مبارك
(٢) قوله فتصديقها الضمير للمقالة أى أنه أن أخبر بشيء محبوب فى الغيب
من غير وحى يؤيد الله سبحانه وتعالى قوله بكلامه المقدس الذى ينزل به جبريل
فى اليوم الخ .
(٣) قوله سعادة جده أى باجتهاده ومشاربته على مواظبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

(٤) ارتفع رسم على الابتداء وخبره بطيية مقدما ومتعاق الباء محذوف وهو
أيضا متعلق اللام فى للرسول والتقدير بطيية رسم كائن للرسول وطية هى المدينة
سماها النبي بذلك وبعده أسماء أخر؛ والمعبد المنزل وجملة وقد تعفو الرسوم الخ حالية
وتهمد تخرب يقال همد المكان خرب ، وقوله من دار حرمة أى من دار مهابة
ويريد بها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تمنح الآيات أى لا ينقطع
ذكر كلام الله منها

(٥) قوله بها حجرات الضمير لدار الحرمة والحجرات جمع حجرة وهى
الموضع المنفرد

معالم لم تطمس على العهد آياها
عرفت بها رسم الرسول وعهده
ظلمات بها أبكى الرسول فأسعدت
تذكر آلاء الرسول وما أرى
مفجعة قد شفها فقد أحد
وما بلغت من كل أمر عشيره
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
وبورك لحد منك ضمن طيبا
تهيل عليه التراب أيد وأعـين
لقد غيبوا حلما وعليا وحة
وراحوا بحزن ليس فيهم نعيم
يكون من تبكى السموات يومه
وهل عدلت يوما رزية هالك
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
يدل على الرحمن من يقتدى به

أناها البلى فالآى منها تجدد
وقبرا به واره فى التراب ملحد
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
لها عـميا نفى فنفسى تـبلد (١)
فظلت لآلاء الرسول تعدد
ولكن نفسى بعض ما فيه محمد (٢)
على طلل القبر الذى فيه أحمد
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
عليه بناء من صفيح منضد
عليه وقد غارت بذلك أسعد (٣)
عشية علوه الثرى لا يوسد
وقد وهنت منهم ظهور وأعـد
ومن قد بكته الأرض فالناس أكد
رزية يوم مات فيه محمد (٤)
وقد كان ذا نوريغور ينجذ
وينقذ من هول الخزايا ويرشد (٥)

(١) قوله فأسعدت عيون أى ساعدت وعاونت مـى فى البكاء عيون أى
ناس أخر وقوله تذكر الخ أى أن هذه العيون تتذكر وتعدد نعم الرسول عليها
فهى لذلك تبكى عليه بحرقة ثم قال وإنى لست قادرا على إحصاء هذه النعم فنفسى
عنها تـبلد أى تقصر وتضعف (٢) قوله عشيره أى عشيره
(٣) المسدد الموفق للصواب . والبناء المنضد من صفيح هو البناء المصنوف
بعضه فوق بعض من صفيح وهو الحجر العريض . وقوله وقد غارت أسعد
جمع سعد أى غابت سعودهم والجملة حالية . (٤) قوله وهل عدلت لفظه
لفظ الاستفهام ومعناه الذى كأنه قال وما عدلت وسارت يوما مصيبة ميت
مصيبه يوم توفى فيه رسول الله عليه وسلم . (٥) قوله يدل من يقتدى
به ويتبعه الضمير لرسول الله أى يرشده تلى الحق وهو الله سبحانه وتعالى

لأنهم لم يهديهم الحق بجاهدا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمده
فبيناهم في نعمة الله بينهم
عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
عطوف عليهم لا يثنى جناحه
فبيناهم في ذلك النور إذ غدا
فأصبح محمودا إلى الله راجعا
وأمرت بلاد الحرم وحشا بقاعها
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها
ومسجده فالموحشات لفقده
وبالجرة الكبرى له ثم أوحشت
فبكى رسول الله ياعين عبرة

معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
وإن يحسنوا فآله بالخير أجود
فمن عنده تيسير ما يتشدد
دليل به نهج الطريقة يقصد (١)
حريص على أن يستقيموا ويمتدوا
إلى كفاف يحنو عليهم ويمهد
إلى نورهم سهم من الموت مقصد (٢)
يبكيه جفن المرسلات ويحمد (٣)
لغيبه ما كانت من الوحي تعهد
فقيد يسكيه بلاط وغرقه (٤)
خلأ له فيه مقام ومقد
ديار وعرصات وربيع ومولد
ولا أعرفك الدمر دمعك بجمد

(١) قوله وأن ناب أمر أى وأن دهمهم خطب ونزل بهم انصرف عنهم
بدعاء الرسول الله لم يقوموا بحمده والدليل يريد به رسول الله صلى عليه وسلم .
(٢) قوله الى كفاف أى جانب ويهد أى ويسكت على ما يكره أى يفض
الطرف عن هفواتهم قال الراعى .

ولمى لأحى الأنف من دون ذمتى إذا الدنس الواهى الأمانة أهددا
ومقصد أى صائب قائل .

(٣) قوله يبكيه أى يبكى عليه فحذف وأوصل . جفن المرسلات الملائكة .
(٤) قوله سوى معمورة اللحد أى مكان اللحد . وضافها أى نزل بها ضيفا
كرما ويراد بالفقيد رسول الله عليه الصلاة والسلام . وقوله ، يبكيه بلاط هو
موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مباط . والغرقد شجر وبقيع الغرقد مقبرة
المدينة المنورة .

ومالك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمد
 لجودى عليه بالدموع وأعوى لفقد الذى لامثله الدهر يوجد (١)
 وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد
 أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلا لا ينكد
 وأبذل منه للطريف . وتالد إذا ضن معطاء بما كان يتلد (٢)
 وأكرم حيا فى البيوت إذا انتمى وأكرم جدا أبطحيا يسود
 وأنبغ ذروات وأثبت فى العلى دعائم عز شاهقات تشيد (٣)
 وثبت فرعا فى الفروع ومنبتا وعودا غداة المزن فالعود أغيد
 رباه وليدا فأستم تمامه على أكرم الخيرات رب . ممجد
 تناهت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند (٤)

(١) قوله ياعين حذفت الياء لوقوعها . وقع ما يحذف فى النداء وهو التثوين
 ولأن الكسرة تدل عليه وباب النداء باب حذف وإيجاز ، وضمير منها يعود
 على النعمة . وسابغ أى مطر سابغ دان تمتد الى الارض وبذا يكثر الخير ويتسع
 الرزق ويتغمد يزداد يقال غمدت البئر غمدا إذا كثر مائها . وقوله لجودى
 عليه بالدموع أى ولا تدخرى شيئا .

(٢) قوله وأبذل معطوف على أعف وضمير منه للمثل بفرض وجوده أى
 كثير البذل لماله الطريف المستحدث المستفاد والتليد الموروث عن الآباء قديما
 (٣) أبطحيا منسوب الى قریش البطاح الذى ينزلون أباطح مكة . وامنغ
 ذروات جمع ذروة وهى الشرف أى وأرفع شرفا من بيوتات العرب التى تضم
 شرف القبيلة .

(٤) قول غداة ظرف لقوله وأثبت أى وأثبت فرعا فى ذلك الوقت وأغيد
 مروى غرض رطب : ورب ممجد فاعل رباه أى أنشأه ربه وليدا ضييا . وقوله
 تناهت وصاة المسلمين بكفه أى صار هو المسئول عنهم وعهد الله اليه أمرهم ويراد
 بالعلم هنا علم مافى الغيب وهو لا يعلمه الا بنزول الوحى عليه . وقوله ولا الرأى
 يفند أى ولا رأيه يضعف بل كان قوى الحجة ثابت الفسكرة

أقول ولا يلقي قولي عائب من الناس إلا عازب القول مبعده^(١)
 وليس هوائي نازعا عن ثنائه لعل به في جنة الخلد أخلد^(٢)
 مع المصطفى أرجو بذلك جواره وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد
 ٦ — وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم
 ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت لما أقيها بكحل الأرمدم
 جزعا على المهدي أصبح ثاورياً ياخير من وطىء الحصى لا تبعده^(٣)
 وجهي يقيك التراب لهني ليتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد
 بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهدي
 فظلت بعد وفاته متبلداً متلدداً ياليتني لم أولد^(٤)
 أقيم بعدك بالمدينة بينهم ياليتني صبحت سم الأسود^(٥)

(١) يقول أقول قولي هذا ولا يمكن لأحد أن ينكره على إلا ذاهب القول
 أي الذي لا يعتد به فهو سفيه الرأي بعيد العقل وفي حديث عائكة :
 فمن هوأ والحلوم عواذب — جمع عازب أي أنها خالية بعيدة العقول
 (٢) قوله نازعا عن ثنائه أي ليس ميل راجعاً عن مدحه وثنائه
 (٣) الأرمدم هو الذي هاجت عينه من الرمدم وهو وجع العين وانتفاخها
 وانتصب جزعا على المصدر
 (٤) بقيع الغرقد مقبرة المدينة المنورة . وقوله في يوم الاثنين عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبي يوم
 الاثنين وخرج مهاجراً من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين
 ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين نصف النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت
 من ربيع الأول سنة إحدى بثرة من الهجرة ضحى في مثل الوقت الذي دخل فيه
 المدينة . وقوله متلدداً متلدداً أي نافذاً الصبر متلفاً حائراني أمرى لأدرى كيف أصنع
 (٥) قوله أقيم بعدك لفظه الاستفهام والمعنى الانكار أي لم أقم بعدك
 بالمدينة الح . وقوله ياليتني ، يا حرف نداء والمنادي محذوف أي يا قوم أو غير
 ذلك وصبحت سم الأسود ، أي شربت الصبوح وهو ما شرب بالغداة فما
 دون القائلة من سم الأسود وهي الحية

أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً محضاً ضرائبه كريم المحتد
يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد (١)
نوراً أضاء على البرية كلها من يهدر للبور المبارك يمتدى
يا رب فاجعنا معاً ونبيها في جنة تنفي عيون الحسد (٢)
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ياذا الجلال وذا الملا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد (٣)
يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٤)
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الائم
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضل نعمته بنا لم يحجد

(١) قوله فنلقى طيباً أى فنرى رسولا طيباً محضاً ضرائبه أى خالصة ونقية طبيعته وسجيته جمع ضريبة ويريد به النبي عليه الصلاة والسلام ، وبكرها فاعل المبارك وهو النبي . ومحصنة حال من ضمير ولدته أى عفيفة . وبسعد الأسعد أى بطالع سعيد .

(٢) تنفي عيون الحسد أى تبعد عنا عيون الحسد (٣) تعلق الباء من قوله بهالك بأسمع وحذف حرف النفي الداخل على الفعل لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام ونحو قول امره اقميس ه فقلت يمين الله أبرح قاعدا ه

وقوله ما بقيت ما مع الفعل فى تقدير مصدر وحذف اسم الزمان معه أى مدة بقائى وفى الكلام نية الشرط والجزاء كأنه قال لا أسمع بهالك أن بقيت ومعناه ان بقيت حياً فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل لأن ما بقيت فى موضع ما أبقي وان أبقي ه

(٥) ويح كلمة ترحم وتوجع وتضاف كما هنا ولا تضاف ويريد بالمغيب رسول الله أى المتوارى . وسواء الملحد وسطه .

والله أكرمنا به. وهدى به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الله ومن يحف يعرشه والطيبون على المبارك أحمد

٧ — وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم

آليت ما في جميع الناس مجتهداً منى ألية بر غير إفساد (١)
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد (٢)
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
مصدقاً للنبيين الآلي سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي (٣)
يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الهادي
أسمى نساؤك عطلان البيوت فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب بلسن المسوح وقد أيقن بالهوس بعد النعمة البادي (٤)

٨ — وقال الحرث بن أبي شمر الغساني لحسان وكان النعمان بن المنذر اللخمي
يساميه : يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فقال وكيف أفضله
عليك فوالله لقدفك أحسن من وجهه ولأملك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف
من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداء ولقدليك أكثر

(١) قول آليت ألية برأى حلفت حلفة صادقة غير افناد أى تكذيب

(٢) قوله ولا برا الله من بريته أى ولا خلق الله من خلقه شخصاً أو في
منه الخ.

(٣) الجادي طالب الجدوى وهي العطية.

(٤) المسوح جمع مسح وهو الكساء من الشعر جمع القلة أمساح قال
أبو ذؤيب .

ثم شرين بذبط والجمال كأن الرشح منهن بالآباط أمساح
وأيقن الخ أى تحقق بالشقاء الذي ظهر عليهن بعد النعمة السابقة .

من كثيره ولثمادك أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور
من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من
حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وإنك من غسان وإنه
من لحم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلا
في شعر فقال :

نبئت أن أبا منذر يساميك للحرث الأصغر (١)
قفاك أحسن من وجهه وأملك خير من المندز
ويسرى يدبك على عسرها كيمنى يديه على المعسر
وشتان بينكما فى الندى وفى البأس والخير والمنظر (٢)
٩ - رقال أيضا يرثى أهل مؤته عام ٨ هـ .

عين جودى بدمعك المندور واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤته وما كان فيها يوم ولوا فى وقعة التغوير
حين ولوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور (٣)
حب خير الأنام طراً جميعاً سيد الناس حبه فى الصدور (٤)
ذاكم أحمد الذى لا سواه ذاك حزنى معاله وسرورى

(١) نبئت فيه الخرم

(٢) الخير بالكسر الكرم والجود .

(٣) الرخاء لعله يريد به أيام السلم والتغوير القائلة وذلك لما أصيبوا متتابعين
وأخذ الراية خالد بن الوليد خرج إلى الظاهر من ذلك اليوم تعرف الكآبة فى
وجهه فخطب الناس بما كان من أمرهم . والضريك الشديد عصب الخلق فى جسم
وكذلك المأسور يقال فلان شديد أسر الخلق إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ
وزيدا هو زيد بن حارثة .

(٤) حب خير الأنام صفة لزيد أى هو محبوب خير الأنام وكان زيد ابن
حارثة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠ — وقال رضى الله عنه يجيب رجلا من قريش حين أسروا سعد بن عباد
يوم الاثنى عشر نقيبا ، قال القرشى .

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاه لو تداركت منذرا
ولو نلت طلت هناك جراحه وكانت جراحا أن تهان وتهدرا (١)

فقال حسان رضى الله عنه بجيبه وهو أول شعر قاله فى الاسلام

لست إلى عمرو ولا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
ولولا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البلقاء تهوين حسرا
فانا ومن يهدى القصائد نحونا كستبضع تمرا إلى أهل خبيرا
فلاتك كالوشاة التي كان حنفا بقرية كسرى أو بقرية قيصر
ولاتك كالساوى فأقبل نحره بحفر ذراصها فلم ترض محفرا (٢)
ولم يخشسه سهما من النبل مضمرا (٣)

١١ — وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم سنة
الوفود بعد فتح مكة فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم وقيس

(١) أخذته عنوة أى قهرا وغلبة . وطلت جراحه أى أهدرت

(٢) قوله ولاتك كالوشاة النخ البيت يشير الى المثل العربى المشهور : حنفا
تحمّل ضأن بأظلافها ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر فوجد شاة ولم
يكن معه ما يذب بها به فبحنت الشاة الارض فظهر فيها مديّة فذب بها بها فصار مثلا
لسكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره ولذلك يضربه الشاعر له . وقوله فلم ترض
محفرا هى المسحاة ونحوها بما يحتفر به أى فلم تقبل محفورا

(٣) قوله فأقبل نحرها سهما أى جعله الضمير للنحر قبالة أى عرضه للسهم
وضمير يخشسه للسهم أى لم يخافه كأنه ألقى بنفسه للسهم . والسهم المضمر الخفى

ابن الحارث ونعيم بن زيد وعتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر والاقرع بن حابس في لفهم ولفيفهم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد جئناك لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطار بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظيما ففعل منها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً واشده عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وألى فضلمهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه وإنا لو نشاء لاكثرنا الكلام ولكننا تمنعنا من الاكثار وأقول هذا لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضلي من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بت بن قيس الخزرجي قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن قيس فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه عليه ولم يكن شيء قط إلا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفي من خير خلقه رسولا أكرمته نسباً وأصدقته حديثاً وأفضله حساباً فانزل عليه كتابه واتممه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذرى ربه أكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً وخير الناس فعلاً ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب الله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فن آمن بالله ورسوله متع بما له ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً أقول هذا واستعفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر التميمي فقال .

نحن الكرام فلا حتى يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع^(١)

(١) وفيما تنصب البيع أى تقام والبيع جمع بيعه بالكسروى كنيسة النصرى وقيل كنيسة اليهود قال تعالى وبيع واصلوات ومساجد وقسرنا أى قهرنا وغلبنا والنهاب جمع نهبة وهى الغنيمة قال العباس بن مرداس
كانت نهابة تلافيتها بكرى على المهر بالاجر

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القزع^(١)
ثم ترى الناس تاتينا سرانهم من كل أرض هو ياثم نصطنع
فتنحر الكوم غبطا في أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شعبوا^(٢)
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم إلا استقادوا وكاد الرأس يقطع
إنا أيننا ولم ياب لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرفع
فن يقادرننا فى ذاك يعرفنا فيرجع القول والأخبار تستمع
وكان حسان بن ثابت غائبا فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حسان فلما جاءنى رسوله فأخبرنى إنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم خرجت
إلى رسول الله وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا على كل باغ من معد وراغم
منعنا لما حل بين بيوتنا بأسيا فنا من كل عاد وظالم
بحى حريد عزه وثرأوه بجأوية الجور لان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السودد والعود والندى وجاه الملوك واحتمال العظام^(٣)
قال فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال
ما قال عرضت فى قوله وقلت على نحو ما قال فلما فرغ الزبرقان بن بدر من
قوله قال رسول الله لى ان قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان :
إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع^(٤) .

-
- (١) إذا لم يؤنس القزع أى إذا لم يرج مطر
(٢) فتنحر الكوم غبطا فى أرومتنا . الكوم القطعة من الأبل . والغبط
حسن الحال . والأرومة الأصل يفتخر الشاعر بكرم عشيرته .
(٣) بحى حريد أى بمنزول ومنفرد لعزته . والعود الطريق القديم العادى
وكذلك السودد على المثل .
(٤) الذوائب جمع ذؤابة وهى الشعر المصفور استعارها هنا للإشراف وفى
حديث دغفل وأبى بكرانك لست من ذوائب قريش أى من أشرافهم .

يرضى بها كل من كانت سريرة
قوم إذا حاربوا ضرر واعدوم
سجية تلك منهم غير محدثة
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم
إن كان في الناس سباقون بعدهم
ولا يظنون عن مولى بفضلهم
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم
أعفة ذكرت . في الوحى عفتهم
كم من صديق لهم نالوا كرامته
أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم
إن قال سيروا أجدوا السير جهدهم
ما زال سيرهم حق استفادهم
خدمتهم ما أتى عفوا إذا غضبوا
فان في حربهم فترك عداوتهم
نسموا إذا الحرب نالتنا مغالبها

تقوى الآله وبالامر الذى شرعوا
أو جاولوا النفع فى أشياءهم نفعا
إن الخلائق فاعلم شرها البدع (١)
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
فكل سبق لأذى سبقهم تبع
ولا يصيبهم فى مطمع طبع
فى فضل أحلامهم عن ذاك متسع
لا يطمعون ولا يردىهم الطمع (٢)
ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
فما وناصرهم عنه وما نزعوا
أو قال عوجوا علينا ساعه ربعوا
أهل الصليب ومن كانت له البيعة
ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
شرا يخاض عليه الصاب والسلع
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا (٣)

(١) البدع جمع بدعة وهى كل محدثة وفى البيتين التقسيم ثم الجمع فقد قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى الضرر بالاعداء والنفع للاولياء ثم جمع فى الثانى بأن كلا منهم سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم .

(٢) لا يردىهم طمع أى لا يطمعون فى شىء يؤدى بهم إلى الهلاك
(٣) عفوا أى بغير مسألة : ومنعوا أى منوه . شرا اسم إن . ويخاض عليه أى يخلط عليه الصاب والسلع كلاهما شجر مر . وقوله نسموا الخ فى البيت . تخييل لأن الشاعر لما شبه الحرب بالسبع فى الاغتيال أخذ الوهم يخترع لها مغالباً وأظفاراً كمخالب وأظفار السبع فشبهت الصورة المتخييلة بالصورة المحققة واستعير لفظ المخالب والأظفار من المشبه به للمشبه . والزعانف من الناس سفلتهم

لاغر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
 كأنهم في الوغى والموت مسكتع أسد ببشة في أرساغها فدع
 إذا نصبتنا لقوم لاندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع (١)
 أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
 أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما يحب لسان حائك صنع
 فانهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أو سمعوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى أن هذا الرجل
 المؤتى له الخطيبه أخطب من خطيبنا وأشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من
 أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن
 جوائزهم

١٢ - ولما وقع يوم بعاث وهو بين الأوس والخزرج بسبب قتل سمير
 الأوسى لبجير مولى مالك بن العجلان سيد الحيين واقتلوا قتالا شديداً ثم ان
 رجلا من الأوس نادى يا مالك نشدتك الله والرحم أن تجعل علينا حكما من قومك
 فارعوى مالك وحكموا عمرو بن امرئ القيس ففضى لمالك بن العجلان بديعة
 المولى فأبى مالك وآذن بالحرب فخذله بنو الحرث لرده قضاء عمرو وأنشد قصيدته
 التى يقول فيها :

(١) الخور الضعف يقال خار الرجل يخور خؤرا ضعفاً وانكسر . والمسكتع
 الدانى القريب . والفدع زوال الرسخ فى اليد الى وحشيها . وقوله لاندب لهم
 أى لم نمش لهم رويدا وتمجسس عليهم والذرع جمع ذريعة وهى الجبل يختل به
 الصيد يمشى الصياد الى جنبه فيستتر به ويكون كالدرية ويرمى الصيد اذا أمكنه
 وذلك الجبل يسبب أولا مع الوحش حتى تألفه قال الشاعر .

إن سميراً أرى عشيرته قد حذبوا دونه وقد أنفوا (١)
 إن يكن الظن صادقاً ببني النجاة لا يطعموا الذي علفوا
 فقال عمرو بن أمية القرني الأنصاري يخاطبه من قصيدته
 يا مال والسيد المعمم قد يبطره بعض رأيه السرف (٢)
 نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
 يامال والحق إن قنعت به فالحق فيه لأمرنا نصف
 خالفت في الرأي كل ذي فجر والحق يامال غير ماتصف (٣)
 إن بحيراً مولى لقومكم والحق يوفى به ويعترف
 إن سميراً أبت عشيرته أن يعرفوا فوق ما به نصف
 أو تصدر الخيل وهي جافلة تحت هواها جماجم خفف
 أو تجرعوا الغيظ ما بدا لكم فهاشوا الحرب حين تنصرف (٤)

(١) قوله قد حذبوا دونه أي عطفوا وأشفقوا عليه . وأنفوا يقال أنف الشيء كرهه وشرفت عنه نفسه ويريد ههنا أخذتهم الحية من الغيرة والغضب لاجل سمير

(٢) قوله يا مال هو منادى مرخم مالك بن العجلان والعمامة عند العرب لا يلبسها إلا الأشراف والعائم تيجان العرب . والسرف إسم الأسراف وهو مجاوزة القصد

(٣) نحن ضمير منفصل مبتدأ والخبر محذوف جوازا أي راضون بدليل وأنت الخ . وعند ظرف مكان والرضا بالشئ اختياره والرأي العقل والتدبير أي نحن راضون بما عندنا ومختارون له وأنت كذلك والرأي بيننا مختلف لأن كلامنا له عقل وتدبير بخلاف لعقل الآخر وتدبيره . والنصف العدل والاستقامة والفجر هو الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير .

(٤) قوله أو تصدر الخيل أو هنا بمعنى إلى . وخفف جمع خفيف . وقوله فهاشوا الحرش هو التحريش وتحريك الفتنة .

وقال قيس بن الخطيم من قصيدة يحببها .

(أبلغ بنى جحججي وقومهم
ولائنا دون ما يسومهم آل
نفلى بحد السهفيح هامهم
وفليننا هامهم بها عنف
خطمة لائنا وراهم أنف
أعداء من ضيم خطة نكف (١)

فرد عليه حسان بقوله

ما بال عيني دموعها تكف
بانت بها غربة تؤم بها
ما كنت أدري بوشك بينهم
فغادروني والنفس غالبها
دع ذا وعد القريض في نفر
إن أدع في المجد ألقهم سلفاً
أو ندخ في الأوس دعوة هرباً
كنتم عبيداً لنا نخولكم
من ذكر خود شطت بها قذف
أرضاً سوانا فالشكل مختلف
حتى رأيت الخوج قد عزفوا
ما شفها والهموم تعتكف
يدعون مجدى ومد حتى شرف (٢)
أهل فعال يبدو إذا رصفوا (٣)
وقد بدا في السكتية النصف
من جاءنا والعبيد تضطعف

(١) بنى جحججي وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم لأنه أوسى والسوم التكليف . والخطمة الشأن والأمر العظيم ونكف جمع ناكف من نكفت من كذا أى استنكفته وأنفت منه .

(٢) الخدوج هى مراكب النساء واحدها خدج . وعزفوا أى تهبثوا للرحيل . وقوله والنفس غالبها ما شفها أى متغلب عليها ما شفها من الحزن وانحل جسمها وهزلها . وتعتكف أى تقبل على من كل صوب . ودع ذا الخطاب لقيس بن الخطيم انتقال من ذكر الحبيبة الى الافتخار على قيس .

(٣) قوله ألقهم سلفاً السالف المتقدم أى متقدمون وفى التنزيل لجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين أى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون . والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

كيف تعاطون يجدنا سفيها وأتم دعوة لـ ١ وكف
 شأنكم جسدكم وأكرمنا جد لنا في الفعال ينتصف (١)
 نجعل من كان المجد محته كأعبد الأوس كلها وصفوا
 هـلا غضبتهم لأعبد قتلوا يوم بعث أظلمهم ظلف
 نقتلهم والسيوف تأخذهم أخذا عنيفا وأنتم كشف
 وكم قتلنا من رانس لكم في فيلق يجتدى له التلف (٢)
 ومن لثيم عبـد يحالفكم ليست له دعوة ولا شرف
 إن سميرا عبد طغى سفيها أجدها أعبد لنا تلف
 بالكاهنين الذين جـدم عبد العصا واللثام إن أسفوا (٣)

(١) أو ندع في الأوس دعوة هربا أي تنادى من أدبر وتولى منهم . وقوله تعالى في ذكر لظى نعوذ بالله منها : تدعو من أدبر وتولى أي تنادى من أدبر وتولى وكان يوم بعث موضع بقرب المدينة ويومه معروف وقع فيه حرب بين الأوس والنزرج وسببه قتل بجير مولى مالك بن العجلان والذي قتله سمير بن زيد بن مالك أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس وكان ذلك في السنة السابعة من الهجرة . والنصف اعطاء الحق . والعبيد تضطد أي تنسب إلى الضعف . والدعوة في النسب المدعى المنهم في نسبه . ولها وكف أي فيها وكف : عيب ونقص الضمير للدعوة . وشانكم جسدكم أي أبغضكم جسدكم والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٢) هـلا حرف حث، وتحضيض أي لم تغضبوا . وأظلمهم ظلف أي أقبل عليهم ودنا منهم ظلف وهو الشدة والبؤس ، وفي الحديث قد أظلمكم شهر عظيم أي أقبل عليكم ودنا منكم . والكشف الذين لا يصدقون القتال . وقوله رانس أي رئيس والفيلق الكتيبة العظيمة .

(٣) أن أسفوا أي خضعوا وذلوا ومنه الأسيف العبد والأسير .

١٣ - وقال رضى الله عنه فى يوم أحد ىرد على عبد الله بن الزبعرى السهمى قصيدته التى يقول فيها :

يا غراب البين أسمع فقل	إنما تنطق شيئا قد فعل
والعطيات حساس بينهم	وسواء قبر مشر ومقل
كل عيش ونعيم زائل	وبنات الدهر يغيين بكل (١)
أبلغنا حسان عنى آية	فقريض الشعر يشفى ذا العلل
كم ترى بالجر من جنجمة	وأكف قد أنزت ورجل
وسرايل حسان سریت	عن كاة أهلكوا فى المنزل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد	ما جد الجدين مقدم بطل
صادق العجدة قرم بارع	غير ملات لدى وقع الأسل
ليت أشياخى بيدر شهدوا	جزع الخزرع من وقع الأسل
فاسأل المهراس من ساكنه	بعد أبدان وهام كالحجل (٣)
إن للخير والشر مدى	ركلا ذلك وجه وقبل (٤)

(١) حساس بينهم أى شؤم ونكد . وبنات الدهر صروفه . والسكل الأعياء
(٢) الجر سفح الجبل ، وقد أنزت أى أصابتها جروح فزيت منها وماتت
أصحابها . ورجل لعله جمع تكسير لرجل والمشهور أرجل . وسريت أى نزعت
وكشفت .

(٣) المهراس ماء بأحد . والحجل صغار الابل وأولادها

(٤) مدى أى غاية اسم ان مؤخر ، وكلا مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة للتعذر
وهو اسم لفظه مفرد ومعناه مثنى لعوده على الخير والشر وهو مضاف الى اسم
الإشارة ووجه أى جهة خبر كلا وقبل جهة أيضا معطوف على وجه عطف
تفسير يقول إن للخير والشر غاية ينتهيان إليها ويقفان عندها وكلا ذلك
صاحب جهه يصرفه الله فيها .

فقال حسان رضى الله عنه :

ذهبت بابن الزبيرى وقعة	كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم وذلنا منكم	وكذاك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدة صادقة	فأجأ ناكم إلى سفح الجبل
إذ تولون على أعقابكم	هربا في الشعب أشباه الرسل
أضغ الخطى في اكتافكم	حيث نهوى عللا بعد نهل (١)
فسدحنا في مقام واحد	منكم سبعين غير المتحل (٢)
وأسرنا منكم أعدادهم	فانصرفتم مثل أفلات الحجل (٣)
تخرج الأضياع من استاهم	كسلاح النيب يأكلن العصل
لم يقوتونا بشيء ساعة	غير أن ولوا بجهل وفشل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه	وملائنا القرط منهم والرجل (٤)
برجال لستم أمثالهم	أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى	طاعة الله وتصديق الرسل

(١) فأجأناكم ألبأناكم . والرسل القطيع من الابل ترسل الى الماء خمسا ونهوى عللا بعد نهل هو الشرب ، بعد الشرب تباعا ضربه مثلا أى مرة بعد مرة .

(٢) فسدحنا أى فصرعنا والمسدوح المصروع

(٣) الحجل من جنس القبيج وهو صغار يقول انهزمتم وفررتكم كما تفلت الحجل من الشرك فلا تلوى على شيء .

(٤) الأضياع هى الالبان الممدوقة . والعصل الحمض إذا رعته النيب وهى مسان الابل . ولم يقوتونا أى لم يسبقونا والشعب الطريق النافذين الجبلين ونجزعه نقطعه . والقرط نشوز الأرض واكمه والرجل بجارى الماء واحده رجلة يريد ملائنا ذلك من قتلاتكم .

وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل (١)
 وتركنا من قريش جمعهم مثل ما جمع في الغصب الحمل
 فقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جمع جاح رفل (٢)
 كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجسدين مقدم بطل
 وشريف لشريف ماجد لا نباله لدى وقع الأسسل
 نحن لا أتم بني أس- تاهما نحن في البأس إذا البأس نزل

* * *

١٤ — وقال حسان بن ثابت قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول
 اليه فقلت للحاجب بعد مدة أن أذن لي عليه وإلا هجوت البين كلها ، ثم انقلبت
 عنكم فاذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس تن يمينه وعائمة
 ابن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لي يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك وأنسبك
 في غسان فارجع فاني باعت اليك بصلة سنية ولا أحتاج الى الشعر فاني أخاف عليك
 هذين السبعين النابغة وعائمة أن يفضحك وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن
 أن تقول :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباب

(١) الحمل : الابل التي ترعى بغير راع ليلا ونهارا ، يقال : هملت المشاة
 سرحت بغير راع فهي هاملة ويقال بهير هامل وجمعه همل ، والجمع جاح السيد
 الكريم ، ولحمل السيد .
 (٢) قوله نحن في البأس الخ يقول نحن أصبر منك في البأس لستم لنا أشباها .

نحييم بيض الولائد بينهم وأكسية الأضرحة فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب^(١)
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومى وإذا أعيت على مذاهي^(٢)

فأبيت وقلت لا بد منه فقال ذاك الى عميك فقلت لها بحق الملك الا قدمتماني
عليكما فقالا قد فعلنا فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن اللفرعة فأشأت .

أسألت رسم الذار أم لم تسأل بين الجوابي فالضيق فحومل
فالمرج مرج الصفرين فجاسم فديار سلبى دارسا لم تحلل

(١) قوله رفاق النعال أراد أنهم ملوك لا يخسفون نعالهم وإنما يخسف من
يمشى . وطيب حجازاتهم أى هم أعفاء محصنون وأصل الحجرة الوسط أى
يشدون أزهرهم على عفة . والسباسب يوم السعائين وهو يوم عيد النصرى وكان
الممدوح نصرانيا . وقولة الولائد هى الاماء . والاضرحة الخز الأحمر والمشاجب
جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب قال الأصمعى هم ملوك أهل نعمة
نخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الأعواد . والأردان
مقدم كم القميص والخالص الشديد البياض وقوله لازب أى ثابت يقول قد
عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فاذا أصابهم خير لم يشقوا بدوامه فيبطروا واذا
أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم فلم يقنطوا فوصفهم بالاعتدال .

(٢) قوله حبوت أعطيت يقول حبوت بالقصيدة غسان إذ كنت لاحقاً
بقومى فكانوا أحق من أمدح . وقوله إذا أعيت يريد إذ كان هارباً من النعمان
فضاقت عليه مذاهي يعنى أنه رأى أهلاً لمدحه فى حال خوفه وامنه وهذا من شعر
الزبابعة يمدح به عمرو بن الحارث .

دمن تعاقبها الرياح دوارس
دار لقوم قد أراهم مرة
لله در عصاة نادتهم
يمشون في الحلل المضاعف نسجها
الضاربون الكباش يبرق بيضه
والخالطون فقيرهم بغنيهم
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
يغشون حتى ما تهر كلابهم

والمدجنات من السماء الأعزل (١)
فوق الأعزة عزهم لم ينقل
يوما بحلق في الزمان الأول (٢)
مشى الجمال الى الجمال البزل
ضربا يطيح له بنان المفصل
والمنعمون على الضعيف المرمل
قبر ابن مارية الكرم الفضل
لا يسألون عن السواد المقبل (٣)

(١) قوله للجواني الخ كلها مواضع ملوك الشام والحيرة الذين تفرقوا بعد سيل العرم واستوطنوا بها . وجاسم اسم قرية بينهما وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم الى طبرية انتقل اليها جاسم بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام أيام تيلبات الألسن ببابل فسميت به والمدجنات الغيوم الممطرة .

(١) قوله بحلق موضع بقرب دمشق والعصابة الجماعة من الناس .

(٢) قوله : أولاد جفنة قطعه للشاعر من قوله عصابة لما قصد من معنى المدح والثناء ولو نصبه على هذا المعنى لكان حسنا ولو جره على البدل والنعت لجاز . وجفنة هو أبو ملوك الشام وهو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وأراد بأولاد جفنة أولاد الحرث الأعرج بن مارية وهم النعمان والمنذر والمندير وجبله وأبو شمر وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جبله بن الإيهم ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة غسانية وهي أخت هند امرأة حجر والد امرئ القيس صاحب المعلقة وأراد بقوله حول قبر أبيهم أنهم في مساكن آبائهم ورباعهم التي كانوا ورثوها عنهم ، وقوله يغشون بالبناء للمفعول أى يتردد اليهم من غشيه اذا جاءه وهو الكلب اذا صوت وهو دون الباب ينى أن منازلهم لا تخلو من الاضياف والفقراء فكلاهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد اليها من الاضياف وغيرهم . وقوله لا يسألون أى هم في سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير وهو السواد اذا قصدوا نحوهم .

يسقون من ورد البريص نايهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون درباق الرحيق ولم تكن تدعى ولائهم انقف الخنظل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فمبشت أزمانا طـ والا فيهم شم ادكرت كأننى لم أفعل
إما ترى رأسى تغير لونه شمطا فأصبح كالثغام المحول^(١)
ولقد يرانى موعدى كأننى فى قصر دومة أو سماء الهيكل
ولقد شربت الخمر فى حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل
يسعى على بكاسها متنطف فيعلى منها ولو لم أنهل^(٢)
إن التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاها لم تقتل
كلتاها حلب العصير فعاطنى بزجاجة أرخاها للمفصل^(٣)

(١) ضمير يسقون عائد على أولاد جفنة ومن مفعوله ، والبريص نهر يتشعب من بردى وهى نهر دمشق كالصراة من الفرات ، وقوله بردى يريد ماء بردى لحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقوله يصفق أى يمزج ، والرحيق الخمر والسلسل السهل أى كأنه مزوج بذلك أى أنهم لا يسقون المساء إلا بمزجها بالخمر لسعتهم وكرمهم وتعظيم من يرد عليهم ، والدرياق خالص الخمر وجيده شبه بالدرياق الشافى والولائد جمع وليدة وهى الخسادم ، والقف استخراج ما فى الخنظل يقول هم ملوك لا تجتنى ولائهم الخنظل ولا تنقفه ، والطراز الجيد من كل شىء ، واذكرت تذكرت وقوله إما ترى يريد إن ترى رأسى يخاطب امرأة ومازادة ، والثغام نبات أبيض الثمر والزهر ، وشمطا أى اخلط ، وادشورها ببياضها ، والمحول ، الذى قد أتى عليه الحول ويروى كالثغام المحول .

(٢) قوله متنطف هو المقطر والظفة بفتحات القوط . وقوله فيعلى أى يسقى سقيا بعد سقى والنهل هنا العطش أى يسقيها على كل حال عطشت أو لم أعطش .
(٣) قوله قتلت الجملة خبران وقتلت الجملة اعتراضية . وقوله كلتاها أراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب وأرخاها أشدها أرخاء أفعل تفضيل =

برجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل
 نسبي أصيل في السكرام ومذودى تكوى مواسمه جنوب المصطلى
 ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ونسود يوم النائبات ونعتلى
 ويسود سيدنا جمحا جمع سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
 ونحاول الأمر المهم خطابة فيهم ونفصل كل أمر معضل (٢)
 وتزور أبواب الملوك ركايا ومتى نحكم في البرية نعدل
 وفنى يحب الحمد يحمل ماله من دون والده وإن لم يسأل
 باكرت لذته وما ما طلتها برجاجة من خير كرم اهدل (٣)

١٥ — وقال ينزه عائشة عن الرية .

حصان رزان مازن بريسة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

== من أرخى المزيد وهو سماعى عند قوم مقيس عند آخرين . ومعنى البيتين
 يخاطب الساقى الذى كان نارله كأسمزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها
 فكأنه أراد أن يعلمه أنه قد قطن لهما فله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه
 بالقتل في مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان في تجنيس اللفظ ثم أنه
 عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه مالم يقتل يعنى الصرغ التى لم زتمج .
 وقوله أرخاها للمفصل يعنى به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل

(١) قوله رقصت الرقص ضرب من الخبب يقال رقص رقصا وهو أحد
 المصادر التى جاءت على فمل فعلا نحو طرد طردا . والقلوص الفتية من الابل
 بمنزلة الجارية الفتاة من النساء .

(٢) الاصيل ذو الاصل الثابت ومذوده لسانه ومواسمه هجاؤه الذى يسم
 به من أراد وجنوب جمع جنب شق الانسان وغيره والمصطلى الذى يلزم النار .
 ونسود نفضل بحسبنا وكرمنا وجمحا جمع جمع جمحا السعيد الكريم ، والمفصل
 أحد مفاصل العظام . والأمر المعضل الشديد .

(٣) السكرم الاهل المتدلية أغصانه والسكرم العنب .

- ليلة خير الناس ديناً ومنصبها نبي الهدى والمكرمات الفواضل (١)
 عقيلة حتى من اوى بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائل
 مهذبة قد طيب الله جيبها وطهرها من كل سوء وباطل (٢)
 فان كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلى أأمل
 وإن الذي قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرئى ما حل (٣)
 فكيف وودى ما حييت ونصرتي لآل نبي الله زين المحافل
 له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاوول (٤)
 رأيتك وايغفر لك الله حرة من المحطئات غير ذات غوائل

ولما بلغ قوله * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *
 قالت عائشة لكنك يا حسن ما تصبح غرثان من لحومهن وكان قد قال
 فيها كلاماً

١٦ - وقال لابن الزبير حين هرب من النبي يوم فتح مكة :

لا تعد من رجلا أملك بغضه فخران في عيش أحد لئيم
 بليت قتاتك في الحروب أألقيت نخانة جوفاء ذات وصوم

(١) رزان أى ذات ثبات ووقار وعفاف ورزينة في مجلسها . وماتزن بريبة .
 أى ماتهم والحليلة الزوجة .

(٢) قد طيب الله جيبها يعنى به قلبها وصدرها .

(٣) ليس بلائط بها أى ليس بلاصق بها الضمير لعائشة رضى الله عنها .

(٤) سورة المتطاوول : الدورة كل منزلة رفيعة والمتطاوول هو المستطيل على
 الناس إذا هو رفع رأسه أى أن له عليهم فضلاً في القدر أى منزلة النبي صلى الله
 عليه وسلم تفوق كل منزلة .

غضب الإله على الزبيري وابنه وعذاب سوء في الحياة مقيم^(١)
فلما سمع ذلك ابن الزبيري رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم وقال :

منع الرقاد بلايل وهموم	والليل معتلج الرواق بهيم
بما أتاني أب أحمد لامي	فيه فبت كأنني محوم
ياخير من حملت على أوصالها	عيرانة سرح اليدين غشوم ^(٢)
لاني لمعتذر إليك من التي	أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة	سهم وتأمرني بها مخزوم ^(٣)
وأمد أسباب الهوى ويقودني	أمر الغواة وأمرهم مشوم
فأليوم آمن بالنبي محمد	قلبي ومخطيء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها	وأنت أواصر يئتنا وحلوم ^(٤)

(١) قوله تعد من الخطاب لابن الزبيري ويريد بالرجل أباه . ونجرا موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن هرب إليه عبد الله ابن الزبيري لما فتح رسول الله مكة وأخذ أي سريع اليد خفيفها . وقوله فألفيت خيانة أي ضعيفة والضمير للقناة وذات وصوم وصف ثالث لها أي ذات عيوب . والزبيري هو ابن قيس بن عدي بن سعد القرشي السهمي وابنه عبد الله الشاعر كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، وكان يناضل عن قريش ويهاجى المسلمين وكان من أشعر قريش

(٢) معتلج الرواق أي ملتطم الرواق ومرخى ظلمته وأحمد يريد به المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والعيرانة الناقة الصلبة تشبها بعير الوحش

(٣) أيام نصب على الظرفية الزمانية ، وهو مضاف إلى الجملة بعده وباغوى خطة أي بأضل أمر . وسهم ومخزوم قبيلتان

(٤) قوله وأنت أواصر جمع آصرة ، ما عطفك على رجل من رحم أو قرابه أو صهر معروف . والحلوم جمع حلم الأناة والعقل

فاغفر فدا لك والذى كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة نور أعز وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الاله عظيم (١)

١٧ - وقال يوم أحد :

منع النوم بالعشاء الهموم وخیال إذا تغور النجوم
بالقوم هل يقتل المسرء مثلى واهن البطش والعظام سؤم
مهما العطر والفراش ويعلوها لجین ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لاتدبها الكلوم (٢)
لم تفقها شمس النهار بشيء غير أن الشبَاب ليس يدوم
إن خالى خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقوم
وأبى فى سميحة القسائل الفا صل يرم التقت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان فى السكبول مقيم (٣)

(١) أعطاك الضمير لله عز وجل . والبرهان الحجة الفاضله البينة

(٢) قوله واهن البطش أى ضعيف القوة يريد بها المحبوبة التى يشدب بها
والاستفهام للتعجب . واللجين الفضة لا مكبر له جاء مصغرا مثل الثريا
والكميت . والذر الذى أتى عليه سنة من صغار النمل يقول لو يدب الصغير من
ولد الذر على جلدها لآثر فيه وجرحه ولم يرد بالحولى ما أتى عليه حول ولكن
جعلها فى صغره كالحولى من ولد الحافر والخف فى صغره .

(٣) الجولان من عمل دمشق على طريق مصر . والنعمان أراد بنى جفنة ابن
غسان . وسميحة بئر بالمدينة كانت للأوس والخزرج تحاكمت عندها ال أبیه وقيل
الى جده المنذر بن حرام . وأراد بابن سلمى النعمان بن نذر اللخمى ونعمان هذا الذى
ذكر نعمان بن مالك ابن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف وكان حبسه النعمان
بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان فاطلقوا

وأبى ورافد أطلقا لى ثم رحنا وقللهم مخطوم
ورهنن اليبين عنهم جميعا كل كف فيها جز مقسوم
وسطت نسبى الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم
رب حلم أضاعه عدم المسا ل وجبل ذللى عليه التميم (١)
ما أبى لى أنب بالحزن تيس أم لسانى بظاير غي لثيم (٢)
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى خامل فى صديقه مذموم
ولى البأس منكم إذ خضرتم أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت فى رفاع من القناء مخزوم (٣)
لم يولوا حتى أبيدوا جميعاً فى مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً أن يقيموا إن الكريم كريم

(١) أبى هو ابن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن النجار . ورافد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج والاطنابة أمه . ومخطوم مكسر . وقوله جز أراد جزأ فترك الهمز ورهنه يديه ضيمانه لهم كقول الرجل لصاحبه لك يدى بكذا وكذا . والذوائب الاشراف

ويقال غطى الليل اذا ستر كل شىء فهو غاط

(٢) ما أبالى جملة من الفعل والفاعل وقد دخلها حرف النفي وأنب الهمزة فيه للاستفهام ونب فعل ماض وتيس فاعله والباء فى بالحزن للظرف يقول قد استوى عندى نيب التيس بالحزن ونيل اللثيم من عرضى بظاير الغيب ونيب التيس صوتة عند هبابه للفساد والحزن ما غلظ من الارض رخصه لأن الجبال ثم أحفظ للعر من السهول

(١) قوله ولى البأس البيت يخبر بصبر بنى عبد الدار بن قصى يوم أحد وانزاع بنى مخزوم

وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والفتنا في نخورهم عطوم
وقريش تلوذ منا لوإذا لم يقيموا وخف منها الخلوم
لم تطلق حملة العواتق منهم إنما يحمل الآواء النجوم^(١)

(١) قوله لم يولوا أى لم يديروا حتى أيدوا جميعاً . وكلهم مذموم
بدم حائك أى مدمغ بدم أحر يسيل من أبدانهم وقوله وكان حفاظاً أى وكان
محافظة على العهد والمحامات على الحرم ومنعها من العدو أن يقيموا ولا يولوا
وقوله حتى أزيروا شعوباً أى حتى أوردوا المية فزاروها شعوب من أسماء المنية
وفى حديث طلحة حتى أزرته شعوب أى أوردته المنية . وتلوذ منا لوإذا أى
يتسللون منا مستخفون ومستترين بعضهم ببعض من شدة هول ما أصابهم . وخف
منا الخلوم أى اندصروا وتخبأت عقولهم . وقوله لم تطلق الخ تهكم واستهزاء بهم
والعواتق جمع عاتق ولذلك جمع على فواعل إنما جاء مناساة أحرف على فواعل
ساجب وسواجب وهالك وهوالك وشارب وشوارب وفارس وفوارس
وغارب وغوارب وحارك وحوارك . والنجوم الاشراف المعرقون واحدهم نجم

٩ — النابغة الجعدي

المتوفى عام ٨٠ هـ

هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر مخضرم : وكان معمرآ نادم المنذر أبا النعمان بن المنذر : ويقال إنه أقدم من النابغة الذبياني لأنه نادم المنذر ، والذبياني نادم ابنه النعمان بن المنذر ، ولذلك يقول الجعدي :

تذكرت والذكرى تهبج للفتى ومن حاجة المخزون أن يتذكرا
ندا ماى عند المنذر بن محرق
أرى اليوم منهم ظاهر الحزن مقفرا
ثم أتى رسول الله (ص) وأسلم وأنشده رائيته فقال له النبي (ص) :
« لا يفضض الله فاك » . فغبر دهره لم تنقص له سن . وفى العقد الفريد لابن عبد ربه :

قدم ابو ليلى النابغة الجعدي على رسول الله فأنشده قصيدته التى يقول فيها :
بلغنا السماء بمجدنا وجدودنا ولما لنبغى فوق ذلك مظهرأ
فقال له النبي : إلى أين يا أبا سلمى . فقال : إلى الجنة يا رسول الله بك فقال
النبي : إلى الجنة إن شاء الله ، فلما بلغ قوله

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بواذر تحمى صفوه ان يكدرأ
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الألامرأ صدر
قال النبي : لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنقص له ثنية
قال أبو جروول الجشمى وكان رئيس قومه . أسرتا النبي صلى الله عليه وسلم
يوم خنين فينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه فأنشده

امنن علينا رسول الله فى حرم فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يجنبر

أنا لنشكر للنعماء إذا كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضته فقال : أما ما كان لي ولنبي عبد المطلب
فهو الله فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فردت الأنصار ما كان
في أيديها من الذراري والأموال

وعاش طويلاً في الاسلام ، فأقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضى الله عنه
فأحس بضيق في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له . ثم لما
كانت خلافته على (رضى الله عنه) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه
ونال من معاوية وبني أمية .

وعند ما آلت الخلافة إلى معاوية كتب إلى مروان أن يأخذ النابغة ، فدخل
على معاوية وعنده مروان فأنشدها أبياتاً منها :

فان تأخذوا أهلي ومالي بظنة فاني لحراب الرجال محرب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم لاني أن ظلمت سأغضب
فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال ما ترى ؟ — قال أرى ألا ترد عليه
شيئاً — قال ما أهون والله عليك أن بنجح هذا في غار ثم تأخذه العرب فترويه
أما والله ان كنت لمن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة
عبد الله بن الزبير ومدحه فاجزل له العطاء على بخل فيه . وبعد سكون الفتنة خرج
مهاجراً إلى الأمصار المفتحة .

وعمر الجعدي حتى أدرك الأخطل وهاجاه وتناسعا الشعر فغلبه الأخطل
وهاجته ليلي الأخيلية الشاعرة فغلبته ومات بأصفهان وهو ابن عشرين ومات سنة
نحو عام ٨٠ هـ .

• • •

كان النابغة قديماً شاعراً مغلقاً في الجاهلية والاسلام .
ولما هزم كان مختلف الشعر مغلباً حتى قال فيه الفرزدق : مثله مثل صاحب
الخلفان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سمل كساء ، غلبه الأخطل
وأوس بن منراء وليلى الأخيلية . وغلبه من لم يكن اليه ولا قريباً منه مثل عقاب

ابن خالد العقيلي وكان مفجها بكلام لا يشعر ، وهجاء سوار بن أوفى القشيري وفاخره ، ثم هجاء الأخطل آخر عمره

ويقول يونس فيه : كان الجعدي أوصف الناس لفرس وجعله ابن سلام

من الطبقة الثالثة مع أبي ذؤيب ولييد والشيخ

وكان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام . وهو أول من

سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يغنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكنى بغير اسمها وفد علم الله خفيات كل مكتم

وكان من يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ،

قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد . طفيل الغنوي وأبو دود

الأيادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتحى طريقة زهير والخطيئة وأشباههما من

يبالغون في تهذيب الالفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكان

تهديه إليه بديته ، فتارة يأتي جيداً متيناً ، وتارة يجيء ضعيفاً رديئاً .

فلم يعرف عنه أنه كان يهذب شعره في جاهلية ولا إسلام ، بل كان يقوله

عفو الخاطر لذلك كان منه الجيد والردى والمتوسط حتى قال الأصمعي : وكان

معجباً به لذلك عنده مطرف (١) بألاف . ونخار بواف (٢) فخالف بذلك زهيراً

والخطيئة . ووافق الديباني .

ويقول بعض الباحثين : ولعل السبب في أنه كان مغلباً ما كان في طبعه من كرم

ولسجاج ، يتجلى ذلك في ميله إلى التوحيد أيام الجاهلية وإطلاقه عنان الشعر

لا يتكاف له ، فلم يستطع مجازاة من غلب على نفسه الشر ، واشتعلت صدورهم

بالأحقاد ، ولقد كان إذا عرف أن منافره أربى عليه أسرع بالاعتراف بالهزيمة ،

لا يكابر ولا يمارى ، فانه سمع قول أوس بن مغراء في منافرته .

(١) المطرف (مثلثة الميم) ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) الوافي : هو الدرهم قدر درهم وثلاث .

لعمرك ما تبلى سراييل عامر
من اللؤم مادامت عليها جلودها
فقال : لقد غلب أوس .

هذا وفنون الشعر عند الجعدى كثيرة ، وقد أجادوا فى الفخر والرثاء والهجاء
والمدح ووصف الخيل ، وكان أحد ثلاثة أجادى وصفها ، وهم : طفيل الغنوى ،
وأبو دؤاد ، والنابعة الجعدى .

نماذج من شعره :

من قصيدته التى مدح بها رسول الله ، وهى طويلة تبلغ مائتى بيت :
خليلى عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أوذرا (١)
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة تخفا لروعات الحوادث أوقرا (٢)
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا بما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشئ ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاب الله كالجرة نيرا
أقيم على التقوى وارضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أهدرا (٣)
خليلى قد لاقيت ما لم تلاقيا وسرت فى الأحياء ما لم تسيرا
تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

-
- (١) تهجر : سكن وقت الهاجرة ، والمراد هنا مجرد اللبث .
(٢) قر بالكسر أمر من وقر (كوعد) بمعنى رزن وبالفصح أمر من قر
(كمر) وخففت بحذف إحدى الراءين وبهما قرىء قوله تعالى : « وقرن فى
بيوتكن » .

(٣) أهدر : تقضيل من حذر .

ومنها في الفخر :

وننكر يوم الزوع ألوان خيلنا
ونحن أناس لا نعود خيلنا
وما كان معروفًا إلا أن نردها
صاحا ولا مستنكرا أن تعقرا^(١)

وبما سبق إليه وأخذ منه قوله :

كان مقط شرا سيفه
ألى طرف القنب فالنقب
لظمن بترس شديد الصفا
ق من خشب الجوز لم ينقب
أخذه ابن مقبل فقال :

كان ما بين جنبيه ومتقه
من جوزه ومناط الليث ملطوم
بترس أعجم لم تنخر مناقبه
بما تخير في أطامها الروم

وقال :

أرأيت أن بكرت بليل هامتي
هل تخمشن ابلى على وجوهها
أخذه الأخطل فقال :

أرأيت أن بكرت بليل هامتي
هل تخمشن ابلى على وجوهها
وقال يذكر نساء سبين :

دعنا النساء اذ عرفن وجوهنا
حنين الهجان الادم نادى بوردها
دعاء نساء لم يفارقن عن قلى
سقاء يمدون الموانح بالدلا

(١) نسكر : نجهل . الجون هنا الابيض . أشقر : أحمر .

(٢) المفرد صحيح وصحاح (بالفتح) والجمع صحاح (بالكسر) .

العقر : ضرب قوائم الدابة لتتنع عن الحركة مقدمة لذبحها . فإرادة معنى الذبح من العقر مجاز .

فقلنا لهم خلوا طريق نساءنا
فنحن غضاب من مكان نساءنا
تفور علينا قدرهم فنديما
ويستجاد له قوله :

لبست أناسا فافيتهم
ثلاثة أهلين صاحبهم
وعشت بعيشين ان المنو
فحينما أصادف غراتها
شهدتهم لا أرجى الحياة
وشعت يطارقن بالدارعين
فلما دنونا لجرس النباح
أضاءت لنا النار وجها أغر
يضى كضوء سراج السليط
بانسة غير أنس القفراف
إذا ما الضجيج ثنى جيدها
ويستجاد قوله يرثى رجلا .

ففى كلمات خيراته غير أنه
ففى تم فيه ما يسر صديقه
وله : ومن يحرص على كبرى فاني
وقال الحمد لله لا شريك له

المولج الليل فى النهار وفى الليل
الحافظ الرافع السماء على الار
الخالق البارئ المصور فى ال
من نطفة قدرها مقدرها
مهم عظاما أقامها عصب
ثم كسا الرأس والعواتق وال
واللون والصوت فى المعاش وال

فقالوا لنا كلا فقلنا لهم بلى
ويسعفنا حر من النار بصطلى
ونفتؤها عنا إذا حمؤها غلا

وأفيت بعد أناس أناسا
وكان الاله هو المستأسا
ن تلقى المعاش فيها خساسا
وحينا أصادف منها شماسا
حتى تساقوا بسمر كاسا
طليق الكلاب يطان الهراسا
ولا نبصر الحى الا التماسا
ملتبسا بالفؤاد التباسا
لم يحول الله فيه نحاسا
وتخلط بالانس منها شماسا
تداعت وكانت عليه لباسا

جواد فما يبق من المال باقيا
على أن فيه ما يسوء الأعاديا
من الشبان ازمان الختان
من لم يملها فنفسه ظلمها

المولج الليل فى النهار وفى الليل
الحافظ الرافع السماء على الار
الخالق البارئ المصور فى ال
من نطفة قدرها مقدرها
مهم عظاما أقامها عصب
ثم كسا الرأس والعواتق وال
واللون والصوت فى المعاش وال

١٠ - معن بن أوس

المتوفى عام ٦٥ هـ

هو معن بن أوس بن نصر من مزيته من مضر شاعر فحل من المخضرمين عاش في الجاهلية في البادية وكذلك في الاسلام ووقد على عمر بن الخطاب وأنشده قصيدته :

تأوبه طيف بذات الجرائم فنام رفيقاه وليس بناثم
ورحل إلى البصرة وتزوج منها ثم عاد إلى البادية . ويقال أنه لقي معاوية
أيضا وكان معاوية يفضل مزيته في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم
وهو زهير وأشعر أهل الاسلام منهم وهما كعب بن زهير ومعن بن أوس
ويمتاز في شعره بالحكمة الرائعة والممانى السامية والأفكار الاجتماعية الرفيعة
والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

كما يمتاز بسلاسة الأسلوب وعذوبته وجماله وكثرة الألوان البيانية فيه ، وقد
أجاد في الحكمة وعتاب الأصدقاء والوصف والفخر ومن رائع شعره :
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده (١) رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجاني
وكان عبد الملك ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم :
ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ،
فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم . امرؤ القيس ، وقال بعضهم . النابغة ، وقال
بعضهم . الأعشى ، فلما فرغوا قال . أشعر رائي من هؤلاء جميعاً عندي معن
ابن أوس حيث يقول .

وذى رحم فلمت أظفار ضغنه يحلمى عنه وهو ليس له حلم (٢)
إلى آخر القصيدة .

(١) ١٣٨ هـ البيان والتبيين

(٢) ١٠٢ هـ الأمازي

ومن مختار شعره قوله في ابن عمه :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه يحاول رغبى لا يحاول غيره
فان أعف عنه أغض عينا على قذى وإن انتصر منه أكن مثل رائش
صبرت على ما كان بينى وبينه وبادرت منه النأى والمرء قادر
ويشتم عرضى فى المغيب جاهدا إذا سمته وصل القرابة سامنى
وإن أدعه للنصف يأب ويعصنى فلو لا اتقاه الله والرحم التى
إذن لعلاه بارق وخطمته ويسعى إذا أبى ليهدم صالحى
يود لو أنى معدم ذو خصاصة

بحلى عنه وهو ليس له حلم وكالموت عندى أن يحل به الرغم^(١)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم^(٢) سهام عدو يستهاض بها العظم^(٣)
وما تستوى حرب الأقارب والسلم على سهمه ما دام فى كفه السهم^(٤)
وليس له عندى هوان ولا شتم قطيعتها تلك السفاهة والإثم^(٥)
ويدعو لحكم جائر غيره الحكم^(٦) رعايتها حق وتعطيلها ظلم
بوسم شنار لا يشاكره وسم^(٧) وليس الذى بينى كمن شأنه الهدم
وأكره جهدى أن يخالطه العدم^(٨)

(١) الرغم : القسر والاذلال .

(٢) أغضى عينه : أطبق جفنها ، القذى : ما يقع فى العين فيؤنيها

(٣) راش السهم : وضع فيه الريش ليكون أسد له وأصوب ، هاض العظم : كسره بعد جبر وذلك أشد وأنكى .

(٤) بادر الشئ : سبق إليه ، النأى : البعد

(٥) سامه الشئ : كلفه إياه

(٦) النصف ، ثلثة : العدل ، اسم من الانصاف

(٧) خطمه : ضرب خطمه ، أنفه ،

(٨) الخصاصة : الفقر أو كل خلل أو خرق فى باب أو نحوه ، الجهد بالفتح المشقة وبالضم المشقة أو الطاقة .

ويعتد غنما في الحواث نكبتى
فما زلت في ليني له وتعطفى
وخفض له منى الجناح تألفا
وقولى إذا أخشى عليه مصيبة
وصبرى على أشياء منه تريبنى
لاستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلاماً بيننا فرقته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداويته حتى أرفأن نفاره
وأطمأت نار الحرب بينى وبينه

وما إن له فيها سناء ولا غنم^(١)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه لمنى القرابة والرحم^(٢)
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم^(٣)
وكظمى على غبضى وقد ينفع الكظم^(٤)
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٥)
برقى أحياناً وقد يرقع الثلم
بجلى كما يشفى بالادوية السكلم
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهولنا سلم^(٧)

وقال يتمدح بالعفة ومكارم الاخلاق

لعمرك ما أهويت كفى لينة
ولا قادتى سمى ولا بصرى لها
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة
ولست بمـاش ما حييت لمسكر
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابتى

ولا حملتى نحو فاحشة رجلى
ولا دللى رأى عليها ولا عقلى
من الدهر إلا قد أصابت فى قبلى
من الأمر ما يمشى إلى مثله مثلى
وأوثر ضيقى ما أقام على أهلى

(١) السناء : الشرف ، وبالقصر الضوء .

(٢) الرحم : بالكسر لغة فى الرحم .

(٣) القدم بالكسر بمدود ويقصر ، والفدا بالفتح مقصور لا غدير فهى فى

البيت صالحة لها ، العقد : العهد

(٤) رابى الأمر : جعل فى قلبى ريباً أى شكاً

(٥) يروى الحلم والحزم وهما ظاهران ، وأما الجرم فعناه الجسم والخلق

(٦) أرفأن : سكن ، صرم : قطيعة .

(٧) سلم : هى هنا بمعنى مسالم .

وقال معن بن أوس المزني يعاتب صديقا :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينما تعدو المنية أول^(١)
 وإني أخوك الدائم الود لم أحل أن أبراك خصم أونيا بك منزل^(٢)
 أحارب من حاربت من ذي عداوة وأحبس مالي إن غرمت فاعقل^(٣)
 وإن سؤتي يوما صبرت إلى غد ليعقب يوما منك آخر مقبل
 كأنك تشفى منك داء مساتي وسخطي وما في ريتي ما تعجل^(٤)
 وإني على أشياء منك تريبني قديما لذو صفح على ذاك بجمل^(٥)
 ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أي كف تبدل
 وفي الناس إن رئت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلي متحول^(٦)
 إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
 ويركب حد السيف من أن تضيمه إذالم يكن عن شفرة السيف مزحل^(٧)
 وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي وبدل سوءا بالذي كنت أفعل
 قلبت له ظهر الجن فـلم أدم على ذاك إلا ريث ما أتحوّل^(٨)
 إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد عليه بوجه آخر الدهر تقبل

(١) رجل وجل وأوجل : خائف .

(٢) حال : تغير . ويروى (لم أحن) وبزاه وأبزي به وأبزاه : غلبه . وقد نقل الشاعر حركة الهزة إلى النون وحذفها وهي لغة جيدة قرأ بها ورش
 (٣) عقل عنه : غرم ما لزمه من دية .

(٤) الريبة : التهمة . يقول : ليس في تهمتي وما يسوءني منفعة يجب أن تتمجلها .

(٥) رايني الأمر وأرايني : رأيت منه ما أكره

(٦) رث الحبل وأرث : بلى .

(٧) ضامه : ظلمه ونقصه حقه . والمزحل : المتنحي والمهرب .

(٨) الجن : الترس وقلب له ظهر الجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه علي مودة ثم حال عن ذلك .

١١ — مالك بن الزيب

المتوفى عام ٤٥ هـ

شاعر فاضل جرى مقدام ، من لصوص العرب وشجعانها .
قال أبو عبيدة ^(١) : لما ولي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، سار فيمن معه فاخذ طريق فارس ، فلقبه بها مالك بن الزيب المازني وكان فيما ذكر من أجل العرب جمالا وأبينهم بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال غيره : بل مر به سعيد بالبادية وهو . نحد من المدينة يريد البصرة حين ولاء معاوية خراسان ومالك في نفر من أصحابه ، فقال له . ويحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العدا . وقطع الطريق ؟ قال . أصلح الله الأمير ، العجز عن مكافاة الإخوان . قال . فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعني ، قال نعم ، أصلح الله الأمير أكف كما حسن ما كف أحد ، فاستصحبته وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر ^(٢) ، وكان معه حتى قتل بخرسان . قال ومكث مالك بخراسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغريته . وقال بعضهم . بل مات في غزو سعيد ، طعن فمقط وهو باخرمق . فقال هذه القصيدة وهي هذه .

ألا ليت شعري هل أبيين ليلة	بحجب الغضى أزجى القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه	وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى	مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعث الضلالة بالهدى	وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت في أرض الأعادي بعدما	أراني عن أرض الأعادي ^(٣) قاصيا

(١) ٢٥ ذيل الأمال .

(٢) ويروى خمسمائة درهم .

(٣) الأعادي : الياء لتشديد فيه وفي الذي بعده لاقامة الوزن ، والتشديد

هو الأصل في الكلمة لأنها جمع أعداء ، وجمع أفعال أفاعيل .

دعاني الهوى من أهل أودو صحبتي
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة
أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا
إن الله يرجفني من الغزو لا أرى
تقول ابنتي لما رأيت طول رحلتى
لعمري لئن غالت خراسان هاتى
فإن أنج من بابي خراسان لا أعد
الله درى يوم أترك طائعا
ورد الظباء السبايح عشيّة
ورد كبيرين اللذين كلاهما
ودر الرجال الشاهدين تفتكى
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي
تذكرت من يبكى على فلم أجده
وأشقر محبوكا يحجر عنانه
ولكن باكتناف السمنية نسوة
صريع على أيدي الرجال بقفرة
ولما تراءت عند مرو منيتى
أقول لأصحابي أرفعوني فانه
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فأنزلا
أقيا على اليوم أو بعض ليلة
وقوما إذا ما استل روحي فهيثا
وخطا بأطراف الأستة مضجعي
ولا تحسداني بارك الله فيكما
خذاني فجراني بشوئي اليسكا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت
وقد كنت صبارا على القرن في الوغى

بذى الطيسين فالتفت ورائيا
تقنعت منى أن ألام ردائيا
جزى الله عمرا خير ما كان جازيا
وإن قل مالى طالبا ما ورائيا
سفارك هذا تاركى لا أباليا
لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
إليها وإن منيتموني الأمانيا
بنى بأعلى الرقمتين وماليا
يخبرن أنى هالك من ورائيا
على شفيق ناصح لونهائيا
بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
سوى السيف والرمح الرديني باكيا
إلى المساء لم يترك له الموت ساقيا
عزيز عليم العشيّة مايبا
يسورن لحدي حيث حم قضائيا
وخل بها جسمي وحانت وفائيا
يقر تعينى إن سهيل بداليا
برايه لى مقيم لياليا
ولا تعجلاني قد تبين شائيا
لى الصدر والأكفان عند فنائيا
وردا على عيني فضل ردائيا
من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
سريعا لدى الهيجا الى من دعائيا
وعن شتمى ابن العم والجار وانبا

فطورا ترانى فى طلال ونعمة
ويوما ترانى فى رجا مستديرة
وقوما على بئر السمينية أسعما
بأنسكا خلفتاني بقفرة
ولا تنسيا عهدي خليل بعدما
وان^(١) يعدم الوالون بئنا يصيدهم
يقولون لا تبعد وهم يدفونني
غداة غد يالهف نفسي على غد
وأصبح مالى من طريف وتالد
فياليت شعري هل تغيرت الرجا
إذا الحى حلوها جميعا وأنزلوا
رعين وقد كاد الظلام يحنها
وهل أترك العيس العوالى بالضحي
إذا عصب الركبان بين عنيزة
فياليت شعري هل بكى أم مالك
أذ مت فاعتادى القبور وسلمى
على جدث قد جرت الريح فوقه
رهينة أحجار وترب تضمنت
فينا صاحبا إما عرضت فبلغا
وعر قلوصى فى الركاب فانها
وأبصرت نار المازنيات موهنا
بعود النجوج^(٢) أضاء وقودها
غريب بعيد الدار ثاو بقفرة

وطورا ترانى والعناق ركابيا
تخرق أطراف الرماح ثيابيا
بها الغر والبيض الحسان الروانبا
تهيل على الريح فيها السوافيا
تقطع أو صالى وتبلى عظاميا
ولن يعدم الميراث منى المواليا
وأين مسكان البعد إلا مكانيا
إذا أدجلوا عنى وأصبحت ثاويا
لغيرى وكان المسال بالامس مالبا
رجا المثل أو أمست بفلج كما هيا
بها بقرا حم العيون سواجيا
يسفن الخرامى مرة والأفاحيا
بركبانها تعلو المتان الفياقيا
وبولان عاجوا المبقيات النواجيا
كما كنت لو عالوا نعيك باكيا
على الرمس أسقيت السحاب الغواديا
ترابا كسحق المرنبانى هايبا
قرارتها منى العظام البواليا
بنى ازن والريب أن لا تلاقيا
ستفلق أكبادا وتبسكى بواكيا
بعلياء يثنى دونها الطرف رانبا
مها فى ظلال السدر حورا بجوازيا
يد الدهر معروفا بأن لا تدانبا

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : وان يعدم الوالون بيتنا يحنى .

(٢) الالنجوج والبلنجوج : عود الطيب يتبخر به .

أقلب طرفي حول رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيًا
وبالرمل منا نسوة لو شهدتني بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندي وأهله ذميا ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنن أُمي وابنتي وأخالي وبأكية أخرى تهيج البواكيا
ويقول أبو الفرج عن أبي عبيدة أن الذي قاله مالك ثلاثة عشر بيتا والباقي
ولده الناس عليه .

وفي الأغانى أن سعيداً لقيه في طريق فارس . فقال له سعيد : ويحك ، تفسد
نفسك بقطع الطريق وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك
هذا الفضل ؟ قال مالك : يدعوني إليه العجز عن المعالي ، ومساواة ذوى المروءات ،
ومكافأة الاخوان .
وينسب له .

لو كنتم تنكرون الغدر قلت لكم يا آل مروان جارى منكم الحكم
وأتهيبكم يمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
لحنن الذين إذا خفتهم بجلالة قلتم لنا إننا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتها صرتم (كجرم) فلا ال ولا رحم
ويقول .

وما أنا بالنائى الحفيظة في الوغى ولا المتأنى للعواقب في الذى
ولبكننى مستوجد العزم مقدم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى في الحرب باسل جميع القواد عند جل العظام
وله .

أدلجت في مهمه ما إن أرى أحدا حتى إذا حان تعريس لمن نزلا
وضعت جنبى وقلت الله يكلأنى مهما تن عنك من ليل فإ غفلا
والسيف يبنى وبين الثوب مشمرة أخشى الحوادث إنى لم أكن وكلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها إنى أرى مالك بن الرب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلها ويسعرها تراه بما كسسته شاحبا وجلا

ويقول :

أذنب الغضا قد صرت للناس ضحكة أغادى بك الركبان شرقا إلى غرب
فأنت وأن كنت الجرء جفانه منيت بضرغام من الأسد الغلب
بمن لا ينام الليل ألا وسيفه رهينة أقوام سراع إلى الشعب
ألم ترني يا ذئب إذ جئت طارقا تخافني أنى امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تدرجر نهنت غربك بالضرب
فصرت لى لما علاك ابن حرة بأبيض قطاع ينجى من الكرب

* * *

وكان مالك ابن الريب لصاً يقطع الطريق ، هو وأصحابه ومنهم غويث أحد
بنى كعب وأبو حردبة ، ومنهم شظاظ الضبي ، وقد ساموا الناس شرا ولم يكن
مالك بأقل أصحابه فتسكا وفجورا . وفي ذلك يقول الراجز
والله نجسك من القصيم ومن أبى حردبة اللثيم
ومن شظاظ فاتح العكوم ومالك وسيفه المسموم
ثم طال توحش مالك في البادية وفتسكه بها حتى كان عصر معاوية فغزا في جيش
سعيد بن عثمان بن عفان .

النقد الادبي

في صدر الاسلام

- ١ -

والنقد الادبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر، وهو عند المحدثين تقدير النص الادبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الادبية (١)،

هو - كما أقول - تحليل الآثار الادبية والحكم عليها وبيان قيمتها الادبية العامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار. وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار (٢)

والخطابة والشعر لأرسطو هي المرجع الأول لسلك الدراسات في النقد والبلاغة (٣)، وأرسطو أول من كتب في النقد الادبي ووضع في كتابه « فنون الشعر » قواعد للبلاغة بنى عليها طريقتيه في النقد (٤)، وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديثة في اوربا وعلى رأسها : سانت بوف [١٨٠٤ - ١٨٩٦]، وتين (١٨٢٨ - ٨٩٣)، وبرونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٧)، وجول ليمترم ١٩١٧ (٥)

والنقد في الآداب العربية هو شرح الشعر وتقرير طريقة الشعر الجاهلي

(١) أصول النقد الادبي للشايب

(٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) أصول النقد الادبي

(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب،

(٥) راجع : مقدمة لدراسة بلاغة العرب، وأصول النقد الادبي للشايب،

٤٥ - •• الادب الجاهلي.

لتكون منهمجا للشعراء لاحتراك العقول والأفكار (١) ، وأكبرهم مظاهره عندهم هو علم البلاغة (٢)

النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلا ، وكان هينا يسيرا ملائما لروح العصر وللشعر العربي نفسه (٣) ، عربى النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم (٤)

وجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة (٥) وفي حكومة أم جندب بن امرئ القيس وعلقمة (٦) ، وحكومة النابغة على الشعراء ، وكان تضرب له قبة حمراء بعسكاظ ويأتيه الشعراء فتشده أشعارها ، (٧) ، وفي حكم ربيعة بن حذاف الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب وعمرو بن الأهتم (٨) . ووجد في نقد الشعراء للشعر ، مراراً القيس بكعب

(١) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٢) ٦٨ المرجع

(٣) ٢٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٤) ٢٥ المرجع .

(٥) راجع ٣٧٩ ج ٣ العقد .

(٦) راجع ١٢٨ ج ٧ الأغاني ، وقد نقد الرافعي هذه الحكومة ورأى أنها

جائرة (٢٢٥ — ٢٢٤ ج ٢ آداب العرب للرافعي) وتابعه في ذلك محمد هاشم

(١٨٤ الأدب العربي في العصر الجاهلي) ويرتاب باحث في صحة هذه القصة ،

ويرى أن امرؤ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن

ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرؤ القيس (٢١ ، ٢٢ تاريخ النقد الأدبي

عند العرب) .

(٧) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٨) ١٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

وأخويه : الضبان والقعقاع فأنشدوه فقال : إني لأعجب كيف لا تمتليء عليكم نارا جودة شعركم ، فسموا بن النار ^(١) ؛ ويقول النابغة : أشعر الناس من استجيد كذبه واضحك رديشه ^(٢) ، وسمى كعب الغنوى كعب الأمثال لكثرة ما في شعره منها ^(٣) ، وطفيل الغنوى طفيل الخيل لكثرة وصفة إياها ، والفريبن تولب المحبر لحسن شعره ^(٤) ، وسموا قصيدة سويد بن أبي كاهل « بسطت رابعة الحبل لنا ، اليتيمة ، كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاة لحسنها ^(٥) ويقول زهير ويروى لحسان :

ولإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه ثم نفسه ^(٦) الى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

- ٣ -

النقد في صدر الاسلام :

وأخذ النقد في القرن الأول يسير في طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم ، فأبو بكره يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا ^(٧) ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده ^(٨) ، وقدم زهير ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح

(١) ٧٠ من المؤلف للامدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٨٠٥٠ ، ج ٢ العمدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤلف و ١١٢ ج ١ العمدة

(٥) ٢٢٥ ج ١ البيان

(٦) ٢٠ جمهرة أشعار العرب .

(٧) ١ / ٧٨ العمدة .

(٨) راجع : ٩٩ إعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١٧٠ / ١ و ٢٢٤ و ٢ / ٢٢٥

البيان والتبيين ، ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ١ / ٧٦ العمدة .

سبب حكومته بأنه كان لا يعاقل في السلام وكان ينجب وحشى الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه (١) ، وكان يرى أنه أشعر الناس (٢) ، وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكرون الشعر والشعراء وأهم أشعر (٣) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه أشعر شعرائهم (٤) . وكذلك على بن أبى طالب وكان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة (٥) ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر وبشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الاسلام ابنه كعب .

وأشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالآخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم وصاحب

لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الإبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بنى ذبيان قال لهم : فمن الذى يقول :

(١) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ / ١ العمدة ، ٣٢ جهرة أشعار العرب . والمعاظلة

وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة و ٣٢ الجهرة وص ١٠٥ نقد الشعر .

(٢) ٣٧٩ / ٣ العقد وما بعدها .

(٣) ٣٢ الجهرة .

(٤) ٣٤ الجهرة .

(٥) ٢٧ و ٢٨ / ١ العمدة .

أتيتك عاريا خلقة أ ثيابي على وجل تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون
قالوا . هو النابغة : قال هو أشعر شعرائكم . ولا بدع فعمركان يعرف قدر
الشعر ويستمتع لأراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس من أين شاطر ابن الخطاب عمله فقال . أموال كثيرة
ظهرت عليهم وأن شاعرا كتب إليه يقول

نحج ونغزو اذا غزوا فاني لهم وفر وكسنا بذى وقر
اذا التاجر الهندي جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون أن شاطرهم منك بالشرط
قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس . قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير فأنشدته قوله
في هرم بن سنان حيث يقول .

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابو وطاب من الأفلاذما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
فقال له عمر . ما كان أحب إلى لو كان هذا الشعر في أهـ ان بيت
رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت قال : أنا بن
هرم بن سنان قال : صاحب زهير قال : نعم قال : أما أنه كان يقول فيكم فيحسن
قال : كذلك كنما نعطيـه فنجزل قال : ذهب ما أعطيتـوه وبقى ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة . هن أشعر الناس ، فأخرج لسانه وقال . هذا إذا طمع .
وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب وأشعرهم أبو ذؤيب وأمير شعره
وغرة كلامه قصيدته التي أولها هـ أمن المنون وريها تتوجع ،^(١) .

إلى ما سوى ذلك من مظاهر النقد في هذا العصر بما لاداعى للافاضة فيه .

(١) ٨١ خاص الخاص للشمالي .

أشهر الشعراء الخضرمين

مزرد بن ضرار الذبياني .
المخبل السعدي مات في خلافة عمر .
عمرو بن الأهمم المنقري .
ليبد بن ربيعة العامري .
ربيعة بن مقروم .
سويد بن أبي كاهل اليشكري وتوفي بعد عام ٥٦٠ هـ .
عوف بن عطية بن الخرج التيمي من يتم الرباب — عبد الله بن عنمة الضبي .
قيس بن الخطيم لاقى رسول الله ولم يسلم زيد الخيل وفد على الرسول عام ٥٩ هـ
وتر في هذا العام .

شعراء الحماسة الخضرمون

عمر بن الأهمم - الخنساء - عمرو بن أحر - زرعة بن عمرو - عامر بن
الطفيل وفد على رسول الله — قيس بن الخطيم أدرك النبي — الحارث بن هشام
توفي عام ١٥٥ هـ - الضرار السلمي - عمرو بن شاس - سلم بن دارة - غسان
ابن وهلة - عبد الله بن عنمة الضبي - قبيصة بن جابر - عائكة بنت عبد المطلب
أمية بن أبي - الصلت - أبو خراش الهذلي - عبدة بن الطبيب - دريد
ابن الصمة - الأسود بن يغوث - قتيلة - النابغة الجعدي - سلامة الجعفي
الشمخ - عمرة بنت الخنساء - معن بن أوس - حسان -
أبو الطمحان القبي .

شعراء الحماسة الاسلاميون

أدرك بعضهم الرسول والآخرون عاشوا في عصرى

صدر الإسلام وبني أمية

أبو الاسد ، خنزر ، مالك بن أسماء ، مدرك الفقعسى ، عمرو بن الهذيل ،
عمرو بن كميل ، حميد بن ثور ، قريظ بن أنيف ، ربيعة ابن مقروم
الضبي وشهد القادسية ، أبو كبير الهزلى صحابى ، الحريش القريعى
صحابى ، الأشتر النخعى صحابى ، عبد الله بن الحشر الجعدى ، الفضل بن العباس
هاشمى ، جرير بن كليب الفقعسى ، الراعى ، اسحاق بن خلف ، حطان بن المعلى ،
يحيى بن منصور الحنفى ، جزء بن ضرار أخو الشماخ ، القطامى ، موسى بن جابر ،
بشامة بن حزن ، مساور بن هند ، عباس بن مرداس صحابى ، غلاق بن مروان ،
عبد الله بن سبرة ، إياس بن مالك ، أدهم بن أبي الزعرار ، خفاف بن ندبة صحابى ،
معبد بن علقمة صحابى ، شبيب بن عمر ، الكروس بن زيد ، حسان بن الجعد ،
أوس بن حنناء ، عمرو الخارجى ، سالم بن واصة ، تابعى ، هشام أخو ذى الرمة ،
متمم بن نويرة صحابى ، نهشل بن حرى ، عبد الملك الحارثى ، خلف بن خليفة ،
فاطمة الخزاعية (صحابية) - نهار بن - توسعة شبيب بن عوانه - سليمان
العدوى - شيعى ، - زينب الطثرية - يزيد بن الطثرية قتل فى خلافة بنى العباس
منظور بن سحيم - توبة بن الحميز الخفاجى - أبو بكر الزهرى - ابن الطثرية
أبو الاسود الدؤلى

الحياة الادبية

في العصر الاموي

٤١ - ١٢٢ هـ

تمهيد:

بدأت دولة بني أمية عام ٤١ هـ، على يد معاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة .
وتولى الخلافة عدة خلفاء كان لهم أثرهم الكبير في تشجيع اللغة والأدب والعلم وإعزاز شأن الأدباء والشعراء .
وهؤلاء الخلفاء هم :

معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية ^(١) (٤١ - ٦٠ هـ) .

يزيد بن معاوية (٤٠ - ٦٤ هـ)

معاوية بن يزيد (٦٤ - ٦٤ هـ)

مروان بن الحكم ^(٢) (٦٤ - ٦٥ هـ)

عبد الملك بن مروان ^(٣) (٦٥ - ٨٦ هـ)

الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)

سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩ - ١٠١ هـ)

يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ - ١٠٥ هـ)

(١) كان من أعظم ولاته وأشهرهم زياد بن أبيه المتوفى عام ٥٣ هـ

(٢) وقد بدأ في عهده حكم عبد الله بن الزبير في الحجاز من عام ٦٤ هـ

واستمر حتى قضى عبد الملك بن مروان على ثورته عام ٧٣ هـ

(٣) وأشهر ولاته الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١ - ٩٥ هـ)

هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦ هـ) .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ - ١٢٦ هـ)

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٦ - ١٣٢ هـ) .

ومروان هو آخر بني أمية قتله بنو العباس وتولى السفاح الخلافة باسم العباسيين في الكوفة عام ١٣٢ هـ .

كانت دمشق مقر دولة بني أمية ، وبنوا فيها القصور والمساجد والدواوين والمتنزهات والقلاع والحصون فاتسع عمراتها وزادت حضارتها وكثرت مجالس الأدب ودور العلم فيها ، ووفد إليها الناس في مختلف أمورهم ومصالحهم وكانت دولة بني أمية تعزز بالعرب وترفع من شأنهم ولا تنظر إلى الموالى نظرة رعاية أو تقدير ، وهكذا كانت دولة بني العباس أعجمية خرسانية ودولة بني أمية عربية أعرابية ^(١) وكانت بنو أمية لا تستخلف بين الأمام ^(٢) ولا تباع لبني أميات الأولاد ^(٣) ،

كما حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية ، فنشأوا أبناءهم بالبادية يتعلمون فيها الشعر والأدب واللغة ، ويكتسبون الملمسة والفطرة والطبع ، ويعتقدون المجالس الأدبية ويستدعون الرواة والأدباء والشعراء ويسكفونهم بجزيل العطاء وسقى المواهب فوق عطفهم وبرهم بالعرب ، وقصر وظائف الدولة عليهم وحدهم من ولاية وقيادة جيوش وتنظيم دواوين إلى غير ذلك من كبرى المناصب في السياسة والقضاء والإدارة .

(١) ٢/٢٠٦ البيان والتبيين .

(٢) ١٨٠ / ٤ العقد

(٣) ١٨١ / ٤ العقد .

وهكذا شجعت دولة بني أمية الجنس العربي والفتت في يده زمام أمور الدولة بعكس بني العباس .
وقد تمت الحواضر الإسلامية الكبرى كالكووفة والبصرة والفسطاط ومكة والمدينة وسواها من الأمصار
وستتكم بعون الله عن حياة الأدب واللغة والعلم والنقد في هذا العصر الزاهر وما توفيق إلا بالله .

سياسة الدولة الجديدة

١٠ — كان معاوية رأس الدولة الأموية ومنشؤها داهية أريبا حصيفا ؛ وكان يعتز بأسرته الأموية اعتزازا كبيرا لتؤيد دولته الجديدة وملكه الناشئ الفتى .
وكان أظهر أعماله أنه نقل الحكم الإسلامي من خلافة شوربة الى ملك مستبد يحرص على تثبيتته ودعمه وإعلاء صرحه ، ولو فوق جثث الضحايا وأشلائهم .
واستعان معاوية في هذا بأسرته من بني أمية وبني عبد شمس ، كما استعان بالقبائل العربية المقيمة في بلاد الشام وحواليها والتي أغدق عليها العطاء .
وهو وال لعمر وعثمان على الشام ، ثم وهو يتصارع على بن أبي طالب ويحالده بالسيوف في سبيل الملك ، ثم وهو خليفة وأمير للمسلمين بعد تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة .

وعمل معاوية على إيقاع الخلاف بين القبائل المختلفة وضرب بعضها ببعض ، وتحريض بعضها على الآخرين ، وبذلك أحيا العصبية القديمة التي حاربها الإسلام ورسوله وكتابه الكريم ، كما حاربها أبو بكر وعمر طول عهد خلافتها رضوان الله عليهما .

لم يكن معاوية يثق بأهل مكة والمدينة لانحياز زعمائها إلى أهل بيت الرسول ، ولا بالعرب المقيمين في الكوفة والبصرة لأن الكثير منهم شيعيون ، ولكنه جهد في استئالة العرب القاطنين في بلاد الشام وعلى مشارفها ؛ كما جهد في استئالة القبائل

البنية ، وتزوج من إحدى بطونها د من قبيلة كلب ، أم ابنه يزيد ، كما جهد في استئالة القبائل القيسية وبعض القبائل المضرية إليه .

وفي سبيل ذلك أكثر من الوعد والوعيد ، وبذل الأموال و فرق العطاء ، وأكثر من الاغداق على أهل الحجاز وخاصة مكة والمدينة لأنهم أصحاب الرأي النافذ بين المسلمين ، وضاعف عطاء الحسن والحسين أضعافا كثيرة لجعله ألف ألف درهم وكان على عهد عمر خمسة آلاف .

وبذلك استتب الأمر لمعاوية الداهية العبقرى ، وكان معاوية رضى الله عنه يقول تصويرا لدهانه وسياسته . والله لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إن شدوا أرخيت وإن أرخوا شددت .

٢ — ولما مات معاوية لم يخلفه أحد في الملك يشبهه في الدهاء والسياسة ، فافترق المسلمون وشبهت الثورات وكثرت الأحزاب : من شيعة أنصار بيت على في الحجاز والعراق ، وزبيريين يشايعون آل الزبير في الحجاز وغيرها ، وخوارج خرجوا على الاستبداد والملك العضوض ، وأمويين يدافعون عن ملكهم ونفوذهم .

ووجد ملوك بنى أمية أن لا شيء يعيد إلى دولتهم هيبتها وأطمئنانها إلا الاستبداد والسف والطغيان ، فوكلوا بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي يمسك الأرض رعباً وخوفاً وجوراً ، ووكلوا بالبلاد الأخرى ولادة يأمرهم باليقظة والحزم والدهاء والمسكر والطغيان

وهكذا ظلت الدولة تموج بالعصبيات إلى عهد انقضائها ، بل إنها كانت السبب الأخير في القضاء عليها وتمهيد الأمر لبني العباس .

وكان الشعراء يغذون العصبيات ويلقون القصائد الجيدة مشيدة بذكر الأحزاب التي ينتمون إليها ومنددة بمثالب الأحزاب الأخرى ، ومن ذلك أن الهاشمين أخذوا يحرضون الكهيت الشاعر على إثارة العصبية بشعره ، جاء في مروج الذهب للمسعودي أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال

للحكيت ، إني قد رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث
فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب ، فأنشده قصيدة ذكر فيها مناقب بنى نزار
من ربيعة ومضر وأطنب في وصفهم وفضلهم على بنى قطنحان وعرض بما كان من
شأنهم مع الأحباش وغيرهم من هذه القصيدة قوله

لنا قر السماء وكل نجم تشير إليه أيدي الممتهدين
وجدت الله إذ سمي نزارا وأسكنهم بمكة قاطنين
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولذا الجبين
وما ضربت هجائن من نزار فوالح من خول الأعجمين
وما وجدت بنات بنى نزار حلال أسودين وأحرين

وقد نبى هذا القول في النزارية واليمينية فافتخر كل قبيل بما له من مآثر . وفي
العصر العباسي قال دعلج بن علي الخزاعي ينقض على للحكيت قصيدته ويذكر مناقب
اليمن ويعرض بل ويصرح بنقائص غيرهم في قصيدته التي أولها :

أفيق من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشين الذوائب والقرونا
أجى الغر من سروات قومي لقد حيت عنا يا مدينة
فان يك آل إسرائيل منكم وكنتم بالآعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم وآثار قدمن وما محينا
وما طلب الحكيت طلاب وتر ولكننا لنصرتنا هجيننا
لقد علمت نزار أن قومي إلى نصر النبوة فاخرينا

ونشأ عن إحياء هذه العصبية الممقوتة آثار كثيرة بعضها سياسي وبعضها اجتماعي
وبعضها أدبي

أما الآثار السياسية فقد كثرت الخلافات والثورات والحروب بين العرب
بعضهم وبعض وبين العرب والموالي وبين أبناء وفروع الأمويين أنفسهم

وأما الآثار الاجتماعية فانك تعلم أن إحياء العصبية معناه سيطرة التفكير الجاهلي على الناس والسياسة ، وبذلك انحرف الأمويون بل الناس كلهم عن منهج الإسلام الذي يجعل الناس إخوة متحابين ويفرض على الحاكم العدل والمساواة والحرص على حريات الناس جميعاً

وأما الآثار الأدبية فقد عادت الفنون الأدبية الجاهلية القديمة إلى الظهور . من انفخر الكاذب والمتافرات والمفاخرات المرة بين العرب في مجتمعاتهم الأدبية وعلى الأخص في المربد ، بظاهر البصرة وفي الكناسة حوالى الكوفة . وبعد فعناصر سياسة الدولة الجديدة هي :

١ - دعم الملك الأموي بأى ثمن كان ؛ والقضاء على الأحزاب المنافسة لهم من شيعة وزبريين وخوارج

٢ - إحياء العصبية العربية محافظة على مجد بنى أمية وسلطانهم

٣ - رفع شأن العرب كافة والاعتزاز بالعنصر العربى وعدم إدخال أحد من الموالى فى مناصب الدولة وخاصة كبارها لئلا للضرورة الملحة

٤ - إحياء الآداب العربية القديمة وخاصة الشعر الجاهلي وتشجيع الثقافة والعلوم على وجه عام .

٥ - تشجيع العمران والحضارة والاقتباس من مدينيات الأمم القديمة كل ما هو صالح ومفيد

٦ - وأكبر مآثرة للأمويين هي إتمام سلسلة الفتوحات الإسلامية العظيمة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب

إلى غير ذلك من العناصر البارزة فى سياسة هذه الدولة الجديدة
وأهم الآثار الكبيرة لهذه السياسة :

١ - كثرة ألوان الاضطهاد والعسف فى سياسة الدولة ومعاملة الناس وما يتبع ذلك من خنق للحريات واستهانة بالأرواح والدماء

٢ - تدمير الموالى وانضمامهم لأعداء بنى أمية وعلى الأخص الشيعة بما كان سبباً للقضاء على الدولة نفسها

- ٣ — انتشار الترف واللغو في الشام وحيث الأموال الكثيرة والعطاء الضخم في الحجاز وعلى الأخص مكة والمدينة
- ٤ — عودة عادات وألوان التفكير والشعور ومظاهر المعيشة الجاهلية إلى الحياة في هذا العهد
- ٥ — انتشار اللغة العربية في شتى أرجاء العالم
- ٦ — سير الحياة الإسلامية إلى الحضارة والمدنية والعمران
- ٧ — ظهور الموالي في ميادين الثقافة والأدب والعلم لا في ميدان السياسة إلى غير ذلك من هذه الآثار

الموالي

في الدولة الأموية

١ - اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد بني أمية ، فشملت الاندلس وشمال افريقية والشام وجزيرة العرب والعراق وفارس وجزءا من الهند ، كما وصلت الفتوحات الإسلامية إلى سوى ذلك من النواحي والبلاد

وخضعت هذه الأمم كلها للحكم العربي ، سواء منها الدول ذات الحضارة والدول التي لم تصطبغ بصبغتها ، فوجدوا في الإسلام العدل والأمن والسلام ، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة الدين والقرآن ولحاجتهم إليها في التفاهم مع الولاة والحكام والعمال ، وهي فوق ذلك اللغة الأولى في العالم كله آنذاك فهي لغة الثقافة والآداب والعلوم والفنون والسياسة .

٢ - وكان إبعاد الموالى عن سياسة الدولة وشؤونها العامة باقصاء الأمويين لهم كما كان لانحسارهم من عناصر متحضرة أخذت بقسط من الثقافة والمدنية والمعرفة ، أثر كبير في تفوقهم في ميدان العلم والآداب .

جلسوا في مجالس الصحابة يدرسون القرآن وعلومه والحديث وروايته والتاريخ وأيامه ومفاخر العرب ومآثرهم . كما جلسوا في مجالس الأدباء والشعراء والرواة يثقفون أنفسهم بالشعر ويتأدبون بروايته وينظمه أحيانا

فكان من الموالى الشعراء كزياد الأعجم واسماعيل بن سيار وأخيه موسى شہوات .

وكان منهم العلماء في علوم الدين والشريعة كنافع وربيعه الراى شيخ الامام مالك وسليمان بن يسار وكان من أعلم الناس وفقههم وكانوا بالمدينة ومنهم مجاهد وعكرمة وعطاء بمكة

والحسن بن يسار والحسن البصرى وابن سيرين بالبصرة . يزيد بن حبيب شيخ الليث بن سعد في مصر . مكحول بن عبد الله في الشام .

إلى غير هؤلاء من الأعلام في الدين والشريعة والحديث والتفسير واللغة من الموالى في عصر بى أمية

٣ - ولما كانت اللغة القبطية ولغة الروم وآدابها وثقافتها مازال باقية في مصر والشام . واللغة الفارسية مازال ذائعة في بلاد فارس وبعض جهات من العراق .

فقد كانت دواوين الدولة ومصالحها الحكومية واعمالها تكتب في مصر باللغة القبطية وفي الشام باللغة الرومية وفي العراق وفارس بالفارسية . وكان لابد من الاستعانة بالموالى في هذه الدواوين للكتابة فيها وظل الأمر على ذلك مدة حتى حوات دواوين (١) العراق إلى اللغة العربية بأمر الحجاج ودواوين الشام في عهد عبد الملك ودواوين مصر في عهد الوليد بن عبد الملك وبذلك انفسح المجال للعرب في هذه الناحية أيضا .

وكان الذى نقل دواوين الخراج في العراق إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان صالح من الموالى . أما دواوين الشام فكانت بالرومية وكان يتولى أمورها سرجون بن منصور من عهد معاوية إلى أيام عبد الملك ثم نقلت إلى العربية على يد سليمان بن منصور أما ديوان مصر فقد كان بالقبطية . وحول في عهد الوليد بن عبد الملك إلى العربية على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر وبذلك خلصت أعمال الدولة للعرب إذ كان ديوان الخند والرسائل وجمع مرافق الدولة عربية ماعدا ديوان الخراج فلما حول صارت سائر أعمال الدولة مصطبغة بالصيغة العربية الخالصة .

٣ - ومن المعلوم أن الموالى كانوا من عناصر مختلفة واجنثاس متباينة

(١) الديوان الكتاب الذى يكتب فيه أهل العطية والمرتبات ، ثم نقل الى السكان الذى يجتمع فيه الكتاب لذلك وأول من وضعه عمر فهو أول من دون الدواوين في الاسلام وكانت مقصورة على الضرورى منها لمساكن البداوة من الامة

فمنهم الفارسيون ومنهم من هو من عنصر زرمي أو قبضي أو تركي أو سوى ذلك ذلك وكان بعضهم ينحدرون من أمم متحضرة ذات مدنية وثقافة والبعض الآخر ليسوا كذلك الأولون هم الذين أفادوا الأمة العربية بما حملوه معهم من ذكاء ومعرفة وثقافة ونظام ومدنية .

وكان من أفذاذ الموالى في العصر الأموي سـ المولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب الذي كان أصله من الأنبار .

٤ - على أن من الثابت أن الموالى لم يكونوا موضع تقدير في العصر الأموي لبعدهم عن سياسة الدولة وتصريف شئونها وتولى مناصبها وكانوا يعملون في حقل الثقافة والأدب أو في بيوت العظماء والأثرياء أو في الحرف الصغيرة المهيئة

انتشار اللغة

وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة

١ - علمت مما سبق أن الفتوحات الإسلامية كثرت في العصر الأموي حتى وصلت جيوش المسلمين إلى الهند والأندلس وحكم العرب هذا البلاد المفتوحة وأخضعوها لنفوذهم وسلطانهم وصاروا حكاما وأمرأها ونشروا فيها دينهم ولغتهم وآدابهم ونزح العرب إلى هذه البلاد المفتوحة فأقاموا فيها وعمروها وخالطو أهلها ونشروا اللغة العربية في كل مكان .

وأخذ أهل هذه البلاد المفتوحة يتعلمون العربية ويدرسونها ويتخذونها لغة لهم يتفاهمون بها مع حكامهم وولاتهم من العرب ولم يقفوا عند هذا الحد بل التخطب باللغة والتفاهم بها بل أجادوا العربية ودرسوا آدابها ونظموا الشعر وتفقهوا في شتى العلوم سواء منها العلوم الإسلامية الأصلية أم علوم ومعارف أممهم القديمة المتمدية التي أذاعوها ونشروها في البيئة العربية الإسلامية الجديدة .

يقول ابن خلدون : ولما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها في جميع مما لكها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى وعلى دينه ، قصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب ،

وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأقطار والممالك ، وصار اللسان العربي
لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم وصارت الألسنة دخيلة
فيها وغريبة . .

٢ - ولا ضير على اللغة إذا كان قد دخلها بعض اللحن واصاب ملكاتها
شئ من المعى والعجز والقصور فان القرآن الخالد قد حفظ اللغة العربية وخلدها
إلى ما شاء الله .

نعم لقد كان من آثار الفترحات الإسلامية وانتشار اللغة العربية في كل
مكان أن :

١ - خالط العرب أهل هذه البلاد المفتوحة وسمع لسانهم وعيهم وتحريفهم
في ألفاظ اللغة فأصاب ملكته العربية الأصلية شئ من العدوى واعتراها
بعض القصور .

ب - وتزوج العرب من الموالى كما تزوج بعض الموالى من العربيات وإن
كان ذلك قليلا نادرا فنشأت ذرية ملقحة بعضها من الأولاد الهجن الذين
أباؤهم من العرب وأمهاتهم من الموالى وبعضها الآخر من المقرفين وهم الذين كان
أباؤهم من الموالى وأمهاتهم من العرب ومن غير شك أن لغة هذه السلالات
لا تصل إلى لغة العرب الخالص الأحرار .

ج - كما كثرت الجوارى والقيان والمربيات الروميات والفارسيات
والقبطيات في قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء فنشأ أبناؤهم ضعاف الملمكة
مضطربى اللهجة واللغة كثيرى اللحن والتحريف .

ولكن جد الخلفاء والعلماء في المحافظة على اللغة العربية ، دفع عادية هذا
الفساد وأضعف من شأن هذه العدوى

٣ - ولقد قامت اللغة العربية في العصر الأموى بمقتضيات الدين والمملك
والسياسة إلى حد بعيد بما يتجلى لك فيما يأتى :

١ - حولت دواوين الخراج إلى اللغة العربية في شتى البلاد الإسلامية ،
وكانت من قبل تكتب بلغة الإقليم التى هى فيه ، فهى فى العراقى بالفارسية ؛ وفى

الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية ، لحولت دواوين العراق إلى العربية في عهد الحجاج وعبد الملك ، كما حولت دواوين الشام من الرومية إلى العربية في عهد عبد الملك أيضا بعد أن رأى من إمدلال كاتبه سرجون ، وكان الذي حولها له في الشام إلى العربية هو سليمان بن مسرور فدب الحزن إلى قلب سرجون حتى قال لمن معه من كتاب الروم :

اطلبوا الرزق من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم . ولما حول صالح ابن عبد الرحمن السجستاني للحجاج دواوين العراق إلى العربية ^(١) ، أراد الكتاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك ، فبدلوا له مئتا ألف درهم على ألا يفعل فأتى فقالوا :

قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية . وتم منذ ذلك الحين نقل ديوان العراق ، وكان الذي يتولى الكتابة فيه الفارسية زاذان فروج بن يدي

وأما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الله ابن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية انتناش القبطى فصرفه عبد الله وأقام مكانه ابن يربوع الفزارى

ب - كما قامت اللغة بالتعبير عن ألوان الحياة الجديدة الناشئة على العرب في دولة بنى أمية فالقصور الباذخة والجيش العديدة والغلمان والعبيد والحجاب والقهارم والموسيقى والغناء والجيش والأساطيل والقلاع والبريد وسلك النقود وديوان الخاتم وديوان الرسائل وديوان الجند غير ذلك من مظاهر الملك والوان المدنية الجديدة ومشاهد العمران والترف ، قد راض العرب لغتهم على التعبير عنها وعا تطلبه شتى ألوان الحياة ، فلم تعجز اللغة بل نهضت بكل ذلك دون وناة أو فتور ، سواء بما فيها من الفاظ ومفردات وأساليب وثروة لغوية

(١) وفي العقد الفريد : أن فحذم جد الوليد بن مروان القحذى هو

الذى قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية (١١ - ٣٠ العقد)

ضخمة أم بما عربه العرب من الألفاظ الأعجمية. فوضعوا أسماء للنسميات الجديدة: بقل بعض الألفاظ العربية عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى؛ أو بالتعبير عنها بالألفاظ المعربة؛ فن الفاظ في تمييز الجند وأنواع أسلحتهم إلى مصطلحات الدواوين وما تقتضيه الحضارة والعمران والثقافة

ومن الألفاظ المعربة: الطست والطبق والبلور واللوز والطنبور والفرسخ والبريد والمارستان وسواها

ج - ونهضت اللغة بشق ألوان العلوم والثقافات وتدوينها دون تفصيل أو عجز؛ فبدأت النهضة العلمية والفكرية وقام العلماء بتدوين آرائهم في شتى علوم الدين والدنيا تساعدهم على ذلك لغة طيبة مرنة واسعة الجوانب

د - كما عبرت اللغة عن شتى نظم الملك والسياسة والقضاء والإدارة والأدب وافن حتى ورثنا ثروة ضخمة من آثار هذا العصر الأدبية الرائعة وحسبنا ذلك الآن

طروء اللحن ووضع النحو والنقط والشكل

اللحن ونشوء العامية

١ - علمت أن العرب فتحوا كثيرا من البلاد والأمصار ودخل أهلها في دين الله أفواجا وتعلموا القرآن ودرسوا اللغة العربية وتكلموا بها فبدأت اللمكنة تظهر في كلامهم كما بدأ اللحن واضحا في نطقهم

ولا شك أن العرب بمخالطة الدخلاء على العربية ولسانها قد أصابته عذوهم وانتقلت إليه آثار من لسانهم ولحنهم

كما أن نشأة أولاد الأمراء والخلفاء والأثرياء بين أمهات أو مرييات أعجميات كان له أثره في إفساد طباعهم وفطرتهم الأدبية الموروثة

كما أن الذين أسلموا من الموالى والعجم وتعلموا اللغة العربية ونطقوا بها لم يخل كلامهم من لكمة ولحن مما بدأ في الظهور في عهد الدولة الأموية متمثلا في اللحن

والعنى وفساد الملكات وظهور اللكنة حتى كان الخلفاء والأمراء يدفعون هذه العدوى بتربية أولادهم في البادية وتثقيفهم على يد الأساندة والمعلمين حتى يتعودوا البلاغة والفصاحة من صغرهم

وكان اللحن عيباً كبيراً وهجئة للرجل ووصمة شديدة

وكان اللحن يقع في محادثتهم وحوارهم ومعتاد كلامهم وقد أسرعوا بوضع اللحن من الشكل ثم الاعجام حفظاً للألسنة من الفساد والملكات من العنى

٢ — واللحن لم يقع في العصر الجاهلي لأن الإعراب جزء من لهجة العربي

الفصيح لا ينفصم عنها .

كما انه لم يقع في عصر النبوة وما بعده من العرب إلا نادراً وذلك لسلامة الملكات وقلة اختلاط العرب بغيرهم وقرب عهدهم بالبدواة . روى أن كاتب أبي موسى الأشعري كتب عنه كتاباً إلى عمر فلمحن فأرسل إليه عمر أن قنع كاتبك صوتاً وكان ما لحن فيه قوله في أول الكتاب : « من أبو موسى الأشعري » . ولحن رجل في مجلس النبي « ص » فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضل .

نعم وقع لحن من الموالي المسلمين في عهد النبوة كما وقع من سلمان الفارسي وكان يرتضخ لكنة فارسية وبلال وكان يرتضخ لكنة حبشية وصهيب وكان يرتضخ لكنة رومية ولكن عذر هؤلاء واضح لأنهم حديثو عهد بالاسلام واللغة وشتان بين هذا وبين ما وقع في العصر الأموي

٣ — ومن اللحنين خالد القسري وكان متقدماً في الخطابة ومتناهماً في البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيّد بالكوفة ودعوا على المنبر فقال : أطعموني ماء^(١) وكانت أمه نصرانية

ومن اللحنين أيضاً الوليد بن عبد الملك أشفق عليه أبوه فلم يرسله إلى البادية فتربى في دمشق وتعلم العربية صناعة فعرض لكلامه اللحن فهو مع بلاغته يقول لأبيه : اقتل أبي فديك ويقول لغلامه : رد الفرسان الصادان وقرأ : يا ليتها

كانت القاصية برفع القاضية ، ويقول عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية^(١)

ومن اللحنين أيضاً عبيد الله بن زياد وكانت فيه لكنة لأنه نشأ بالأساور مع أمه مرجانة . قال مرة : افتحوا سيوفكم فقال : يزيد بن مفرغ
ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضياع

٤ — ويقول عبد الملك بن مروان : اللحن هجنة على الشريف ، وقال غيره : تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض ، ويقول أيوب السخيتاني : تعلموا النحو فانه جمال للوضع وتركه هجنة للشريف .
وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي ، وأول لحن سمع بالعراق : حى على الفلاح .

وقد وقع اللحن الكثير في هذا العصر يقول رؤبة وأبو عمر بن العلاء لهما لم يرينا قزوين أفصح من الحسن البصرى والحجاج ، وغلط الحسن في حرفين من القرآن ، كما نسب للحجاج لحن في بعض المواطن ،

وأمثلة اللحن واللكنة كثيرة ، ويقول المبرد في اللكنة هي أن تعترض على الكلام اللغة الأجممية^(٢) وتكون من العجم ، ومن نشأ من العرب مع العجم كما يقول الجاحظ^(٣) ، ويقال في لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول^(٤) ، فهي العجم عن وضوح اللهجة وصحة مخارج الحروف .

(١) ١٥٤ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ٣٦٩ ج ١ الكامل

(٣) ٦٩ ج ١ البيان

(٤) ٤٨ ج ١ البيان

٥ - وبعد فآثار اختلاط العرب بالعجم والموالى ظهرت في الألسنة في مظاهر كثيرة هي : اللحن والسكنة وضعف الملكة والطبع .

وللاحتراز عنه وضعوا كما قلنا النحو والشكل والاعجام .
وكان الخلفاء يكرهون اللحن ويحذرونه للغاية حتى قال عهد الملك بن مروان :
شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن .
وضع النحو :

١ - والنحو هو العلم الذي يرشد إلى معرفة حركة آخر الكلمة ، وقد كان ذلك ضروريا للسان العربي بعد أن دب اللحن إلى الملكات والألسنة ، ولقد كان العرب في جاهليتهم يعتمدون على سليقتهم السليمة وفطرتهم العربية الصادقة ، فلم يقع منهم لحن ، ولكن اختلاط العرب بالعجم والموالى بعد الفتوحات الإسلامية جعل وضع النحو ضرورة لا بد منها للمحافظة على القرآن الكريم ولغته الشريفة .
والناس يختلفون في الداعي الذي حفز القدماء إلى وضع النحو ، فبعض وضعه اختلافا كثيرا ، مما سنفصل القول فيه .

٢ - أما سبب وضع النحو ففيه روايات كثيرة :

١ - قيل إن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فردّه إلى زياد وكتب إليه كتابا يلومه فيه على ذلك فبعث زياد إلى أبي الأسود وطلب منه أن يضع شيئا يصلح الناس به كلامهم ويعرفون كلام الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود فوجه زياد رجلا وقال له أقعد في طريق أبي الأسود فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فلما مر أبو الأسود رفع الرجل صوته وقال إن الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له قد أجبتك إلى ما سألت

ب - وقيل إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد وهو والى العراقيين يومئذ فجاءه يوما وقال له : أصاح الله الأمير إنى أرى العرب قد خالطت الأعاجم

وتغيرت ألسنتهم أفئذني لي أن أضع للعرب ما يفرقون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : ادع لي أبا الأسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيتك عنه .

ج - وقيل إن ابنة لآبي الأسود تحدثت إليه فقالت : يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها . فقالت إنما أردت أن السماء حسنة فقال لها قولي : ما أحسن السماء ! ثم غدا على علي رضي الله عنه فحدثه حديث ابنته وقال لي أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الحمراء ، فأملئ علي رضي الله عنه بعض قواعد الكلام وقال له انج هذا النحو ، فكان أبو الأسود كلما عتد فصلا راجعه فيه أمير المؤمنين فأقره أو هذبه .

د - وقيل إن أبا الأسود دخل على علي رضي الله عنه فوجد في يده رقعة حمراء فقال له ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : لي تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم ألقى الرقعة إلى أبي الأسود فاذا فيها : الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى الفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى . ثم قال لآبي الأسود : انج هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء كلها ثمثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك المهمات . قال أبو الأسود ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فلم أذكر لكن فابما عرضتها على علي عليه السلام أمرني بضم لكن إليها . وكنت كلما وضعت بابا عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال لي ما أحسن هذا النحو الذي نحوت .

وقيل إن أبا الأسود هو الذي ابتكر التقسيم الأول للكلام وأراه عليا عليه السلام فأقره .

ه - ويروى أيضا أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فقال من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل سورة براءة فقال إن الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابي أو قد يرى الله من رسوله أن يكن الله تعالى يرى من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابي أنتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المسلمين إنى قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال إن الله يرى من المشركين ورسوله فقلت له أو قد يرى الله تعالى من رسوله ، إن يكن الله تعالى يرى من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر رضى الله عنه ليس هكذا يا أعرابي فقال كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ ممن يرى الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلى أن يضع النحو^(١)

٣ — وأما واضع النحو ، فأغلب الروايات متضافرة على أنه أبو الأسود الدؤلى العالم الخالد المتوفى عام ٦٩ هـ سواء كان هو الذى ابتكره من نفسه أم أن الامام على بن أبى طالب أرشده إلى الاساس الذى يبنى عليه ويقول عبد القادر البغدادي : وهو واضع علم النحو بتعليم على رضى الله عنه^(٢)

وكان أبو الأسود غاية في الذكاء والحدق والعبقرية وكان من سادات التابعين وصاحب على بن أبى طالب وشهد معه صفين ثم أقام في البصرة واتصل بزياد فكان أثيراً لديه وتوفى عام ٦٩ هـ

٤ وبعد فسواء كان أبو الأسود وضع النحو بنفسه أم أن علياً وضع له الاساس فبنى هو عليه ، فإن لأبى الأسود فضلاً عظيماً خالداً في هذا المجال ، وكان أبو الأسود يقيم بالبصرة ، فأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم : نصر بن عاصم ، وعبد

(١) نزهة الالباء ص ٧ وما بعدها .

(٢) خزنة الادب ج ١ ص ٢٥٦

الرحمن بن هرمز ، ويحيى بن يعمر ، وعيسة الفيل . وميمون الأقرن . وكلهم من البصرة . وعن هذه الطبقة أخذ الخليل ثم سيوبه الذي كان من أساتذته الخليل وعيسى بن عمر والآخرش الأكبر ، ولما كانت نشأة النحوي في البصرة على يد أبي الأسود وتلامذته فقد نشأ بصريا ودرس في مساجدها ورجع علماؤه إلى اللهجات العربية حول البصرة ، ولم تنبغ السكوفة في النحوي إلا بعد العصر الأموي فظهرت فيه طبقة الكسائي والفراء ويونس من أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء ومعاصريه من البصريين : ويعتمد البصريون اعتمادا كبيرا على القواعد المستنبطة من القرآن والحديث وفصح الشعر وماخالف ذلك يعتبر ساقطا ، أما السكوفيون فكانوا يدونون كل ماخالف لغة قريش من لغات القبائل الأخرى ويعتبرون ذلك فرعا من اللغة وكانوا يعتبرون ماخالف الفصيح شواذ لا يتبع في الاستعمال

٥ - ومهما يكن من شيء فإن بدء تدوين النحوي والكتابة فيه وانتشار مذهب البصريين النحويين ودراسته إنما كان في عهد بني أمية

وضع الشكل :

ونريد بالشكل : الحركات وهي علامات الضم والفتح والكسر ، والسكون . ولم يكن في اللغة العربية في العصر الجاهلي ولا في صدر الاسلام شكل .

فلما انتشرا الاسلام واتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وخيف على القرآن الكريم واللسان العربي من آثار اللحن وضع النحوي ، فكان عملا جليلا من أبي الأسود .

ولكن النحوي لم يصد هذا السيل المتدفق وتلك العدوى المفسدة ، لأن فائدته اقتصرت على الدارسين والباحثين والمتعلمين فقط ، أما أكثر الناس وجمهورهم فلم يكن يعصمهم من اللحن عاصم واحتيج إلى أمر أكثر من النحوي فائدة وأسرع حفظا لاسنة الناس من الخطأ في قراءة القرآن الكريم

لذلك كلف زياد والي البصرة من قبل معاوية أبا الأسود الدؤلي أن يضع طريقة

لأصلاح اللسان لأن الحمر (١) قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب ، قال زياد
لأبي الأسود : فلو وضعت لثا شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله
فقال أبو الأسود أو أزيد على المصحف شيئاً لم يزد السائق !! فقال زياد لقد كتب
عثمان المصاحف وما كانت مكتوبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
من شيء تعلمه وفيه صلاح للمسلمين إلا وهو خير كله ، أباي أبو الأسود وقال أولى
بذلك غيري . وأحب زياد أن يحمل أبا الأسود وأن يحفره إلى العمل فأرصد له
في طريقه من يرفع صوته بالقرآن ويلحن فيه ففعل الرجل وقرأ وأذن من الله
ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ان الله يرى من المشركين ورسوله . (بكسر
اللام) فحزن لذلك أبو الأسود وعاد من فوره إلى زياد وقال له لقد نظرت
فرايت أن من الخير أن أجيبك إلى ما تطلب فابغنى كاتباً فأرسل إليه زياد ثلاثين
كاتباً اختارهم فاختار منهم أبو الأسود أفضلهم وقال له خذ صبغاً أحمر فاذا رأيتني
فحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرت فانقط واحدة أسفله وإذا
وإذا ضمنت فاجعل النقط بين يدي الحرف فاذا أتبت شيئاً من هذه الحركات غنة
فانقط نقطتين وأخذ يملئ ، والكاتب يكتب وهو يتفقد حتى أتم المصحف

ولم يضع أبو الأسود علامة للسكون مكتفياً بأن إهمال الشكل هو السكون
وانتشرت طريقة أبي الأسود وزاد فيها الناس علامة للتوين فوضعوا عليه نقطتين
واحدة فوق واحدة وزاد أهل المدينة علامة التشديد فجعلوا قوسان ووضعوه فوق
المشدد المفتوح وتحت المكسور وعن يسار المضموم ووضعوا نقطة الفتحة داخل
القوس والكسرة تحت حديثه ، والضمة على شماله ثم استغنوا عن النقطة وقادوا
القوس مع الضمة والكسرة وأبقوه على أصله مع الفتحة .

وزاد أهل البصرة السكون فجعلوا السكون جرة أفقيه فوق الحرف منفصلة

عنه هكذا [—]

ولم تتداول طريقة أبي الأسود إلا في المصحف الشريف ، فلم تتجاوزه إلى غيره ثم جاء الخليل بن أحمد في عهد الدولة العباسية فغير صور الشكل وجعله على هيئة قريية مما هو عليه الآن .

وضع النقط

كانت الحروف العربية خالية من النقط فالضاد والضاد ، والدال والدال ، والراء والراء كل منها تكتب على صورة واحدة من النقط والاعجام

فاحتيج إلى تمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فجعل بعضها منقوطة بنقطة أو نقطتين أو ثلاث والبعض الآخر خاليا من النقط وذلك هو الاعجام ، فهو تمييز الحروف المتشابهة بالنقط منعاً للبس بينها ، والاعجام من أعجمت الحرف إذا أزلت عجمته وبيئته ولهذا تسمى حروف الهجاء العربية حروف المعجم ، وقد يخصص الاعجام بالحرف المنقوط إذا شاركه في صورته الخطية حرف آخر مهمل فيقال نحاء معجمه وحاء مهمله

واختلف في الزمن الذي وضع فيه الاعجام ، فالبعض يقولون إنه كان في الجاهلية للأدلة الآتية .

١ — عثر على كتب قبل زمن عبد الملك بن مروان فيها إعجام بعض الحروف

٢ — روى عن ابن عباس أن عامر بن جذرة هو الذي وضع الاعجام

٣ — على أنه لا يعقل أن تبقى الحروف العربية على صورة التباسها هذا إلى عهد بني أمية فان ذلك يؤدي إلى الإفساد واللبس في الكلام

ويقول آخرون إنه وضع في عهد معاوية

ويقول سواهم إنه وضع في عهد عبد الملك بن مروان ، ويروى أن الذي

وضع الاعجام نضر بن عاصم وتبعه غيره فاتهم وانتشر بأمر الحجاج

قبل أزجج الحجاج ما كان يحدث من لبس في تمييز حروف القرآن (١)

(١) كانوا يقرأون « ختار كفور » ، « جبار كفور » ، ويحرفون أشاء إلى

أساء ، وعزة إلى غرة ، و « إياه » فيجعلونها أباه ==

ففزع إلى كتابه ليضعوا علامات تميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وندب لذلك نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذى أبي الأسود ، فنقطوا المصحف بصيغ من لون المداد الذى استعمل فى كتابة المصحف ، أما نقط الشكل فبقيت بالمداد الآخر كما صنع أبو الأسود الدؤلى رحمه الله

ويقال إن النقط كان موجودا من قديم ولكن الناس أهملوه فظهر التصحيف فى القرآن حتى فزع الحجاج إلى نصر بن عاصم فوضع الأعجام

بدء تدوين العلوم

تمهيد :

١ - فى العصر الجاهلى لم تدون علوم ولا ثقافات لامية العرب وبدأوتهم وبعدهم عن الحضارة والعلوم والمعرفة

وفى عصر صدر الاسلام جمع القرآن الكريم أول مرة فى عهد أبى بكر ، فكان أول كتاب يعكس فى تاريخ العرب ، وشغلهم الفتوحات وحرصهم على المحافظة على القرآن الكريم ودفع اللبس عنه عن التدوين كما صرفهم عنه قرب عهدهم من البداوة

فلما جاء العصر الأموى دعا المسلمين إلى تدوين العلوم دواع كثيرة وساعدهم على ذلك :

١ - بدء محضرهم والحضارة تستلزم العلم دائما

== وفى ابن خلكان :

د ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات تميزها بعضها عن بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فعبّر الناس بذلك أزمانا لا يسكتيون إلا منقوطا ،

٢ - قريهم من الأمم المتحضرة ذات الثقافات القديمة كالفرس والروم
ووصول بعض آثار حكمتهم وفلسفتهم وتاريخهم إلى المسلمين مكتوبة
٣ - وجود عناصر كثيرة - تعرف نظام التدوين - داخل الدولة
الإسلامية ، كالسريان والفرس وسواهما من العناصر الرومانية والأغريقية

٤ - انتشار الكتابة بينهم

وكان من أهم الأسباب في تدوين العلوم المختلفة مايلي :

١ - حاجتهم إلى حفظ الشريعة وكتابتها وعلومها
٢ - حاجتهم إلى المعارف القديمة سواء في الطب أم في الفلك أم في غير
ذلك من ألوان المعرفة

٣ - حاجتهم إلى العلوم المختلفة في حفظ نظام الملك وسياسته ، ولرغبتهم في
الوصول بدواتهم إلى حد بعيد ، من الحضارة والرقى والثقافة ، يحفزهم على ذلك
القرآن الكريم ودينهم المجيد

ب . وكانت مراكز الثقافة الإسلامية في هذا العصر كثيرة وأهمها المدينة
ومكة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط

وكان بظاهر الكوفة « الكناسة » وبظاهر البصرة « المربد » ، وهما سوقان
أديبان وعلميان رائجان ، وكان المربد مآلف الإشراف (١) وستكلم عليه
بعد قليل

العلوم المدونة في العصر الأموي :

سنحدثك عن أهم ما دون في العصر الأموي من العلوم وهي :

١ - التفسير ، وقد رويت فيه روايات كثيرة عن رسول الله والصحابة

(١) ٢١٠ / العقد - وروى عن الجارود قال : عليكم بالمربد فانه يطرده
الفكر ويحلو البصر ويحلب الخبر ويجمع بين ربيع - ومضر [٢٢٣ / ١] البيان
والتبيين للجاحظ [

رضوان الله عليه وكانوا يتناقلون ذلك ، وأول تفسير دون هو تفسير ابن عباس
رحمه الله المتوفى عام ٦٨ هـ في الطائف وطبع في مصر في المطبعة الأميرية عام ١٢٩٠
في سفر واحد ، وهو مجموع روايات دونها ابن عباس

ويتصل بالتفسير قراءات القرآن وقد كثرت العناية بها في العصر الأموي الذي
عاش فيه كثير من القراء كابن كثير م ١٢٠ هـ وعاصم م ١٢٨ هـ ويزيد
ابن القعقاع م ١٢٢ هـ .

هذا وللشيعة تفسير قديم ينسبونه إلى محمد الباقر بن علي بن الحسين ، ويقال إن
أول من دونه في التفسير مجاهد م ١٠٤ هـ وهو غير موجود .

ولم ينضج هذا العلم إلا في العصر العباسي .

٢ - الحديث : لم تكن تدون أحاديث رسول الله في عهده ولا في
عهد أصحابه .

فلما كثرت الفتوحات والحروب الإسلامية وكثرت الثورات والأحزاب
السياسية والفرق الدينية ووضع بعض الناس أحاديث على رسول الله ويقال
إن المهلب بن أبي صفرة كان يضع الأحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف
أمر الخوارج (١) .

أخذ المسلمون في التمييز بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، واشتهر من
المحدثين في عصر بني أمية : عاصم بن سليمان م ١٤٩ بالكوفة ، وخالد الحذاء مولى
قريش المتوفى عام ١٤٩ هـ ، وشعبة بن الحجاج م ١٦١ ، وسواهم .

وأمر عمر بن عبد العزيز — بعد أن استخار الله أربعين يوما — ابن شهاب
الزهري أو ابن جريج أو أبا بكر بن حزم بجمع الحديث وتدينه ، فتم ذلك وبعث
بنسخ منها إلى الأمصار .

(١) ابن خلكان ١٤٦/٢ .

٣ — النحو وقد سبق ذكر أمر وضعه وتدوينه وقد وضع الحضرمي كتابا في الهمز .

٤ — الشعر الجاهلي ، أخذ الرواة والمؤدبون في رواية الشعر الجاهلي وتدوين آثار منه ويقال إن أول من جمعه حماد الراوية ، ثم ألف فيه بعد ذلك المفضل كتابة المفضليات .

٥ — التاريخ ويقال إن معاوية استكتب رجلا من أهل اليمن اسمه عبيد ابن شربة الجرهمي . بعض أخبار الأوائل فكتبها له . فكان هذا أول كتاب دون في التاريخ . وعنى الأمويون كذلك بعلم الانساب .

٦ — الفقه وقد اشتغل به في العصرى الأموي جلة الصحابة والتابعين ، ويقال إن زيد بن علي بن الحسين أملى كتابا في الفقه وأنه أقدم كتاب في هذا العلم في الاسلام .

٧ — أصول الدين فيقال إن واصل بن عطاء ألف كتابا في المرجئة وآخر في التوبة وآخر في معاني القرآن

٨ — وألف يونس بن حبيب كتابا في الاغانى دون فيها أصول الالخان عن معبد وابن سريج .

٩ — وترجموا في الطب والكيمياء ، فقد رأى عبد الملك بن مروان وهو أعلم الأمويين بالأدب وأفقههم في الدين أوراقا في الكيمياء نقلها خالد بن يزيد فقال له أف لك أنسب الملوك وهمة الموالي ؟ وكان خالد قد عنى بالكيمياء والطب وقيل أنه درس كتبهما عن رجل من السريان يدعى مريانوس وأنه أمر اسطفان القديم بترجمة هذه الكتب إلى العربية .

وبعد فلم تكن العلوم المدونة في هذا العصر إلا بمجموعة روايات لا أثر للتحقيق والدرس والبحث فيها ، ولكن لاضير من ذلك ، فقد كانت النواة الاولى لتدوين العلوم في الاسلام .

وعلى الجملة ، فقد كان العرب ينظرون إلى تدوين العلوم نظرهم إلى صناعة الحضر والموالي الصغيرة التي لا يصح لهم أن يحترفوها ، ويأنفون من الاشتغال بالكتب والأخذ بالتأليف والتدوين لأنه صناعة المزالى في أيامهم .

أشهر مجامع العلم والأدب :

١ - كانت أهم مجامع العلم والثقافة في الدولة الأموية هي : المدينة ومكة والبصرة والكوفة والفسطاط ودمشق .

أما المدينة فهي البلد الحرام وموطن رسول الله ومكان نشأته ومقر القرشيين وأبنائهم ، ولقد كانت في العصر الأموي حافلة بالعلماء كعاذ بن جبل وعبد الله ابن عباس وسفيان بن عيينة الذي أخذ عنه الشافعي قبل أن يتحول إلى المدينة . وكانت من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية منذ الهجرة ، فقد هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وعلم بها أكثر تعاليم الإسلام ، وكانت مقام كثير من الصحابة الذين تلقوا عن النبي ورووا أحاديثه ، وكان بها كثير من الموالى الذين أتى بهم أسرى من الممالك المفتوحة وأسلموا وتلقوا العلم من الصحابة ، وقد اشتهرت المدينة بالعلوم الدينية من تفسير للقرآن ومدارس للحديث واستنباط الأحكام منها ، واشتهر من علمائها زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب من الصحابة ، ثم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام من التابعين ، ومن بعدهم كان الامام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور .

ولم تقتصر المدينة على الشهرة في المسائل الدينية بل نبغ فيها كثير من رجال التاريخ كمحمد بن اسحاق والواقدي ، وهما يعدان من أشهر المصادر الأولى للتفسير والمغازي . وقد ساعد المدينة على بلوغها هذه المزية أنها كانت مقر الخلافة في عهد الراشدين وجمتمع الموالى الذين سبوا من مختلف البلاد الإسلامية وأغلبهم من عناصر متحضرة .

وأما البصرة والكوفة : فهما أشهر مدن العراق ، والعراق قطر شهر من قديم بالحضارة ، تداولت عليه أمم كثيرة متمدنة وتركت فيه آثارها العلمية والفنية

وهو إلى ذلك قطر غنى خصب كثرت مياهه وخيراتاه ؛ وقد أسست هاتان المدينتان في عهد عمر بن الخطاب ونزل بهما كثير من الصحابة ، واختلط فيها العرب بالموالى بالتزواج والسكنى ، وأصبحتا بعد قليل من أكبر مراكز الحياة العلمية ؛ فكان في الكوفة عبد الله بن مسعود من الصحابة ، وشريح والشعبي وسعيد بن جبير من التابعين ، ثم أبو حنيفة النعمان إمام المذهب المنسوب إليه ، واشتهر من علماء البصرة أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك من الصحابة ، ثم الحسن البصري وابن سيرين من التابعين ، واشتهرت هاتان المدينتان أيضا بالنويع في علوم النحو واللغة ، وتفوقت البصرة في ذلك فكان من علمائها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، والأصمعي ، واشتهر من الكوفيين الكسائي ، وكان بين المدينتين تنافس في اللغة والآداب والصرف وعلم الكلام ، ولكل علماء يتعصبون لمذهبهم وينصرونه بحججهم ، وكان الكوفيون ، على الجملة ، أكثر استعمالا للقياس ، والبصريون أكثر إيثارا للسمع .

وأما الفسطاط : فكانت في مقدمة المدن الإسلامية التي أزهرت فيها علوم العرب الدينية واللغوية ، وأول من اشتهر بها من العلماء عبد الله بن عمرو بن العاص أحد كبار الصحابة ، ثم عبد الله بن لهيعة وهو من أكبر المصادر الذين يروى عنهم كثير من الأحداث التاريخية في فتح العرب لمصر ، ثم الليث بن سعد أحد الأئمة الذين يقرنون بمالك وأبي حنيفة لولا أن تلاميذه أضاعوا مذهبه ، ثم نزل بها الإمام الشافعي ودرس فيها ووضع مذهبه الجديد . هذا وقد وفد على الفسطاط من الشعراء : جميل وكثير ونصيب ومواهم من الشعراء .

وأما دمشق فهي عاصمة الأمويين ومنازة العلم والثقافة ومقصد الناس من كل حدب وصوب ، وبها كثير من العلماء والآدباء والشعراء فوق من كانوا يقدون إليها من كل صوب رغبة في الثقافة أو حرصا على مال الخلفاء والأمراء .

وكان في الشام معاذ وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي ورجاء بن حيوة وسواهم .

وقد امتازت العراق بنشاط الأحزاب السياسية فيه وكثرة الفرق الدينية الناشئة .

واشتهرت مجامع العراق بتبريزها في علوم اللغة وذلك :

١ — لشدة الاحتياج إليها في العراق لفساد الملكات فيه بالاختلاط وكثرة عناصر الموالى بين ربوعه .

٢ — ولأنه موطن السريانية وكان للسريان قواعد منظمة في اللغة والنحو . وكان بين البصرة والكوفة منافسة شديدة في الأدب والعلم ، ولكن شهرة البصرة كانت باللغة وعلومها من نحو وغيره وذلك لتبحرها في العمران وقرىها من البادية التي عرف أهلها بالفصاحة وصدق اللهجة أما الكوفة فقد ذهبت شهرتها بعلوم الشعر وروايته .

وكانت مجامع المدينة أرق المجامع وأحفلها بالترف والغناء واللهو .
ب — وأما مجامع الأدب فكانت هي مجالس الخلفاء والأمراء والشعراء والآدباء ، واشتهر من بين ذلك كناسة الكوفة ومربد البصرة خاصة ، وسنحدثك عن مربد البصرة .

مربد البصرة :

ولمربد ^(١) البصرة أثر غير قليل في اللغة والأدب والشعر في العصر الأموي ولا بأس بالأطالة في حديثه .

(١) هو على وزن منبر .

هو ضاحية من ضواحي البصرة ، في الجهة الغربية منها بميل البادية ، بينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال . كان سوقا للابل ، قال الاصمعي : « المربد كل شيء حبست به الابل والغنم ... وبه سميت مربد البصرة ، وإنما كان موضع سوق الابل وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها . ويظهر أنه نشأ سوقا للابل ، أنشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل أن يدخلوا الحضر او يخرجوا منه .

وفي اللسان - في مادة ب ص ر - وقال ابن شميل : البصرة ارض كأنها جبل من جص وهي التي بنيت بالمربد وإنما سميت البصرة بصرة بها ، فكان المربد كان موجودا في الجاهلية

ولكن أخباره في الجاهلية معدومة مما يدل على قلة خطره إذ ذاك ، إنما كان له الخطر بعد أن فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة ، فقد أنشئت فيه المساكن بعد أن كان مربداً للابل فقط . وأتصت العمارة بينه وبين البصرة حتى قالوا فيه : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وقد كان المربد في الاسلام كما يقول أحمد أمين صورة معدلة لعكاظ ، كان سوقا للتجارة ، وكان سوقا للدعوات السياسية . وكان سوقا للأدب - جاء في كتاب « ما يعول عليه » : المربد كل موضع حبست فيه الابل ... ومنه سمي مربد البصرة لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه - كان يجتمع العرب من الأقطار ، يتناشدون فيه الأشعار : ويبيعون ويشترون وهو « كسوق عكاظ » . وقال العيني : « مربد البصرة ... محلة عظيمة فيها (أي في البصرة) من جهة البرية في ، كان يجتمع العرب فيها من الأقطار ويتناشدوا الأشعار ويبيعون ويشترون ،

كانت أهم أخبار المربد ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سيرة عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ، فإنها نزلت بفناء البصرة ورأت أن تبقى خارجها حتى ترسل إلى أهلها تدعوهم بدعوتها : وهي المطالبة بدم عثمان وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت إلى المربد معهما وخرج اليها من قبل دعوتها ، وخرج إلى المربد كذلك عامل على البصرة ، وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يموج بمن أتى

الحجاز ومن خرج من البصرة ، حتى ضاق المربد بمن فيه ، ورأينا المربد مجالا للخطباء ممن يؤيد عائشة ومن معها ، ومن يؤيد عليا وعامله . أصحاب عائشة في ميمنة المربد وأصحاب علي في ميسرته : ويخطب في المربد طلحة ويمدح عثمان بن عفان ويعظم ماجنى عليه ويدعو الى الطلب بدمه ، ويخطب الزبير كذلك وتخطب عائشة أم المؤمنين بصوتها الجهورى ويؤيدهم من في ميمنة المربد ، ويقولون صدقوا وبروا وقالوا الحق وأمروا بالحق ، ويؤثر قول عائشة في أهل الميسرة فينحاز بعضهم اليها ويبقى الآخرون على رأيهم وعلى رأسهم عثمان بن حنيف ، ويخطبون كذلك يبينون خطأ هذه الدعوة وأن طلحة والزبير بايعا عليا فلا حق لهما في الخروج عليه ، ويؤيدهم أبو الاسود الدؤلى وأمثاله وهكذا انتقل المربد الى مجمع حافل ، كبير

وكان العصر الاموى ازهى عصور المربد ، ، ذلك لأن العرب كانوا قد هدموا من الفتح واستقرت الممالك في ايديهم ، واصبح العراق مقصد العرب يؤمه من اراد الغنى وخاصة البصرة جاء في الطبرى : ان عمر بن الخطاب سأل أنس بن حجة ركان رسولا الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين ؟ فقال انثالث عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة ، فرغب الناس في البصرة فاتوها ، وكان المربد باب البصرة يمر به من ارادها من البادية . ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ، ويقطنه قري من العرب كرهوا معيشة المدن ويقصده سكان البصرة يستشقون منه هواء البادية ، فكان ملقى العرب ، وكانوا يحبون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالانساب وتعظيم بالكرم والشجاعة ، وذكر لما كان بين القبائل من أحن ، فالفرزدق يقف في المربد ينهب أمواله فعل كرماء الجاهلية وحكى في النقاىض أن زياد بن أبى سفيان كان ينهى أن ينهب أحدا مال نفسه ، وأن الفرزدق أنهب أمواله بالمربد ، وذلك أن أباه بعث معه ابلا ليبيعهما فباعها وأخذ ثمنها فعمد عليه مطرف خز كان عليه ، فقال قائل لشدة ما عقدت على دراهمك هذه ، أما والله لو كان غالب ما فعل هذا الفعل لخلها ثم أنهبها . وقال من أخذ شيئا فهو له وبلغ ذلك زيادا فبالغ في طلبه فهرب ... فلم يزل في هربه يطوف في القبائل والبلاد حتى مات زهاد .

وأراد عرب البصرة أن يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم في سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم ، وأحيوا العصبية الجاهلية ، وساعد الخلفاء الأمويين أنفسهم على إحيائها لما كانوا يستفيدون منها سياسيا ، فرأينا ظل ذلك في الأدب والشعر ، ورأينا المربد في العصر الأموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ، ويعلى كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ، ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف المربد أجل شعر أموى من هذا النوع ، فكثير من نقائض جرير والفرزدق والأخطل كانت أثرا من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة ، يروى الأغاني أن جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباسا خاصا ويخرج إلى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون إلى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه . قال أبو عبيدة : « وقف جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما ، وركب فرسا أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب ورشي وسوارا وقام في مقبرة بني حصن ينشد بجرير والناس يسمعون فيما بينهما بأشعارهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

عجبت لرأى الضمأن في حطمية وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله
ولما بلغ جرير أن الفرزدق في ثياب ورشي قال :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجلاجله (١)
وما زالا كذلك يتهاجيا ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى طبع والى البصرة فهدم منازلها بالمربد فقال جرير :

فما في كتاب الله تهديم دارنا بهتديم ماخور خبيث مداخله

وكان لسلك شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ، جاء في الاغانى ، وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة .

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشعر وهجاء الفرزدق والراعى ، فما زال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتا فى بنى نمير فلما ختمها بقوله :

ففض الطرف لئنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
كبر ثم أصبح حق عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد - وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعامن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجلسهم وأنشدها ففسكس الفرزدق وراعى الابل .

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والاختل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فالحجاج الراجز يخرج الى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، يقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الاله لجبر ،

ويهجو شاعر ربيعة فبات رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ما ذكر ،

ورؤية الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الاعماق غاوى المخترق ،

ويجمع حوله فتیان تميم فيرد عليه أبو النجم فى رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتني ،

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمة ما أتاد ينار ، وينشد ودموعه تجري على لحيته .

• ما بال عينك منها المساء ينسكب •

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض تشبيهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط .
والأمراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لأغراض حزبية أو سياسية فغبد الملك بن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق وعباد بن حصين . ويعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح .

وهكذا كان المربد في العهد الأموي معبدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكان هذا الشعر امتدادا للشعر الجاهلي . لان اتحاد الأسباب والبواعث فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن أبي ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر في المربد لانه فوق والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التي وصفناها .

وبقي المربد في العصر العباسي . ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذي كان يؤدي في العهد الأموي . ذلك أن العصية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب . وأحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم أمة لافرق بين عدنانهم وقحطانهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحبون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والأمراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم تراحم الأدب والشعر ، وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول المربد يؤدي غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة . كما يقول أحمد أمين

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة العربية ، يحتذونهم ويسيروا على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وأبونواس وأمثاله ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون ما يسمعون ، روى القالي في الامالي عن الاصمعي ، قال : • جئت الى أبي عمرو

ابن العلاء فقال لي من أين أقبلت يا أصمعي ؟ قال جئت من المربد ، قال هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت في الواحي ، فمرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو في الدرجة وقال : شمرت في الغريب - أي غلبتني .

والنحويين يخرجون إلى المربد يستمعون من أهله ما يه يحج قواعدهم ويؤيد مذاههم ، فقد اشتد الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفي تراجم النحاة تجد كثيراً منهم كان يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الأدباء إلى المربد يأخذون الأدب من جبل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، يقول يا قوت : أن الجاحظ أخذ النحو عن الاخفش وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد (٦/٥٦ يا قوت) وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها في العصر العباسي عن برنامجها في العهد الأموي وأدت رسالة في هذا العصر تخالف رسالتها في العصر السابق .

وفي ثورات الزنج التي ظهرت في فرات البصرة والتي بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد ويقول يا قوت : إن المربد كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن : بائن عن البصرة ، بينها نحو ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب ، فصار المربد كالبدة المفردة في وسط البرية ، ثم عفا أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكراً ذا قيمة ، وأخني عليه الذي أخني علي عكاظ : كما يقول الأستاذ أحمد أمين

عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب

ولقد اشتدت في هذا العصر عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب وتجلت في مظاهر شتى .

١ - إحياء الأدب الجاهلي . إحياء للعصية وبعثها أو بدافع منها ، وإرواء لغاتهم الأدبية . وبذل الأموال لعملاء اللغة والأدب في سبيل ذلك

٢ - عقد المجالس الأدبية الدائمة التي تدرس الأدب والشعر والنقد ، ويكون خط كل ذلك من رعايتهم موفوراً .

٤ - كما بذلوا الكثير من عنايتهم في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية .

٥ - اتخاذ الخليفة شاعراً له يقربه منه ويصطفيه .

٦ - رعاية الكتابة واتخاذ أعلامها كتاباً في ديوان رسائل الخلفاء .

٧ - تسامحهم مع الشعراء وإطلاق الحرية لهم .

٨ - تشجيع الشعراء ورعايتهم ، جلباً لمدحهم ، ونشراً لمناقضهم ، وتوطيداً لملكهم وإحياء لمفاخرهم ومآثر آبائهم .

٩ - إغداق العطاء على الشعراء دون حساب

فقد أعطى عبد الملك اعرابياً وصف ناقته مائة بعير وأعطى آخر وصف المطر ألف درهم وأعطى الوليد بن عبد الملك امرأة وصفت الغيم بعد المحل مائة دينار ، وأعطى سليمان فرسه ومحملة ويتجمل به لرجله أحسن وصف الفرس وأشبهه ذلك كثير .

وكان للشعراء النصيب الأوفى من عناية هؤلاء الخلفاء لأنهم كانوا أشد الناس إذكاءاً للعصية وتأييلاً لقلوب العرب وسيوفهم على نصرة بني أمية فكان لهم إعطيات في بيت المال كل حسب طبقة ومنزلته وأثره في مدح الدولة والذود عنها . كل ذلك بينما شعراء بني هاشم وشيعتهم يستلمون وحى الشعر من حب أبناء الرسول صلى

الله عليه وسلم أكثر مما كانوا يستمدونه من أمراهم وأفعالهم ومن هذين المديين :
المال والمودة ازدهر هذا العهد بالشعر أكثر مما ازدهر به أى عهد سواه
كان خلفاء بني أمية يذكرون العصبية العربية بكل مالهيم من قوة ومال
وكان من أكثر وسائل الإذكاء أحياء ما خلفه العرب من شعرو حكمة وخطب
وكان أكثر هؤلاء الخلفاء من أقطاب العلم والأدب فكانوا يستقبلون في كل آونة
رؤساء العشائر وخطباءها وشعراءها ومن إلى هؤلاء ممن يؤيدون بهم الملك ،
ويؤازرون بهم الجماعة ، ويشددون بهم الأعضاء وكانوا يستمعون لما يلقيه هؤلاء
وما يفتلونه من أسلافهم من مآثور القول ، وينيبون عليه ثوابا كريما .

كما كان من الأمراء والرؤساء والقادة والولاة من كانوا يغالون في هبات
الشعراء والخطباء إلى أبعد حد عرف من كرم العطاء .

ومن هؤلاء عيد الله بن العباس ، وعرابة الأوسى وطليحة الخزاعي ، والحجاج
التقي ، وخالد القسري ، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي . وسواهم

ولا بدع في ذلك فهم عرب يهزم البيان وتسحرهم البلاغة ، ومنهم من كان
يتذوق الشعر ويفهمه وينقده كعبد الملك بن مروان ، فوقى البراءة السياسية
والاجتماعية والدينية ، التي كانت تدعوهم إلى العناية بالأدب والشعر واللغة

وقد كان الخلفاء والأمراء وغيرهم يحثون الناس على طلب الأدب
والشعر واللغة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم إن احتجتم إليه
كان لكم مالا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا وقال شبيب بن شيبه : اطلبوا
الأدب فانه مادة العقل ودليل عن المروءة . وقل معاوية . اجعلوا الشعر أكبر
همكم وأكثر آدابكم ٤١ / ٢ وفيان الأعيان
نماذج لعنايتهم في الأدب .

١ — قال هشام بن عبد الملك لشبنة بن عمال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل
وهو يومئذ أمير : ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قدمزقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغروا بين عشائهم في غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر ؟

فقال ه شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ،
وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرنا لنا شيئاً نحصله ، فقال ه : ما عندي غير ما قلت !

فقال لخالد (١) بن صفوان : صفهم لنا يا بن الأهتمة ، فقال : أما أعظمهم
غفراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عنراً : وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم
عللاً ، الطامى (٢) إذا زخر ، والحامى إذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذى إن
هدر (٣) قال وإن خطر صال : الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً الذى إن هجا وضع (٤) ،
وإن مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأدبتهم لعدوه ستراً ، الأغر الأبلق ،
الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلاحق ، لجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع
العماد ، وارى الزناد .

فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وأليهم عطفاً ، وأعفهم مقالاً ،
وأكرمهم فعلاً .

فقال خالد : أتم الله عليكم نعمه ؛ وأجزل لديكم قسمه (٥) ، وآنس بكم

ه الأغاني ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان

يجالس هشام بن عبد الملك واسكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ

(٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملا النهر ، وزخر البحر : امتلأ

(٣) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرتة ، وهدر الحمام : كرر صوته

(٤) خفض

(٥) القسم : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم

الغربة ، وفرج بكم الكربة . وأنت ، والله - ما علمت أيها الأمير - كريم
الغراس ، عالم بالناس ، جواد في المحل ، بسام عند البذل ، حلیم عند الطيش ، في
ذروة (١) قریش ولباب (٢) عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت كنتخاضك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم
حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم !

٢ - وقحطت (٣) البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء
القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع
عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ووقعت عين
هشام على درواس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل
حتى الصبيان !

فعلم درواس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يخل بك شيئاً
ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ،
والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشرا أبا لك !
وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة
نفت (٤) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال : إن كانت لله ففرقوها على عباده ،
المستحقين لها : وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها
عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأعلم يا أمير
المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في
باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) ذروة : أعلى (٢) لباب : خلاصة .

(٣) لباب الآداب ص ٣٥٣

(٤) النقي : منع العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخرج نقيه .

أرردها إلى أغطية أهل باديتي ، فاني أكره أن يجر ما أمر لهم به أمير المؤمنين
عن كفايتهم . قال : فإلك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع (١) !

٣ - وسأل (٢) يوماً عبد الملك (٣) بن مروان : من أشجع الناس شعراً ؟ ف قيل :
عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ا وهو الذي يقول :

فجاشت (٤) إلى النفس أول مرة . فردت على مكروها فاستقرت
قالوا : فعمرو بن الاطنابة . فقال : كيف ا وهو الذي يقول :

وقولي كلما جشأت (٥) رجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
قالوا : فعامر بن الطفيل . قال كيف ا وهو الذي يقول :

أقول لنفس لا يجاد بمنلها أفلى مراحاً إنني غير مدبر
قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس
السلبي ، وقيس بن الخطيم الأوسي ، وعنترة بن شداد العبسي ، ورجل من بني
مزينة ، أما عباس فلقوله :

أشد على الكنية لا أبالي أفيها كان حثي أم سواها

(١) جمع صنيعة ، وهي المعروف والاحسان .

(٢) بجمع الأمثال ص ٢٢ ج ٢

(٣) كان عبد الملك بن مروان ليبيّاً عاقلاً جباراً ، قوى الهيبة ، شديد السياسة
حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه
مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ومات سنة ٨٦ هـ

(٤) جاشت النفس : اضطربت من الفزع وأصل جاشت : غشت وفاحت

(٥) ارتفعت ، من حون أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :
 وإني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بقاءها
 وأما عنبرة بن شداد فلقوله :
 إذ تتعون بي الإسنه لم أخم ^(١) عنها ولكن قد تضايق مقدمي ^(٢)
 وأما المزني فلقوله :
 دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طاب الورود
 ٤ — وحدث أحد الرواة فقال ^(٣) :

دخل علينا كثير ^(٤) يوماً وقد أخذ بطرف رباطه ^(٥) ، وألقى طرفها الآخر
 وهو يقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :
 وخبر نمانى أن تيماء ^(٦) منزل لليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
 فهذه شهر الصيف غنى قد انقضت فما لاوى ترمى بليلى المراميا ؟
 ويحمر رباطه حتى يبلغ إلينا ، ثم يولى عنا ويحمرها ويقول : هو والله أشعر
 الناس حيث يقول :
 وأنت التي إن شئت كدرت عيشي وإن شئت بعد الله أنعمت بإيا
 وأنت التي مامن صديق ولا عدأ يرى نضوما أبقيت إلا رثى ليا
 ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ، فقلنا : من تعنى يا أبا صخر ؟
 فقال : ومن أعنى سوى جميل ! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا !

() أخم : أجبن
 (٢) تضايق مقدمي : تضايق الموضع الذي هو قدامي من أن يدنوه أحد .
 (٣) الأغاني ص ١٢٥ ج ٨
 (٤) كثير بن عبد الرحمن شاعر من أهل الحجاز ، أخياره مع عزة كثيرة ،
 توفي سنة ١٠٥ هـ

(٥) الربطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ومقطعة واحدة .
 (٦) تيماء : منزل لبني عذرة .

٥ — وقال^(١) عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لي إلا مناقلة^(٢) الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبي^(٣) ، فابعث به إلى يحدثنى .

فدعا الحجاج بالشعبي وجمهره ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .
فخرج الشعبي ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حياك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال : أدخل .

قال الشعبي : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي ، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي ، سلمت فرد السلام ، ثم أوما إلى ، فقمعت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ! فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل أشعر منك الذي يقول^(٤) :

هذا غلام حسن وجهه مقتبل الخير سريع التباء
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث خير الأنام
ثم همد وهند ، فقد أسرع في الخيرات منه إمام

(١) أمالي المرتضى ص ١٠١ ج ٣ ، خزائن الأدب ص ١١٨ ج ٢ ، الأغاني

ص ١٦٢ ج ٩

(٢) المناقلة في المنطق : أن تحدثه ويحدثك

(٣) هو عامر بن شراحيل كوفي المنشأ ، تابعي جليل القدر وافر العلم ، يقال

أنه أدرك خمسمائة من الصحابة توفي سنة ١٠٣ هـ

(٤) قال النابغة — ذا الشعر حين أنظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن

الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ابن أبي شمر (مذهب

الأغاني ص ٢٣٠ ج ٢) .

خمسة آباء هم ما هم هم خير من يشرب موب الغمام
فقال عبد الملك : ردها على ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الاخطل : من
هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله النابغة
أشعر مني !

قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير -
لا زلت به - ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع
عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : مه ! فانا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى
تفارقنا ، ثم أقبل على فقال : ما تقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله
عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ؛ وذلك أنه خرج يوماً وبياحه
وفد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك رية	وليس وراء الله للمرء مذهب
ألم تر أن الله أعطاك سورة	ترى كل ملك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب	إذا طلعت لم يبد منها كوكب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة	لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمسه	على شعك ، أي الرجال المهذب !

قالوا : النابغة ، قال ، فأبكم الذي يقول :

فأنك كالليل الذي هو مدركي	وإن خلت أن المتأى عنك واسع
خطاطيف ^(١) حجن في جبال متينة	تمد بها أيد إليك نوازع

قالوا : النابغة ، قال : أبكم الذي يقول

إلى ابن محرق أعملت نفسى	وراحلتى وقد هدت العيون
أنتيك عارياً خلقاً ثيابي	على خوف تظان بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها	كذلك كان نوح لا يخون

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة والحجن . الاعوجاج (اللسان

مادة خطف)

قالوا : النابغة ، قال . هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أنحب أن لك قياضاً ^(١) بشعرك شعر أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته فقال . لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أيبانا قالها رجل منا ، كان والله مغدف ^(٢) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده .

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت ^(٣) بك الطول
ليس الجديد به تبقى بشاشته إلا قليلا ولا ذو خلة يضل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تنتقل
والناس من يلقي خيرا قائلون له ما يشتهى ولا م الخطى الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
قال الشعبي : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال . وما قال ؟ قلت : قال .

طرفت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت أحسبه قريب المعنق
حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : ثكلت القطامي أمه ، هذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت . اقولها :

وقائلة والنعمش قد فات خطـوها لتدركه يالهف نفسى على صخر
الائسكت أم الذين غـدوا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلى الأخيلىة حيث تقول :
مهفف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس ممساة ومصبحه فى كل حى وإن لم يغز ينتظر
ثم قال عبد الملك : يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أى والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة . لى قد حدثتك فلم أفدك إلا أبيات النابغة فى الغلام .

(١) المقايضة . المبادلة والمعارضة

(٢) أغدف قناعه : أرسله على وجهه

(٣) يقال . طال طولك ، أى عمرك .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ! إنما أعلنناك هذا ، لأنه بلغني أن أهل العراق يتطلعون على أهل الشام ويقولون . إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد على أبيات ليل حتى حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنت أول داخل وآخر خارج .

٦٠ — وقال * الشعبي . دخلت على عبد الملك بن مروان في علته التي مات فيها فقلت : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبي : أصبحت كما قال عمرو بن قتيبة (١) :

كأنني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عني عنان (٢) للجامي
رميت بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بن يرمى وليس برام
فلو أنني أرمى بنبل رميتها ولكنني أرمى بغير سهام
وأهلكني تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذاك وعام
على راحتين تارة وعلى العصا أنه ثلاثاً بعدهن قيامي
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ
سبعين حجة :

كأنني — وقد جاوزت سبعين حجة — خلعت بها عن منكبى ردائياً
فلما بلغ سبعا وسبعين قال :
بانت تشكي إلى النفس مجمشة (٣) وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

* الاغانى ص ١٥٩ ج ١٦ ، مذهب الاغانى ص ٦٢ ج ٢ ، العقد الفريد ص ١٤٨ ج ١ طبعة المطبعة الاميرية .
(١) في العقد الفريد « زهير » .
(٢) عنان اللجام . السير الذي يشد به
(٣) الجش والاجهاش : أن يفرع الانسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

فان تزدى ثلاثا تباغى أملا وفي الثلاث وفاء للثمانيا
فلما بلغ مائة سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف ليبد ؟

فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت أدب كاتبي كلها قمت راكم

فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرته الوفاة قال .

تمنى ابتغى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فان حان يوما أن يموت أبوكا فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا الشعر
وقولا . هو المرء الذي لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم أسمى السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر^(١)

قال الشعبي . فتبسم عبد الملك وقال . لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر ، ولاني
لاجد خفا وما بي من يأس ، وأمر لي بصلة . وقال لي اجلس يا شعبي فحدثني
ما بينك وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده ، فما أصبحت
حتى سمعت الواعية^(٢) في داره .

٧ وقال^(٣) حماد^(٤) الراوية . كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان
هشام يحفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلما مات

(١) اعتذر . أتى بعذر (٢) الواعية . الصراخ والصوت .

(٣) ثمرات الأوراق ص ١٨٢ ج ١ ، الأغاني ص ٧٥ ج ٦

(٤) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسابها ولغاتها ، كانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره ، وتستزيه ، فيسألونه
ويحزلون صلمته .

يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فمكثت في بيتي سنة ، لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً .

فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل . فاذا شرطيان قد وقفا على فقالا لي يا حماد ، أجب الأمير يوسف ^(١) بن عمر . فقلت في نفسي . من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيين . هل ليكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا . ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان ^(٢) الآخر . فسلمت عليه فرد علي السلام : ورمى إلى كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرا مروع ولا متعنت ^(٣) ، وأدفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرباً ^(٤) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق . »

فأخذت الخمسمائة الدنانير ونظرت فاذا رجل مرحول ^(٥) ، فوضعت رجلي في الغرز ^(٦) ، وسرت اثنتي عشرة ليلة ، حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، قد خلعت عليه في دار قوراء ^(٧) مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش

(١) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان والي عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ ثم ولي يوسف بعده
(٢) الإيوان : البيت يبني طولاً .

(٣) غير متعنت . من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويرعبه .

(٤) مبرة بن حيدان . أو قبيلة زهم حي عظيم ، وإبل مبرية . منسوبة إليهم .

(٥) مرحول . الرجل (١) الغرز . ركاب الرجل من جلد ، فاذا كان من

خشب أو حديد فهو ركاب

(٧) دار قوراء . واسعة .

بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء ، وعليه ثياب خز حر . وقد تضح بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقبله بيده فتفوح روائحه ، فسلبت فرد على ، واستدانى فذوت حتى قبلت رجله ؛ وإذا جاريتان لم أر قبلهما ، مثلهما ، في أذنى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب ، فيها لؤلؤتان تتوقدان .

فقال لى . كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ، قال أندرى فيم بعثت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قاله . قلت . وما هو ؟ فقال . فدعرا بالصبح يوما فجاءت قينة في يمينها لمبريق قلت . هذا يقوله عدى بن زيد في قصيدة له . قال : فأنشدينها ، فأنشده . يكر العاذلون في وضع الصبح يقولون لى . ألا تستفيق ويلومون فيك يابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق^(١) لست أدرى إذا كثروا العذل عندي أعدو يلومنى أم صديق فطرب ، ثم قال أحسنت والله يا حماد ، أعد ، فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، فقال : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال نعم ، قلت : ل أحد الجاريتين ، فقال لى ؛ هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .

ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسى وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة ، فقال لى أحدهم أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك خذ هذه فانتفع بها فأخذتها والجاريتين وانصرفت .

٨ — ودخل رجل من بنى ضنة على عبد الملك بن مروان فقال :
والله ما ندرى إذا ما فاتنا طلب اليك من الذى نتطلب ؟
فلقد ضربنا^(٢) في البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المسكارم ينسب

(١) الموهوق . المشدود بالوهق ، وهو الجبل

(٢) ضرب في الأرض . سافر .

فأصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من نذهب
فقال عبد الملك . إلى ! إلى ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه في العام المقبل فقال
رب (١) الذي يأتي من الخير أنه إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس ككبان حين تم بناؤه . تتبعه بالنقض حتى تهدما
فأعطاه ألفي دينار ، ثم أتاه في العام الثالث فقال
إذا استمطروا كانوا مغازير^(٢) في الـدى . يجودون بالمعروف عودا على بدء
فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٩ - وقال عامر الشعبي . وفدت سودة بنت عمار بن الاشر الهمدانية
على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال
لها كيف أنت يا ابنة الاشر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت
القائلة لأخيك .

شمر لفعل أبيك يا ابن عمار يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد لهند (٣) وابنها بهوان
إن الامام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسانان
قالت . يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي
قال . هيات ، ليس مثل مقام أخيك نسي . قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين
ما كان أخى خفى المقام ذليل الميكان ، ولكن كما قالت الخنساء .

(١) رب . زاد وأصلح .

(٢) أغزر المعروف . جعله غزيراً . والمغازير لا يكون إلا جمعاً لمغزار
أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس وفي المخصص : سحابة
مغزار . غزير فيكون جمعاً لمغزار حتماً
(٣) هند هي أم معاوية .

وإن مخرنا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي عما استعفيت به ، قال قد فعلت ، فقولى
حاجتك قالت :

يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ولأمورهم مقلد . والله ، سأملك عما افترض
عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسطائك فيحصدنا
حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسرمنا الخسيسة (١) ويسألنا الجلييلة . وهذا
ابن أوطاة قدم بلادى وقتل رجالي وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ،
فقال معاوية : أليأى تهديدين بقومك ؟ والله هممت أن أردك اليه على قتب
أشرس (٢) فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت .

صلى الاله على روح تضمنته قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به ثمننا فصار بالحق والايمان مقرونا
قال . ومن ذلك ؟ قالت . على بن أبى طالب رحمه الله . قال . ما أرى عليك
له أثرا ، قالت . بلى ، أتيت يوم ما فى رجل ولاء صدقتنا فكان بيننا وبينه ما بين
الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فأنفقت (٣) عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف :
ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل . فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم
آمرهم بظلم خلقتك ولا ترك حقتك . ثم أخرج من جيبه قطعة . من جراب فكتب
فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن
كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك
حتى يأتى من يقبضه منك والسلام ، فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخوام ولا
ختمه بختام بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها .
فقال : ألى خاصة أم لقومى عامة ؟ قال . وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله

(١) سامه الامر : كلفه إياه . تقول ، يحشمنا دنايا الامور

(٢) القتب . الرجل الصغير . والأشرس . الحشن الغليظ . (٣) انقتل . انصرف

إذن الفحشاء واللوم ، إن كان عدلا شاملا ، والا يسعني ما يسع قومي . قال هيهات ، لمظكم (١) ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله .

فلو كنت بواليا على باب جنة لقات لهمذان ادخلوا بسلام وقوله .

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحه الباب
كالهندوانى لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
اكتبوا لها بحاجتها .

١٠ - وحبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها فأتته جد الغلام وهى أم سنان بنت جشمة المدججية فكلمته فى الغلام فأعلاظ مروان لها ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفا . فقال لها : مرحبا بابنة جشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدت لك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وألاما زافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو : وإن أولى الناس باتباع ما سب آباؤه لأنت . قال . صدقت نحن كذلك . فكيف قولك .

عزب الرقاد فقلنى لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا إن العدو لآل أخذ يقصد
هذا على كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذشهد الحروب وظفرا والنصر فوق لوائه ما يعقد ؟ (٢)
قالت . كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو : أن تكون لنا خلفا . فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهى القائلة .

إما هلنكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هاديا مهديا

(١) لمظله الشئ : منحه إياه

(٢) ما مصدرية ظرفية ، تقول . إن النصر لا يفارق لوائه ما دام معقودا .

فأذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قريبا
قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى اليك بنا فكنت وفيها
واليوم لا خلف يؤمل بعده هيات نأمل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق . وإن تحقق ما ظننا لحظك
الأمير . والله ما ورثك الشنآن (١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض (٢)
مقاتلهم وأبعد منزلتهم ، فانك إن فعلت ذلك تزد من الله قربا ومن المؤمنين حبا
قال . وإنك لتقواين ذلك . قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ولا
اعتذر اليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله على أحب
الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم
وسعيد بن العاصي . قال . وهم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حليمك وكريم
عفوك قال . فما حاجتك قالت . يا أمير المؤمنين إن مروان تبك (٣) بالمدينة تبك
من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين
ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأنيته فقال ، كنت وكنت ، فأسمعته
أخشن من الحجر وألغمته أمر من الصاب (٤) ثم رجعب الى نفسي باللائمة وقلت
لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالقوم منه فأنيتك يا أمير المؤمنين لتسكون في
أمرى ناظرا وعليه معديا (٥) قال ، صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته .
اكتبوا لها بأطلاقه ، قالت ، يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة وقد نفذ زادي وكلت
راحلي ؟ فأمر لها براحلة ومنحة .

(١) الشنآن . العداوة .

(٢) أدحض حجته : أبطلها

(٣) تبك بالمسكان : أقام .

(٤) الصاب : شجر مر

(٥) أعداء عليه : نصره وأعانه

١١ - وكانه لبيد^(١) بن زبيدة جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام، وكان آلى في الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا . ثم أدام ذلك في إسلامه ، وكان له جفستان يغدو بها ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم ، ونزل لبيد الكوفة ، وأميرها الوليد بن عقبة ، فيينا هو يخطب الناس إذ هبت الصبا ، فقال الوليد في خطبته على المنبر : قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل ، وما جعل على نفسه : أن يطعم ما هبت الصبا ، وهذا يوم من أيامه ، وقد هبت ريحها : فأعينوه ، وأنا أول من فعل .

ثم انصرف الوليد ، فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات :

أرى الجزار يشحن شفرتيه	إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد ^(٢) عامري	طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفرى بما نواه	على العلات ^(٣) والمال القليل
بنحر الكرم ^(٤) لادسجت إليه	ذيول صبا تجاذب بالأصيل

فلما وصلت الهدية إلى لبيد شكره ، وقال : لاني تركت الشعر منذ قرأت القرآن ، ثم قال لابنته . أجيبيه ، فلعمرى لقد عشت دهرأ وما أعيأ بجواب شاعر ،

* الجمهرة ص ٣٩ ، المستطرف ص ٥٠ ج ٢ ، الأغاني ص ٩٣ ج ١٤ ، بلوغ

الأرب ص ٩٢ ج ٣

(١) لبيد بن زبيدة العامري . أحد أشراف الشعراء المجيدين والقواد الفرسان المعمرين وهو من أصحاب المعلقة ، ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه ، ومات سنة ٤١ هـ .

(٢) الأصيد . رافع رأسه كبيرا

(٣) على العلات . على كل حال

(٤) الكوم : القطعة من الإبل

١٢ — وكان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه وأشدّهم عارضة
ولساناً وطال عمره ونكبه دهره واختلت حاله ، فخرج عشية يتبقل (١) لآله فربه
عميلة الفزارى فسلم عليه وقال : يا عم ما أشارك الى ما أرى ؟ قال . بخل مثلك بماله
وصون وجهى عن أموال الناس . فقال . لئن بقيت الى غد لأغيرن ما أرى
من حالك . فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة . فقالت له : لقد
غرك كلام غلام جنح ظلام (٢) . فكأما ألقمت فاه حجراً ، فبات متمللاً بين
رجاء ويأس ، فلما كان السحر سمع رغاء الابل وثغاء الشاه وصهيل الخيل ولجب
الأموال (٣) فقال ، ما هذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق اليك ماله ؛ فخرج ابن عنقاء
له فقسم عميلة ماله شطرين وساهمه (٤) عليه ، فأنشأ ابن عنقاء يقول

رأى على مابى عميلة فاشتكى	الى ماله حالى أسرى كما جهر
دعاني فآساني ولو ضن لم يلم	على حين لا بد ويرجى ولا حضر
فقلت له خيراً وأثيت فعله	وأوفاك بأبليت من ذم أو شكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه	ترى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام رماه الله بالخير مقبلاً	له سيمياء (٥) لا تشق على البصر
إذا قلت العوراء (٦) أغضى كأنه	ذليل بلا ذل ولو شاء لا انتصر

(١) تبقل ، خرج يطلب البقل

(٢) جنح الليل أو الظلام ، الطائفة منه

(٣) اللجب : الجلبة والصياح واضطراب موج البحر .

(٤) ساهمه . قارعه أى ضرب القرعة .

(٥) السيماء والسيما والسيمياء العلامة : يقول : يفرح به من

يراه للعطف عيائه .

(٦) العوراء : الكلمة القبيحة

١٣ - ووفدت بكارة الهلالية على معاوية :

فاستأذنت فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت أسننت (١) وعشى بصرها (٢) وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها (٣) فسلبت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت يا خالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير (٤) من عاش كبرو من مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتفر (٥) من دارنا سيفاً حساماً في الزراب دفينا
قد كنت أذخره (٦) ليوم كريمة فالآن أبرزه الزمان مصونا
قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاه ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاص هي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمة خاطبا
فأله آخر مدق فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عابا
ثم سلكوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتي (٧) أنا والله
قائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك
أذكرى حاجتك قالت أما الآن فلا

(١) طعنت في السن (٢) ضعف نظرها

(٣) أي تمشى مستندة على خادمين وهي ترعش لكبر السن

(٤) أي صاحب أحوال متغيرة

(٥) أي احفر الأرض في دارنا لتخرج منها السيف المدفون

(٦) في رواية (قد كان مذخورا)

(٧) أعشى بصرى أضعفه وقصر حجتي أضعفها

١٤ — ودخل حمزة (١) بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يضل إليه ، وأبطلت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أخلد (٢) إن الله ما شاء يصنع	يجود فيه على ما يشاء ويمنع
ولاني قد أمات منك سخابة	لجادات سراباً فوق بيداء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت لعله	يشوب إلى أمر جميل ويرجع
فأياسني من خير مخلد أنه	على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه	من البغض والشنان أمسى يقطع
ويبخل بالمعروف عن يوده	فوالله ما أدري به كيف أضنع
أأصرمه ؟ فالصرم شر مغبة	ونفسي إليه بالوصال تطلع
وشتان بيني والوصال وبينه	على كل حال أستقيم ويطلع (٣)
فأعقبني صرماً على غير إحنة	وبخلاً وقدماً كان لي يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله	فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

(١) الأغانى ص ٢٣ ج ١٥

وحزة بن بيض ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليع ماجن وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة ووالده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية توفي سنة ١٢٠ هـ

(٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ثم رحل إلى الشام وافداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فاعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ

(٣) الظلع : العرج .

فلما قرأه سائل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : من أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به ف ضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة مائة درهم وكساء ، وقال : إنما ضربناك أدباً لك ، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لم تعرفه ، فأياك أن تعود لمثلها . فقال الرجل . لا والله ، أصلحك الله لا أحمل كتاباً لمن أعرفه رلاً لمن لا أعرف ، قال : أحذر فليس كل أحد يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف مالحي صاحبك الرجل ؟ قال . لا ؛ لحدثه بخلد بقصته ، فقال ابن بيض : والله — أصلحك الله — لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسة مائة أبدأ ؛ فضحك مخلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدأ ، قال أجل والله ، ولكن من لي بمثلك يعتبني ^(١) إذا استعتبتني ، ويفعل بي مثل فعلك ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئت داره كفاقي وأعطاني الذي جئت أسأل
ويعتبنني يوماً إذا كنت عابها وإن قلت زدني قال حقاً سأفعل
أتراه إذا ما جئته تطلب الندي كأنك تعطيه الذي جئت تسأل
فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب

١٥ — وأقبل على سليمان ^(٢) بن عبد الملك قتي من بني عباس ، وسيم ، فأعجبه

(١) يقال . أعتبني فلان ، إذا ترك ما كنت أجده عليه ، ورجع إلى ما أرضاني عنه ، بعد إسخاظه لإيائى عليه .

(٢) ابن أبي الحديد ص ٣٢٢ ج ١

وكان سليمان ملسكا غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لساناً ، توفي

فقال ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال ابن من ؟ قال ، ابن عبد الملك ، فأعرض عنه ؛
وجعل يفرض « ٢ » ، لمن دونه ، فعلم للفتى أن كره موافقة اسمه واسم أبيه
فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت اسمك ، ولا شقي اسم يوافق اسمك ،
فارض ، فانما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن امرتني أطعت ، وسهم
في كيناتك أشتد إن أرللت ، وأنفذ حيث وجهت
فقال له سليمان وهو يختبره ، ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا ؟ قال ، أقول :
حسبي الله ونعم الوكيل ! قال سليمان . أكنت مكنتياً بهذا لو لقيت عدوك دون
ضرب شديد

قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو
سألتني ، ما أنت فاعل : لأنبأتك ، إنه لو كان ذلك ، لضربت بالسيف حتى
يتعقف (٢) ، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف !
فأعجب سليمان به ، وألحقه في العطاء بالاشراف وتمثل
إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يسكن على قومه كلا فقد كمل الفتى

(١) يقال أفرض له ، ، إذ جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في
الزكاة ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة
(٢) التعقيب ، التعويج

تأثر الادب بالحياة الجديدة

في عصر بني أمية

- ١ - وبعد فقد نهض الادب نهضة عظيمة في هذا العصر ، الذي نبغ فيه كثير من أشهر أعلام الادباء والكتابة والشعراء في اللغة العربية فالشعر والخطابة والكتابة وسائر ألوان الادب قد أدت رسالتها الادبية في هذا المعترك الحافل بأسباب النشاط وبحجم العلم والادب قد تعددت وكثرت وأثمرت وخدمت التراث الاسلامي والادب العربي خدمات جليلة وأغدق الخلفاء على الشعراء والادباء والرواة والعلماء إغداقا كبيرا وساعد على بلوغ الادب هذه المنزلة اسباب كثيرة .
- ١ - فالخلفاء والامراء والولاة كلهم من عنصر عربي وهم يحبون البلاغة ويطلبون للادب ويهتزون لسماح الشعر الجديد
- ٢ - والنبواعت السياسية كان لها اثرها البعيد في هذه النهضة الادبية الجليلة
- ج - وإحياء بني أمية للعصبة كان باعثا على نهضة الادب والشعر
- د - فوق تأثير بلاغة القرآن والحديث في نفوس القوم من حكام ومحكومين ومدوحين ومادحين الى غير ذلك من شتى الاسباب :

- ٢ - والادب على أي حال قد تأثر تأثرا بعيدا بهذه الحياة الجديدة في العصر الاموي ، مما يمكن تلخيصه فيما يأتي

- ١ - نهضة الشعر والادب واللغة نهضة كبيرة
- ٢ - ذبوع الخطابة ورقى الكتابة والرسائل بتأثير الحياة السياسية الجديدة
- ٣ - تأثر الادب عند أهل الامصار بصورة حياتهم ، فكان لكل حزب

سياسى أو طائفة مذهبية بين الخوارج والشيعة والزييرية والمروانية والمضرية والقحطانية والشعوبية شعراء وخطباء ينظمون الشعر ويخطبون في تأييد نحلتهن وخلف مربد البصرة وكناسة الكوفة عكاظ في اجتماع الشعراء والخطباء بهما كما تأثر الأدب في الحجاز بحياة المترفين من شبانه ، فنشأ فيه نوع من الغزل الرقيق ومقطعات الغناء ، وما زال يستفحل أمره حتى تحول على لسان بعض بحان الشعراء إلى مجون ولهو

وتأثر في البوادي بحياة أهلها من أصحاب الجند والتوقر والجفاء منهم فبرز في ثوب الفجر والتباهى والنهاجى والواقض والمدح والثناء ونحو ذلك وتأثر عند العذريين بنزعة نفوسهم فخطر في حلة الشعر العفيف الذى يعتبر من أجل ما قيل من الشعر العربى .

٤ - ذبوع فنون أدبية جديدة كالتوقيعات وفن القصص التاريخى الذى كُتبت به السيرة

٥ - انتشار الأدب العربى فى كثير من الحواضر الاسلاميه البعيدة عن الجزيرة العربية كمصر والعراق وشمال أفريقيا والاندلس إلى غير ذلك من مظاهر التأثير بهذه الحياة الجديدة مما يستكمل عنه بكثير من الافاضة والتحليل

على أنه قد حدث فى النصف الأول للقرن الثانى الهجرى أن الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب ، وخاصة حياة العرب فى العراق ، كان يعتورها التغيير فى كل ناحية من نواحيها ، فسياسة الشدة التى كان يتبعها حكام الدولة الأموية كانت ، بقضائها على الروح الحربى لأهل القبائل ، قد مهدت السبيل إلى الانقلاب بتأسيس حياة مستقرة ونمو جماعة متحضرة ، تشغل بأعمال سلمية ، وتعنى فى طبقاتها العليا بالبحوث العقلية ، ولم يجد مثل هذا المجتمع فى الأفكار القديمة وأساليب البيان السابقة ما كان يجده فيها من القوة والسلطان فقد أصبح هذا المجتمع يبحث عن مواد وصور للتعبير جديدة ، تكون أكثر ملاءمة لأحواله الجديدة وما فيها من مجالات عقلية أبعد شأوا ، وقد زاد هذه الميول قوة زيادة امتزاج

العناصر الفارسية والآرامية وغيرها بالحياة العربية ، الاجتماعية والأدبية .
والواقع أن الأدب العربي كان يدنو من عصر انتقال شبيه بتلك العصور الانتقالية
التي مرت بها أمم أخرى في مراحلها الأدبية الأولى . غير أن قيام الخلافة
العباسية منع الحركة نشاطا قويا لأنه جلب معه تحولا نهائيا في النفوذ السياسى
والاجتماعى من عناصر الحياة البدوية إلى عناصر الحياة الحضرية .

وقد سلك ممثلو التيارات الجديدة للتفكير العربى ، فى تلك الظروف ، نفس
المسلك ، كما انتحلوا نفس الخطى ، التى سلكتها وانتحلتها من قبلهم ومن بعدهم
الأمم التى اجتازت مثل تلك الظروف فى أول الأمر فقد سدوا حاجتهم بالاستعارة
أو الترجمة من الآداب السابقة ومن أشهر المترجمين ابن المقفع الفرسى الأصل
المتوفى عام ١٤٣ هـ

النثر الفنى

فى عصر بنى أمية

نماذج له :

١ — صفة الإمام العادل :

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — لما ولى الخلافة — إلى الحسن (١) البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العام قوام (٢) كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفرج كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على لبله . الرفيق الذى يرتاد (٣) لها أطيب المرعى ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكشفها من أذى الحر والقر . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالآب الحانى على ولده يسعى لهم صغاراً ؛ ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيعة بولدها ، حملته كرها وربته طفلاً ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ؛ ترضعه تارة ؛ وتقطعه أخرى ، وتفرح بمافيته وتغتم بشكايته . والامام العدل يا أمير المؤمنين كالقاب بين

(١) هو أبو سعيد بن يسار مولى زيد بن ثابت الانصارى ، وكان الحسن من سادات التابعين وكبرائهم وكان نسيج وحده فى الفصاحة والعلم والعبادة والورع وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(٢) قوام الأمر : عماده ونظامه .

(٣) الارتياح : طلب السكينة فى مواضعه .

الجوارح ؛ تصالح الجوارح . بصلاحه وتفسد بفساده . والامام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ، ويسمعهم ، وينظر إليه ويرىهم وينقاد إلى الله ويقودهم .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مالكك الله كعبد اتتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد^(١) العيال فانتقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحدود^(٢) ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاه من إياها ، وإن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفرع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين انك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثوابك^(٣) ويفارقك أحباؤك ويسلدونك في قعره فريدا وحيدا ، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعث^(٤) ما في القبور وحصل^(٥) ما في الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتابات لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فالآن يا أمير المؤمنين - وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل - لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن إلا^(٦) ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنيائهم باذهب طيباتك في آخرتك ، فلا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور

(١) التثريد : التفريق والطرْد .

(٢) الحدود : العقوبات الرادعة

(٣) الثواء : الإقامة أو طولها . (٤) يعثر : أثير وأخرج .

(٥) حصل : جمع . (٦) الإل : العهد .

في حبال الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عزت (١) الوجوه للحي القيوم .

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه ألو النهى من قبلي فلم آلك (٢) شفقة ونصحا ، فأزول كتابي إليك كدداوى حبيبته يشقيه الأدوية الكريمة لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٢ - لطارق بن زياد المتوفى سنة ٩٢ هـ

خطبة يخطب بها جيشه على الجهاد ويرغبهم في فتح الأندلس

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم (٣) والعدو أما مكم وليس لكم والله إلا الصديق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيق من الأيتام في مائدة اللثام (٤) وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة (٥) وأنتم لا وذر لكم إلا سيوفكم (٦) ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم (٧) وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم (٨) فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجرة هذا الطاغية (٩) فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة

(١) عنا : خضع .

(٢) اني لا آلوك نصحا : أى لا أفتر ولا أقصر .

(٣) وذلك لأنه أحرقت السفن التي وصلوا بها إلى بلاد اسبانيا

(٤) لا ينالون شيئا إلا إذا قاتلوا عليه

(٥) كثيرة

(٦) لا ناصر لكم غيرها

(٧) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(٨) تجاسرت عليكم بدل خوفكم منكم

(٩) بمقاتلة ذلك الجبار

وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمعتم لأنفسكم بالموت ولأنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة (١) ولا حملتكم دونى على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدا بنفسى واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالآخرة (٢) الألد طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه (٣) بأوفر من حظى وقد بلغكم ما أنشأت داء هذه الجزيرة من الخيبرات العميمة وقد انتخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا (٤) ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان داء ليكون حظهم منكم ثواب الله على إعداء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم (٥) من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى انجاذكم (٦) على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين واعلموا أى أول يجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحلوا معى فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل داء تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفوني فى عزيمتى هذه واحلوا بأنفسكم عليه واكنفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله

(١) أنا منه بمكان حصين بمعنى أنا منه خالص

(٢) الأردغ الألبين

(٣) فيه أى الأمر الأشق

(٤) ما أخرجت

(٥) الصديق القريب المحرم الزوج أو الزوجة كالأب والاخت والعم والختن

القريب المحرم للزوجة

(٦) وتسكروكم بمقاتلة الشجعان

(٧) وليكون غنمها لكم حالة كونها خالصة لكم

(٨) نصركم وأعانكم

(٩) لا تجدون عوزا وحاجة فى وجود بطل عاقل بمعنى أنكم تجدون كثيرا

من الأبطال الذين تولونهم أموركم

٣ - وللأحنف بن قيس المتوفى سنة ٦٧ هـ :

آفة الملوك سوء السيرة ^(١) وآفة الوزراء خبث السريرة ^(٢) وآفة الجند مخافة
القادة ^(٣) وآفة الرعية مخالفة السادة ، وآفة الرؤساء ضعف السياسة ، وآفة العلماء
حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة العدول قلة الورع ، وآفة القوى
استضعاف الخصم ، وآفة الجري إضاعة الحزم ^(٤) ، وآفة المنعم قبح المن ^(٥) ،
وآفة المذنب حسن الظن ^(٦) .

٤ - ولعمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣ هـ في وصف مصر :

مصر تربة غبراء ^(٧) وشجرة خضراء ^(٨) طولها شهر وعرضها عشر ^(٩) يكتنفها
جبل أغبر ^(١٠) ، ورمل أقر ^(١١) يخط وسطها نهر ميه ونب الغدوات مبارك
الروح ^(١٢) يجرى بالزيادة النقصان كجرى الشمس والقمر له أوان ^(١٣) تظهر به
عيون الأرض وينابيعها حتى إذا أصلح عجابه ^(١٤) ، وتمظمت أمواجه ^(١٥) ، لم يكن
وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب ،
فاذا تكاملت تلك كذلك تكس ^(١٦) على عقبه كأول ما بدأ في شدته وطما في حدته ^(١٧)
فعند ذلك يخرج القوم ليحرقوا بطون أوديته ورواياه ^(١٨) يبدرون الحب ويرجون

(١) قبح السلوك (٢) رداء النية

(٣) القواد (٤) عدم التدبر في الأمور

(٥) المن الامتتان وذكر المعروف (٦) حسن الظن فيمن بيده المقاب

فيتمادى في الذنوب (٧) سهلة الانبات (٨) بمعنى أنها كثيرة الشجر الأخضر .

(٩) لعله يريد أن الماشى يقطعها طولا في شهر وعرضا في عشرة أيام

(١٠) يحيط بها جبل ضارب إلى السواد (١١) أبيض مائل إلى الحمرة أو الصفرة

(١٢) محمود الذهاب والاياب (١٣) يزيد وينقص في أزمنة معينة .

(١٤) معظم مائه (١٥) تقطعت وتسربت في الاراضى .

(١٦) رجع وذهب (١٧) أى نقص بشدة كما زاد بقوة

(١٨) أعلى الأرض وأسافلها .

الثمار من الرب حتى إذا أشرق وأشرف (١) سقاه من فوقه الزدى وغذاه من تحته
الثرى فعند ذلك يدر حلابه (٢) ويغنى ذبابه (٣) فيبينا هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء
إذا هي عنبرة سوداء ، وإذا هي زهر جدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء .

وصف النثر الفنى

فى العصر الاموى

١ - ظهر فى هذا العصر أثر الثقافة الادبية فى النثر الفنى ظهورا واضحا
لاخفاء فيه ؛ وهذه الثقافة متنوعة تشمل :

ا - القرآن الكريم الذى أثر فى ملكات العرب وهذب من ألسنتهم ورقى
من مشاعرهم وطباعهم وملكاتهم فى البيان فى عصر صدر الاسلام
ثم زاد هذا التأثير فى العصر الاموى : بحفظ العرب له ، وقرائهم لياه بعد
أن انتشرت مصاحف عثمان فى الامصار ، وللغراغ الذى وجدوه بعد الفتوحات
الاسلامية ، وللفترة الطويلة التى قضوها فى الافادة من بلاغة القرآن

ب - حديث رسول الله ، وكانوا يحفظون منه الكثير ، ثم دون ووزع
على الامصار فى عهد عمر بن عبد العزيز ، فانتسعت لفادة الناس منه وتأثرهم ببلاغته
ج - الشعر والادب الجاهلى ، وقد علمت ما كان من إحياء بنى أمية له ،
وتقريبهم الرواة والادباء منهم

د - مجالس القصص والوعظ ، وقد كان فيها البليغ والخطيب والاديب الذى
يسحر القوم بلاغة وبيانا

ه - أدب البلاغ والفصحاء فى العصر الاموى ، وهو كثير جدا ، وكان له
أثره فى تقويم الاسنة وتهذيب الملكة ، وكانت خطب الوفود التى تفد على قصور
الخلفاء والأمراء دروسا كبيرة فى البلاغة والبيان ، ويروى أن شباب الكتاب

(١) ظهر وبان (٢) يعظم محصولة (٣) يكثر عليه

كانوا إذا حضر وفد هشام حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم^(١) ومجالس المؤدبين والرواة والشعراء والنقاد وكانت حافلة بالكثير من ألوان الأدب والشعر والتقدم لها أثر كبير في تقويم الأذواق وإرهاف المشاعر وتهذيب الملامكات .

٢ - وقد أفاد العرب من اختلاطهم بالموالي والناصر الأجنبية ، فسمعوا عن ثقافات الأمم القديمة ، ورويت لهم ، وتحدثوا بها في مجالس سمرهم مما أكسب العقول عمقا وفهما ومعرفة وعلمًا وثقافة ومدنية ، وظهر أثر ذلك في تقدم العلوم ونهضة الفنون والآداب وأخذ العرب بقسط من الحضارة ، وبمضى الزمن ترجوا هذه العلوم والفنون إلى العربية .

ولا يضير ما كان للاحتياط من أثر في الألسنة مما دخل عليها من اللحن واللسنة والعي ، فقد قاوموا هذه التيارات الجديدة بوضع العلوم ونشر الأدب وتقويم الألسنة والطباع .

٣ - وبإحياء الآداب الجاهلية ظهر أثرها ل الأدب والنثر الأموي ، فعادوا إلى جزالة الجاهلية وصلابتها وشدة أسرها ، وكثر في أسلوبهم الأدبي في النثر الفني ظهور خصائص غلبت على أسلوب النثر الأموي يمكن أن نلخصها فيما يلي :

- (١) إثارة خيال السامع باستعمال المجازات القوية ،
- (٢) السيطرة على وجدان السامع وعواطفه وميلهم إلى الموسيقى الصوتية باستعمال الالفاظ الطنانة البالغة التأثير .
- (٣) التحدث إلى عقل السامع ، لا عن طريق الدقة في التعبير بحسب ، بل كذلك عن طريق التعبيرات والمجازات وزجها بعضها ببعض .
- (٤) تفريع الصور العنائية والمعاني وتنويعها باستخدام الازدواج في الفواصل استخداما قد يزيد قوة استعمال السجع أو ما يشبه السجع من الفواصل . غير أن التزام السجع في الكلام كان متجنباً . إما لأنه كان يشعر بشيء من التكلف ،

ولما لأن التقفية كانت كانت ميزة خاصة بالشعر ، وسجع السكمان وما أشبه ذلك من الانتاج الادبي .

ونجد في خطبة الحجاج أنه بينما يتجنب السجع ، يستخدم التليجات الشعرية والاقبياسات ويكثر من استعمال المجاز كما ترى في الجملة الآتية مثلا .

« إني والله يا أهل العراق ، ما يعمق لي بالسنان ، ولا يغمر جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاه ، وفشتت عن تجرية ، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنائنه بين يديه ، فمجم عيد انها ، فوجدني أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا ، فرما كم بي لأز نكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجتم في مرقد الضلال ؛ ولنفارن الآن بين تلك الجملة والجل الآتية من رسالة عبد الحميد الكاتب . « وأعلم أن كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويترض غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وحبائل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرنا بجانبها ، توقها محترسا منها ، واستعد بالله من شرها وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لاونية فيه ، وحزم نافذ لا مثوية لرأيك بعد إصداره عليك ، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ، ومضادة صارمة لا أناة معها ، ونية صريحة لا خلجة شك فيما . « فن المؤكد أن ليس شمة صعوبة في أن ندرك أن في القطعة السابقة نفس الخصائص الأساسية التي في خطبة الحجاج ؛ ولكنها ذلتها وعبدتها الطلاقة التي يمتاز بها الكاتب وهي في الحقيقة تلك الصفة التي وصف بها مؤلف كتاب « الفهرست » عبد الحميد حينما قال : « هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ،

(هـ) ظهور الروح الديني في كثير من الوان النثر في هذا العصر

ألوان النثر الفنى

أولا - الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر الاموى .

١ - خطبة معاوية بالمدينة عام الجاعة

وقدم معاوية عام الجماعة (سنة ٤١ هـ) فتلقاء رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك ، وأعلى كعبك ، فارد عليهم شيئا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال .

« أما بعد ، فانى والله ما وليتها ^(١) بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكنى جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ، ولقد رضت ^(٢) لكم نفسى على عمل ابن ^(٣) أبى قحافة وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفارا شديدا ، وأردتها على سنيات ^(٤) عثمان ، فأبت على ، فسلكتها طريقا لى ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومشاركة جميلة ، فان لم تجدوني خيرا فانى خير لكم ولأية ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبر أذنى ^(٥) وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحقوقكم كله ، فاقبلوا مني

(١) أى الخلافة .

(٢) من راض المهر : إذا ذلله .

(٣) هو أبو بكر الصديق .

(٤) سنية : مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٥) جعل كلامك دبر أذنه ، لم يصغ اليه ولم يعرج عليه .

بعضه ، فان أتاكم منى خير فاقبلوه ، فان السيل إذا جاد يثرى ، وإذا قل أغنى ،
ولما كنم والفتنة ، فانها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، .
ثم نزل .

٢ - وصيته لابنه يزيد

ولما حضرت معاوية الوفاة ؟ ويزيد غائب ، دعا معاوية مسلم بن عقبة المري
والضحاك بن قيس الفهري ، فقال : أبلغا عنى يزيد رقولاً له :
« يا بنى إلى قد كيفيتك الشد والترحال ، ووطأت (١) لك الامور ، وذلت لك
الاعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد :
فانظر أهل الحجاز ، فانهم أصلك وعترتك (٢) ، فن أتاك منهم فأكرمه ،
ومن قعد عنك فتهده .

وانظر أهل العراق ، فان سألوك أن تزل عنهم كل يوم حاملاً فافعل ، فان
عزل حامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت
عليه منهم ؟

ثم انظر أهل الشام ، فأجعلهم الشعار (٣) دون الدثار ، فان رابك من عدوك
ريب فارمهم (٤) بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ،
ولا يقيموا فى غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدبهم .

ولما استأخاف عليك أن ينزعك هذا الامر إلا أربعة نفر من قريش :
الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر .
فأما عبد الله بن عمر . فرجل قد وقذه (٥) الورع ، وإذا لم يبق أحد
غيره بايعك .

(١) وطأ : مهد . (٢) عترة الرجل : عشيرته الادنون .

(٣) الشعار : الثوب يلبس على شعر الجسد ، والدثار : الذى يلبس فوق الشعار .

(٤) الضمير للعدو ؛ وهو للواحد والجمع ، والذكر والانثى ، وقد يثنى

ويجمع ويؤنث . (٥) وقذه : صرعه وتركه هليلاً كواقذه .

وأما الحسين بن علي : فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكم الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن خرج وظفرت به ، فأصفع عنه ، فإن له رحماً (١) ماسة ، وحققا عظيما ، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وأما ابن أبي بكر : فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم ، ليست له همة إلا في النساء واللهو .

وأما ابن الزبير : فإنه خب ضب (٢) فإن ظفرت به فقطعه إربا (٣) ، وأما الذي يحتم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مرواغة النعلب . فإن أمكنته فرصة وثب . فذاك ابن الزبير . فإن هو وثب عليك . فظفرت به . فقطعه إربا إربا ، واحقق دماء قومك ما استطعت .

٣ - خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب :

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير (سنة ٧١ هـ) وانتهى خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياما . حتى تحدث به إمام مكة في الطريق . ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لا يتكلم . والكآبة على وجهه . وجبينه يرشح عرقا . فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه للبيب الخطباء ، قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيده العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير ملوم ، ثم تكلم فقال :

« الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، ويدور من يشاء ، ويدل من يشاء .

أما بعد : فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الأنام طرأ (٤) ولم يدل من كان الحق معه ، وإن كان مفردا ضعيفا ، ألا وإنه قد أتانا خبر من

(١) الرحم : القرابة .

(٢) رجل خب ضب : خداع مراوغ . (٣) أى عضوا عضوا .

(٤) طرأ جميعا .

العراق ، بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسرنا : أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى أحرزنا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدهما حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوي من بعد ذوالرأى والدين إلى جميل الصبر ، وكريم العزاء ، وأما الذى سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه عز وجل جاعل لنا وله فى ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطعام^(١) ، انضم الآذان ، أهل العراق ، لإسلام النعم المخطمة^(٢) ، وباعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه . فإن يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه^(٣) . وكانوا الخيار الصالحين .
إنا والله لا نموت حتف آنا فنا^(٤) ، ولكن قمصا^(٥) بالرماح ، وموتنا تحت

(١) الطعام : الاوغاد .

(٢) خطم البعير بالخطام : جعله على أنفه ، والخطام كسكتاب : ما وضع فى أنف البعير ليقناده به .

(٣) بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل . انصرف إلى وادى السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله فى الصلاة .

ويعنى بعمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد . وقد استشهد يوم اليرموك . وفى رواية : وابن عمه ، ويعنى به عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام . وقد قتل يوم الدار . وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير . وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع بأهل المدينة فى وقعة الحرة ، سار إلى مكة لغزو عبد الله بن الزبير ، فقال لآخيه المنذر : ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرك — وكان أخوه المنذر ممن شهد الحرة ثم لحق به — فجرد اليهم أخاء فى الناس ؛ فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ؛ ثم إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ؛ فخرج إليه ؛ فضرب كل واحد منهما صاحبه . ضربة خر صاحبه لها ميتا ؛ وكان مقتله سنة ٦٤ هـ .

(٤) الحنف : الموت ، ويقال : مات حتف أنفه : أى على فراشه من غير قتل ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج =

ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا لإسلام قط ، ألا وإنما الدنيا عارية ^(١) من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر ^(٢) البطر ، وإن تدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق المهين ^(٣) ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ثم نزل .

٤ — خطبة عبد الملك بن مروان لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب :

ودخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير ، فصعد المنبر لحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زهنتنا الحرب وزبناها ^(٤) ، فمرفناها وألفناها ، فنجن بنوها وهى أمانا .

== من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته .

(٥) القمص : الموت السريع ، ومات قمصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وفي رواية : « إنا والله ما نموت حبجا كهيئة آل أبي العاص ، والحبج كسبب انتفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج » كجعفر ، وربما قتله ذلك ، يعرض بنى مروان ، لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة .

(١) العارية ويخفف : الشيء المستعار . (٢) الأشر : البطر

(٣) الخرق وصف من الخرق كسبب : وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يبهت فاتحا عينيه ينظر . والمهين : الحقير . ويروى : « بكاء الخرف المهتر » والخرف بفتح فكسر : من فسد عقله فى الكبر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن ، من المهتر بضم الهاء ، وقد اهتر فهو مهتر « بضم الميم وفتح التاء » ، هاذ ، وقد قيل اهتر بالبناء للجهول

(٤) أى دفعتنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ومنه اشتقاق الربانية « جمع زبنية أو زبنى بكسر الزاى وسكون الباء » لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ، ومنه أيضا : حرب زبون بفتح الزاى .

أيها الناس : فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا
فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون
أعمالهم ، ولا أظنكم تردادون بعد الموعظة إلا شرا ، ولن نزداد بعد الإيعاز
إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود بعد مثلها فليعد ، فإنما
مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة الأنصاري :

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة	يصل بنار كريم غير غدار (١)
أنا النذير لكم منى مجاهرة	كي لا ألام على نهي وإنذار
فان عصيتم مقاتلي اليوم فاعترفوا	أن سوف تلقون خربا ظاهرا العار
لترجعن أحاديثا ملعنة	لهو المقيم والهو المدلج الساري (٢)
من كان في نفسه حوجاء يطلبها	عندي فاني له رهن بأصجار (٣)
أقيم عوجته إن كان ذا عوج	كما يقوم قدح النبعة الباري (٤)
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه	عندي ، وإني لذلك بأوتار

هـ - خطبة عمرو بن سعيد في مجلس معاوية يوم عقد البيعة ليزيد :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد :

١. الترة والوتر : الثأر .

٢. أدلج : نثار من أول الليل : فان سار من آخره فقد ادلج بالثشديد ،

والساري . السائر بالليل .

٣. الحوجاء : الحاجة ، وقوله : بأصجار أى لا أستترعنه ولا أمتنع في

الإماكن الحصينة ، من أصجر القوم . برزوا إلى الصحراء .

٤. العوج بفتح العين . في كل ما كان منتصبا مثل الإنسان والعصا

والود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو

دين ، وقيل بالفتح مصدر ، وبالكسر اسم منه . والقـدح : السهم قبل

أن يرش وينصل وجمعه قداح ، والنبعة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهم .

فأتى يزيد بن معاوية أمل ، تأملونه وأجل تأملونه ، إن استضعفتم إلى حمله
وسمكم وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جدد
قارح ، سوبق فسبق ، وموجد فوجد ، وقورع ففاز سهمه ، فهو خالف أمير المؤمنين
ولا خالف منه (١)

٦ - وصية عبد الملك بن مروان لولده عند وفاته :
ونظر عبد الملك عند وفاته إلى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال :
« يا هذا : أحنين الحمامة ؟ إذا أنا مت فشمع واتزر ، والبس جلد نمر : وضع
سيفك على عاتقك . فن أبدي ذات نفسه لك فاضرب عنقه : ومن سكت
مات بدائه . »

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا . فقال : « إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك
لقليل ، وإن كثامتك لفي غرور ، »

ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم بتقوى الله . فانها عصمة باقية . وجنة
واقية . فالتقوى خير زاد : وأفضل في المعاد . وهي أحسن كهف . وليعطف
الكبير منكم على الصغير . وليعرف الصغير حق الكبير . مع سلامة الصدور .
والأخذ بحميل الأمور . وإياكم والبنى والتحاسد . فبهما هلك الملوك الماضون
وذوو العزم المسكين :

يا بني : أخوكم مسلمة . نابكم الذي تفرون (٢) عنه . وبجنتكم (٣) الذي
تستجنون به ، اصعدوا عن رأيه ، وأكروا الحاجة ، فانه الذي وطأ لكم
هذا الأمر :

كونوا أولاداً أحراراً ، وفي الحروب أحراراً والمعروف منارا وعليكم السلام

(١) ٢١ / ٣ الأمال

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها والمعنى أنه أخوكم المجرب
المحنك الذي تستفيدون بتجربته ويكشف لكم الأمور بخفة وبصيرته
(٣) المحن : النرس

٧ - وصيه عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده :

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

«ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني لإصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم الاستحسان ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعالمهم كتاب الله ، ولا تتركهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روه من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحسبوه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهديم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك ، وإياك أن تتشكل على عذر ذي لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، ورد في تأديبهم أزدك في برى إن شاء الله تعالى

٨ - خطبة زياد البتراء :

«وقدم زياد ابن أبيه البصرة سنة ٤٥ هـ ، واليا للمعاوية بن أبي سفيان ، والفسق بها كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل بل قال :
«والحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعمة ، فألهمنا شكرا ،

وأما بعد . فإن الجهالة الجهلاء (١) ، والاضلالة العمياء ، والغنى الموفى بأهله على الار ، مافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حفاؤكم (٢) ، من الامور العظام ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير : كأ نكم لم تقرأوا كتاب الله . ولم تسمموا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب الآليم لأهل معصيته . في الزمن السرمدي (٣) الذي لا يزول .

أتكونون كمن طرفت (٤) عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات . واختار

١ ، هذا الوصف تأكيد للمبالغة . كقولهم . ليلة ليلاء

٢ ، الخلاء . العقلاء .

(٣) السرمدي : الدائم .

(٤) طرف بصره : أطبق أحد حفيه على الآخر ، وطرفه عنه كضربه :

صرفه ورده .

الفانية على الباقية . ولا تذكر أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، هذه المواخير ^(١) المنصوبة ؛ والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر . والعسدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية ^(٢) تمنع الغواة عن دلج ^(٣) الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة . وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر . وتغضون على المختلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة . ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلما . ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم . حتى انتهكوا حرم ^(٤) الإسلام ثم أطرقوا وراكم . كنوسا ^(٥) في مكائس الريب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا .

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله . لين في غير ضمف ، وشدة في غير عنف ، وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى ^(٦) ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدير ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى

(١) المواخير جمع ماخور : وهو بيت الرية .

(٢) نهاية جمع ناه ، وغواة جمع غاو .

(٣) الدلج : السير من أول الليل .

(٤) الحرم جمع حرمة : وهي ما لا يحل انتهاكه ، روى الشعبي قال . لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ؛ فيقال لها . تادى ثلاثة أصوات ، فان أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع !

(٥) كنوس جمع كائس . أي مستتر كجلوس جمع جالس ، وأصله من كنس الظبي كضرب : دخل في كئاسه (كككتاب) وهو مستتره من الشجر ، ومكائس الريب : مكائنها المستترة جمع مكئس كجلوس .

(٦) الولي . السيد والمولى هنا : العبد

يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد ^(١) ، أو تستقيم لي قناتكم .

إن كذبة المنبر بلقاء ^(٢) مشهورة . فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ^(٣) فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها ^(٤) في . واعلموا أن عندى أمثالها . من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه ^(٥) . فايأى ودلج الليل . فاني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه . وقد أجاسكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإيأى ودعوى ^(٦) الجاهلية ، فاني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه .

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فن غرق قوما غرقاه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن

(١) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد ، خرجا في طلب إبل لأبيهما فوجدهما سعد فردها وقتل سعيد فكان ضبة إذا رأى سواذا تحت الليل قال سعد أم سعيد ؟
(٢) من البلق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل في الفرس إلى الفخذين والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والفرس البلقاء مشهورة لتمييزها عما سواها ببلقها .

(٣) في تاريخ الطبري ، وقال الشعبي فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه .

(٤) أى عدوها من عيوني واغتمزه طعن عليه .

(٥) في تاريخ الطبري ، وكان زياد أول من شد أمر السلطان ؛ وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة وجرد السيف بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا حتى أمن الناس بعضهم بعضا حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها وكان يقول لو ضاع جبل بني وبسدين خراسان علمت من أخذه .

(٦) قولهم . يا فلان ، والغرض : مناصرة العصية .

نبش قبراً دفناه حياً فيه . فكفوا عن أيديكم وألسنتكم ، أكفف عنكم يدي
ولساني ، ولا تظهر من أحد منكم رية بخلاف (١) ما عليه عامتكم ، إلا
ضربت عنقه .

وقد كانت بيني وبين أقوام لحن (٢) جملات ذلك دبراً (٣) أذن وتحت قدمي ،
فإن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مسيئاً فليزدد عن إساءته .
لأنى لو علمت أن أحدكم قد قتل السل من بغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك
له سترأ ، حتى يبدى لى صفحته (٤) ؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ،
وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدمونا سيسر ؛ ومسرور بقدمونا سيبتئس .
أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة (٥) ، نسوسكم بسلطان
الله الذى أعطانا ونزود عنكم بنى الله الذى خولنا (٦) ، فلنا عليكم السمع والطاعة
فيما أجبنا ، ولكم علينا العدل فيما رايينا ، فاستجبوا عدلنا وفيئنا بما وصحتكم لنا ،
واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة
منكم ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن إبانته (٧) ، ولا
بجراً (٨) لكم بعثاً .

(١) أى تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

(٢) جمع إحزة . وهى الحقد والضغينة .

(٣) أى خلف أذن ، وقد اقتبسها من كلام معاوية

(٤) أى حتى يجاهرنى بالعداوة

(٥) جمع ذائد أى مدافع

(٦) خولنا ، ملكنا ، والنهى : ما كان شمساً فينسخه الظل ، والخراج ، أى

ندفع عنكم بظل الله ونعمته التى وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار فى أيدينا من
أموال الخراج

(٧) أى وقته وموعده

(٨) جبر الجند حبسهم فى أرض العدو ولم يرجعهم

فادعوا الله بالصالح لاثمتكم ، فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى
إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك
غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب
لكم فبهم لكان شبراكم ، أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيته وفى أنفذ
فيكم الأمر فانفذه على أذلاله (١) ، وأهم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ،
فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى .

فقال لإليه عبد الله بن الأهم فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب ، فقال له : كذبت ، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه ، فقام
الأخنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنا لن نثنى
حتى نبلى ، فقال له زياد . صدقت . فقام أبو بلال مرداس (٢) بن أدية وهو
يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : وإبراهيم الذى وفى ، ألا
تزر وازرة وزرى أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنت تزعم أنك
تأخذ البرى بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدير ، فسمعها زياد فقال .
إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفا .

٩ - خطبة الحجاج وقد قدم البصرة

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفى لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق
ويتوعدهم فقال .

أيها الناس . من أعياه دأؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطال أجله فعلى أن
أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه ، وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره ، قصرت
عليه باقيه ، إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ، فمن سقمت سريرته ، صحت

(١) أى على وجوه وطرقه جميع ذل بالكسر ، وذل الطريق محجته ،
وأمر الله جارية على أذلالها ، أى مجاريها
(٢) هو من رؤساء الخوارج

عقوبته ، ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيق عنه الهلكة
ومن سبقته بادرة ^(١) فله ، سبق بدنه بسفلك دمه .

إني أنذرهم لأنظر ^(٢) . وأحذرهم لا أعذر وأنوعدهم لا أعفو . إنما
أفسدكم ترنيق ^(٣) ولا تكلم . ومن استرخى لبيه ^(٤) . ساء أدبه . إن الحزم
والعزم سلباني سوطي . وأبدلاني به سبني ^(٥) فقامه في يدي . ونجاده ^(٦) في عنقي
وذبابه ^(٧) قلادة لمن عصاني . والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب
المسجد فيخرج من الباب الذي ياليه . إلا ضربت عنقه

١٠ — من خطبة لأبي حمزة الشاري

وبلغ أبا حمزة ^(٨) الشاري أن أهل المدينة يعيرون أصحابه ، بحداثة أسنانهم ،
وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر وخطبهم خطبة منها :

(١) بدرت منه بادرة سبقت منه سقطة

(٢) أنظره : أمهله

(٣) الترنيق : الضعف في الأمر .

(٤) اللب . ما يشد في صدر الدابة لينع استئخار الرجل ، والمراد أن الموادة
أو اللين تفسد أدب الرعية .

(٥) أي أنه رأى من الحزم والعزم المبالغة في استعمال الشدة والقوة في التأديب
فطرح السوط واستبدل به ما هو أشد منه وهو السيف .

(٦) النجاد : علاقة السيف .

(٧) ذباب السيف : حده

(٨) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلي من أهل البصرة ، وهو من
رؤساء الخوارج (ويسمون الشراة كقصة جمع شار كقاض ، من شرى يشري
كرمى أى باع ، سموا بذلك لقولهم شريتنا أنفسنا في طاعة الله أى بعناها ووهبناها
أخذنا من قوله تعالى : ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، أو لقولهم
شريتنا الآخرة بالدنيا ، أى اشتريناها . وقد قاتل أهل المدينة ودخلها سنة ١٣٠ هـ

« وقد بلغنى أنكم تلتقصرون أصحابي أقانم هم شباب أحداث وأعراب جفأة ،
ويحكمكم ي أهل المدينة ا و هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله
المذكورون في الخير إلا شبابا أحداثا ؟ أما والله إني لعالم بتتابعكم فيما يضركم
في معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق أيديكم .

شباب والله مكتهلون (١) في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقية عالة عن
الباطل أرجلهم ، أنضاء (٢) ، عبادة ، وأطلاح (٣) سهر ، باعوا أنفسهم بموت غدا
بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل ، منجية أصلابهم على
أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر
بآية من ذكر النار شقق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض
ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال (٤) الليل بكلال النهار ،
مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم . من طول القيام : وكثرة الصيام . مستقلون
لذلك في جنب الله ، ووفون بههد الله منجزون لوعده الله

حتى إذا رآرأ سهام العدو وقد فوقت (٥) ، ورماحهم وقد أشرعت (٦) ،
وسيوفهم وقد انتضيت (٧) ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ،

(١) أى قد أحرزوا رزاة الكهول وسداد رأيهم

(٢) أنضاء جمع نضو بكسر النون : وهو المهزول

(٣) أطلاح جمع طالح وهو كفضو وزنا ومعنى

(٤) الكلال ، التعب والاعياء

(٥) فوق السهم جعل له فوقا (بالضم) وهو موضع الوتر من السهم أى

أعدت للرعى

(٦) أشرعت : سددت

(٧) انتضيت : استلمت

استخفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله ؛ ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتبية ،
ولقوا شبا (١) الأسنة ، وشائك السهام ، وظبات السيوف ، بنحورهم ووجوههم
وصدورهم ، ففضى الشباب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر (٢) جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير
السماء ، وتمرقت سباع الأرض . فطوبى لهم وحسن مأب .

فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ،
وكم من يد قد أبيئت (٣) عن ساعدها ، طالما اعتدد عليها صاحبها راکما وساجدا ،
وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق (٤) ، قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال :
آه آه على فراني الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحهم الجنان .

١١ — خطبة قطري (٥) بن الفجاءة في ذم الدنيا

صعد قطري بن الفجاءة منبر الازارقة (٦) لحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فاني أحذرکم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل

-
- (١) الشبا جمع شباة ؛ وهي حد كل شيء ؛ والظبات جمع ظبة ؛ وهي حد السيف
(٢) أصابه العفر بالتحريك وهو التراب .
(٣) أبيئت : فصلت .
(٤) عتيق : كريم .

(٥) هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة النديمي كان رئيس الخوارج مدة طويلة
ولذلك يقول الحريري في المقام السادسة : فقلدوه في هذا الامر الزعامة . تقليد
الخوارج أبا نعامة . وكان مقداما قوى النفس من الخطباء المشهورين وهو القائل .
وما المرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع

قتل سنة ٧٨ هـ ♦

(٦) الازارقة . طائفة من الخوارج ينسبون الى صاحب مذهبهم (عبد الله

بن الازرق) .

وتحببت بالعاجلة وعمرت بالآمال وتحلت بالاماني وازينت بالغرور ، لاتدوم (١)
 خبرتها ولا تؤمن بجمعها ، غدارة ضلالة ، وجائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكلة
 غوائل ، بذالة نقالة ، لانعدو اذا هي تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها
 أن تكون كما قال الله تعالى : كما أنزلناه من السماء فاخترنا به نبات الأرض فأصبح
 هشيما تذروه الرياح وكانت الله على كل شيء مقتدرا (٢) مع أن امرأ لم يكن منها
 في حبرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطنا ، إلا منبجته من ضررتها
 ظهرا ، ولم تطله (٣) فيها ديمة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء . وحرى اذا أصبحت
 له منتصرة ، أن تسمى له خاذلة متفكرة . وإن جانب منها اعذوب واحلولى أمر
 عليه جانب وأوى ، وإن لبس امرؤ من غضارتها (٤) ورفاهيتها (٥) نعا ، أرهقته
 من نوائبها نعا . ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم
 خوف ، غرارة غرور ما فيها ، فإن ما عليها . لاخير في شيء من زادها إلا التوى .
 من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه (٦) : كم واثق
 بها قد فجعته وذى طمانينة اليها قد صرعه وذى احتيال فيها قد خدعته ، وكم ذى
 ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا : وذى نخوة فيها قد ردته ذليلا ؛ وذى تاج قد كسبه
 لليدين وللنعم . سلطانها دول ؛ وعيشها رنق (٧) ؛ وعذبتها أجاج ، وحلوها مر
 وغذاؤها سم (٨) ، وأسبابها رمام ، وقطافها سلع (٩) . حبيها بعرض موت ،

(١) الحبرة : النعمة

(٢) طل المطر الأرض . نزل عليها ، والديمة . مطر يدوم في سكون بلا رعد
 ولا برق . والمزنة . المطرة أو السحابة ذات الماء .

(٣) الغضارة . النعمة والسعة والخصب .

(٤) الرفاهة والرفاهية . لين العيش .

(٥) أوبقه . أهله . (٦) الرنق . السكون .

(٧) السمام . جمع سم ، الرمام . البالى من الحبال

(٨) السامع : بقلة خبيثة الطعم أو شجر مر أو سم

وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام . مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب . وسليمها منكوب . وجامعها محروب (١) . مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، أستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح آثارا ، وأعد عديدا . وأكثف جنودا . وأعتد عتادا ، وأطول عمادا ؟ تعبدوا (٢) للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار وطمعوا عنها بالسكره والصغار . فهل باغضكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفسدية وأغنت عنهم فيها قد أصلتهم بحيلة ؟ بل قد أرهقهم (٣) بالفواحش . وضعضعتهم بالنوائب . وعقرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد (٤) اليها حتى طعنوا عنها لفراق الأبد . الى آخر الأمد . هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبهم إلا الندامة ؟

١٢ — نصيحة رجل هشام

وخرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأييت كاليوم ولا سمعت كاربعة كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملسك واستقامة رعتك . قال : ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها ؛ ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأنب للآمور بغتات (٥) فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : لحدثت بها الحديث المهدي وفي

(١) المحروب . المسلوب المال

(٢) العتاد : العدة وعتد : صار عتادا حاضرا .

(٣) يريد . خضعوا

(٤) أرهقه . حمله مالا يطيق (٥) أخلد اليه . مال

(٦) البغئات : جمع بغتة وهي المفاجأة .

يده لقمه قد رفعها الى فمه فأمسكها : وقال ويحك ! أعد على فقات : يا أمير المؤمنين أسخ (١) لقمته . فقال : حديثك أعجب الى .

١٣ — نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك . اني أكلت يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان ورأه إن قبلته ما تحبه . قال . هاته يا أعرابي فنحن نجود بسمة الاحتمال على من لا تأمن غيبته ولا نرجو نصيحته وأنت المأمون غيبا الناصح جيبا (٢) . قال فاني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا (٣) دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للأخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه

١٤ — وخطب الحسين لما عزم على الخروج إلى العراق :

الحمد لله . وما شاء الله ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على رسوله ، خط الموت على ولد آدم ، فخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولحنى على اسلاف اشتياق يعقوب الى يوسف . وخير لي مصرع أنا لا فيه . كائن بأوصالي يتقطعها عسلان القلوان بين النواويس وكر بلا قتملان منى أكر اشاجوفا . وأجربة شعنا . لا يحيص عن يوم نخط بالقلم رضا الله . ورضانا أهل البيت فنصبر على بلائه . ويوفينا أجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمة هي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه . وينجز لهم وعده ، ومن كان باذلافينا مهجته ، وموطنا على لقائنا نفسه فايرحل فاني راحل مصبحا إن شاء الله

(١) أساخ اللقمة . ابتلعها .

(٢) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أى أمين ، قال الشاعر .

وخشنت صدرا جيبه لك ناصح

(٣) ابتاع . اشترى .

وخطب غداة اليوم الذى استشهد فيه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد
أو بقى عليه أحد لسكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضا ، وأرضى بالقضاء ،
غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء لجديدها بال ، ولنعيمها معديحل وسرورها
مكفهر ، والمنزل تلة : ر الدار قلعة ، فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله
لعلمكم تفلاحون .

وصف الخطابة

في العصر الأموي

- ١ — كانت كل الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية تساعد إلى حد بعيد على ازدهار الخطابة ورفقها في العصر الأموي
- ١ — فالثورات السياسية والحروب والخلافات بين الأحزاب^(١) والمبادئ والعقائد كل ذلك عمل عمله في نهضة الخطابة وسموها
- ٢ — وقربهم من العصر الجاهلي أمدهم بسلامة الملكات وبلاغته القول وحصافة الرأي مما كان له أثره في الخطابة الأموية، وساعد على ذلك أثر القرآن وبلاغته في نفوسهم وألسنتهم
- ٣ — وغلبة الشعور الديني، وكثرة مجالس الوعظ وقوة العصبية؛ مما دعا إلى الخطابة واستلزمها
- ٤ — وكثرة الفتوحات الإسلامية في خراسان وشمال أفريقيا والاندلس كانت، عاملا من عوامل رفعة شأن الخطابة وكثرتها ونهضتها
- ٥ — وكثرة الوفود على الخلفاء والأمراء والولاة جعل الخطابة أداة القول ووسيلة البيان في هذه المقامات والأحوال، وبعث فيها روح الفتوة والقوة والحصافة إلى غير ذلك من الأسباب التي حفزت على الخطابة وساعدت على نموها وبلوغها هذه المنزلة العالية بين ألوان الأدب في العصر الأموي الخافل
- ب — وموضوعات الخطابة أو أغراضها في هذا العصر كانت كثيرة متشعبة، ولقد زادت موضوعاتها بما استجد في شؤون الدين والسياسة والاجتماع، ومن أهمها:

(١) وقد تعددت الأحزاب في العصر الأموي فمن شيعة وأمويين وخوارج

- ١ - استعمال الخطابة في الدعاية السياسية عند الفرق والأحزاب
- ٢ - استعمالها في الجدل الديني عند الخوارج والشيعة وسواهم
- ٣ - استعمالها عند الخلفاء والولاة والأمراء أداة للوعيد والإنذار
- ٤ - استعمالها في المناقشات والمفاخرات والمحاورات التي كانت تدور بين العصبية المختلفة في السياسة والاجتماع والآداب
- ٥ - استعمالها فوق ذلك في أغراض الجاهلية وصدر الاسلام من وصية بمعروف ونصيحة بخير وتحريض على القتال وتهمة بنصر وفي صلاة الجمعة والعبيد والحج إلى غير ذلك من المواقف

ج - وتمتاز الخطابة في العصر الأموي بما يأتي :

- ١ - ظهور النزعة الدينية في الكثير منها كما في خطبة قطري من الفجاءة وأبي حمزة الشامي وسواهما
- ٢ - كثرة أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والإنذار في الخطابة
- ٣ - اقتباسها من القرآن الكريم ثارة ومن الشعر الجاهلي أحيانا أخرى
- ٤ - التزامهم سب آل علي في خطب الأمويين السياسية والدينية ماعدا عمر بن عبد العزيز الذي أبدل ذلك وجعل مكان تنقص علي وآل بيته قوله تعالى : **« إن الله يأمر بالعدل والإحسان »**
- ٥ - ظهور أثر البلاغة الجاهلية بما فيها من إغراب وشدة وصلابة في خطابة هذا العصر (١)

(١) وكانت الخطب في هذا العهد تفتتح دائما بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه وعابوا على زياد بن أبيه تجريد خطبته التي خطبها أول دخوله البصرة واليا عليها من حمد الله والصلاة على نبيه وسموها : **« البتر »** ، لذلك .
ثم يفيض الخطيب في موضعه ثم يختتمها بقوله : **« أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »** وربما أعاد بعد ذلك الحمد لله والصلاة على النبي والدعاء للخليفة في الجمع والمواسم .

د - وقد بقيت هيئة الخطيب وعادات الخطابة كما هي وكما كانت في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وكان من سنة الخلفاء والولاة أن يخطبوا الناس بأنفسهم يوم الجمعة حتى جاء الوليد وكان كثير اللحن عي اللسان فأناوب عنه من يخطب الناس ومن ذلك الحين أخذت الخطابة تنزل عن مكاتها العالية وبدأت الكتابة تحتل مكانها الضخم وكانوا يحرصون في خطابتهم على التزيين بزي العرب والخطبة من قيام والاعتماد على قوس أو قائم سيف أو مخضرة ، وخطب الوليد بن عبد الملك جالسا فلم تستحسن منه ولا ممن خاكاه من بني أمية

ه - وعلى الجملة فقد بلغت الخطابة في هذا العصر منزلة عالية وحفلت بها النوادي والجمامع وقصور الخلفاء والأمراء وأماكن القضاء وميادين الحروب وذلك كله يرجع إلى سلامة الملكة وكثرة دواعي الخطابة وانتشار العصبية وما يشعر به العربي من أنفة وكبرياء

ونع في الخطابة الكثير من البلغاء والفصحاء والمقاول المصاقع من بني هاشم وفصحاء القواد والبلغاء كالحسين بن علي ، وحفيده زيد ، وكعاوية وعبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ، وكالحجاج ، وقتيبة بن مسلم وخالد القسري والمهلب بن أبي صفرة من ولاتهم ، وكعبد الله بن الزبير والمختار وابن الأشعث من الخارجين عليهم ، وكعمران بن حطان وقطري بن الفجاءة وأبي حمزة الابطاضي من الخوارج ، وكصمصمة بن صوحان وسحبان بن وائل من رؤساء القبائل ، ومن خطباء الأمصار ممن أدرك الدولتين الأموية والعباسية كخالد بن صفوان وعقال بن شبة .

ثانيا - الكتابة

في عصر بني أمية

نماذج للكتابة .

١ - كتب معاوية بن أبي سفيان الى ابنه يزيد وقد بلغه مقارفته ^(١) للذات وانهماكه في الشهوات .

أما بعد فقد أدت السنة التصريح الى أذن العناية بك ، ما فجع الأمل فيك ، وباعد الرجا منك ؛ إذ ملأت العيون بهجة ، والقلوب هيبه ، وترامت ^(٢) إليك آمال الراغبين ، وهمم المنافسين ، فسخت بك فتیان قريش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة الموهوعة ^(٣) ، والسكظ الجشء ^(٤) ، اقتحمت البوائق ^(٥) ، وانقدت إلى المعابر ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ، فليتك - يزيد - إذا كنت لم تكن ، سررت يافعا ناشئا ؛ وأثقلت كهلا ضائعا ^(٦) . فواحرزناه عليك يزيد ! وياحرصدر المشكل بك ، ما أشمت فتیان بنی هاشم ! وأذل فتیان بنی عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فن

(١) قارف الذنوب ، قاربها وخالطها

(٢) ترامت إليه العيون تطلعت

(٣) الجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية وكذا غيره من النعم والموهوعة

من دوعه أى قياه وهذا تمثيل يقول لأنهم يستثقلون ذكرك

(٤) السكظ الامتلاء من الطعام والجشء الكثير وهذا تمثيل أيضا

(٥) البوائق جمع بائقة وهى الداهية

(٦) الضائع والضاليع القوى

لصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيأته ، نخشت (١) الدربة (٢) وجهه التصير بك ، وأبت الجناية إلا تحذرا على الألسن وحلاوة على المناطق ، ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة اتهمزوها انتبه ، يزيد ، للعظة ، وشاور الفكرة ، ولا تكن الى سمعك أسرع من معناها الى عقلك ، واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرفة السلطان ، بما حسن قبجه واحلولى عندك مره ، أمر شركك فيه السواد (٣) ونافسك الالعبد ، فاضعت به من قدرك وأمكنك به من نفسك فمن لهذا كله :

اعلم يا يزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى . أتنبون بكل ربيع آية تعشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (٤) وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرًا اعلم يا زيد أن أول ما سلبك السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهى الجراحة العظمى ، والفتحة الكبرى ترك الصلوات المفروضة فى أوقاتها ؛ وهى من أعظم ما يحدث من آفاتنا ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر . فلا تأمن نفسك على سر ، ولا تعقد (٥) على فعلك فما خير لذة تعقب الندم ؛ وتعنى (٦) الكرم ؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ، ترشد إن شاء الله تعالى وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردا من نومه فقد أصبح نصيب (٧) الاعتزال من كل مؤانس ، ودريئة (٨) الألسن الشامتة . وفقك الله فأحسن

(١) خش لطم (٢) الدربة التجربة

(٣) السواد العامة

(٤) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة قطرى

(٥) يقول تفقد بالشراب الارادة والمزيمة

(٦) تعفى تذهب (٧) النصب هنا الغرض والهدف

(٨) الدريئة الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها

٢ - كتاب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة
ولما أوى الحجاج العراق ، استنفر الناس لقتال الخوارج منع المهلب بن أبي
صفرة ، وخرج المهلب في آثارهم ، ونشب بينه وبينهم القتال فأنكشفوا وقد كثر
فيهم القتل والجراح .

وكتب الحجاج إلى المهلب من قبل الرقعة :

« أما بعد : فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
ولم يأتك وأنا أرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبلي ،
واخترتك وأنت من أهل عمان ^(١) ، ثم رجس من الأزد ، فأنكفهم يوم كذا في
مكان كذا ، وإلا أشرعت ^(٢) إليك صدر الرمح . »

فشاور بنيه ، فقالوا : إنه أمير ، فلا تغاظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب :

« ورد على كتابك تزعم أنني أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز ، وزعمت أنك وليتني
تري مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبلي ، ولو وليتهما
لكانا مستحقين لذلك ، في فضلتهما وغنائهما ^(٣) وبطشهما ، واخترتني وأنا رجل
من الأزد ، ولعمري إن شرا من الأزد لقبيلة ^(٤) نازعها ثلاث قبائل لم تستقر
في واحدة منهن ، وزعمت أنني إن لم أنكفهم في يوم كذا في مكان كذا ، أشرعت
إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقبلت إليك ظهر المجن ^(٥) ، والسلام . »

(٢) أشرعت : سددت .

(١) عمان : بلد باليمن .

(٢) أي كفايتهما .

(٤) يعني قبيلة ثقيف . قبيلة الحجاج ، فهي متنازعة بين هوازن وإباد وثمود .

(٥) المجن : الترس ، وقلب له ظهر المجن : كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه

على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك ، أي أسقط الحياء وفعل ماشاء .

٣ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكان عروة بن الزبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به أن الحجاج يجمع على مطالبته بالأموال التي بيده وعزله عن عمله ، ففر إلى عبد الملك وعاد به خوفاً من الحجاج ، واستدفعاً لضرره وشره ، فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فإن لواء^(١) المعترضين بك ، وحلول الجائحين إلى المسكت بساحتك واستلاتهم دمك^(٢) ، أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض^(٣) المبرق لأعدائه لا يعدم له شائماً^(٤) ، رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال ، والناس عبيد العصا ، هم على الشدة أشد استباقاً منهم على اللين ، ولذا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله ، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام فلما قرأ الكتاب بعث إلى عروة ثم قال له ، إن كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى إلا إشخاصك^(٥) إليه ، ثم قال لرسول الحجاج ، شأنك به ، فالتفت إليه عروة مقبلاً عليه وقال ،

« أما والله ما ذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتموه ! والله لئن كان الملك بجواز الأمر ونفاذ النهي إن الحجاج لسلطان عليك ، ينفذ أموره دون

(١) لاذ به لوذا ولواذا ولياذا : لجأ إليه وعاد به ، وفي الأصل ولوذان ، ولم نجده في كتب اللغة مصدراً ؛ وإنما الذي فيها ، ويقال هو بلوذان كذا بفتح اللام وسكون الواو أى بناحية كذا ، ومعناه هنا غير مناسب ، ولذا جعلناه (لواذا) .

(٢) دمك دمناً كفرح فهو دمك : لان وسهل ، والدمانة : سهولة الخلق .

(٣) العارض . السحاب المعترض في الأفق .

(٤) شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يخطر

(٥) أى إرسالك .

أمورك إنك تريد الأمر يزنيك عاجله ، ويبقى لك أكرومة (١) آجله ، فيجذبك
عه ، ويلقاه دونك ، ليتولى من ذلك الحكم فيه ، فيحظى بشرف عفو إن كان ، أو
بجرم عقوبة إن كانت ، وما حاربك من حاربك إلا على أمر هذا بعضه ،
فنظر في كتاب الحجاج مرة ، ورفع بصره الى عروة تارة ، ثم دعا بدواة
وقرطاس ، فكتب اليه :

و أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك - مع ثقته بنصيحتك - خابطا في السياسة
خبط عشواء (٢) الليل ، فإن رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا ، هو
الذي أخرج رجالا للرب الى الوثوب عليك ، وإذا أخرجت العامة بعنف
السياسة وكانوا أوشك (٣) وثوبا عليك عند الفرصة ، ثم لا يفتنون الى ضلال
الداعي ولا هداه ، إذا رجوا بذلك ادراك النار منك ، وقد وليت العراق قبلك
ساسة ، وهم يومئذ أحى أنوفا ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح
منك عليهم ، وللشدة واللين أهلون ، والأفراط في العفو أفضل من الأفراط في
العقوبة ، والسلام ؟

٤ - وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب
بسم الله الرحمن الرحيم :

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ولو احتمل
الكتاب أكثر مما ضمته لودت فيه وبقية الأصاغر على الأكبر من شيم الأكارم
ولقد أحسن مسكين الدرايم حين قال

أخاك أخاك أن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهص البازي بغير جناح

-
- (١) الأكرومة أفعل السكرم ، أفعولة من السكرم كأعجوبة من العجب
(٢) العشواء ، النساقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء
(٣) أى أسرع

وصف الكتابة في العصر الأموي

١ - علمتم أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم الف بالكتابة ولا معرفة لها وفي صدر الاسلام انتشرت الكتابة بتشجيع الرسول وخلفائه للحاجة إليها في تصريف شئون الدولة ومرافقها وتنظيم الدواوين المختلفة وأول من عنى بالكتابة في أعمال الخلافة والدولة عمر بن الخطاب فاتخذ ديوان الجيش يدون فيه أسماء الجند وأنسابهم وأعطيانهم فكان أول من دون الدواوين من الخلفاء وكان يقول لكتابه : « إن القوة على العمل لا تؤخروا عمل اليوم لغد فانكم إذا فلتتم ذلك تضاءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدءون » وأياها تؤخرون ، كما أنشأ عمر ديوان الخراج ويشبهه وزارة المالية الآن وكان كل عمله حساب إيراد الدولة أو الأقليم ومصروفاتها وليس فيه عناية بأسلوب الكتابة ويلاغتها

وكانت الكتابة في أظهارها في عصر صدر الإسلام بسيطة يغلب عليها عدم الصنعة أو التكلف وتشجع فيها السهولة ويغلب عليها الإيجاز . لأثر فيها للتوق وتهديب الأساليب والحرص على الصنعة . وقد سبق تفصيل ذلك

٢ - وجاء العصر الأموي والكتابة على ما علفت فأنشأ معاوية ديوان الخاتم لتسجيل رسائل الخلافة حتى لا يطلع عليها أحد سوى المرسل إليه كما أنشأ ديوان الرسائل ويشبهه نظام الديوان الملكي الآن وكان خاصاً بكتابة رسائل الخليفة وكان يكتب له على الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني ويكتب له على ديوان الخراج سرجون الرومي بالخط الرومي إلى أن نقلت دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية على يد صالح بن عبد الرحمن في أيام الحجاج ، ومن الرومية

(١) وفي الأعاني ١٦٤ / ٢ : كان الرجل في الجاهلية إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً ساجحاً رامياً سموه الكامل ، وأظن أن هذه الرواية مختلفة لندرة الكتابة في العصر الجاهلي .

إلى العربية على يد سليمان أيام عبد الملك ثم نقلت في مصر من القبطية إلى العربية زمن الوليد فأصبحت لغة الدواوين كلها عربية وبعد فلا يعنينا هنا الكتابة في ديوان الخراج أو ديوان الخاتم لأن الكتابة فيهما ليست موضع بحث الأدب وعنايته لأنها لا تعتمد على الأسلوب الفني البليغ .
ولانما الذى يعنينا من الكتابة هو :

- ١ — ما كان يصدر عن ديوان الرسائل من الكتب البليغة الصادرة عن قصر الخلافة أو الإمارة إلى الولاة والقواد ورجال الدولة والعمال .
- ٢ — ما كان يكتبه الكتاب والأدباء من الرسائل البليغة المختلفة في الأدب والاجتماع والسياسة والرسائل الاخوانية .
- ٣ — ما كان يصدر من الخلفاء والولاة من توقععات أدبية بليغة .
فهذه الألوان هي من أهم مظاهر الكتابة الفنية التي يعنى الأدب بالحديث عنها والكتابة في العصر الأموي تنقسم إلى عهدين .
- أ — العهد الأول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان الكتابة فيه تسير على نمط صدر الاسلام من الإيجاز والوضوح والسهولة والبساطة وقلة التكلف أو الصنعة . وكانت تصدر غالباً عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين رسائل الولاة .

ب — العهد الثانى من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة وقد أخذت الكتابة في هذا العهد تتدرج في التأنق وأساليب البيان والصنعة والاطناب وكان زمام الكتابة بأيدي الموالى وأولهم سالم مولى هشام بن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب وابن المقفع فاحتفلوا بالكتابة وتأنقوا فيها وظهرت عليها الصنعة وغلب عليها الاطناب وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التي كانت للخطابة والفضل في ذلك راجع إلى ما يأتى :

أولاً . اتساع أعمال الدولة وديوان الرسائل مما استدعى العناية بالكتابة والكتاب .

ثانيا : ضعف الممتلكات من أثر الاختلاط فقل الحرص على الخطابة وأخذت الكتابة في الظهور والذبول :

ثالثا : عناية الكتاب بالكتابة وجعلها صناعة فنية عتيقة مع تعدد ثقافتهم الدينية والعربية والأدبية والأجنبية .

رابعا : ذبول الكتابة والثقافة وألوان من المدنية .

٥ - وأنواع الكتابة في هذا العصر هي كتابة الرسائل السياسية التي تصدر عن ديوان الرسائل ، والرسائل الاخوانية في العتاب والشوق والشكر والتهنئة وسواها ، والتوقيعات .

تحول الكتابة إلى صناعة فنية .

كان كثير من الكتاب والموالي يعرفون اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثره في النثر ، من عهد الرسول صلوات الله عليه . فزيد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كسرى والرومية من صاحب النبي والحشوية من خادم النبي والقبطية من خادمه ^(١) ، وتعلم السريانية بأمر الرسول ^(٢) ، وأبو العلاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل ونقل رسائل أرسطو إلى الاسكندر ^(٣) مما يدل على معرفته بلغة غير اللغة العربية ، وكان جبلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارس إلى العربي ^(٤) ، وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية فقد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان

(١) ٦ > ٣ الجعد

(٢) ٧٣ الادب الاسلامي لمحمود مصطفى

(٤) ٣٤٢ فهرست

(٣) ١٧١ فهرست

العربي ، (١) ، وهو أول من نقلتة ليدالفرس إلى الكتابة العربية ، (٢) ؛ وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة . ومن ذلك يظهر بوضوح أثر الثقافات والآداب الفارسية على الخصوص في تطور الكتابة والنثر الفني في أدب لغتنا العربية .

وعبد الحميد الكاتب هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسيل وعنه أخذ المترسلون (٣) ، وهو أحد كتاب القرن الثاني الذين فهموا (العصول) كما كان يفهمها علماء البيان من اليونان (٤) ، وهو أول من فتق أحكام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر (٥) ، وآلت إليه زعامة الكتابة فهد سبيلها ووضح معالمها ورسم لها رسوما خاصة في بدئها وختامها والأطناب فيها مرة والايجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب (٦) وبحق لقد بدأ فن الكتابة بعبد الحميد كما يقولون (٧) ثم ازداد أثر الفارسية في النثر الأدبي فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامية والغزل بالذكر (٨)

(١) ٦٩ صناعتين ، ٢/ ٨٩ ديوان المعاني

(٢) ١/ ٥٧ النثر الفني وما بعدها (٣) ٧٠ : فهرست

(٤) ص ١٠ مقدمة نقد النثر (٥) ٣/ العقد

(٦) ٢٩ العصر العباسي الملائكة ندرى ، راجع في ذلك ١١٣ تاريخ الأدب

العربي للزيات ، وقد توفي عبد الحميد عام ١٢٢ هـ ، وله من الآثار الأدبية : رسالة

إلى الكتاب [١٧٢ — ١٧٥ رسائل البلغاء] ، ورساله في الشطرنج [١٦٤ —

١٦٦ المرجع ، ورسالة في نصيحة ولي العهد [١٣٩ — ١٦٤ المرجع] ، وكلمات

ورسائل أخرى [١٦٦ — ١٧٢ المرجع]

(٧) راجع ١٩٤ التوجيه الأدبي ، والنقاد يقولون فتحت الكتابة بعبد الحميد

وختمت بابن العميد

(٨) راجع ١٤٧ — ١/ ١٦٢ النثر الفني والغزل بالذكر أظهر في الشعر منه

في النثر

ثم ظهر ابن المقفع م ١٤٣ هـ ، وأحدث أثره في النثر الأدبي وفي تطوره
كان ابن المقفع من عنصر فارسي ، وهو أحد النقلة من الفارسية ^(١) إلى العربية
وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية ^(٢) إلى العربية ، والصحيح أن الذي
قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذي كان كاتب المنصور لأبوه ^(٣)
وابن المقفع هو إمام المنشئين في آخر الدولة الأموية وأول الدولة العباسية ،
وكان إمام الكتاب بعد عبد الحميد : وقد آخى ابن المقفع في طريقته بين التفكير
الفارسي والبلاغة العربية ، وكان مقدما في بلاغة اللسان والنظم والترجمة واختراع
المعاني وابتداع السير : فأدبه وإن كان عربي اللفظ والاسلوب فهو أعجمي الفكر والتأليف
فقد استخلص من الاسلوب الفارسي والعربي طريقة عرفت به وأخذت عنه ^(٤)
وتظهر مزجه في ترتيب أفكاره وحسن تقسيمها ، ويغلب على أسلوبه القياس
المنطقي وتصوير الأفكار الدقيقة ، في حين يغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة
العربية كما تشيع في آثاره الحسنة يروضها بعدوثة ألباطة وسلاسة أسلوبه ، وحقا
لقد كان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو
الأسلوب وهو أكثر كتاب عصره تأثقا في صوغ الجملة ، وكان يقوم في
النثر بما كان يقوم به زهير في الشعر ، وهو أحد الكتاب الذي لم يلتزموا
السجع ^(٥) فكان في كلامهم قليلا ولكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ

(١) ٧٢ فهرست

(٢) ويقول ابن النديم : وكتاب المقولات لأرسطو فسرّه ابن المقفع (٣٤٨
فهرست) ، ويقول : وكتاب العبارة لأرسطو اختصره ابن المقفع (٣٤٨ فهرست ،
١٠ ابن المقفع لمردم بك) ، ويقولون : وابن المقفع أول من أعتنى في المسألة
الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور (٣٨ ابن المقفع لمردم بك)

(٣) ١٠٥ - ١٢٠ التراث اليوناني لعبد الرحمن البديوي

(٤) ٢٢٢ الزيات

(٥) ١/٧١ النثر الفنى

في الفصول والمقاطع إلا في مواضع يسيره (١)، وقد اهتموا ببسط المعاني وتأكيد ما تركوا مذهب الأيجاز الذي كان شائنا في القرن الأول إلى الاطناب والايضاح وتنويع العبارة وتقطيع الجملة والمازوجة بين الكلمات وتوخي الافهام، وابن المقفع أول من افسح مجال الأدب العربي بالترجمة، فهو الذي ترجم كتيبة ودمنه ترجمة، ثم عن جهد بذله المترجم في تحرير الخصائص الهندية الصميمة التي للكتاب الأصلي (بننشا ننرا) ليجمعه ملائما للذوق العربي وأضاف إليه فصولا جديدة في مواضع مختلفة (٢)

ومع أن ابن المقفع فارسي الأصل إلا أنه كان ابلغ البلغاء وكان معدودا من أساطين الفصاحة العربية. على أن هناك فوارق واضحة بين أسلوبه وأسلوب من قبله من الخطباء بلغته وتركيب جملة كلاهما أدنى إلى البساطة، وأسلوبه أكثر مباشرة واستقامة وأقل تليخا وإشارة، والاتجاه إلى ما في الفسارى من القوة الخيالية والمقدرة اللغوية يصل في كتابته إلى ما يقرب من العدم، كما أن ازدواج الفواصل يكاد يكون ليس له عنده وجود. وبدلا من التصوير اللفظي القوي والالفاظ الطنانة؛ يعتمد ابن المقفع في استحداث روعة أسلوبه على استخدام العبارات المصقولة الجلية

وعلى الرغم من أن ابن المقفع كان يبنى على الأساس الذي وضعه الكتاب، لم يكن أسلوب النثر العربي قد تطور بعد تطورا كاملا، حينما كان يعالج

(١) ١٦٧ سر الفصاحة. ولا تكاد تجد كتابا في القرن الأول والثاني وأوائل الثالث يتخذ السجع طابعا ملازما لنثره، وقد كان السجع كثيرا في الجاهلية وغلب على النثر في عصر النبوة ثم أخذ سلطانه يضعف قليلا في العصر الأموي ولكنه عاد يسترد قوته في أوائل القرن الثالث

(٢) ولابن المقفع آراء كثيرة متفرقة في البلاغة (راجع: ١/٩١ البيان، ١٥ - ١٧ ضاعتين، ويرى له: البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صور الحق (٥٣ ضاعتين) والصحيح أن ذلك للعتابي (١/٩٠، البيان)

موضوعات جديدة ويعبر عن المعاني المجردة التي لم يكن لها بعد اصطلاحات ثابتة في اللغة المتداولة كان مضطرا إلى ابتكار ألفاظ ومصطلحات من عنده لتؤدي تلك المعاني. على مثال ما يفعل كثير من كتابنا المعاصرين إذ يحاولون التعبير عن الأفكار الحديثة باستخدام تراكييب جديدة. ويدل تاريخ جمع الآداب على أن ابتكار أسلوب نثرى متصرف قوى التعبير أصعب بكثير من ابتكار أسلوب شعري وإن الأول يحتاج إلى وقت طويل وبعد فإن الموالي من أبناء الفرس والروم ومن ورثة الثقافة الفارسية والاعريقية والرومية

كان لهم أثرهم البعيد في تحويل الكتاب إلى صناعة فنية عتيقة لها منهجها وأسلوبها وطريق أدائها ولها نظامها في البدء والختام وتكرار التعميد في فصول الكتاب والتوسع في الأسلوب والإطناب فيه بالترادف وغيره من ألوان الإطناب وفي عهد سالم وعبد الحميد قلل الكتاب من استعمال الغريب والوحش من الألفاظ في كتابة الرسائل، وتجنبوا التعقيد وتباعد الأفكار، فاشتدت الصلة بين كل جملة وما يليها، فقلل الاقتضاب والاعتراض بين أجزاء الكلام بأجنبي.

ثانياً - التوقيعات

هو لون ألوان الكتابة الادبية دعت حاجة الدولة والخلافة اليه وكان مظهره هذه التوقيعات الموجزة التي يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمالهما على ما يرفع اليهم من شكايات ومظالم أو مطالب وحاجات . وقد وجد التوقيع في عصر صدر الاسلام وسبق أن ذكرنا لك أمثلة من توقيعات أبي بكر وعمر وعثمان وعلى (١)

ولما زاد عمران الدولة اتساعا وكثرت مطالب العيش والحياة والسياسة في عصر بني أمية كثر ما يرفع إلى الخلفاء والولاة من شكايات ومطالب وكثرت التوقيعات تبعاً لذلك وصار فيها القوم على نهج البلاغة والذوق مع الإيجاز . نماذج من التوقيعات :

وقع معاوية : نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع
وكتب اليه الحسن بن علي فأغلاظ فوقه في كتابه : ليت طول حللنا عنك
لا يدعوا إلى جهل غيرنا إليك
ووقع سعيد بن العاص في كتاب لزياد يخطب اليه فيه : كلا إن الانسان ليطغى
أن رآه استغنى

(١) ويرى أن أول توقيع عرف كان لعمر حين كتب اليه سعد بن د ابن ما يكتك من المؤاجر وأذى المطر . ووقع لعمر بن العاص : د كن لرعيثك كما نحب أن يكون لك أميرك . والصحيح أن لابي بكر توقيعات مروية عنه هذا ومن معاني التوقيع في اللغة : الإصابه ، والرمى لاتباعده ، كأنك تريد أن توقعه على شيء .

والدبر الذي يكون في ظهر الدابة ويقال بعير موقع ، وإقبال الصيقل على السيف بميقته مجلوه . وفي الاصطلاح أن يكتب على حواشي الكتاب أو القصة المرفوعة إلى السلطان ما يفيد الاطلاع عليها وإيراد الرأي فيها

ووقع يزيد في كتاب لعبد الله بن جعفر يستوهمه جماعة من أهل المدينة : من عرفت فهو آمن

ووقع عبد الملك في كتاب للحجاج : كافيه أهل العراق إلى الخليفة : أرفق بهم فإنه لا يكون مع الرق ما تكره ومع الخرق ما تحب
ووقع في كتاب رجل استصحه : إن كنت صادقاً أميناك وإن كنت كاذباً عاقبتك وإن شئت أقتلك

ووقع معاوية بن أبي سفيان لما كتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة بأثنى عشر ألف جذع : أدراك في البصرة أم البصرة في دارك
ووقع يزيد بن معاوية لما كتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل الحيرة فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس على القوم الفاسقين

ووقع عبد الملك بن مروان لما كتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ويستأذنه في قتل أشرفهم فوقع له : إن من يمن السائس أن يتألف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون ، وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى

ووقع سليمان بن عبد الملك لما كتب قتيبة بن مسلم إليه يتهدده بالخلع فوقع في كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا أبشر بطول سلامة يا مربع
ووقع عمر بن عبد العزيز لما كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ، وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوى الله ، وإلى عامله على الكوفة وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

ووقع زياد في قصة منظم : كفيت
وفي قصة رجل شكل إليه عقوب ابنه : ربما كان عقوب الولد من سوء تأديب الوالد

الاجوبة والمجاوبات والملفاخرات

بماذج لها :

١ - أبو الأسود الدؤلى وزوجه :

كان أبو الأسود الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قریش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إن الله جعلك خليفة في البلاد ، رقيباً على العباد ، يستسقى بك المطر ، ويستنبت بك الشجر وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف (١) ، فأنت الخليفة المصطفى والامام المارتضى ، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير (٢) ، قد ألجأنى إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه المخرج ، لأمر كرهت عاره (٣) ، لما خشيت إظهاره ، فليصفى أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بعقوته (٤) من العار الويل ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ، ذات البعول الأجاثر (٥) .

فقال لها معاوية : ومن بملك هذا الذى تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر (٦) ؟ فقالت أبو الأسود الدؤلى .

(١) الجانف : المسائل . (٢) تعذير : نقص .

(٣) تكنى بذلك عن طلاقها .

(٤) العقوة : ما حول الدار .

(٥) للبعول . جمع بعول وهو الزوج والأجاثر . جمع أجور تفضيل من جار .

(٦) شهره كمنعه وشهره : أظهره في شناعة .

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود :
هي تقول من الحق بعضاً ، وإن يستطيع أحد عليها نقضا ، أما ما ذكرت من
طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين
ما طلقتهما عن ريبة ظهرت ، ولا لآى هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ،
فقطعت عنى حبالها .

فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك مبهجها على بحواب عتيد ^(١) ، ولسان شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال
أبو الأسود يا أمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب ^(٢) مهينة للاهل
مؤذية للبعل ، مسيئة إلى الجار ، مظهرة للعار ، إن رأيت خيراً كتتمته ، وأن رأيت
شراً أذاعته .

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ،
لرددت عليك بوادركلامك ، بنوافذ أقرع بها كل ^(٣) سهامك ، وإن كان لا يحمل
بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته ، فقالت : يا أمير المؤمنين ماعلمته إلا
سئولاً جهولاً ، ملحاً بخيلاً ^(٤) ، إن قال فشر قائل ، وإن سكت فذو دغائل ^(٥)
ليث حين يأمن ، وتغلب حين يخاف ؛ شحيح حين يضاف ، إذا ذكر الجود انقمع
لما يعرف من قصر رشائه : ولؤم آباته ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظ

(١) عتيد : حاضر .

(٢) الذرب : حدة اللسان .

(٣) يقال كل السيف إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل .

(٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نوادر .

(٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة دخل في الأمر مفسد .

جاراً ، ولا يحصى ذماراً ، ولا يدرك ثاراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه .^(١)

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتى به هذه المرأة من السجى ! فقال أبو الأسود أصلح الله ألبير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : إذا كان رواحاً^(٢) فتعالى أفسل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعهما ابنتها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينزع ابنه منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود ، لا تميجل المرأة أن تنطق بحجتها .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود دعها تفل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله . فقالت . صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفأ ، وحملته ثقلا ، إن بطنى لوعاؤه ، وإن ثدي لسقاؤه وإن حجرى لفناؤه . فقال معاوية . سبحان الله لما تأتى به ، ثم قال لأبي الأسود إنها قد غلبتك فى الكلام ، فتكلف لها أبياتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ يقول .

مرحباً بالتي تجور علينا ثم سهلاً بالحامل المحمول
أغلقت بابها على وقالت : إن خير النساء ذات البعول
شغلت نفسها على فراغاً هل سمعتم بالفارغ المشغول
فأجابته .

ليس هن قال بالصواب وبالحق كمن جار عن منار السبيل
كان ثدي سقاه حين يضحى ثم حجرى فناؤه بالأصيل
لست أبغى بواحدى يا بن حرب بدلا ما علمته والخليل^(٣)
فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى .

(٢) نريد بالخليل محمد رسول الله .

٢- ودخل ^(١) صمصمة ^(٢) بن صوحان على معاوية رضي الله عنه أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقال له معاوية : من الرجل ؟ قال من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احترش ^(٣) ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لقي اقترش .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيـل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ^(٤) ، وإذا أدرك أراضى ، وإذا أنضى ^(٥) .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من جديلة . قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد ^(٦) ، ويعد الجياد ، ويجيد الجلال .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من دعى . قال : وما دعى ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشراً قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى : قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات ^(٧) ، ويكثر الغارات ، ويحمي الجارات .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ، جحاجة ^(٨) قادة ، صناديد سادة .

(١) بلوغ الأرب ص ٢٠٥ ج ٣ ، صبح الأعشى ص ٢٥٤ ج ١ ، مروج

الذهب ص ٧٧ ج ٢ ، الأمالى ص ٢٣٠ ج ٢

(٢) صمصمة بن صوحان . كان خطيباً بليغاً عاقلاً له شعر ، شهد صفين . مع

على وله مع معاوية مواقف ، ومات نحو سنة ٦٠ هـ

(٣) احترش . جمع وكسب

(٤) أفضى إلى الشيء . وصل

(٥) أنضى بعيره . هزله ، وثوبه أبلاه

(٦) النجاد . حمائل السيف .

(٧) القارات ، جمع قارة ، وهى للجبل الصغير

(٨) جحاجة . جمع جحجج . السيد

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان
ذا رماح مشرعة ، وقدور مترعة ^(١) ، وجفان مفرغة
قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من لكيز . قال ومالكيز ؟ قال : كان يباشر
القتال ، ويمانق الأبطال ، ويبدد الأموال
قال : فمن أى ولده أنت . قال : من عجل قال : وما عجل ؟ قال : الليوث
الضراغمة ^(٢) ، الملوك ^(٣) القباقي ، القروم القشاعة ^(٤)
قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال : كان
يسعر ^(٥) الحرب ، ويجيد الضرب ، ويكشف السكرب
قال : فمن أى ولده أنت ، قال : من مالك . قال : وما مالك ؟ قال : اللهمام
للهمام ، والقمةقام للقمةقام .
قال معاوية . والله ما تركت لهذا الحى من قريش شيئاً ؟ قال : بل تركت
أكثره وأحبه . قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوبر والمدر ^(٦) والأبيض
والأصفر ، والصفاء المشعر ^(٧) والقبة والفخر ، والسرير والمنبر ، والملك
إلى المحشر .
فقال : أما والله لقد كان يسومنى أن أراك أسيراً . فقال ، وأنا والله لقد كان
يسومنى أن أراك أميراً ، ثم خرج ، فبعث إليه فرده ، ووصله وأكرمه

(١) مترعة . مملوءة

(٢) جمع ضرغام . الأسد

(٣) جمع ققام . السيد

(٤) القرم السيد ، والقشعم . الأسد أو الرجل المسن (ويقصد المجرب)

(٥) سحر الحرب . أو قدما

(٦) كناية عن البادية والمدن

(٧) المشعر . موضع مناسك الحج

وقال: عبد الملك (١) بن مروان يوماً لجلسائه. خبروني عن حى من أحياء العرب فيهم أشد الناس، وأسخى الناس، وأخطب الناس، وأطوع الناس فى قومه، وأحلم الناس، وأحضرهم جواباً.

قالوا: يا أمير المؤمنين: ما نعرف هذه القبيلة، ولكن ينبغى أن تكون فى قریش اقال: لا اقالوا: فى حمير وملوكها اقال: لا. قالوا: فى مضر ا قال: لا.

قال مصقلة بن رقيه العبدى. فهى لذن فى ربيعة؛ ونحن هم. قال. نعم. قال جلساؤه. ما نعرف هذا فى عبد القيس، إلا أن نخبرنا به يا أمير المؤمنين.

قال. نعم! أما أشد الناس لحكيم (٢) بن جبلة: كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقطعت ساقه، فضمها إليه، حتى مر به الذى قطعها فرماه بها، فألقاه عن دابته، ثم جثا إليه فقتله، واتكأ عليه، فر به الناس، فقالوا. يا حكميم، من قطع ساقك؟ قال. وسادى هذا! وأنشأ يقول:

يا ساق لا تراعى
لرب معنى ذراعى

أحى بها كراعى (٣)

وأما أسخى الناس فعبد الله بن سوار، استعمله معاوية على السند فسار إليها فى أربعة آلاف من الجند، وكانت توقد معه نار حيثما سار فيطعم الناس، فبينما هو ذات يوم، إذا أبصر ناراً، فقال: ما هذه؟ قالوا. أصلىح الله الأمير

هـ العقد ص ٢٣٢ ج ٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهاتهم، استعمله معاوية على المدينة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦ هـ

(٢) حكيم بن جبلة صحابى، اشترك فى الفتنة أيام عثمان، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب على وقتل فى هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ

(٣) الكراعى: اسم يجمع الخيل والسلاح.

اعتل بعض أصحابنا ، فاشتبهى خبيصاً (١) ، فعلينا له : فأمر خبازه ألا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصاح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم ، فسمى مطعم الخبيص !

وأما أطوع الناس في قومه فالجارود (٢) بن بشر بن العلاء ، لأنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ؛ فاستمسكوا بأيديكم ، فنذهب له في هذه الردة دينار أو درهم ، أو بعير أو شاة ، فله على مثله ، فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان ، دخل على معاوية في وفد أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر . قد متم على خير أمير يبر كبيركم . ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلفاء عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام ، فحمد الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدر الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر وإليها المحشر فلعمري ما ينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمننا ، وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلفاء عقلاء ، فقد ولد لهم خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الخليم والسفيه ، والجاهل والعالم !

وأما أحلم الناس فإن وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرقه رسول الله ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ،

(١) الخبيص : الطعام من النمر والسمن

(٢) هو ابن بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك

الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

ثم قال : يا أشجع ، أدن مني ؛ فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله :
الإنابة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً !

٤ وروى (١) أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن
الزبير جلس لعرض أحياء العرب ، فقام إليه عبد بن خالد الجسدي وكان قصيراً
دهيباً . فتقدمه إليه رجل حسن الهيئة .

قال مصعب : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : من أنت ؟ فسكت ولم يقل
شيئاً . وكان منا ، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة ، فأقبل على
الرجل وتركني فقال : من أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان
عوانيساً ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ قال الرجل :
لا أدري ، فقلت : نهشته حية في إصبعه فبيست فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وهم
كان يسمى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان يسمى حرثان ، فأقبل على
الرجل وتركني ، فقال : من أي عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناج الذين
يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناج فلا تذكرهم ولا تتبع عينيك ما كان هالكا
إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول وهيب لا أسالم ذلكا
فأضحى كظهر النجل جب سنامه يدب إلى الأعداء أحذب باركا
فأقبل على الرجل وتركني وقال : أنشدني قوله : عذير الحى من عدوان .
قال الرجل : لست أروها ، قلت : يا أمير المؤمنين : إن شئت أنشدتك . قال :
أدن مني ، فاني أراك بقومك عالماً . فأنشدته :

وليس المرء في شيء	من الإبرام والنقض
إذا أبرم أمراً خا	له يقضى وما يقضى
يقول اليوم أمضيه	ولا يملك ما يمضى
عذير الحى من عدوا	ن كانوا حية الأرض

بني بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز لنا (١) س بالسنة والقرض
وهم من ولدوا اشبوا (٢) بسر الحسب والمحض
ومن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرض
وهم بووا (٣) ثقيفاً ذا ر لا ذل ولا خفض

فأقبل على الرجل وتركني وقال . كم عطاؤك ؟ فقال . ألفان . فأقبل على
كاتبه وقال . اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا . فأنصرفت بها
هـ - ودخل (٤) رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له : من
الرجل ؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
فقال . فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل .
يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلولها
قال . فمن أيهم أنت قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
ثياب بني عوف طهاري نقيه وأوجههم بيض المشافر غران (٥)
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .

-
- (١) كانت إجازة الحج لخواعة . ثم انتقلت إلى عدوان . يقف ويسمهم في
أيام الحج يخطب في الناس . ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك
(٢) يقال . أشي فلان إذا ولد له ولد كيس
(٣) بووا . أنزلوا .
(٤) نهاية الأرب ص ٣٠٠ ج ٣
(٥) يقال . رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه . من قوم غر وجران .
والبيت لامرئ القيس (اللسان مادة غر)

فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا ؟
قال . أجلس لأجلست ! والله لقد خفت أن تفخر على !

٦ — بين معاوية وعقيل بن أبي طالب .

لما اعتزل عقيل بن أبي طالب أخاه نلياً كرم الله وجهه ، إلى معاوية يطلب
عنده الدنيا ، قال له معاوية . أنا خير لك من أخيك علي ، فقال عقيل . صدقت ،
إن أخى أثر دينه على دنياه ، وأنت قد آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من
أخى ، وأخى خير لنفسه منك .

٧ — بين معاوية وعبد الله بن عباس

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية يوماً وفيهم عبد الله بن عباس فقال
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، لحفظت الميت في
الحى ، والحى في الميت ، استعملك على يابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد
الله أخاك على اليمن ؛ واستعمل أخاك على المدينة (١) فلما كان من الأمر ما كان
هناكم (٢) ما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم (٣) ، وقلت آخذ اليوم
وأعطى غدا مثله ، وعلمت أن بدء اللوم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت
بملاقيمكم وقياتكم ما أكلتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الأبل ، وذنوبكم إلينا
أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذلتم عثمان بالمدينة ؛ وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتمونى
بصفين ، ولعمري لبوئيم وعدى (٤) أعظم ذنوباً منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم

(١) هو تمام ، كما استعمل أخاه قثم على مكة

(٢) هنا كذا من باب منع وضرب ، أطعمه إياه

(٣) جمع غرائره بالكسر وهى الحقيبة

(٤) يعنى بنى تيم آل أبى بكر فهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ويعنى

بنى عدى آل عمر فهو من عدى بن كعب بن لؤى

هذا الأمر ، وسنوافيكم هذه السنة ، حتى متى أغضى الجفون هلى القذى (١)
وأسحب الذبول على الأذى (٢) وأقول لعل الله وعسى ، ماتقول يا بن عباس ؟
فتكلم ابن عباس فقال

رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين (٣) لم يكن لأبى من مال إلا
ما فضل لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبى ، ولكن من هنا أباك باخاء أبى أكثر
من هنا أبى باخاء أبيك ، نصر أبى أباك فى الجاهلية ، وحقن دمه فى الاسلام (٤)
وأما استعمال على إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجالا لهواك
لا لنفسك . منهم ابن الحضرمى على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على اليمن ففان
وحبيب بن مر على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيسى الفهرى على الكوفة فخصب ،
ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا
عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى
عذرنا لإيكم على مائة سيئة لحسنها ، وأما خذلنا عثمان فلو أنما نصره لنصرناه (٥) ،
وأما قتلنا أنصاره يوم الجبل فعلى خروجهم بما دخلوا فيه ، وأما حربنا لإياك بصفين
فعلى تركك الحق وادعاءك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتم وعدى فلو أردناها ما
غلبونا عليها (٦) وسكت (٧)

-
- (١) القذى ما يقع فى العين وفى الشراب فيعكرهما
(٢) الأذى المكروه اليسير وما بالطريق من قدر
(٣) التفاوض الاشتراك فى كل شىء والمساواة
(٤) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبى سفيان يوم بدر ، ثم إلى ما كان
من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) يعرض بمعاوية إذ كان أولى من بنى هاشم بنصرة عثمان لأنهما أمويان .
(٦) الضمير للخلافة . (٧) فى هذه المجاورة يقول ابن أبى لهب :
كان ابن حرب عظيم القدر فى الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استقام وما بالحق من باس
لم يترك خطاة مما يذللها إلا كواه بها فى فروة الرأس

٨ — بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال : لقد هممت اليوم يا أخي أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ؛ فقال له خالد : بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ، فما ذاك ؟

قال : إن خيلي مرت به فعبث بها وأصغرنى ، فقال له خالد : أنا أكفيك ؛ فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال : يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ، مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره ، وكان عبد الملك مطرقا ، فرفع رأسه وقال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » ، فقال خالد : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » ؛ فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ، فقال عبد الملك : أفي عهد الله تكلمني ؟ والله لقد دخل أمس على ، فما أقام لسانه لحنا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعمل يا أمير المؤمنين ؟

قال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ؛ فالتفت الوليد إلى خالد وقال له : اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم التفت إلى الوليد فقال له : ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة صاحب النفير ^(١) ؟ ولما كنت غنيما وحبيلا ، والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت ^(٢) .

٩ — بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

(١) العير : الأبل تحمل الميرة ، والمراد هنا عير قریش التي كان يقودها أبو سفيان ، وترصدها رسول الله فساخل بها أبو سفيان وترك بذرا يسارا . والنفير القوم ينفرون للحرب ، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير تحت رياسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأنه ولم يتخاف إلا بنو زهرة ، فقليل فيهم المثل ، « لافي العير ولا في النفير » .

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن =

جلس عبد الملك بن مروان يوماً وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، وعند رجله أمية أخو خالد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

هذا والله التوفير وهذه الأمانة ، لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط فاسق ^(١) ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً . وأستعملت هذا على خرسان ، وأشار إلى أمية فأهدى إلى بردونين حطمين ^(٢) فان استعملتكم ضيعتم ، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد :

استعملني على العراق وأهله رجلاً ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ^(٣) ، فأما السامع المطيع المناصح فانا جزينا ، ليزداد ودأ إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فانا داريناه ضغنه ، وسللنا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيك ، وإن هذا ^(٤) ، جبي الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال .

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .

١٠ — بين عبد الملك وأحد عماله :

بلغ عبد الملك أن عاملاً من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه إليه ، فلما دخل

== العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحسك إلى الطائف ، وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيبات أي كريمات يستظل بها ويرعى غنيات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فرده للرحم بينهما ، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة .

(١) لط حقه وألطه جمده .

(٢) يقال فرس حطم كفرح إذا هزل وأسن فضعف وتهدم .

(٣) المكاشح الذي يضمرك لك العداوة بين كشحيه ومثله الكاشح .

(٤) يعني الحجاج .

عليه قال له : أقبلك هدية منذ وليتك ؟ قال يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال ، أجب فيما سألتك عنه ، أقبلك هدية منذ وليتك ؟ قال . نعم فقال له .

لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للثيم ، ولئن أنلت مهديك لا من مالك أو استكفيت ما لم يكن يستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائلك وأطمع فيك أهل عملك ، إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمرا لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، ثم نحاه عن عمله .

١١ — بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن روبة على عبد الملك مروان فقال عبد الملك ، يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال . يا أمير المؤمنين . من قدر على تشيد الأبنية أمكنه إخراج الأخيه قال . فما يمنعك من ذلك ؟ قال إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم . وإن لنا حلما يمنعنا من أن نظلم ، فسلام الهجاء ؟ فقال . لكلماتك أشعر من شعرك ، فاني لك عز يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب البارع والفهم الناصع . قال . فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب المستطرف والطبع التالذ . قال . يا عجاج لقد أصبحت حكيمًا . قال . وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين .

١٢ — بين الحجاج وكعب الأشقرى .

لما هزم المهلب بن أبي صفرة الأزارقة وقتل خليفته عبد ربه الصغير أو فد بذلك إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى ، فلما دخل عليه قال له الحجاج . أخبرني عن بنى المهلب ، فقال . المغيرة فارسهم وسيدهم ، نازكاكية ، وصعدة عالية (١) ، وكنى يزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحر جم عباب ، وجوادهم وسخيم قبيصة ، ليث المغار (٢) ، وحامى الذمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفر

(١) الصعدة القناة تثبت مستوية مثقفة .

(٢) المغار مصدر ميمى أى الاغارة .

من مدرك ، وكيف لا يفرون الموت الحاضر ، والأسد الحادر ، وعبد الملك سم
 زاقع ؛ وسيف قاطع ؛ وحبيب الموت الزعاف (١) ، إنما هو طود شامخ ، ونحر
 باذخ ، وأبو عيينة البطل الهام ، والسيف الحسام (٢) ؛ وكفالك بالفضل نجدة ،
 ليث هذار ، وبحر موار (٣) ، ومحمد ليث غاب ؛ وحسام ضراب . قال . فكيف
 كانوا فيكم ؟ قال . كانوا حماة السرح نهرا فاذا ألبوا ففرسان البيات (٤) . قال .
 فأيهم كان أنجد ، قال . كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، قال . فكيف
 كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد . قال .
 فكيف كان جماعة الناس ؟ قال . على أحسن حال ، أدركوا مارجوا ، وأمنوا بما
 خافوا ، وأرضاهم العدل وأغناهم النفل ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال
 كنا إذا أخذنا عفونا ، وإذا أخذوا يئسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا بجمعنا
 فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، كيف أفلتكم قطري ؟ قال كدناه
 ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعوه ؟ قال : كان الحد
 عندنا أثر من الفل . قال : أكنت أعددت لي بعض هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم
 الغيب إلا الله ، فقال الحجاج : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك
 حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده إلى
 عبد الملك ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

١٣ — وقال سفيان الثوري (٥) :

كنا عند هشام (٦) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز . وكان

(١) الزعاف وبالدال أيضا السم القاتل لساعته .

(٢) الحسام القاطع من حسم الشيء قطعه .

(٣) الموار المضطرب بامواجه .

(٤) السرح السائمة تسرح المرعى ، وألبوا دخلوا في الليل .

(٥) العقد ص ١٧٦ ج ٣ ، الأمل ص ١٤٧ ج ١ ، صبح الأعشى ص ٢٦٤ ج ١

(٦) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل حليما

عفيفا ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع توفي سنة ١٢٥ هـ .

شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرت كلامهم وكان محمد بن أبي الجهم أعظم أعظم القوم قدراً ، واكبرهم سناً وأفضلهم رأياً وحليماً ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ، وأكثر وأطنبت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال . أفأوجز أم اطنب ؟ قال . بل أوجز .

قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتهوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ هاتها ، قال . كبرت سني ، ونال الدهر مني ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى فقرى فعل ! قال : وما الذى ينفى فقرى ، ويجبر كسرك ؟ قال . ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق فأهشام طويلاً ، ثم قال . هيات يا بن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت فقال . إن الله آثرك لمجلسك ، فان تعطينا لحقاً أدبت ، وإن تمنعنا فنسأل الذى بيده ما حويت . يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لأن أحبك أحب إلى من أن أبغضك !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال . أقضى بها ديناً فدحنى ^(١) قضاؤه ، وقد عنانى حمله ، وأضربنى اهله . قال . فلا بأس ، تنفس كربة ، وتؤدى أمانة . وألف دينار لماذا ؟ قال . أزوج بها من أدرك من ولدى . قال نعم المسلك سلك ، أغضضت بصراً ، وأعففت ولداً ، ورفعت نسلاً . وألف دينار لماذا ؟ قال . أشترى بها أرضاً يعيش بها ولدى ، واستعين بفضلها على نوائب دهري ، وتكون ذخراً لمن بقى .

قال . فانا قد أمرنا لك بما سالت . قال . فالحمد لله على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ، ثم خرج

(١) فدحنى : أثقلنى .

فاتبعه هشام بصره ، وقال : تالله ما رأيت رجلا أطفف في سؤال ، ولا أرفق في مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشي . أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نعطى تبذيرا ولا نمنع تقشيرا ، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأمانؤه على عباده ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جبهنا (١) قائلا ، ولا ردونا سائلا ، ونسال الذي بيده ما استحفظنا أن يجره على أيدينا ، فانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر (٢) ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال إنه مبتلى ؛ وليس المبتلى كالمعتلى .

١٤ - وفد عروة (٣) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ؟ فقال له . أأنت القائل :
لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعطيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعطيني

(١) جبهه : لقيه بما يكره (٢) يقدر . يقسم .
الشعر والشعراء ص ٢٢٥ ، المستطرف ص ٧ جزء أول ، ابن خلكان

ص ٢١٢ ج ١

(٢) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ، وقفت عليه سكينه بذت الحسين مرة فقالت له : أنت القائل :
إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فن لئار على الأحشاء تنقد .
فقال لها نعم . فقالت . وأنت القائل .

قالت وأبثتها سرى وبحت به قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
أأنت تبصر من حولي فقلت لها غطى هالك وما ألقى على بصري
قال : نعم ، فالتفتت إلى جواربها وقالت : من حرائر إن كان خرج هذا من
قلب سليم قط

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين، زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا رد وافدك خائباً. والله لقد بالغت في الوعظ، وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى راحلته، فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز، فلما كان في الليل ذكره هشام، وهو في فراشه، فقال : رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلى، فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول.

فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه، وقال : لا جرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه. ثم دعا مولى له، وأعطاه ألفي دينار، وقال : الحق بهذه ابن أذنية، وأعطه إياها، فأدركه وقد دخل بيته، ففرع الباب عليه، فخرج إليه، فأعطاه المال.

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سمعت، فأكدت، ورجعت إلى بيتي فأتاني رزق

١٥ — وورد أبو النجم^(٢) على هشام بن عبد الملك في الشعراء، فقال لهم هشام صفوا لي إبلا فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كائى أنظر إليها، فأنشدوه، وأنشده أبو النجم :

« الحمد لله الوهوب المجول،

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهى على الأفق كعين . . . » وأراد أن يقول « الأحول »، ثم ذكر حولة هشام، فلم يتم البيت، وأرتج عليه . فقال هشام : أجز البيت، فقال : « كعين الأحول، وأتم القصيدة، فأمر هشام فوجى^(٣) عنقه، وأخرج من الرصافة، وقال لصاحب شرطته : ياربيع إياك وأن أرى هذا ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل.

(١) الكامل ص ٣٩ ج ٢، الأغاني ص ١٤٥ ج ١٠، ربة الآمل

ص ٢٢٩ ج ٦ .

(٢) اسمه الفضل بن قدامة أحد رجال الاسلام الفحول المتقدمين، وفي الطبقة

الاولى منهم وتوفى سنة ١٣٠ .

(٣) وجىء . وجاء باليد وبالسكين إذا ضرب به .

قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي ، وعمر بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليما فأتغدى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأبيت فيه .

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقس النفس ، وأراد يحدثاً يحدثه ، فقال الخادم له : ابغني محدثاً أعرابياً يروى الشعر :
فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضر به برجله ، وقال له : قم أجب الأمير . قال : إني رجل غريب : قال : إياك أبغني ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشعر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشمع بين يديه تزهو (١) .
فلما دخل قال له هشام : أبو النجم : قال : نعم يا أمير المؤمنين طريديك اقال : اجلس ، فسأله وقال له . أين كنت تأوى ، ومن كاف ينزلك ، فأخبره الخبر . قال . وكيف اجتمعاً لك ، قال . كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند هذا . قال . وأين كنت تبيت ، قال . في المسجد حيث وجدني رسولك . قال . ومالك من الولد والمال ، قال . أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شيبان .

فقال . هل زوجت من بناتك أحداً ، نعم ، زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجمز (٢) في أبياتنا كأنها نعامه .
قال . وما وصيت به الأولى ، نعامه .

أوصيت من برة (٣) قلباً حراً يالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسأى ضرباً لها وجراً حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهباً ودرا والحي عميم بشر طرا

(١) تزهو : تتلألأ (٢) تجمز . تعدو وتسرع .

(٣) كان اسمها برة

فضحك هشام، وقال : فما قلت للآخرى ؟ قال قلت :
سبي الحماة وابنتي^(١) عليها وإن دنت إليها فازدلني إليها
وأوجعي بالفهر^(٢) ركبتيها ومرفقيها واضربي جنبها
وظاهري النذر لها عليها لا تخبري الدهر به ابنتها
قال : فضحك هشام حتى بدت نواجره ، ووقف على قفاه . فقال : ويحك !
ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين . قال فاقلت
للمثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتي فاني ذاهب . أوصيك أن تحمدي القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب
ولاتني أظفارك السلاح^(٣) منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بنس الصاحب
قال : فكيف قلت لها هذا ولم تنزوح ؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها قال
قلت فيها :

كان ظلامه أخت شيبان يقيمة ووالدها حيان
الرأس قل كله وصبيان^(٤) وليس في الرجلين إلا خيطان
فهى التى يذعر منها الشيطان
فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها ؟ قال :
هى عندى ، ووزنها خمسمائة قال : فادفعها إلى أبى النجم ؛ ليجعلها فى رجلى ظلامه
مكان الخيطين !

(١) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل

(٢) الفهر . الحجر ؛ إلا الكف

(٣) السلاح : الطويلة .

(٤) الصبيان : الصوابة : بيضة القمل جمعه صبيان .

١٦ — واستودع^(١) رجل رجلاً مالا ثم طأ به فججده، فخاصمه إلى إياس^(٢) بن معاوية القاضى، وقال، دفعت إليه مالا فى مكان كذا وكذا، قال، فأى شىء كان فى ذلك الموضع؟ قال، شجرة!

قال، فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فاعل الله يوضع لك هناك ما تبين به حقتك! أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فضى وقال إياس للمطلوب منه: اجلس حتى يرجع صاحبك، فجلس وإياس يفضى وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال. ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟ قال لا! فقال: يا عدو الله أنت الخائن! قال: ألقى أقالك الله! فامر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له. نخذ منه بحقتك فقد أقر!

ومن ذكاء إياس^(٣) أنه استودع رجل أمين إياس مالا، وخرج المودع إلى الحجاز؛ فلما رجع طلبه فججده، فأتى إياساً فاخبره، فقال له إياس. أعلمته أنك أتيتنى؟ قال. لا. قال. أفنازعتك عند غيرى. قال لا قال. فانصرف، وأكتم سرك، ثم عد إلى بعد يومين.

فضى الرجل؛ ودعا إياس أمنيته، فقال. قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك. قال. نعم! قال. فاعمد موضعاً للمال، وقوماً يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل له. إني أخبر القاضى بالقصة.

(١) المحاسن والمساوىء ص ٤٣ ج ١

(٢) هو من مزينة، ولاء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان صادق الظن لطيفاً فى الأمور، ومات سنة ١٢٣ هـ.

(٣) ثمرات الأوراق ١٤٤

فأتى الرجل صاحبه ، فقال ، تعطينى الوديعة أو أشكوك إلى القاضى ١ وأخبره
بالحال ، فدفع إليه المال ، فرجع الرجل ، وأخبر إياسا
ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به ، فزجره ، وقال له ، لا تقربنى
بعد هذا يا خائن ١

أجوبة إياس بن معاوية المتوفى سنة ١٢٢ هجرية
كان إياس بن معاوية المزنى لسنا بليغاً يضرب به المثل فى الزكن والفطنة
وصحة الفراسة والأجوبة القاطعة . ويروى أنه دخل الشام وهو فقير فقدم
خصماً له إلى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخاً فصال عليه إياس بالكلام ،
فقال له القاضى : خفض عليك فانه شيخ كبير . فقال إياس : الحق أكبر منه .

فقال له القاضى : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ ١

قال القاضى : ما أراك تقول حقاً .

فقال إياس : لا إله إلا الله فألجم القاضى .

ويروى أن عدى بن أرطاة والى البصرة دخل على إياس وهو قاضها وكان
عدى أعرابى الطبع .

فقال لإياس : يا هناة أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط .

قال : فاسمع منى . قال : للاستماع جلست .

قال أنى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين .

قال : وشرطت لأهلها أن أخرجها من بينهم . قال : أوف لهم بالشرط .

قال : فأتى أريد الخروج : قال : فى حفظ الله .

قال : فاقض بيننا . قال : قد فعلت .

قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أخى عمك .

قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك .

خاتمة الكلام على المحاورات والأجوبة

١ - وبعد فالحوار فن من فنون الأدب عرفه الجاهليون في المنافرات والمفاخرات والمساجلات

وفي عصر صدور الاسلام كان فن الحوار قائما يستعان به في رد حجج المشركين والمخالفين والزائغين وفي إقناع المكابرين من رجال الفرق والأحزاب وكانت قریش في الحوار أحضر جوابا وأسرع بديهة وأكثر إصابة وفي العصر الأموي ازدهر فن الحوار وانتشر ونما وساعد على ذلك

١ - كثرة الخلافات بين الأحزاب السياسية

٢ - كثرة الخصومات بين الفرق الدينية ، بل بين طوائف الفرقة الواحدة كالحوارج والشيعة الذين انقسموا طوائف وشيعا كثيرة

٣ - انتشار الحجاج في مسائل اللغة والنحو والعربية وآدابها

٤ - سلامة الملكات وخصب التفكير وحضور البديهة والقدرة على الارتجال .

٥ - كثرة العصبية وتنافرها وتناحرها إلى حد بعيد وبخاصة في عهد معاوية .

٦ - الجوائز الكثيرة التي كانت يكافأ بها الفائز في مجال هذه المنافسات والخصومات .

ب - وألوان المحاورات كثير :

فن جدل إلى أجوبة إلى مفاخرة وقد سبق نماذج لهذه الألوان كلها

الشعر في عصر بني أمية

نماذج للشعر :

وقال ابن الدمينه :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زاد في مسراك وجدا على وجدى^(١)

أ أن هتفت ورقاء في رونق الضحى

على فن غرض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تسكن جليدا وأبديت الذي لم تسكن تبدي

وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأى يشقى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى عهد

...

وقال أبو صخر الهذلي :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات واحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليخين منها لا يروعهما الذعر

فياحيها زدن جوى كل ليلة وبأساوة الأيام موعذك الحشر

عجبت لسعي الدهر يبنى ويهدم فلما انقضى ما بيننا سكر الدهر

وما هو إلا أن أراها فجأة فاهت لا عرف لدى ولا نكر

(١) الصبا . ريح القبول . هاجت . ثارت .

(٢) الورقاء . الحمامة التي مال سوادها إلى البياض . الرونق الضياء . الرند

نوع من الطيب والفن الغصن الناعم الغض . الطرى .

وقال الصمة القشيري (١) :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا ، وشعبا كما معا (٢)
فا حسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصباية أسما (٣)
قفا ودعا نهدا ومن حل بالحلي وقل لنجد عندنا أن يودعا (٤)
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا (٥)

(١) شاعر أموى بدوى مقل بليغ

خطب ابنة عمه فاشتط عليه في مهرها فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فاعطوه فاني بالابل عمه فقال له لا أقبل هذه في مهر ابنتي فسل أياك أن يبدلها لك فسأل ذلك أباه فاني عليه فلما رأى ذلك من فعلهما قطع علقها وخلها فعاد كل يعبر إلى أهله وسافر الشاعر مرتحلا عن بلاده وقومه لحزنت ابنة عمه حزنا شديدا ، ثم مضى إلى الشام فلما طال مقامه حن إلى أهله وبلاده ومحبوبته فنظم هذه القصيدة

والقصيدة تسيل بلاغة وروعة وجزالة لفظ ونظامه معنى ومتانة تركيب وصياغة بديعة وديباجة حسنة

(٢) الحنين : شدة الشوق . ريا : اسم محبوبته . باعدت : ابتعدت ، والواو في الوضعين للحال ، الشعب الحلي بلوم نفسه في بعده عن محبوبته لأنه كان السبب في ذلك بهجرته عن بلاده وبلاد ريا وقد كان قومه وقومها مجتمعين

(٣) امر : يريد الفراق . أن الثانية بتقدير اللام المعنى : ليس يحسن أن تنقاد أولا للحب مختارا فاذا سمعك داعي الصباية نداه جوعت

(٤) النجد كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق
(٥) الربا : ما ارتفع من الأرض . المصطاف : مكان الصيف . المتربع : مكان الربيع . المعنى : أفدى تلك الأرض بنفسى لطيب رباها العجيب وحسن فصليها صيفا وريبعها

وليس عشيائ الحى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمع
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحزن نزعا^(١)
بكث عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجمل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجعت من الأصغاء ليتنا وأخذنا^(٢)
وأذكر أيام الحى ثم أنثى على كبدي خشية أن تصدعا^(٣)

وقال يزيد بن الحكم الثقفي^(٤) يعظ ابنه بدرأ .

يا بدر والامثال يضرب بها لذي اللب الحكيم
دم للخليل بـوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
وأعلم بان الضيف يـوماً سوف يحمد أو يـلوم
وأعلم بـبني فانه بالعالم ينتفع العالم
إن الأمور دقيقة مما يهيج له العظيم
والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى ويهان للعدم العديم
وتخرب الدنيا فلا يؤس يدوم ولا نعيم

* * *

وقال سالم بن وابصة الأسدي وهو شاعر إسلامي تابعي :

- (١) البشر : جبل بالجزيرة . اعرض : أبدى عرضه وجانبه . جالت : تحركت .
بنات الشوق : نوازع الحنين . نزع : جمع نازع أى مشتاق
(٢) الليث : صفحة العنق . الأخدع عرق فيها . الأصغاء : الميل
(٣) تصدع : أى تتشق
(٤) شاعر أموي مقل بليغ

أحب الغنى ينفى الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا
 سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى ولا ما نعا خيرا ولا قائلها مجرا
 إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أدبيا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
 إذا ما أتت من صاحب لك زلة فمكن أنت محتا لزلته عذرا
 غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
 وقال المقنع الكندى وهو شاعر أهوى مقل شريف كريم :

يعاتبنى فى الدين قرمى ونما ديونى فى أشياء تكسبهم حدا
 أسد به ما قد أخلوا وضيعوا تغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
 وإن الذى بينى وبين أبى وبين بنى عمى لى مختلف جدا
 فان أكلوا لى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيبي هو بت لهم رشدا
 وإن زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقددا
 لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
 وإنى لعبد الضيف مادام نازلا وما شيمة لى غيرها تشبه العبددا

• • •

وقال القطامى (١)

من تكن الحضارة أعجبت به فأى رجال بادية ترانا
 ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا سلبا وأفراسا حسانا (٢)

(١) شاعر اسلامى مقل كانا نصرانيا وكان حسن التشبيب بالنساء رقيقة وكان
 يمدح زفر بن الحرث السكلاوى ، وكان القطامى حولا فى الشعر رقيق الحواشى
 كثير الامثال

(٢) قنا سلبا : أى تسلب النفوس جمع سلوب . يريد انا لا نرضى الا بالدفاع
 عن الحرم والاغارة على الاعداء وغيرنا يرضى بالمال والدعة

وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا (١)
أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا (٢)
وأحيانا على بكر أخينا إذا مالم نجد إلا أخانا

وقال حطان بن المعلى (٣)

أنزلى الدهر على حكمه من شاخ عال إلى خفض (٤)
وغالى الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي (٥)
أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض إلى بعض (٦)

(١) وكن : أى الخيل . أعوزهن : تعسر عليهم . النهب : ما ينتهب يقول :
وكان أرباب الخيل منا إذا أغاروا على ناحية وتعسر عليهم النهب والغنيمة
(٢) الضباب : أحياء من العرب . الحلول : الذين يكونون في مكان واحد .
المعنى أنهم : لا اعتيادهم الغارة لا يصبرون عنها حتى إذا أعوزهم الأباعد عطفوا على
الأقارب فأغاروا عليهم : وقوله : حان حانا ، أى من هلك بغزونا فقد هلك
(٣) شاعر إسلامي .

(٤) الشاخ : العالى . الخفض : أى المنخفض

المعنى : كنت قويا فضيرنى الدهر ضعيفا وكنت مالكا فجعلنى مملوكا
(٥) غالى : أهلكنى . الوفر : المال وإضافته إلى الغنى من إضافة السبب
إلى المسبب لأن المال سبب الغنى . والمعنى : غلبنى الدهر على كثرة المال فلم
يبق لي سوى نفسى

(٦) بنيات : تصغير بنات . الزغب : الشعر اللين الصغير ، وكفى بهذا عن
الضعف والصغر . رددن الخ : أى تتابعن وكثرن كل واحدة جنب الأخرى .
والمعنى : لولا بنيات لي صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب لصغرهن اجتمعن
لي في مدة يسيرة

لكان لى مضطرب واسع فى الارض ذات الطول والعرض^(١)
وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشى على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لا متنت عيني من الغمض^(٢)

وقال سعد بن ناشب^(٣)

سأغسل عى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا^(٤)،
وأذهل عن دارى وأجعل هدمها لعرضى عن باقى المذمة حاجبا^(٥)
ويصغرفى عيني تلادى إذا انثنت يمينى بادراك الذى كنت طالبا^(٦)
فان تهدموا بالغدر دارى فانها تراث كريم لا يبالى العواقبا^(٧)

(١) المضطرب : الاضطراب والحركة. المعنى : لولا خوفى من ضياعهم لكان لى مجال واسع فى الارض وانما لزمتم مكافئ بسبهم

(٢) المعنى : انه لا يطمئن إلا إذا كانوا سالمين بأجمعهم

(٣) شاعر اسلامى فى الدولة المروانية من بنى مازن بن مالك من تميم وهذه القصيدة مشهورة فى البلاغة وسبب نظمها أنه كان قد اصاب دما فهدم بلال بن أبى بردة داره بالبصرة وحرقها فقال هذه القصيدة

(٤) اغسل : ازيل. العار : كل شئ لزم به عيب

المعنى : سأزيل العار عن نفسى باستعمال السيف فى اعدائى مهما جلب على قضاء الله ما أراد ،

(٥) ذهل عن الشئ : شغل عنه ونسيه

المعنى : سأتناسى دارى وأجعل هدمها حاجبا وواقيا لعرضى عن العار الباقى إذ رأيتها دار هوان

(٦) التلاد : المال القديم . اى انه يخف على قلبه لإنفاق المال القديم عند إدراك المطلوب

(٧) الهدم : التخريب . الغدر : عدم الوفاء . التراث : الميراث

المعنى : ان تهدموا بالغدر دارى وأنا غائب فلا أبالى بذلك ولا أغضب لأنها ملك رجلى كريم لا يبالى بالعواقب

فيا لرزام رشحوا بي مقدما الى الموت خواضا اليه الكتائب (١)
 إذا هم القى بين عينيه عزمه وتكسب عن ذكر العواقب جانبا (٢)
 وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى وهو شاعر إسلامى مقل :
 ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا
 أجدلنا طيب المسكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الأمانيا
 وقال آخر : وهو لبعض الحجازيين وهو عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه :
 خبروها بأننى قد تزوجت فظالت تكاتم الغيظ سرا
 ثم قالت لأختها ولأخرى جزعا ليته تزوج عشرا
 وأشارت إلى نساء لديها لاترى دونهن للسرا سدا
 ما قلبي كأنه ليس منى وعظامى كأن فيهن فترا
 من حديث ننى إلى فطيع خلت فى القلب من تلظيه جبرا

وقال خلف بن خليفة وهو شاعر إسلامى مقل عاصر جريرا والفرزدق يمدح :
 عدلت إلى نحر العشيرة والهورى إليهم وفى تعداد مجدهم شغل
 إلى هضبة من آل شيبان أشرفت لها الدررة العليا والكاهل العبل
 إلى النفر البيض الذين كأنهم صفائح يوم الروح أخلصها الصقل
 إلى معدن العز المؤيد والندى هناك هناك الفضل والخلق الجول
 أحب بقضاء القوم للناس أنهم متى يظعنوا عن مصرهم ساعة يخل
 عذاب على الأفواه ما لم يذقهم عدو وبالأفواه أسماؤهم تحلو

(١) رزام : حى من تميم . الترشيح : الترية والتأهيل . الكتائب : الجيوش المجتمعة .

(٢) . التنكيب عن الشيء : الانحراف عنه . المعنى : إذا عزم على شيء جعله نصب عينيه ولا يغفل عنه كما أنه لا يميل الى ذكر العواقب بل ينحرف عنها جانبا

عليهم وقار الحلم حتى كأنما
إذا استجهلوا لم يعزب الحلم عنهم
هم الجبل الأعلى لما تناكرت
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا
لنا منهم حصن ومقل
مواعيدهم فعل إذا ما تسكوا
وليدهم من أجل هيئته كهل
وأن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل^(١)
ماوك الرجال أو تخاطرت البزل^(٢)
وإن غضبوا في موطن رخص القتل
إذا حرك الناس المخاوف والأزل
بتلك التي إن سميت وجب الفعل

..

وقال قطري بن الفجاءة من الحماسة والفخر وهو من رؤساء الخوارج زمن

بنى أمية وتوفي عام ٧٩ هـ

إلى كم تعاديني السيوف ولا أرى
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
ولو قرب الموت القراع لقد أنى
أغادى جلاد المعلمين كأننى
وأدعو الحكمة للزال إذا القسا
ولست أرى نفسا تموت إذا دنت
إذا استلب الخوف الرجال قلوبهم
مضار بهم تهدي إلى حماميا
بقاء على حال لمن ليس باقيا
لمرق أن يدنو لطول قراعي^(٣)
على العسل الماذى أصبحت غاديا^(٤)
تحطم فيما بيننا من طعانيا^(٥)
من الموت حتى يبعث الله داعيا
حبسنا على الموت النفوس الغوالي

(١) الجمل هنا معناه الغضب

(٢) البزل جمع بازل البالغ تسع سنين .

(٣) أنى : حاف وقرب .

(٤) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم في الحروب بشارة ظاهريهم ليعرفوا إذ

لا يخافون الأعداء لشجاعتهم .

(٥) الحكمة : جمع كى وهو الشجاع المستتر بالسلاح .

وقال جواس بن القعطل السكبي من شعراء العصر الأموي :

صبت أمة بالدماء رماحنا وطوت أمة دوننا دنياها
أأى رب كتيبة مجهولة صيد^(١) الحكاة عليكم دعواها
كنا ولادة طعناها وضربها حتى تجلت عنكم غماها
فأله يجزى لأمة سعيها وعلا شددنا بالرماح عراها
جئتم من الحجز البعيد نياطه والشام تنكر كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حدق الكلاب وأظهرت سنيها

ولما عزم معاوية على جمع الناس على البيعة ليزيد ابنه من بعده أنشده مسكين
الدارمي في محفل كبير قصيدة يحثه فيها على البيعة ليزيد ومنها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومران أم ما ذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فأنما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاد ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر أو جدود
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تزل وفود تساميه اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أناف كامشال الرئال ركود
فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله

وقال أيضا :

نارى ونار الجمار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضرا جارا لى أجاوره ألا يكون لبابه ستر

(١) أى كاتنها صيد جمع أصيد وهو الأسد أو الرافع رأسه كبيرا.

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى بجارتى الخدر

∴

وقال قطري بن الفجاءة الخارجي
أقول لها وقد طارت شعاعا
فانك لو طلبت بقاء يوم
فصبرا في مجال الموت صبرا
وما ثوب البقاء بثوب عز
سبيل الموت غاية كل حي
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم
وما للمرء خير في حياة
من الإبطال ويحك إن تراعى (١)
على الأجل الذي لك لن تطاعى
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوى عن أخى الخنع البراع (٢)
وداعيه لأهل الأرض داع
ويسلمه المنون الى انقطاع (٣)
إذا ما عد من سقط المتاع

∴

وقال نصر بن سيار (٤) يخاطب اليمانية والمضرية من العرب حين اتقدت نار
العداوة في خراسان والفرس لهم بمرصد :

أبلغ ريبة في مرو واخوتهم
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
ما بالكم تلحقون الحرب بدينكم
وتتركون عدوا قد أظلمكم
ومن يكن سائلا عن أصل دينهم
فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
حربا تحرق في حافاتها الخطب
كأن أهل الحجاج عن رأيكم غرب
بما تأشب (٥) لادين ولا حسب
فان دينهم أن تقتل العرب

(١) شعاعاً أى متفرقة

(٢) الخنع والخنوع . الذل والضم ، والبراع الجبان المستطار القلب .

(٣) يعتبط يمت شابا

(٤) أمير خراسان من قبل بنى أمية

(٥) تأشب : اختلط

وقال ابن الدمينه (١)

قنى يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم أفعلى ما بدا لك
سلى البانة الغناء بالأبطح الذى به الماء هل حيت أطلال دارك
وهل قتت فى أظلالهن عشية مقام أخى البأساء واخترت ذلك
ول ككفكت عيناى فى الدار عبرة

فرادى كنظم اللؤلؤ المتهاك

لبنك امساكى بكفى على الحشا ورقراق عيني خشية من زياك
أبني أفى يمنى يدك جعلتني فأفرح أم صيرتني فى شماك
فيا بانة الوادى أجبني متيا أخوا سقم أنشبتني فى حبالك
تعاللت كى أشجى وما بك علة تريدن قتلى قد ظفرت بذلك

وقال الأحوص (٢)

وانى لآتى البيت ما أن أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأغضى على أشياء منكم تسوءنى وأدعى إلى ما سر كم فأجيب
وما زلت من ذكراك حتى كأننى أميم بأفناء الديار سليب
أبك ما ألقى وفى النفس حاجة لها بين جلدى والعظام ديب
هينى امرأ لما برىا ظلمته واما مسيئا مذنباً فيتوب
لك الله انى واصل ما وصلتنى ومثن بما أوليتنى ومثيب
وآخذ ما أعطيت عفوا واننى لأزور عما تكرهين هيوب
فلا تتركى نفسى شعاعا فانها من الحزن قد كادت عليك تذوب

(١) هو عبد الله بن عبيد الله من بنى عامر بن تيم الله : شاعر غزل من شعراء الدولة الاموية .

(٢) هو عبد الله بن محمد الانصارى شاعر أموى غزل رقيق ، ولقب بالأحوص لحوص فى عينيه : أى ضيق فى مؤخرتهما

∴

وقال الأخطل (١) يصف سير الصحراء :

خليلي ليس الرأي أن تذرائي بدوية يعوى بها الصديان (٢)
وأرقني من يعد ما تمت نومة وعضب جلست عنه القيون يمان (٣)
تصاحب ضيفي قفرة يعرفانها غراب وذئب دائم العسلان (٤)
إذا حضرائي عند زادي لم أكن بخيلا ولا صبا إذ تركاني
إذا ابتدرا ما تطرح الكف فاته به ذو جناح كيس اللحظان
يباعده منه الجناح وتارة يواوح بين الخطو والحجلان

...

وقال يصف الحمر .

وشارب مرنح بالكأس نادمني لابلحصور ولا فيها بسوار (٥)
نازعت طيب الراح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقفة الساري (٦)

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي الذمري شاعر بني أمية وأمير شعرائهم وثالث ثلاثة كان لهم زعامة الأموي :

(٢) الدوية : الصحراء ، والصديان : مثنى صد ، أي ظمان ، ويريد بهما الذئب والغراب .

(٣) عضب مرفوع على الابتداء ، أي ومعى عضب ، والجملة حال .

(٤) العسلان : سرعة الحركة والسير .

(٥) الحصور . البخيل الضيق ، والسوار . المعربد الوثاب من السكر .

(٦) صياح الدجاج ، ووقفة الساري : كنايةتان عن طلوع الفجر .

صهبا قد كلفت من طول ما عنست

في مخدج بين جنات وأنهار (١)
عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عبادى بدينار (٢)
كأنهما المسك نهى بين أرحلنا مما تضرع من ناجودها الجارى (٣)

وقال العرجى وهو من ولد الخليفة عثمان بن عفان ومن شعراء الغزل
إذا حرم المرء الحياء فإنه بكل قبيح كان منه جدير
له قحمة في كل شيء وسره مناج وخذناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة وللسمع منه في العظات نفور

وقال أبو صخر الهزلى (٤) وقد تقدم بعضها :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
أفتركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منهما لا يروعهما الدهر (٥)
عجبت لسعى الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فياحبهما زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ولاني لتعروني لذكراك روعة كما انتفضر العصفور بالله القطر
ولاني لآتيها أريد عتابها وأوعدها بالمجر ما برق الفجر

(١) عنست الجارية : أى تأخرت عن الزواج زمنا طويلا ، وكلفت من
السكف ، وهو شدة الحب ، وذلك كناية عن صفة لونها .

(٢) العبادى . نسبة إلى العباد وهم قبيلة نصرانية في الحيرة تحسن تعتيق الخمر

(٣) الناجود . أول ما يخرج من دن الخمر .

(٤) وهو شاعر إسلامى موال لبني مروان عتصب لهم

(٥) الذعر : الخوف .

فما هو الا أن أراها فجأة فأبته لاعرف لدى ولا نكر (١)
وأنسى الذى قد كنت فيه أتيتها كما قد تنسى لب شاربها الخمر
ويعنى من بعض إنكار ظلمها إذا ظلمت يوما وإن كان لى عذر
عخافة أنى قد علمت لئن بدا لى الهجر منها ما على هجرها صبر
وأنى لا أدري إذا النفس أشرفت على هجرها ما يصنعن بى الهجر
وقال ذو الرمة أحد شعراء الغزل فى عصر بنى أمية

أراني إذا هومت يامى زرتنى فيا نعمتا لو أن رؤياى تصدق (٢)
لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الرمم فيها ملاحه هى السحر أو أدهى التباسا وأعلق
وقال ذو الرمة :

خليلي عدا حاجتى من هواكما ومن ذا يواسى النفس الا خليلها ؟
ألمأ بى قبل أن تطرح النوى بنا مطرحا أو قبل بين يزيانها
وإن لم يكن إلا تعلق ساعة قليلا فاني نافع لى قليلها

وقال الخليل التميمي (٣)

خليلي قد قست الأمور ورضتها بنفسى وبالفنيان كل زمان
فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد خليا ولا ذا البث يستويان
من الناس إنسانان دينى عليهما مليان لو شاءا لقد قضيانى
خليلي أما أم عمرو فنهما وأما عن الأخرى فلا تسلاي
بلينا بهجران ولم أر مثلنا من الناس إنسانين يهجران
أشد مصافاة وأبعد من قلى وأعصى لواش حين يكتفیان

(١) أذهل لا أعرف شيئا ولا أنكره

(٢) الألف فى فيا نعمتا منقلبة عن ياء المتكلم كما فى دياحسرتا ، وه يا أسفا ،

(٣) شاعر حجازى اسلامى أحد المتيمين المشهورين بالعشق .

تحدث طرفانا بما في صدورنا اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدري أكل ذوى الهوى على ما بنا أو نحن مبتليان
فلا تعجبا بما في اليوم من هوى في كل يوم مثل ماتريان
وكننا كريمي معشر ضم بيننا هوى فحفظناه بحسن صيان
سلاه بأمر العمر من هي اذ بدا به سقم جم وطول خمان
فما زادنا بعد المدى تقض مرة ولا رجعا من علمنا ببيان
خليلى لا والله مالى بالذى تريدان من هجر الحبيب يدان
ولالى بالبين اعتلاء اذا نأت كما أتتا بالبين معتليان

وقال : ابن الطثرية (١) :

عقيلية أما ملاك إزارها فدعص وأما خصرها فبتيل
تقيظ أكناف الحى ويظلمها بنعمان من وادى الأراك مقبل
أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل
فياخلة النفس التى ليس دونها لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويامن كتمنا حبه لم يطع به عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكى غربة النوى وخوف العدا فيه إليك سنيل
فديتك أعدائى كثير وشقتى بعيد وأشياعى لديك قليل
وكننت إذا ما جئت جئت بعلة فأفريت علاقى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك رسول
صحائف عندى للعتاب طويتها ستنشر يوما ، والعتاب طويل
فلا تحملى ذنبي وأنت ضعيفة فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

(١) هو يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير ، والطثرية أمه ، وهو شاعر إسلامي ، وكان جميل الوجه حسن الشعر حلوا الشائل ، وكان يقول من ألحم عند النساء فلينشد من شعري ، وكان كثيراً ما يتحدث إلى النساء ، وقد قتله بنو حنيفة يوم الفلج ، وكان لبنى عامر على بنى حنيفة . ولاخته زينب شعر جيد ترثيه به

وقال العباس بن مرداس السلمي^(١) :

ترى الرجل النخيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مبرير^(٢)
ويمعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير^(٣)
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن نفخرهم كرم وخير
بغات الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور^(٤)
ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجير^(٥)
وتضربه الوليدة بالهراري فلا غير لديه ولا نكير^(٦)
فان أك في شرارك قليلا فاني في خيسارك كثير

وقال محمد^(٧) بن بشير :

إن الأمور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتبجا^(٨)
لاتياسن وإن طالت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(١) العباس بن مرداس : شاعر من المخضرمين وهو من المؤلفات قلوبهم في الاسلام وكان فارسا مقداما .

(٢) المبرير : القوى الشديد . من المرة وهي القوة :

(٣) الطير : الحسن المنظر :

(٤) بغات الطير : ضعافها ومالا يصيد منها والمقلات : التي تلد واحدا ثم لاتلد بعده أو التي لا يعيش لها ولد والفعل من ذلك أقات : والنزور ، القليلة الأولاد .

(٥) الجير . الحبل يجربه البعير .

(٦) الهراوى . جمع هرواة وهي العصا الغليظة .

(٧) محمد بن بشير . من عدوان شاعر فصيح حجازى من شعراء الدولة الأموية

(٨) ارتبج : أغرق والرتاج . الباب الكبير يغرق وفيه باب صغير مفتوح

أخلق بنى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة رلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير بمنزجا

وقال كعب يرنى أخاه أبا المغوار

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طيب
فقلت نحول من خطوط تتابعت على كبار والزمان يريب
لعمري لئن كانت أصابت منية أخى فالمنايا للرجال شعوب
فانى لبأكيه وإلى لصادق عليه وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى لا فاحش عند رية ولا ورع عند اللقاء هبوب
أخ كان يكفينى وكان يعيننى على نائبات الدهر حين تنوب
هر العسل الماذى لينا وشيمة وليث إذا لاقى الرجال قطوب
كعالية الرمح الردينى لم يكن إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعايا من يحيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك بحيب
فقلت أدع أخرى وارفع الصوت ثانيا لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه بامثاله رحب الذراع أريب
وحد ثمانى أنما الموت فى القرى فكيف وهذى هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته بمالم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو بمنى يدى وخلتنى أنا الغانم الجذلان حين أوب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى على يومه عاق إلى حبيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره خطوط على آثارهم نكوب
فوالله لا أنساه ماذر شارق وما اهتز من فرع الأراك قضيب

وقال آخر يرنى قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترحبا
تحية من الهسته منك نعمة اذا زارعن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه ملك واحد ولكنه بنسيان قوم تهدما

..

وانشد ابو محمد الليثي في يزيد بن يزيد

أحق أنه أودى يزيد	فبين أيها الناعى المشيد
أحامي الملك والاسلام أودى	فما للارض ويحك لاتيديد
تأمل هل ترى الاسلام مالت	دعائمه وهل شاب الوليد
أما هدت لمصرعه نزار	بلى وتقوض المجد المشيد
وجل ضريحه اذ حل فيه	طريف المجد والمجد التليد
أودى عصمة الباري يزيد	وسيف الله والغيث الحميد
لقد رزأت نزار يوم أودى	عميدا ما يقاس به عميد
فلو قبل الفداء فداء منا	بمجهته المسود والمسود
ابعد يزيد نخترن البواكي	دموعا أو تصان لها خدود
أما بالله لا تنفك عيني	عليه بدمعها ابدا تجود
وان تجمد دموع لثيم قوم	فليس لدمع ذي حسب جهود
وان يهلك يزيد فكل حي	فريس للمنية أو طريد
فان يك عن خلود قد دعته	مآثره فكان لها الخلود
فما أودى أمرؤ أودى وأبقى	لوارثه مسكارم لا تبيد
ألم تعلم أخى أن المنايا	عدون به وهن له جنود
ليبك شاعر لم يبق دهر	له نشأ وقد كسد القصيد
أصيب المجد والاسلام لها	أصابك بالردى سهم شديد
لقد عزي ربيعة أن يوما	عليها مثل يومك لا يعود
ومثلك من قصدن له المنايا	باسمها وهن له جنود
فيا للدهر ما صنعت يدها	كأن الدهر منها مستفيد
سقى جدثا أقام به يزيد	من الوسمي بسام رعود
فان أجزع لها كه فاني	علي النكبات اذ أودى جليد

وقال عتبة المازني:

ومستبجح بات الصدى يستتبه (١)
فقلت لا هلى ما بغام مطية
فقالوا غريب طارق طوحت به
فقمتم ولم أجثم مكانى ولم تقم
وناديت شبلا فاستجاب وربما
فقام أبو ضيف كريم كأنه
إلى جذم مال قد نهكنا سواء (٢)
جعلناه دون الذم حتى كأنه
لما حمد أرباب المئين ولا
إلى كل صوت فهو فى الرحل جانح
وسار اضافته السكلاب النواج
متون الفيافي والخطوب الطوايح
مع النفس عللات البخيل الفواضح
ضمننا قرى عشر لمن لا نصافح
وقد جد من فرط الفكاهة مازح
واعراضنا فيه بواق صحاح
إذا عد مال لمكثرين المنائح (٣)
يرى إلى يبتنا مال مع الليل رانح

ولعبد الله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٨٠ هـ

إذا كنت فى حاجة مرسلأ فأرسل حكيماً ولا توصه (٤)
وإن باب أمر عليك التوى (٥)
وإن ناصح منك يوماً دنا
فشاور ليبياً ولا تعصه
فلا تنأ عنه ولا تقصه (٦)

- (١) يستتبه يستفعل من تاه يتيه إذا ضل
- (٢) الجذم الأصل نهكنا سوامه أى اثرنا فى السائمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض إذا أضربه
- (٣) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبها
- (٤) الحكيم العاقل الحازم الفاضل ومن رقة الانتقاد ما يروى أن أبا الأسود الدؤلى سمع رجلاً ينشد هذا البيت فقل قد أساء القول أيعلم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم ما فى نفسه
- (٥) يعنى إذا صعب عليك أمر من الأمور
- (٦) فلا تبعد عنه ولا تبعده

وذا الحق لا تنقص حقه فان القطيعة في نفسه (١)
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثا إذا أنت لم تحصى (٢)
ونص الحديث إلى أهله (٣) فان الأمانة في نصه
وكم من فتي عازب لبه وقد تعجب العين من شخصه (٤)
وآخر تحسبه أنوكا ويأتيك بالامر من فسه (٥)
وقال : شقران مولى سلامان من قضاة :

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لانسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاة كلها فلست أبالي ان أدين وتغرما
أولئك قومي بارك الله فيهم على كل حال ما أعف واكرما
ثم قال الجفان والحلوم رحاهم رجا الماء يكتالون كيلا عندما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحم الا تخذما
وقال النري ويقال انها لرجل من باهلة :

وداع دعا بعد الهدو ككأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله
دعا بائسا شبه الجنون ومابه جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كربم الجدد حلو شمائله
فأرزت نارى ثم أثقت ضوءها

وأخرجت كلبى وهو في البيت داخله
فلما رآنى كبر الله وحده وبشر قلباً كان جمّاً بلابله

(١) لا تنقص حقه لا تنقصه والقطيعة الحجر والمعوق

(٢) إذا كنت لا تستظهره وتعرفه حق المعرفة

(٣) ارفع الكلام إلى المرفوع اليهم ولا ترد فيه ولا تنقص منه .

(٤) عازب لبه غائب عقله وتعجب العين من شخصه أى من حسن منظره

(٥) الأنوك الاحق والانيان بالامر من فسه معناه الانيان بالخبر اليقين

المفصول فيه فلا يقبل المعارضة

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقت الى برك هجان أعده لوجبة حق نازل أنا فاعله
بأبيض خطت نعله حيث أدركت من الارض لم تخطل على حمائله
لجال قليلا واتقاني بخيره سناما وأملاه من النى كامله
بقرم هجان مصعب كان غلما طويل القرى لم يعد ان شق بازله
نفر وظيف القرم في نصف ساقه وذاك عقال لا ينشط عاقله
بذلك أوصاني أبي وبمئله كذلك أوصاه قديما أوائله
ولما مات معاوية بن أبي سفيان ويريد غائب صلى عليه الضحاك بن قيس
الفهرى ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحده على تعزيتة حتى دخل عليه
عبد الله بن همام السلولي فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
لارزه أعظم فى الأقوام قد علموا مدارزئت ولا عقبى كعقبياكا
أصبحت راعى أهل الارض كلهم فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية السابق لنا خلف إذا نعت فلا نسمع بمنعاكا
فافتح الخطباء الكلام

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

ألا تقنى الحياء أبا سعيد وتقصر عن ملاحائى وعدلى
فلو لا أن أصلك حين تنمى وفرعك منتمى فرعى وأصلى
وأنى إن رميتك هضمت عظمى ونالنتى إذا نالنتك نبلى
لقد أنكرتني إنكار خوف يضم حشاك عن شتمى وأكلى
كقول المرء عمرو فى القوافى لقيس^(١) حين خالف كل عدل
عذيرى من خليلي من مراد أريد حيانة ويريد قتلى^(٢)

(١) يريد عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكشوح .

(٢) ١ / ١٤ الأمالى .

وقال الأحوص .

قالت وقلت تخرجى وصلى
صاحب إذا بعلى فقلت لها
ثنان لا أدنو لوصولهما
أما الخليل فليست فاجعه
عوجا كذا تذكر لغانيه
ونقل لها فيم الصدود ولم
إن تقبلى تقبل ونزلكم
أو تدبرى تكدر معيشتنا
وقال القطامي يمدح زفر القيسى وكان قد أسره ثم عفا عنه :

ما للكواعب ! ودعن الحياة كما
أبصارهن إلى الشبان مائلة
إذ باطلى لم تقشع جاهليته
كنية الحى من ذى الغضبة احتملوا
بانوا ، وكانت حياتى في اجتماعهم
ودعنى واتخذن الشيب ميعادى (٢)
وقد أراهن عنى غير صداد (٣)
عنى ، ولم يترك الخلان تقوادى (٤)
مستحقين أسيراً ماله فادى (٥)
وفى تفرقهم قتلى وإقصاى (٦)

(١) ٤٦ ج ١ الأمل .

- (٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى يدعو عليهن بالموت لما هجرنه لخلول شيبه : اتخذن معطوف على ودعنى .
- (٣) صداد جمع صادة : المعرضة .
- (٤) الباطل : الضلال : تقشع تذهب . جاهليته . سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق . تقوادى : قيادتى إلى اللهو .
- (٥) كنية الحى متعلق بودعنى : أى كما ودعنى حتى كنت به كلفاً ، النية : البعد والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فواده . ذو الغضبة مكان .
- (٦) بانوا : رحلوا . إقصاى : أهلاكى .

أرمى قصيدهم طرفي، وقد سلكوا بطن المجيمر فالروحاء فالوادي (١)
 محددين لبرق صاب في خيم وبالقصرية رادوه بسرود (٢)
 يخفون طوراً وأطواراً اذا طلعا نجداً، بدالى من أجمالهم يادى (٣)
 وفي الخدور غمامات برقن لنا حتى تصيدتنا من كل مصطاد (٤)
 يقتلنا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكتومه يادى (٥)
 فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى (٦)

* * *

من مبلغ زفر القيسى مدحته من القطامي قولاً غير إفناد (٧)

(١) القصيدة: الناحية. الطرف النظر. المجيمر: أرض لفزارة. الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. الوادى: منحرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره.
 (٢) محددين: ناظرين بحدة. صاب: انصب. مطره: خيم: جمع خيمة. القرية: بهضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء: موضع لظى. رادوه طلبوه. الرواد: جمع رائد وهو الرسول يبعثه القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه.
 (٣) طوراً: مرة. النجد: المرتفع من الأرض. بدا: ظهر. أجمال: جمع جمل.
 (٤) الخدور جمع خدر. الهودج أو مسكن الجارية. غمامات: جمع غمامة السحابة البيضاء، والمراد المرأة الجميلة. برقن لنا: أطمعنا. مصطاد: مصيد اسم مفعول أو مكان.

(٥) يتقين: يخفونه. باد: ظاهر

(٦) ينبذان: يرمين ويتكلمن. الغلة: حرارة العطش. الصادى: العطشان أى يقع كلامهن مناك موقع الماء من شديد العطش، فسكلاهما أحسن ما يكون وقعا
 (٧) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر. وكان قد عفا عن القطامي وفك أسره لما هزم مع قومه فى إحدى الوقائع فدحه بهذه القصيدة.
 الإفناد: الكذب.

أنى وان كان قومي ليس بينهم
مئن عليك بما استبقيت معرفتى
فلن أئيبك بالنعاء مشـتمة
فان هجـ وتك ماتمت مكارمتى
قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا
لولا كئائب من عمرو تصول بها
إذ لا ترى العين إلا كل سلهبة
إذ الفوارس من قيس بشكتهم
إذ يعتريك رجال يسألون دمي
فقد نصيتهم والحرب مقبلة
وبين قومك الاضرية الهادى (١)
وقد تعرض منى مقتل بادي (٢)
ولن أبـدل إحسانا بافساد
وان مدحت لقد أحسنت إصفادى (٣)
وقد أردت بأن يستجمع الوادى (٤)
أرديت ياخير من يندوله النادى (٥)
وسابح مثل سيد الردهة العادى (٦)
حولى شهود وما قومي بشهاد (٧)
ولو أطعتم أبكيت عوادى (٨)
لا ، بل قد حـت زنادا غير صلاـد (٩)

(١) الهادى : النصل .

(٢) مئن عليك : مادحك . بما استبقيت أى بابنائك على لمعرفتك . إياى .
تعرض : ظهوروا تكشف . مقتل : موضع أقتل منه

(٣) مكارمتى : مفاخرتى لك بالكرم . إصفادى : إعطائى . الصفد القيد
صفده قيده واصعده أعطاه

(٤) بكر وكلب : قبيلتان من عدنان اشتليت : تداركت وأنقذت . يستجمع
الوادى : يتم لك كل ما يسرك قبلنا :

(٥) الكئائب جمع كتيبة : القطعة من الجيش . تصول : تسطو . أرديت هلكت
يندو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادى : مجلس القوم :

(٦) سلهبة : فرس طويلة . السيد . الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العادى
الهاجم يشبه الفرس بالذئب المتدى فى السرعة .

(٧) الشكـة : السلاح . قيس : قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٨) يعتريك : يغشاك . يسألون دمي : يطلبون قتلى . عوادى جمع عائد : الزائر :

(٩) قدح الزند : حاول لإخراج النار منه . الزناد : جمع زند وهو العود
يقندح به النار . صلاـد لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجليل .

والصيد آل نفيل خير قومهم عند الشتاء إذا ما ضن بالواد (١)
 المسانعون غداة الروح جارهم بالمشرفة من ماض ومناذ (٢)
 أيام قومي ، مكاني منصب لهم ولا يظنون إلا أني رادي (٣)
 فانتاشني لك من غرباء مظلمة حبل تضمن إصداري وإيرادي (٤)
 ولا كردك عني بعد ما كربت تبدى الشنأة أعدائي وحسادي (٥)
 فان قدرت على يوم جزيت به والله يجعل أقواما بهرصاد (٦)
 نفسي فداء بني أم هم خلطوا يوم العروبة أورادا بأوراد (٧)
 بيضا صوارم كالشهبان نعسفها في البيض من مستقيبات ومناذ (٨)

- (١) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأسه كبرا . آل نفيل . آل الممدوح
 ضن بالواد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين ييخل الناس .
- (٢) المنعون : الخامون ، الروح : الفرع . الجار : المجاور أو المستجير .
 المشرفة : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى عربية تدنو من ريفه .
 الماضي : السيف المستقيم القاطع . المناذ : المذبح .
- (٣) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .
- (٤) انتاشني : تداركني . الغرباء : الداهية . حبل : عهد وذمة . الإصدار :
 الإرجاع عن الماء . الإبراد : إحضاره المورد والمعنى أن عهدك قام بحفظي وحراستي
- (٥) كربت : دنت . الشنأة البغض والشناتة . أي ليس من الفعل ما يشبه
 ردك الشر عني وقد كاد يشمت بي الأعداء لقرب ضياعي .
- (٦) قدرت على يوم : أي إذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا : لما
 سمع زفر هذا قال . لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .
- (٧) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أوراد : جمع ورد . الجيش أو
 الجماعة أو السيف .
- (٨) بيضا صوارم . سيوفا قاطعة . الشهبان جمع شهاب : الكوكب أو المنقض
 منه . نعسف . نضرب على غير هدى ،

نبيت قيسا على الحشاك قد نزلوا مناجى على الأضياف حشاد (١)
في المجد والكرم العالى ذوى أمل وفى الحياة وفى الأموال زهاد
الضاربين عميراً عن يوتهم بالنيل يوم عمير ظالم عادى (٢)

(١) الحشاك . نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشد :
المستعد المتأهب . أى نزلت قيس علينا للحروب فوجدتنا مستعدين للقاءها وشبهه
الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب .
(٢) عمير بن الحباب القيسى ، قتل يوم الدروبه ، وهو يوم لتغلب على قيس .
ضربه عن يده : صده عنه .

الشعر

في العصر الأموي

تمهيد :

١ — الشعر لغة الخيال الساحرة ، وأداة التعبير الرائع ؛ وديوان العرب وجمع نفوسهم ، ومآثرهم الكبيرة الخالدة

نظموه في الجاهلية أناشييد سماوية تصور المشاعر والمعاطف وخواطر القلوب ، وخلجات النفوس ، يحفظون به كما يقول التبريزي : المكارم والمناسب ويقيدون به الأيام والمناقب ، ويخلدون به معالم النناء ، ويبقون به مواسم الهجاء ، ويضمونه ذكر وقائعهم في أعدائهم ، ويستودعونه حفظ صنائعهم إلى أوليائهم ،

كما نظموه بعد الجاهلية حتى الآن قصائد رائعة تخطر في ثوب الخيال البديع والعاطفة الصادقة والمعنى الجميل والحكمة الرفيعة ، فأضافوا إلى حوليات زهير واعتذاريات النابغة وحماسيات عنتره أهاجي الخطيئة وهاشميات السكيت ونقائض جرير وغزليات ابن أبي ربيعة وابن الأحنف ونخريات الأخطل وأبي نواس ونفريات الفرزدق ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري وروضيات الصنوبري وإطائف كشاجم

واتخذوه صناعة فنية عالية ، واختاروا لظمه الاوقات المناسبة حتى قال الفرزدق : « من أسلم ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكرى وأول النهار قبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر ، وهذبه كما كان زهير يهذب حولياته التي كان ينظم القصيدة منها في ستة أشهر وينقحها في ستة أشهر

٢ — ولقد لقي الشعر العربي الكثير من رعاية خلفاء بني أمية وعنايتهم وإيتارهم ، وعقدوا المجالس لأنشاده ونقده ، وسمعوا الجوارى يغنين به في مجالس السمر والهوى ، وأثابوا الشعراء عليه بسنى الجوائز وكريم العطاء

ولم لا ؟ وهم عرب يهزم البيان ، وتسعدهم البلاغة ويطربون للشعر ، ويطيرون
عند سماع مدح رائعة أو ثناء محبر

ولإذا كانوا قد شملوا العلم والثقافة واللغة والأدب بالرعاية والبر ، فلم لا يعنون
كذلك بالشعر وهو أداة التصوير الساحر ، والتأثير الباهر والتعبير عن كل
ما يحيش بالنفس من خواطر وآراء ومعان وأفكار ؟

ولم لا يكرمون الشعراء ، وهم من هم عند العرب ، نباهة شأن ، وجلال مكانة
ورفعة منزله ، وعظمة جناه ونفوذه وسلطان ؛ وهم الذى يتصرفون فى الأرواح
والقلوب والعواطف ، ويملكون مقادير الجماهير ، ويبدعهم زمام البيان والبلاغة ؟
وكيف لا نجد منهم ذلك التقدير للشعر ، وهو سبيل لدعم ملكهم ، وتأيد
سلطانهم ، ووسيلة لا متلاك زمام القلوب الثائرة ، والنفوس الساخطة ؟

وستعلم من البحوث التالية مالى الشعر فى عصر بنى أمية من بر وإيثار
وتقدير وحب

مظاهر العناية بالشعر فى العصر الأموى وأسبابها :

١ - عفى الخلفاء والأمراء والولاة بالشعر عناية كبيرة :

أ - فأرسلوا وفودهم للشعراء التماسا للمدح والثناء ، حتى أن سليمان بن عبد
الملك بعث إلى ابن أبى ربيعة فأنابه ، فقال له : لم تمدحنا ، قال عمر : أنا لا أحسن
مدح الخلفاء والأمراء إنما أحسن مدح النساء ، وكان الخلفاء يبعثون للشعراء فى
المناسبات الحافلة ، يطلبون منهم لإنشاء المدائح والقصائد ،

ب - واتخذ كل خليفة أو أمير لنفسه شاعراً يقربه ويؤثره ويهيبه الأموال
الجزيلة والعطاء الجهم ، فكان الأخطل شاعر يزيد بن معاوية ثم شاعر مروان بن
عبد الملك الخليفة الأموى العظم .

ولم يشذ عن ذلك إلا عمر بن عبد العزيز الذى نغم على الشعراء عهدهم
ولهوهم وبجونهم واتخاذهم الشعر أداة للدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل
الصاخب فجذروهم وأوعدهم وأنذرهم مهددهم بل نفى بعضهم من جزيرة العرب .

روى (١) أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة لم تكن له هبة إلا عمر بن أبي
والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : « قد عرفت عمر والأحوص بالخبث
والشر ، فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما وأحلبهما إلى » .

فلما أتاه الكتاب حلبهما إليه : فأقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كلياى الحج أفطن ذا هوى
وكم مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو البصرة البيض كالدمى
فإذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فتى يفلتون ، أما والله لو أهتمت
بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك ، نعم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين أو خير
من ذلك ؟ أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً وأجدد توبة على يديك .
قال : أو تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبة وخلاه . ثم دعا بالأحوص فقال : هيه
الله بينى وبين قيمها يهرب منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى دهمك (٢) فلم يزل بها .
فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلّموه فى أمره ، وسألوه أن يقدمه ،
وقالوا له : قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه ، وقد أخرج إلى بلاد الشرك ،
فنطلب منك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه . فقال
لهم عمر ، من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فجأة فأتيت حتى ما أكاد أحير

قالوا : الأحوص قال فن الذى يقول .

أدور ولولا أن أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوّراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

(١) الأعرافى ض ٦٤ ج ٩

(٢) دهمك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على
على أحد نفوه إليها .

قالوا : الاحوص . قال فن ذا الذى يقول .

كان لبني صبير (١) غادية أو دمية زيت بها البيع
الله بينى وبين قيما يهرب منى بها وأتبع

قالوا الاحوص ، قال . والله لا أردنه ما كان لى سلطان .

فكث هناك حتى مات عمر ، وولى الامر من بعده يزيد بن عبد الملك ،
فغنته جميلة يوماً :

كريم قريش حين ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا
فطرب يزيد وقال : ويحك ، من كريم قريش هذا ، قالت : أنت يا أمير
المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال . ومن قائل هذا الشعر فى ؟
قالت : الاحوص وهو منفى .

فكتب برده وحمله إليه ، وأنفذ إليه صلات سنينة : فلما قدم إليه أدناه وقربه
وأكرمه ، وقال له يوماً فى مجلس حافل . والله لو تمت إلينا بحق ولا صهر ولا
رحم إلا بقولك .

وإنى لاستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع
لكفالك ذلك عندنا .

ولم يزل يناديه حتى مات

ج - وأغدقوا على الشعراء العطاء والأموال الجزيلة والهبات الضخمة ،
وعاش كثير من الشعراء فى ترف ونعمة وثناء

روى عن دكين الراجز قال . (٢) امشدحت عمر بن عبد العزيز وهو والى
المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة ناقة كرائم ، فكرهت أن أرمى بهن الفجاسج ، ولم

(١) صبير : سحابة بيضاء .

(٢) الأغاني ص ٢٦١ ج ٩ ، العقد الفريد ص ٢٠٢ ج ١

تطرب نفسي ببيعهم . فقدمت علينا رفقة من مصر ، فسألتهم الصحبة ، فقالوا .
ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة .

فأتيته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لي : ياد كين ، إن لي نفسا
تواقية ، فان صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأنتى ولك الإحسان . قلت . أشهد لي
بذلك ، قال . أشهد الله به . قلت : ومن خلقه ؟ قال . هذين الشيخين ، فأقبلت
على أحدهما فقلت . من أنت أعرفك ؟ قال . سالم بن عبد الله بن عمر . وقلت
للآخر : من أنت ؟ قال . أبو يحيى مولى الأمير .

فخرجت إلى بلدي بهم ، فرمى الله في أذانهم بالبركة حتى اعتقدت (١) منهم
الإبل والعبيد ، فاني لبصعراء فلج (٢) إذا ناع ينمى سليمان . قلت : فن القائم بعده ؟
قال : عمر بن عبد العزيز .

فتوجهت نحوه ، فلقيني جرير منصرفا من عنده ، فقلت : يا أبا حرزة ، من
أين ؟ فقال : من عند من يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء فانطلقت فاذا هو في عرصة
دار ، وقد أحاط الناس به ، فلم أخلص إليه ، فناديت .

يا عمر الخيرات والمسكارم وعمر الدسائع (٣) العظامم
إني امرؤ من قطن بن درام طلبت ديني من أخى مسكارم
إذ تنجى والليل غير نائم عند أبي يحيى وعند سالم
فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوي عندي شهادة عليك ،
فقال : أعرفها ، أدن ياد كين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسي لم تنل شيئا قط إلا
تاقت لما هو فوقه ، وقد نلت غاية الدنيا ، فنفسي تنوق إلى الآخرة ، والله
ما رزأت (٤) من أموال الناس شيئا ، ولا عندي إلا ألف درهم ، فخذ نصفها .
قال دكين : فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه .

(١) اعتقد الشيء ، اشتراه أو اقتناه
(٢) فلج . اسم واد
(٣) الدسائع : العطايا
(٤) رزأ من ماله شيئا إذا أخذ

د - وعمدوا له المجالس الخافلة لأنشاده وسماعه ، وطربوا له واهتزوا أريحية
للشعراء الذين حبروه وأنشدوه

وعفوا عن خصوصهم السياسيين لقول بليغ يصدر منهم ؛ أوبيت رائع تنطق
به ألسنتهم ، وموقف عبد الملك من السكيت مشهور

وروى أن معاوية لما ^(١) استعمل زياداً على العراق كتب إليه . أما بعد فانظر
عبد الله ^(٢) بن هاشم بن عتبة ، فشد يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى

فحملة زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق ، فأدخل على معاوية ، وعنده
عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو . هل تعرف هذا ؟ قال لا اقال . هذا
الذي يقول أبوه ^(٣) يوم صفين .

إني شريت ^(٤) النفس لما اعتلا وأكثرت اللوم وما أقسلا
أعور ينبغي أهله ^(٥) محلا قد عالج الحياة حتى ملا .
لا بد أن يفيل ^(٦) أو يفلا يتلهم بذى السكوب ^(٧) تلا

(١) المسعودي ص ٥٧ ج ٢

(٢) كانت في نفس معاوية من يوم صفين إحسن عـلى هاشم بن عتبة وولده
عبد الله بن هاشم

(٣) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعور - فقال .
يا هاشم ، أعورا وجهناً ؟ اركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز ، إني شريت
النفس

(٤) شريت النفس . بعثتها في سبيل الله ، لما اعتل . رماني عمار بالجبن .

(٥) ينبغي أهله أى محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله .

(٦) يفيل : يهزم

(٧) تلا : صرعه ، وذو السكوب : الريح .

لاخير عندى فى كريم ولى

فقال عمرو متمثلاً :

وقد ينبت المرعى على دمن ^(١) الثرى وتبقى حرازات النفوس كما هيا
دونك يا أمير ، الضب ^(٢) الضب ا فاشخب اوداجه ^(٣) على أسباجه ،
فلا ترده إلى العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وإن له
هوى سيوديه ، ورأيا سيطنغيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئها .
فقال عبد الله : يا عمرو ، إن أقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان
هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك إلى النزال ، فقال عمرو : أما والله
لقد وقعت ، ولا أحسبك منفلاً من مخالب أمير المؤمنين ا
فقال عبد الله . أما والله بآبن العاص ، إنك ، لبطر فى الرخاء ، جبان عند
اللقاء ، غشوم إذا وليت هياب إذا لقيت ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك
أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يرقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ..
فقال عمرو . أما والله لقد رأيت أباك يؤمئذ تخفق أحشاؤه ، وتبقى ^(٤) ،
أمعاه . . . ا

فقال عبد الله : يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوباً
غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجدنا لا يسأمونك ، ولورمت المنطق فى غير
أهل الشام لبحظ ^(٥) ، إليه عقلك ولنا جلع لسانك ولاضطرب فخذاك اضطرب
العود الذى أثقله حملة ا

-
- (١) الدمن جمع دمنه وهى ما أسود من آثار الدار .
(٢) الضب . حيوان يضرب بخداعه المثل فيقتل : أخذع من ضب .
(٣) الأودج . عروق فى العنق ، وشخبت أوداج القتيل دماً : جرى دمها ،
والإسباج . جمع سبجة وهى من القميص بذيقتة .
(٤) تبقى . تخرج ، بق النبت بقوقاً : طلع .
(٥) جحظت العين ، إذا برزت مقلمها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم
يسلس لك قيساد التفكير

فقال معاوية إني أعفوكما ، وأمر بأطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه ، يامعاوية ، الذي أعان عليا يوم حزن الغلاصم (١)
فلم يثنى حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم (٢)
وهذا ابنه ، والمرء يشبه سنخه ويوشك أن يقرع (٣) به من نادم
فقال عبد الله يجيبه

معاوي إن المرء عمراً أبت له ضغينة صدر غشها غير نادم
يرى لك قتلى يابن هند وإنما يرى ما يرى عمرو ملوك الأجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم إذا منعت منه جهود المسلم
وقد كان منا يوم صفين نكرة (٤) عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى ولا ما جرى إلا كاضغاث حالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة وإن تر قتلى تستحل محارمي
فقال معاوية

أرى العفو عن عليا قریش وسيلة إلى الله في اليوم العصيب القمطار (٥)
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم بادراك ثاري في لؤي وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه وزلت به إحادي الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جرة علينا فادته رماح نهابر (٦)

-
- (١) الغلاصمة رأس الخلقوم
(٢) الخضرم البحر العظيم ، وبقيت الياء في « يثنى » ، للضرورة
(٣) قرع سنه ، حرقه ندماً ؛ أى سحقه حتى سمع له صريف ، وسكن الفعل للضرورة والسنخ ، الأصل من كل شيء
(٤) نعر القوم ، هاجو واجتمعوا في الحرب
(٥) يوم قاطر ؛ شديد
(٦) النهابر ؛ المهالك

٥ — ولما اتخذوا الشعر وسيلة لأذاعة محامدهم ومآثرهم وآرائهم ، كانت لكل حزب سياسي شاعر ينطق بلسانه ، ولكل فرقة أو طائفة دينية ساحر يشيد بزعيمها ويهبر عن آرائها ومبادئها . فكان الأخطل شاعر بني أمية ، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، والسكيت شاعر العاويين ، وعمران بن حطان شاعر الخوارج وهكذا .

٢ — وكذلك عني به الناس فسمعه رثاؤا به وأفنخرت كل قبيلة بشاعرها واعتزت به اعزازا كبيرا لأنه لسانها المدافع عن أحسابها والناطق بمفاخرها والذائد عنها خصومها وأعداءها ، فكان الأخطل شاعر تغلب ، والفرزدق شاعر قريش وهكذا .

٣ — كما اتخذ منه المغنون الخانا جميلة وأصروا رانعة وأغاني عذبة ، يملأون بها الدنيا غناء وطربا ومتعة وسرورا .

٤ — وعنى الشعراء كذلك بالشعر ، فأقبلوا عليه يحدونه وينقحونه ويهذبونه ويتنافسون فيه ، وينقد بعضهم البعض الآخر طلبا للكمال وحبا في التهذيب والتجويد والشواهد على ذلك كثيرة من الأدب الأموي ، وهي من الكثرة بحيث تغني الإشارة إليها عن الإفاضة في ذكرها

ولم يسكنوا يقدرون للعمال حسابا ؛ بل لم يكونوا يحسبون أنفسهم أصحاب فضل على الشعراء ، بل الشعراء هم أصحاب الفضل عليهم ، روى أن عبيد الله (١) بن العباس خرج مرة من المدينة يريد معاوية في الشام ، فأصابته سماء ، فنظر إلى نورة (٢) عن يمينه ، فقال لعلامة ، مل بنا إليها فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رائة ، فقال له ، أخ ، انزل ، حيث أدخل

(١) عبيد الله بن العباس . كان مشهورا بالجود ؛ معدودا من الأجواد ؛ ، وهو أول من فطر جيرانه في رمضان ، وأول من وضع موائده في الطرق توفي سنة ٨٧ هـ

(٢) تصغير نار

إلى منزله ، فقال لامراته ، هيئى شاتك أفضى بها ذمام ' (هذا الرجل ، فقد توسمت فيه الخير ، فإن يكن من مضر فهو من بنى عبدالمطلب ، وإن يكن من آلين فهو من بنى آكل المرار (٢) ، فقالت له ، قد عرفت حال صديقتي ، وأن معيشتهم منها ، وأخاف الموت عليهم إن فقدوها . فقال . موتهم أحب إلى من اللؤم (٣) ؛ ثم قبض على الشاة ؛ فأخذ الشفرة وأنشد

قريبتي (٤) لا توقظي بنيه إن يوقظوا ينسحبوا عليه
وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه
ثم ذبحها وكشط جلدتها . وقطعها أرباعا ، وقذفها في القدر حتى إذا استوت
ثرد (٥) في جفنة ، فعشاهم ثم غداهم

وأراد عبيد الله الرحيل ؛ فقال لغلამه ، أرم للشيخ ما معك من نفقة ؛ فقال ؛
ذبح لك الشاة فكافئة بثمان عشرة أمثالها ؛ وهو لا يعرفك ؛ فقال ؛ ويحك ! إن
هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها ، وإن كان لا يعرفنا فأنا
أعرف نفسي ، أرم بها إليه ، فرماها إليه فكانت خمسمائة دينار

ثم ارتحل عبيد الله ، فأنى معاوية ، فقضى حاجته ، ثم أقبل راجعا إلى المدينة
حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلَامه ، مل بنا ننظره في أى حالة هو ،
فأنهبنا إليه ، فإذا برجل سرى عنده دخان عال ، ورماد كثير ، ولابل
وغنم ، وفرح بذلك ، وقال له الشيخ ، أنزل بالرحب والسعة ؛ فقال له عبيد الله ،
أتعرفنى ؟ فقال ؛ لا ، والله ، فن أنت ؟ فقال أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ؛ فقام
إليه ، فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال ؛ قد قلت آياتنا ، أسمعها منى ؟ فقال
هات فأنشد ؛

(١) الذمام . الحرمة

(٢) آكل المرار . جدي امرئ القيس ، وبنو آكل المرار . هم ملوك اليمن

(٣) اللؤم . البخل (٤) القرية ذات القرابة

(٥) يقال ثرد الخبز . أي فته

توسمته (١) لما رأيت مهابة عليه وقلت : المرء من آل هاشم
ولأف من آل المار فانهم ملوك عظام من كرام أعظم
فقلت إلى عز بقيّة أعز لأذبحها فدل أمرى غير نادم
فعودنى عنها غناى ولم تكن تساوى (٢) عزى غير خمس دراهم
فقلت لأهلى فى الخلاء (٣) وصليت : أحقا أرى أم تلك أحلام نائم
فضحك عبيد الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا أخذت منا ، يا غلام
أعطه مثلها وبلغت فعلته معاوية فقال : لله در عبيد الله : من أى بيضة خرج
وفى أى عش درج

∴

- ولهذه العناية الكبيرة بالشعر والشعراء أسباب كثيرة
- ١ — فالعصبية التى أحيها بنو أمية فى هذا العصر كانت عاملا كبيرا فى
فى رواج الشعر والعناية به ، واهتمام الخلفاء والولاة بالشعراء
 - ٢ — واهتمام الرواة بالشعر ونقدته جعل للشعر سوقا رائجة ، ودعا الشعراء
إلى تهذيبه وتجويده
 - ٣ — والتنافس بين الشعراء له أثر كبير فى نهضة الشعر الفنية التى بلغها فى
العصر الأندلسى
 - ٤ — وأثر الشعر فى الحياة الاجتماعية وأنه لسان المفاخر والمثالب جعل
للشعر والشعراء مكانا مديونا فى الحياة العربية فى هذا العصر ، فكان يرفع الوضع
ويضع الشريف ، حتى أن مدحة الشهاخ لعرابة التى منها .
 - رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين .
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

(١) توسمته ؛ تفرسته (٢) تساوى ، بوضع الضمة على الياء للضرورة

(٣) الخلاء ، الفضاء

كانت مثلاً سائراً وأثراً باقياً ومفخرة خالدة لعراة وكانت بنو نمير من أعظم العرب مكانة وأنبيهم : أنا فلما هجاهم جرير بقصيدته التي منها
 فعرض الطرف إنك من غير فلا كمها بلغت ولا كلابا
 صار اسم القبيلة لأفرادها سمة هوان وعيب وعار
 ه — واتخاذ الشعر أداة للغناء والالحان كذلك كان له أثر كبير في هذه العناية الضخمة

يقول جورجى زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية. كان لبني أمية رغبة شديدة في إحياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الآداب نفوسهم شعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه قال : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فلقد رأيتني ليلة الحرير بصفين وقد اتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أيد الحرب لشدة البلوى فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الأطنابة :

ابت لي همتي وأبي بلائي وأخذني الحسد بالثمن الربيع
 واقحامى على المسكروه نفسي وضربني هامة البطل المشيع
 وقولي كلما جشأت وجاشت مسكانك تهمدى أو تستريحى
 لأدفع عن مآثر صالحات واحى بعدد عن عرض صحيح
 وي زيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه لبيت شعر له غنته فيه
 جميلة المنية وهو قوله :

كريم قریش حین ینسب والذى اقرت له بالملك كهلأ وامردا
 فطرت يزيد وقال : ويحك من كريم قریش هذا ؟ قالت : انت وقد قاله
 الاحوص وهو منى ، فكاتب برده وانفذ له حللا سنية وادناه وقربه . وقال له
 يوما : لو لم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :
 وانى لاستحييكم ان يقودنى الى غيركم من سائر الناس مطمع
 لكفناك ذلك عندنا ،

وقد خابر عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر واجابه ذاك بمثله

وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحساسة مثلهم . فالحجاج وهو اشدّهم وطأة جيء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فاخذ في قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل : والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما احسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما اطعته ، فقال له : وكيف وبلك ، قال : لان الله تعالى يقول . فاذا لقيتم الدين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ، وقد قتلت فاثخنتم حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل دمه قال : او من ، فقال الحجاج : ويل لك الا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ، ثم نادى برفع السيف وامن الناس .

وكان بنو امية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يقترحون عليهم ان يصفوا شيئاً ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك ، او يجمعونهم ليفاخروا بين ايديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثيراً وابن الرقاع وقال لهم انشدونا من نحر كم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل .

وقد يخطر لاحد من شعر لا يعرف قائله او يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر او الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة من دمشق الى عامله بالبصرة ان يشخص اليه حماد الراوية على البريد فقضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة فاذا هو يقول له : بعثت اليك لبيت خطر بيالى لم ادر من قائله ،

فهدأ روعه وقال وما هو؟ فقال :

فدعوا بالصبح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال حماد : هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة ، وانشده اياها

وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر او اديب بارع بعثوا في

استقدمه مما يطول بنا ذكره

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وينسبون الى
يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشاً على معصم او هت به بجلدي
وربما كانت لغيره لكنه كان من اصحاب الشاعرية .

وكان لبعض خلفائهم الدهاء شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة
معاوية وعبد الملك وهشام حكم كل منهم اكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية
بالادباء وخصوصاً عبد الملك والادب لا ينمو ويوزق ويشعر الا في ظل محبيه من
الملوك او الامراء واذا تدبرت النهضة التي مر بها الادب رأيت لكل نهضة اميراً
او ملكاً اخذ بناصرها واحيا الادب بتقديم اهله وتنشيطهم

فلا عجب اذا كان اكثر احاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر
ومن هو اشعر شعراء الجاهلية او الاسلام . وكان المشهورون من شعراء الجاهلية في
عصرهم أمراً القيس وزهيرا والنايفة يفضلوهم على سواهم ويفضلون جريراً
والفرزدق والاختل على سائر الشعراء المسلمين في ايامهم لكنهم كانوا يتناقشون
في اى هؤلاء اشعر وكثيراً ما كانوا يتخاصمون وترتفع اصواتهم . وربما اهتم
الخليفة او الامير فبحث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في اشعر الشعراء كما فعل
الحجاج اذ بحث الى قتيبة يسأله عن ذلك وقد يعثرون من الشام الى العراق لمثل
هذا السؤال .

نهضة الشعر الفنية

في عصر بني أمية

وبعد فقد نهض الشعر نهضة فنية عظيمة في هذا العصر ، وتعددت جوانب تجويده وتهذيبه وعكف عليه الشعراء تنقيحاً وتصنيعاً .
ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ - منزلة الشعر والشاعر الضخمة في العصر الأموي التي سبق أن حدثناك عنها بالتفصيل .

٢ - التنافس بين الشعراء على الشعر والحظ عند الأمراء والخلفاء

٣ - إحياء الشعر الجاهلي^(١) واتخاذهُ نموذجاً فنياً عالياً ينسج على منواله الشعراء

٤ - تعدد مجالس النقد والنقاد حول الشعر والشعراء وسلامة ملكة العربية في نفوسهم ، وعناية بني أمية بالشعر ورجالها

٥ - اتخاذ الشعر أداة للغناء فقد رقته الشعراء واختاروا له الأساليب العذبة والألفاظ الرقيقة والتعابير السمحة السهلة الواضحة

وسنحدثك بتفصيل عن مظاهر هذه النهضة الفنية العظيمة التي بلغها الشعر في هذا العصر في معاني الشعر وأسلوبه وألفاظه وأخيلته . وبعد فقد طفر الشعر في هذا العصر : رجزه وقصيده في سبيل التفنن فيه والاهتمام بشأنه أو التكسب به طرفة لم يتقدم عنها إلا بعد عدة قرون ، فطالت قصائده وأراجيزه وقلت عيوبه في الوزن والقافية ، وزادت فنونه ، ودقت معانيه ، ورق أسلوبه وألفاظه في الغزل والنسيب والعتاب رقة لم تعهد من قبل

(١) ويروى أن أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها هو حماد الراوية [٢٣ طبقات الشعراء لابن سلام]

معاني الشعر الأموي :

وتمتاز معاني الشعر في هذا العصر بما يأتي :

١ — العمق والترتيب والدقة التي تبدو في الآثار الفنية الشعرية في هذا العصر

وذلك ناشئ من ثقافتهم الواسعة العربية وغير العربية التي أفادوها وتأثروا بها ، وكثرة تجاربهم في الحياة وخبرتهم بها ، وتأثرهم بآداب السابقين ومعانيهم وبالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ولأن من الشعراء من كانوا من عناصر أجنبية كزياد الأعجم وموسى شهوات وأبي العباس الأعمى الذين كانوا من عناصر فارسية وتأثروا بثقافات الفرس وعلومهم .

٢ — كثرة الحكم والأمثال في شعرهم كما في شعر معن والفرزدق وجربير والاختل وابن أبي ربيعة وسواهم وذلك لتأثرهم بحكمة القرآن والحكم الفارسية واليونانية التي ذاعت في هذا العصر

٣ — وضوح الأفكار والمعاني وخلوها من التعقيد إلا قليلا كما نرى عند الفرزدق وبعض الشعراء

٤ — قلة المبالغة والتكلف والاغراق مما نراه في الشعر في العصر العباسي

٥ — إنسكاؤهم على معاني الشعراء الجاهليين واعتمادهم عليها وزيادتهم فيها بما اقتضته الحضارة والحياة العربية الجديدة في العصر الأموي

٦ — كثرة المعاني الجديدة في شعرهم بتأثير البيئة والعصر والتغيرات السياسية والاجتماعية الجديدة

أخيلة الشعر :

أما أخيلة الشعر في العصر الأموي فتمتاز غالبا بما يأتي

١ — قرب الخيال من الواقع والحس والعقل في التعبير

٢ — كثرة صور الخيال البديع من التشبيه الطريف والاستعارة الجسيمة والسكناية الدقيقة مما هو أثر للحياة الجديدة

٣ — السحرهم وروعة التأثير في الأخيصة التي أبشكرها شعراء العصر
الأموي بما يمكنك معرفتها والاهتمام اليها بالإمعان في الشعر الأموي
وقراءته

أسلوب الشعر الأموي :

ويمتاز أسلوب الشعر في هذا العصر بما يأتي .

١ . الحرص على الروعة والقوة وضخامة الأساليب وذلك لاتخاذ الشعر
وسيلة للدعاية . السياسية

٢ — خلوه من الحوشية والغرابة النافرة والإسفاف وبقاء بلاغة الجاهلية
وفصاحتها في الأسلوب .

٣ ظهور أثر القرآن والحياة الجديدة في الشعر الأموي واضحا جليا .

٤ . تمثيل الشعر للحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية تمثيلا واضحا .

٥ — تعدد مناهج الشعراء الفنية في الأسلوب بحسب بيئاتهم ونزعاتهم ،
وتفانيهم ، فالذين عاشوا في البادية وتأثروا بالحياة فيها كان أسلوبهم قريبا من
من الأسلوب الجاهلي في خصائصه وميزاته كذى الرمة والرماح
وسواهما ، والذين عاشوا في الحواضر والامصار وراوا مظاهر العمران والحياة
الجديدة كان على أسلوبهم طابع الخفة والعذوبة والرشاقة والسلاسة الممتعة
والقوة المؤثرة .

ولا شك أن لاهياء الادب الجاهلي والقرآن وأثره الادبي وللحياة الجديدة
كثير من الأثر في تعدد مناهج الشعراء في الأسلوب .

٦ — ظهور الأراجيز وكثيرتها في عصر بني أمية فقد عنوا بها عناية جعلتها
تقرب من القصائد في أكثر خصائصها ، فبعد أن كان البدوي ينظم منها بضعة
مشطورات يحدوها الإبل أو يصفها أو يصف ظبيا أو ظليما أو ثور وحش نشأ
في هذا العصر فحول من الرجايز طولوا الأراجيز ونحوها بها منحنى القصائد ،
فضمنوها اغراضها من المدح والهجاء والفخر والثناء ، وصاروا يمدون لهذه

الأغراض بالنسب وذكر الديار وآثارها والظماثن وحدودها ، ويقصدون بها الخلفاء والولاة واشتهر منهم أبو النجم العجلي والعجاج وابنه روبة .

٧ — ظهور الجزالة واضحة في شعر العصر الأموي

والجزل من الكلام هو الذى تعرفه العسامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه (٢) ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ؛ ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منهما يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوافى التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفى استعجاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجبية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمت الأطراف لو أنها تلبس أذننت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول : وأما البداوة فى الألفاظ فتلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والركة وشأنهما فى الكلام وبحبها منهم كثيرون فى تقديم ودراستهم فالفرزدق يقول فى جرير ، ما أحوجنى مع قسوتى إلى رقة شعره ، وأحوجه مع عفافة إلى خشونة شعرى (٥) فهو يرى أن الجزالة والركة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه ، ويقول عبد الملك فى الأعشى قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره (٦) ويقول

(١) ٦٤ الصناعتين	(٢) ٦٦ المرجع
(٣) ٦٥ المثل السائر	(٤) ٦٨ المثل السائر
(٥) ١٢٧ الشعر والشعراء	
(٦) ٣٨ البهجة	

الأصمعي في شعر النابغة ، إن قامت ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت (١) وقال أبو عبيدة في شعره ، له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مستع ذاب وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (٢)

وبحث الجرجاني في وساطته الجزالة والركة بتفصيل (٣) وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون مديشته فيما ورأى أن الرقة إنما تأتيك من قبل العاشق للمقيم والغزل المتمالك ودعا إلى تنزيل الجزالة والركة منازلهما بحسب المعاني والأغراض والموضوعات (٤) . وقد ذكر الجاحظ في البيان الجزالة والركة عرضا فراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربي وبكل قد تكلموا (٥) وذكر أن سخييف الألفاظ مشا كل لسخييف المعاني وأنه قد يحتاج إليه في بعض المواضع وربما أمتنع كثيرا .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجته إلى الجزالة (٦) ويدعو إلى ترك الوحشي والسوقي في مواضع كثيرة من بيانه (٧) وعرض لهما ابن المدبر عرضا فقال : لا يعتمد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا جزلا (٨) وعرض لهما أرسطو في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفاسقة ولا مجاوزة في المتانة مبلغ الأمر الذي يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج تحوج إلى الكلفة المشنومة ، وذكر أنه لا ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بالألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه باللفظ رقيق (٩)

(١) ٣٨٠ / ٣ العقد

(٢) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٣) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٤) ٢٩ المرجع (٥) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٦) ٣٠ ج ١ البيان (٧) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

(٨) ١١ الرسالة العذراء

(٩) راجع الفن الثامن من الخطابة في الشفاء لابن سينا مخطوط

ألفاظ الشعر .

وألفاظ الشعر في هذا العصر يظهر فيها أثر القرآن الكريم والحياة الجديدة غدوبة وفصاحة وسلامة من اللحن والخطأ والمعجمة والغريبة والوحشية والابتذال فإذا ما فتشت في الشعر الأموي لا تجد ألفاظا تشبه ألفاظ امرئ القيس أو طرفه أو لبيد مثلا في الغرابة . نعم قد تجد لبعض الشعراء كالأخطل وجريز والفرزدق في مواطن الفخر والهجاء أو المناقضات بدخ الغرابة في الألفاظ ولكنها لا تبلغ هذا المبلغ الذي بلغته في ألفاظ الشعر الجاهلي أغراض الشعر الأموي :

وأغراض الشعر الأموي كثيرة متعددة وهي لا تقتصر على أغراض شعر الجاهليين أو شعر صدر الإسلام فحسب بل إن الحياة الجديدة الاجتماعية والسياسية والأدبية قد أدت إلى خلق أغراض جديدة لم تكن ألوفة من قبل . فقد احتفظ الشعر الأموي بالفنون القديمة التي كانت في الجاهلية من المدح والهجاء والفخر والرثاء والوصف وإن كانت هذه الفنون تنهج نهجا جديدا أو كالجديد وفق ظروف البيئة والعصر والحياة ، كما أضاف الشعر الأموي إلى هذه الفنون والموضوعات أغراضا جديدة لم تكن من قبل

فقد استحدث الشعراء الأمويون الشعر السياسي والغزل العذري والنسيب القصصي ووصف البلاد المفتوحة والسكرام في بيان العقيدة أو في الزهد وتناول الحسكة كما جاوروا الشعراء الذين سبقوهم في الفخر والرثاء والمدح والهجاء والوصف وسنكلم بنفصيل على أغراض الشعر الأموي الجديدة والقديمة على السواء
١ — الشعر السياسي وهو لون جديد من الشعر نراه في عصر بني أمية وقد كانت نشأته ظاهرة طبيعية لحياة الأمويين الجديدة

كان الشعر الجاهلي يصف الخلافات القبلية . ووصف شعر صدر الإسلام ما كان حول الدعوة الجديدة من خلافات وخصومات اشتعلت نارا بين المشركين . والمسلمين

أما الشعر الأموي أو الشعر السياسي منه فيصف الخصومات السياسية بين

الأحزاب المختلفة في العصر الأموي من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج .
فكان شاعر بني أمية الأخطل وشاعر الشيعة السكيت الأسدي وشاعر الزبيريين عبد
بن قيس الرقيات وشاعر الخوارج وعمران بن حطان والطرماس بن حكيم . وكان كل
واحد من هؤلاء الشعراء يشيد بحزبه ودعائه وأبطاله ويهجو خصومه السياسيين
ويرثي من يسقط شهيدا في معركة الدفاع عن الرأي والعتيدة وتجدد ذلك واضحا في
رائية الأخطل في عبد الملك أر في همزية عبد الله بن قيس الرقيات التي يقول منها .
حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملك قريش وتشمت الأعداء
أيها المشتكى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش لا يسكن بعدهم لحي بقاء

نحن منا النبي الأمي والصديق منا التقى والخلفاء
وقتل الأحزاب حمزة منسا أسد الله والسنا سناء
وعلى وجعفر ذو الجناحين هناك الوصي والشهداء
والزبير الذي أجاب رسول الله في الكرب والبلاء بلاء
والذي نخص ابن دومة مانو حتى الشياطين والسيوف ظما
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتنا وفي الضراب غلاء
غيبوا عن مواطن مفضعات ليس فيها إلا السوف رخاء

كما تجده في هاشميات السكيت وفي قصائد عمران وقطري .

ولملك لا تجعل رائية الأخطل :

خف القطاين فراحوا منك أوبكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير
ومنها في مدح بني أمية .
حشد على الحق عيافوا الخنا أنف إذا ألت بهم مكروهة صبروا
وإن تدجيت على الافاق مظلمة كان لهم يخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جدا ينهضون به لا جد إلا صغير بعد مختصر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يسكون لقوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا
ومن الشعر السياسي ما قاله مسكين الدارمي وقد أوعز إليه معاوية حينما
عزم على البيعة ليزيد ولكنه تهيب ذلك لكثرة المرشحين ، وكان قد بلغ معاوية
ما كرمه من سعيد بن العاص ومروان بن الحسك وعبد الله بن عامر فلما اجتمعوا
عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر	ومروان أم ماذا يقول سعيد .
بني خلفاء الله مهلاً فانما	يؤمنوا الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاه ربه	فان أمسجد المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد	لكل أناس طائر وجدود
فلازلت أعلى الناس كعباً ولا تنزل	وفود تسامياً اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليماً	تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها	أناف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قالت يامسكين ونستخير الله . فلم يتكلم
أحد بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية في رده على
كتاب لعل

أرى الشام تذكره ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبعضاً	يرى كل ما كان من ذاك ديناً
إذا ما رمينا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا على أمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له	فقلنا ألا لا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خطر القتاد	وضرب وطعن يفض الشثونا

وفي رد على ذكر شعراً للجاحشي أحد بني الحارث بن كعب من شعراء
أهل العراق ، منه :

دعاً يامعاوى ما ان يسكونا فقد حقق الله ما نتخذروننا
أناكم على باهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا
وقال جواس بن القمطل السكبي :

صبغت أمية بالدماء رماحننا وطوت أمية دوننا دنياها
ألمى رب كتيبة مجهولة صيد السكاة عليكم دعواها
كنا ولاية طعانها وضرايبها حتى تجلت عنكم غماها
فالله يجرى لا أمية سعيننا وعلا شددنا بالرماح عراها
جثتم من الحجز اليعيد نياطه والشام تنسكر كهلها وفتها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حلق الكلاب وأظهرت سبها

الغزل العذرى والنسيب القصصى : وأنت تعلم أن الغزل فن نجاهلى
قديم بدأ نه الشعراء قصائدهم ووصفوا فيه مشاعرهم وأكثروا منه إكتارا شديدا
ولكنه غزل كان يمدد للقصود من القصيدة ولم تكن القصيدة وقفا عليه ولا كان
نظما من أجله فهو وإن لم يكن غزلا صناعيا إلا أنه كالصناعى فى كثير وقد
استمر هذا النوع من الغزل فى عصر صدر الإسلام والعصرى الاموى كما تجده
فى شعر جرير والفرزدق والاختل وفى شعر كثير عزة الشاعر المشهور

أما الغزل الذى نريده والذى استحدث فى عصر بنى أمية فهو نوع جديد
مستحدث لم يكن مألوفا من قبل ، ظهر فى هذا اللون من الغزل القصصى الذى
نجدده فى شعر عمر بن أبى ربيعة وأضرابه من وصفوا الجمال وذكريات الهوى
والحب والشباب فى قصائد قصصية جميلة طريفة . كما ظهر فى الغزل العذرى العفيف
البدوى الذى نجدده عند جميل صاحب بثينة وقيس العامرى صاحب ليلى
وسواهما

أما الغزل القصصى فقد نشأ فى مكة والمدينة بين المترفين من أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء
الغزاة الفاتحين الذين امتلأت أيديهم بالأموال والنعمة وأقاموا بمكة والمدينة لأسباب

سياسية وغير سياسية ينعمون ويظربون . وكان لهم بطانة من الشعراء والمغنين والمغنيات والمضحكين ، رقلما يعجب أمثال هؤلاء من الشعر غدير الغزل الذى يطرب منه ويتغنى به . واشتهر من هؤلاء الأصوص من الانصار وعمر بن أبي ربيعة من قريش ، لكن عمر كان أصرح من الأصوص فى الغزل يذكر أسماء من من بشببهن ، ويقص قصصه مبهنا أكثرها مكذوب مفتري . وله ديوان كبير كله فى هذا النوع من الغزل .

وأما الغزل العذرى العفيف فقد نشأ فى بادية الحجاز فى بنى عذرة وخزاعة بين الشباب المستضعفين المؤثرين التبدى على الهجرة والجهاد غزلا شريفا نزيها عن الفحش ، وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة لكن أكثر حبهام كان حقيقة غير متصنع

وقد قيل فى هذا الغزل قصائد مطولة بل دواوين من الشعر لم يؤثر لها شيء لا عن الجاهلية ولا عن صدر الاسلام ، وإنما هو نوع نشأ بين شعراء أهل البدو من الاسلاميين . وأشهر هؤلاء الغزليين جميل بن معمر ، وكان يحب بثينة حبا صادقا ، والمجنون العامري صاحب ليلي وقيس بن ذريح صاحب لبنى وسواهم فالغزل العذرى إذن - ربيب العصر الاموى ، غذاه ورباه وسهر على نموه وازدهاره ، قال جميل بثينة :

ولمى لأرضى من بثينة بالذى	لو ابصره الواشى لقرت بلائله
بلا ، وبأن لا أستطيع ، وبالمنى	وبلأمل المرجو قد غاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى	وأخيره لا نلتقى وأوئله

ويقول جميل :

إذا قلت مابى يابثينه قاتلى	من الحب قالت ثابت وزيد
وإن قلت ردى بعض عظمى أعش به	مع الناس قالت ذاك منك بعيد
قلا أنا مردود بمساجعت طالبا	ولاحبها فيما يبيد يبيد

ويقول بجنون ليلى :

ألا أيها البيت الذى لا أزوره وإن حله شخص إلى حبيب
هجرتك إشفافاً وزرتك خائفاً وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعيب الأيام فيك لعلها بيوم سرور في الزمان تتوب
ويقول وقد أخذه أبوه إلى السكبة ، وقال له : تعلق بها وقل اللهم أرخنى
من ليلى وحبها ، فلما تعلق بها قال :

يقر يعنى قربها ويزيدنى بها شغفاً من كان عندى يعيها
وكم قائل قد قال تب فمصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلى بأول نفس شاب عنها حبيبها
ويقول قيس بن ذريح في لبنى :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير
يحجبوا عيني من دائم البكا ولان يذهبوا ماقد يحن ضميري
إلى الله أشكو ما ألاقى من الهوى ومن كرب تعتادنى وزفير
وقال قيس لبنى :

فان تك لبنى قد اتى دون قربها حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجوى يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ونعلم انا بالتمسار نقيس
وتجتمعنا الارض القرار وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تجول

ومن ذلك قوله أيضا

فان تسكن الدنيا بلبنى تقلبت على فللدنيا بطون واظهر
لقد كان فيها للامانة موضع وللكف مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان رى بريقها وللروح المختال نهر ومسكر
كأنى لها ارجوحة بين أحبل اذ ذكره منها على القلب تخطر

ومن جيد شعر قيس قوله :

أتبكي على ابني وأنت تركتها	وكنت كآتي حنقه وهو طائع
فيا قلب صبرا واعترافا بنيتها	وباحبها قع بالذي انت واقع
ويا قلب خبرني اذا شطت النوى	بلبي وبانت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المشت مع الجوى	أم أنت امرؤ ناسى الحياة فجازع
كأن بلاد الله ما لم تكن بها	وإن كان فيها الناس وحش به قع
أقضى نهاري بالحديث وبالمنى	ويجمعنى والهم باليسيل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا	لى الليل هزنى اليك المضاجع
لقد رسخت فى القلب منك مودة	كما رسخت فى الراحتين الاصابع

أما شعر الغزلين القصاص : كإبن أبي ربيعة والاحوص وسواهما فهو كثير وقد خلقه الترف واللهو الذى كان عليه شباب الحجاز فى مكة والمدينة .

يقول عمر بن أبى ربيعة . وقد تذكر الثريا يوما وهو نازح الدار مقيم باليمن :

هيمات من أمة الوهاب منزلنا	إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أملك أجيادا فليس لنا	إلا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا يا وهب إن نزحت	نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
فلست أملك إلا أن أقول اذا	ذكرت لا يبعدنك الله يأسكنى
يا وهب ان يك قد شط البعاد بكم	وفرق الشمل منا صرف ذا الزمن
فسكم وكم من دلال قد شغفت به	منكم متى يره ذو العقل يفتن
بل ما نسيت بطن الخيف موقفا	وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب	والدمع منها على الخدين ذوسن
بالله قولى له فى غير معتبة	ما ذا أردت بطول المسكث فى يمن
إن كنت حاولت دنيا أو زمت بها	فما أخذت بترك الحج من يمن

ويقول :

ثم قالت وسأحت بعد منع وأرتنى كفا تزين السوارا

فتناولتها فالت كغصن حركته الريح عليه فارا
وأذاقت بعد العلاج لذيذا كجنى النحل شاب صرفا عقارا
ثم كانت دون اللحاف لمشغو ف معنى بها صبوب شعارا
واشتكت شدة الإزار من البهر وألقت عنها لدى الخارا
حبذا رجمها إليها يديها في يدي دردها تحمل الإزارا
ويقول :

فتأهبت لها في خفية حين مال الليل واجتن القمر
فأذاقتني لذيذا خلته ذوب نحل شيب بالماء الخضر^(١)
ومسدام عتقت في بابل مثل عين الديك أو خر جدر^(٢)
فتقضت ليلى في نعمة مرة ألثمها غير خفر
وأفرى مرطها عن مخطف ضامر الاحشاء نعم المؤثر
فلهرنا ليلنا حتى إذا طرب الديك وهاج المذكر
حركتني ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبتدر
قم صفى النفس تفهمني قد بدا الصبح وذا برد السحر
ورائيته مشهورة وستأتى :

٣ — ومن الأغراض الجديدة الشعر الذى يذكر فى مبادئ الدين وشعر
الحكمة ووصف البلاد المفتوحة ، وذلك كثير فى الشعر الأموى

وقال حنديل بن حنديل المرى يصف ليل صول :

فى ليل صول تنهى العرض والطول كأنما ليله بالليل موصول
لافارق الصبح كفى إن ظفرت به وإن بدت غرة منه وتحجيل
لساهر طال فى صول تملله كأنه حية بالسوط مقتول

(١) الخضر : البارد :

(٢) المدام : الخمر كالمدامة : وسميت كذلك لطول دوامها فى الدن ، جدر : بلدة

بين حمص وسليمة .

متى أرى الصبح قد لاحت بخايله والليل قد مزقت عنه السراويل
ليل تحير ما ينحط في جهة كأنه فوق متن الأرض مشكول
نجومه ركذ ليست برائلة كأنما هن في الجو القاديل
ويقول قطري :

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع البراع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسليه المنون الى انقطاع
وما للبرء خير في حياة اذا ما عدد من سقط المتاع
ويقول مسكين الدارمي :

اصحب الأخيار وارغب فيهم
رب من صاحبه مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم
ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول الحسب

ومن الشعر الدينى هذه الارجوزة الطريفة التى ذكرها صاحب الأغاني قال :
خرج الوليد بن يزيد (١) ف قيل له : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لا خطيبينهم
اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال :

الحمد لله والى الحمد
وهو الذى فى الكرب أستعين
أشهد فى الدنيا وما سواها
أحمد فى بسرنا والحمد
وهو الذى ليس له قرين
أن لا إله غيره إلها

(١) تولى الخلافة عام ١٢٥ هـ وقتل بعد نحو عام

ما إن له في خلقه شريك
أشهد أن الدين دين أحمد
وأنة رسول رب العرش
أرسله في خلقه نذيرا
ليظهر الله بذلك الدين
من يطع الله فقد أصابا
بسم القرآن والهدى السبيل
كانه لما بقى لديكم
إنكم من بعد إن نزلوا
لا تتركوا نصحي فاني ناصح
من يتق الله يجد غب النقي
إن النقي أفضل شيء في العمل
خافوا الجحيم إخواني لعلكم
قد قيل في الأمثال لو علمتم
ما يزرع الزارع يوما يحصد
فاستغفروا ربكم وتوبوا

قد خطعت للملك المملوك
فليس من خالفه بهتد
القادر الفرد الشديد البطش
وبالكتاب واعظا بشيرا
وقد جعلنا قبل مشركينا
أو يعصه أو الرسول غابا
قد بقيا لما مضى الرسول
حتى صحيح لا يزال فيكم
عن قصده أو نهجه تضلوا
إن الطريق فاعلمن واضح
يوم الحساب صائرا إلى الهدى
أرى جماع البرفيه قد دخل
يوم اللقاء تعرفوا ما سرهم
فانتفخوا بذلك أن عقلم
وما يقدم من صلاح يحمد
قالموت منكم فاعلموا قريب

• • •

أما أغراض الشعر الأموي التي كانت موجودة في فنون الشعر قبل عصر بني أمية فهي :

١ - الفخر ، وهو كثير في الشعر الأموي كشعر الفرزدق وجريـ
والأخطل وسواهم .

وقد سبقت نماذج له ومنها قصيدة المقنع السكندی :
يعاتبنني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا
٢ - شعر الحماسة وهو كثير جدا في هذا العصر كثرة الحروب والثورات
قال قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا بين الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً فبسا نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير فى حياة إذا ما عد من سقط المتاع

٣ — الرثاء وهو كثير فى الشعر الأموى ولا داعى لذكر مثله .

٤ — الوصف وقد تنوع بتنوع الحياة ومشاهدها ومناظرها فى البلاد المفتوحة :

قال الفرزدق يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت لنارى . وهناً فأناى
فلما أتى قلت ادن دونك لئننى ولإباك فى زادى لمشركان
فبت أقعد الراد يلى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا وقائم سيفى من يدى بمكان
تعش فان عاهدتني لا تخوننى تكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نهت تلتهمس القرى رماك يسهم أو شبابة سنان

٥ — الهجاء وقد كان الهجاء فى العصر الجاهلى صادقا غير لا ذع ولا مفحش ، وجاء الاسلام فحرم الهجاء إلا ما كان فى المشركين .

فلما جاء عصر بنى أمية وكثرت الخلافات السياسية والدينية والأدبية اتسع الهجاء وامتلاء بالفحش والافتداع .

وكثرت المهاجاء بين الشعراء . وتشعبت ألوان الهجاء فن هجاء سياسى بين شعراء الأحزاب إلى هجاء أدبى بين الفرزدق وجريز والأخطل وسواهم هجاء بين القبائل والعصبيات العربية وبين العرب والشعوبيين ، يقول جورجى زيدان :

ولما افضى الامر الى معاوية اقتضت سياسته ومصاحته ان يحدد تلك الضغائن لجعل يغري الشعراء على الطعن بالانصار لانهم اصحاب على بن ابي طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طى الخفاء — ومن الذى اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر التغلبى المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانه نصراني واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعروهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وانشده قصيده في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطينا الحق تعترف لحي الازد مشدوداً عليها العماهم
ويشتمنا عبد الارقم خـلة وما ذا الذى تجدى عليك الارقم
فالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدرام
ثم تخلص الى الفخر باعمال الانصار وانسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى ان قال :

وانى لاغضى عن امور كثيرة سترق بها يوما اليك السلام
اصانع فيها عبد شمس وانى لتلك التى فى النفس متى اكاتم
فما انت والامر الذى لست اهله ولكن ولى الحق والامر هاشم
فلما سمع معاوية تهديده اظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وامر ان يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك ان يفعل لو لم يستجر الاخطل بيزيد بن معاوية فاجاره وارضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل لجعله عبد الملك ابن مروان شاعر الدولة .

وتحوالت المهاجاة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى امية وانتشر ذلك فى اطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج فى جماعة من موالى بنى هاشم فى مكة وشبيب يخرج فى جماعة من موالى بنى امية فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجالدون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية وكان اهل مكة منقسمين بينهما فى العصبية .

على ان التهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاظلة ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف

الاحوال وقد يكون الغرض منها المقارنة لبيان المقدرة على الهجوم ثم يتناظر المتهاجيان الى من يحكم بينهما . كما تهاجى جميل الشاعر المتيّم وجواس بن قطنة العذري وتنافسوا في ايها افضل أبا وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (١)

واشهر ضروب المهاجاة في العصر الأموي المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاختل وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادى في ذلك كله جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاختل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشتهم في اى الشاعرين افضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين نسب احدهما الى جرير وسمى جريريا والآخر الى الفرزدق وسمى فرزدقيا وكثيراً ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام .

وهذه بعض نماذج للهجاء :

قال قعنب بن ضمرة :

إن يسمعوا رية طاروا بها فرحا	منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به	وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم	لبئست الخلتان الجهل والجبين

وقال عبد الرحمن بن الحكم :

لما الله قيسا قيس عيلان إنما	أضاعت ثغور المسلمين وولت
فشاول بقيس في الطعان ولا تكن	أخاها إذا ما المشرفية سلت

وقال مالك بن أسماء في الهجاء :

لو كنت أحل خمرأ يوم ذرتكم	لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفغمني	وعنبر الهند أذكّيه نلى النار
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى	وكان يعرف ريح الزق والقار

وقال آخر :

أقول حسين أرى كعبا ولحيته	لأبارك الله في بضع وستين

من السنين تولاهما بلا حسب ولا حياء ولا قدر ولا دين
وقال الطرماس يهجو بني تميم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المسكارم ضلت
ولو أن برغوثة على ظهر نملة يكر على صفي تميم لولت
٦ - الطرديات :

وهو وصف الصيد وأدوات صيده وقد كان موجودا قليلا في العصر الجاهلي
ثم جاء الاسلام فامتنع الشعراء عن التنظيم فيه ثم أحياء شعراء بني أمية ويوجد في
شعر قليل من الشعراء كالعرجي والوليد بن يزيد وعمر بن أبي ربيعة وسواهم
٧ - وصف الخمر : وأنت تعلم أن ذلك الفن وجد في العصر الجاهلي في شعر
الاعشى وعمر بن كلثوم وسواهما ، وإمام هذه الصناعة هو الاعشى ، فلما جاء
الاسلام حرم الخمر ووصفها .

وفي عهد بني أمية أحيى بعض الشعراء كالأخطل هذا الفن ونظموا فيه
يقول جورجي زيدان :

لم يتغن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بدأوا بذلك في العصر
الاموي على اثر انغماس الامويين في القصف والسكر باواخر الدولة وأول من
وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليلي الكبير ، وقد ذكر الخمر في
الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ثم ذكرها الأخطل ووصف الزجاجه بقوله .

وتظل تتحفنا بها قروية ابريقها برقاعه ملثوم
فاذا تعاورت الاكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم
ثم اجاد في وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادما فهي عجوز تعلمو على الحقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة السكرية النسب

فقد تجلت ورق جواهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهى لدى المزج سائل الذهب
كانها فى زجاجها قبس تذكو ضياء فى عين مرتقب

وله فى وصف الخراشعار اخذها الشعراء فى اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما
ابو نواس فانه سلخ معانى الوليد كلها وجعلها فى شعره واخذ ابو نواس ايضا من
حسين بن الضحاك وكان معاصرا له واخذ من والبة وكان استاذه .

٨ — المدح :

وهو من أغراض الشعر منذ الجاهلية الاولى إلا أنه لم يصر طريقا للتكسب
والمسألة به إلا فى أواخرها . ولما جاء الاسلام ترخص النبي صلى الله عليه وسلم
فى استماعه والاجازة عليه تأييدا لدعوته لى كان جل ما يمدح به خاصا بعمل الرسالة
والكنهه صلى الله عليه وسلم نهى عن المدح لمجرد الإطراء والتعريض وفى غير تأييد
الحق ، وتورع كثير من خلفائه الراشدين عن سماع المدح الباطل ، ففترت
صناعة التكسب بالشعر

وجاء عصر بنى أمية فترخص معاوية فى استماعه قليلا لتأييد دعوته ، وتوسع
فى ذلك بنو مروان فاستمعوا له فى حق وفى غير حق ، وأجازوا عليه الجوائز
السنية ولم يقصر عنهم كثير من ولاتهم ورؤساء الاحزاب فى زمانهم ، وتسابق
الشعراء الى أبوابهم يمدحونهم فى مبالغة .

وتكسب كثير من الشعراء بالمدح وقصدوا أبواب الخلفاء والأمراء والولاة
بالثناء ، وكان لكل خليفة أو أمير أو وال شاعر من الشعراء يمدحه ويتقرب إليه ويشيد
بمآثره لإشادة بالغة ، واصبح التكسب بالشعر عادة مألوفة ، وكان أكثر الشعراء ينتجه
نحو بنى أمية أصحاب الطول والسلطان . وربما مدح احدهم بنى هاشم أو آل الزبير
أو غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا
من غضبهم لان الامويين كانوا يفضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى
الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا راينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح
فى الامويين . ومن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية او ابن الزبير وبنى أمية

وقد كان للدح جوانب سياسية كبيرة ، فشعراء الأحزاب كثيرا ما كانوا يقفون قصائدهم على الأشادة بحق دعوتهم وبطولة دعائهم

وكان من شعراء بني أمية : الأخطل م ٩٩ هـ وجريز م ١١١ هـ والفرزدق م ١١٠ هـ ومسكين الدارمي م ٩٠ هـ والراعي وابوالانجم م ١٣٠ هـ الراجز ومن شعراء العلويين : النعمان بن بشير م ٦٥ هـ وأبو الأسود الدؤلي م ٦٩ هـ والكميت م ١٢٦ هـ وأيمن بن خريم

ومن شعراء بني الزبير عبد الله بن قيس الرقيات م ٧٥ هـ ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم م ١٠٠ هـ ومن شعراء بني المهلب زياد الأعجم م ١٠٠ هـ وحزرة بن بيزم م ١٢٠ هـ وبهيس الجرمي إلى غير هؤلاء من الشعراء

وقد كان بنو أمية : يبذلون المال بدون حساب على المدح ويقربون الشعراء الذين يمدحونهم إليهم ، ويعفون على من يكون قد فرط منه هفوة في حقهم إلى غير ذلك من مظاهر العناية ، بل كانوا يطلبون من الشعراء المدح

روى أن الفرزدق ونصيبا كانا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان للفرزدق أنشدني (وإنما أراد أن ينشده مدحا له) ، فأنشده :

وركب كأن الريح تطاب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا آسوا نارا يقولون ليتهأ وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب ، فقال نصيب يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها ، فقال هات ، فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أو شال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعرفه من أهل ودان طالب
فما جوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الخقائب

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل جلده ، ثم قام الفرزدق ، وهو يقول :

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

٥٠

وبعد فهذا نهاية حديثنا عن أغراض الشعر الأموي وفنونه وموضوعاته
والله ولي التوفيق :

التكسب بالشعر :

وبعد فأنت في غنى عن أن أذكر لك ما تعرف وما سبق أن ذكرته من أن
الشعراء أخذوا في العصر الأموي يتكسبون بالشعر ، طلبا للمال أو طمعا في الجاه
أو رغبة في الانتصار على الخصوم والأعداء
وفتح الخلفاء وأبوابهم للشعراء ، وقربوهم منهم ، وقضوا مطالبهم ، وأغدقوا
عليهم العطاء

وتبعنا لذلك أكثر الشعر من مدحهم وغالوا في الثناء عليهم ، وامتلات قصور
العظماء بمجالس الشعر والثناء
واتخذ كل خليفة أو أمير أو وال أو عظيم شاعرا له يمدحه ويكسوه
حلل الثناء

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، وقد سبق ما يغني عن كل بيان
طوائف الشعراء :

والشعراء الأمويون طوائف :

١ - أما الأولى فشعراء الغزل القصصي والعذري وقد علمت رجالها
وقرأت الكثير من شعرهم ومن أشهرهم جميل م ٨٠ هـ وابن أبي ربيعة م ٩٣ هـ
وكانت أم أبي ربيعة نصرانية ^(١)

٢ - والثانية الشعراء السياسيون ومن أشهرهم جرير والفرزدق والأخطل
والكميت وعبد الله بن قيس الرقيات ، وكان كل من هؤلاء ينتمي إلى حزب
سياسي يؤيده وينصره ويشيد بمبادئه

٣ — والثلاثة الشعراء الهجاءون وقد علمت ما كان من أمر الهجاء في هذا العصر ، والمناقضات التي كانت بين جرير والفرزدق والاختل وسواهم اتجاهات الشعراء الفنية :

والشعراء الامويون أيضا ينقسمون بحسب اتجاهاتهم الفنية إلى طوائف الاولى : شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالحياة الجديدة تأثرا كبيرا ، فظلوا في نهجهم الفني على نمط الجاهليين في نظم القريض أسلوبا وألفاظا وخيالا ومعاني ومن هؤلاء ذو الرمة والرماح

سمع الفرزدق ذا الرمة ينشد فوقف عليه فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول ، قال : فإلى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قصر بك عن غاياتهم بكائك في الدمن ووصف الأبعاد والعطن

والثانية : شعراء الامصار كسكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة ممن كانوا عربا خلاصا . وقد تأثر هؤلاء ببيتهم وعصرهم وبالقرآن الكريم وبالتقافات التي كانت بينهم فأنشدهم حضريا رائعا سلسا سهلا ومن هؤلاء أشهر الشعراء المشهورين والثالثة : الشعراء الموالي : كنصيب م. ١٠ هـ وعبد بنى الحسحاس وكانوا من عنصر

حبشي ، وكزياد الأعجم والبعيث (وأمه أصمبانية وأبى نخيسسلة وموسى شهوات) وأصله من أذربيجان) وهم من أصل فارسي ، ولا شك أن عناصرهم الأجنبية كان لها أثر في شعرهم .

طبقات الشعراء الامويين

ويجعل ابن سلام الشعراء الامويين عشر طبقات :
فالأولى : جرير والفرزدق والاختل والراعي
والثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة :
والثالثة : سحيم وكعب بن جعيل وعمرو بن احر وأرس بن معز .
والرابعة : نهمشل وحيد بن ثور وعمرو بن لجأ والأشهب بن رميلة :
والخامسة : أبو زيد الطائي والعجير السلولى وابن همام السلولى ونفيع بن لقيط
الاسدى :

والسادسة : ابن قيس الرقيات والأحوص وجميل ونصيب
والسابعة : المتوكل الليثى وعدى بن الرقاع وزياد الاعرج وابن مفرغ
والثامنة : عقيل المرى وبشامة المرى وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش
والتاسعة : أبو النجم والأغلب والعجاج ورؤبة وهم من الرجاز
والعاشرة : مزاحم العقيلي وابن الطائرية والفحيف بن سليم العقيلي وأبو دؤاد
الرؤاسى .

الرواية والرواة

لم تكن العرب تدرن شعرها فى الجاهلية فى ديوان أو سفر وإنما كان محفوظا
فى الصدور ، تعينه جافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .
وقد تعجب مما تقرأ عن رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ،
ولكن لا عجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد
الشعر العربى حتى لا يضيع .

ولقد كان الأصمعى يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت اثنى عشرة ألف
أرجوزة ، وكان خلف اروى الناس للشعر واعلمهم بحيد ، وكان خاف مع روايته
وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ويقال إن القصيدة

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمة ما يطل
لخلف الآخر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق الشعر
القديم ويقول . ما من شاعر إلا قد حققت في شعره أبياتا لجازت عنه إلا أعشى
بسكر فاني لم أزد في شعره غير بيت (١) . ويقول المفضل : سلط على الشعر من
حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحفاظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربى الجاهلى
وغيره . حتى قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو
جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير (٢) .

وأصيب الشعر العربى مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض الرواة
لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة في تفادى الإخراج أو سوى ذلك .
ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول رنبهوا على الكثير من
المختلق ، ألفوا كتباً كثيرة جمعوا فيها ما صح من الشعر الجاهلى والآثار
الأدبية الأخرى .

وكان لكل شاعر رواية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر فن
الشعر ومذهبه في القريض .

فكان امرؤ القيس رواية أبى ذؤاد الأيادى . وزهير رواية أوس بن حجر
والأعشى رواية المسبب ، كما كان الحطيئة رواية زهير .

هذا وسيأتى ذكر لكثير من رواة الشعر الجاهلى .

وقد اهتم الخلفاء الأمويون بأحياء الأدب الجاهلى اهتماما كبيرا وأولوا
ذلك عنايتهم

وقد عنى الرواة برواية الشعر القديم ومن أشهر هؤلاء حماد الراوية م ١٥٦
وهو أول من جمع أشعار العرب وآدابها وأخبارها

وقرب الخلفاء الرواة إليهم ، واتخذوهم جلساءهم وسمارهم وندمانهم ،
واستمعوا لرواياتهم وقصصهم
وكان لذلك كله أثر بعيد في إحياء الشعر الجاهلي وحفظه

رواة الشعر الجاهلي^(١)

- ١ — أبو عمرو ابن العلاء البصري م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات^(٢)
- ٢ — حماد الرواية (٧٥ — ١٥٦ هـ) ، كوفي وليس له مؤلفات^(٣)
- ٣ — الخليل بن أحمد بصرى (١٠٠ — ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .
- ٤ — خلف الأحمر بصرى م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطي أنه ألف كتاب « الجبال وما فيها من شعر » ، وله ديوان خاص ، وقيل أنه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى^(٤)
- ٥ — يونس بن حبيب البصري م ١٨٢ هـ .
- ٦ — المفضل الفهمي م ١٨٩ هـ ، كوفي وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب في كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال أنه أول من جمع أشعار الجاهليين .
- ٧ — أبو عبيدة بصرى م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات في اللغة ، وبحار القرآن والنقائض .

(١) راجع بغية الوعاة - طبقات الأدباء لابن الانباري - معجم الأدباء لياقوت - وفيات الأعيان - فوات الوفيات - الأغاني - الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست .

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

المناقضات في العصر الاموي

١ - كان لأحياء العصبية وكثرة الخلافات الدينية والسياسية والاجتماعية والادبية أثر بعيد في احياء المعارضات في الشعر العربي في هذا العصر . وكانت المنافسة الادبية عاملاً كذلك له أثره في هذا الميدان .

بدأ هذا العصر بالخلاف بين علي ووه معاوية وظهور الخوارج التي ظلت تآثراً ساخطة ، لا تريد حكماً ، ولا ترضى عن حاكم ، حتى استأصل شأفتها المهلب بن أبي صفرة في خلافة عبد الملك بن مروان . ثم قام ابن الزبير في مكة يدعو الى نفسه ويطلب الخلافة ، فيكان له جند مناصرون . وهكذا انتثر العقد وانشقت العصا وانتفض الغزل أنكاثاً : وتفرق المسلمون شيعاً ، وتبددوا أحزاباً مخلصين أو غير مخلصين ، راغبين في عرض الحياة الدنيا أو غير راغبين ، فأننا نعتقد أن النفس الانسانية في هذا الزمان هي النفس الانسانية في كل زمان ، وأن اتجاه الناس الى الزعماء في ذلك الحين ، لم يكن كله خالصاً عن محض عقيدة أو اقتناع بمذهب وكما يقول القطامي .

والناس من يلقى خيراً قاتلون له ما يشتهي ولا مالم يخطئ الهبل
كان لعلي شعراء ؛ ولعمارة شعراء ، وللخوارج شعراء ، ثم للزبيريين بعد ذلك شعراء . وأشهر شعراء الشيعة السكيت ، وبرز من شعراء معاوية الأخطل وجبرير وابن جعيل ، ومن شعراء الخوارج عمران بن حطان واشاد بآل الزبير عبيد الله ابن قيس الرقيات .

وكان الأخطل لا يعنيه من أمر الخلافة الاسلامية شيء إلا ما تدره عليه من أموال . أما شعراء الشيعة فكانوا علماء في غرضهم وبكاشم ، ولكن قلوب بعضهم كانت تضعف أمام سيطرة الأوهيين ، وترجف فرقا من سيفهم المسلول . فقد كانوا إذا انزلق بهم اللسان مرة أو مرتين باتوا بليلة الملسوع ، واعدوا المعدة للفرار . وإذا صح ما نسب إلى السكيت من رعبه من هشام بن عبد الملك ، وهربه من السجن بعد أن لبس ثياب زوجته ، وتركها خلفه

تلاقى من شياطين السجون ما تلاقى ، والتجأته الى قسبر معاوية بن هشام ، واستنقذ
نفسه بمدح بنى أمية ؛ ثم استمراره في مدحهم إلى آخر أيامه ، عندما يفعل الخوف
بالعقائد ، وكيف تستل الغرائز شهامة الرجال ، يقولون إنه عمل بمذهب النقية
ولكننا لانفهم كيف تستباح هذه النقية إلى آخر أنفاس الحياة ؟ وقد حدث هذا
بعينه لعبيد الله بن قيس الرقيات شاعر آل الزبير حين أهدر عبد الملك بن مروان
دمه ، فتثقل محتفياً في الآسياء والقبائل ، حتى استعاض ذليلاً بعبد الله بن جعفر
فسمى للعفو عنه ، فلما ظفر بالعفو انطلق يهدر بمدح المروانيين كما بدأ أطلقت
سيلاً حبساً !

وكان الفرزدق شيعياً ، ولكنه كان لا يتخذ من عقيدته حلية يعرضها على الناس
ولا يجعل من مذهبه شارة حتى يراها كل ناظر ، وله شعر كثير في
مدح بنى أمية ، والقصيدة المنسوبة إليه في مدح علي بن الحسين غدير صحيحة
النسبة إليه

أما شعراء الخوارج ، فقد زهدوا في الدنيا وزخرفها ، وسخطوا على الحكم
ورجاله ، وانصرفوا إلى عقيدتهم صحيحة أو فاسدة ، يغذونها بأرواحهم ويذودون
عنها بسيفهم وأسننتهم . وسيرة عمران بن حطان رأس شعرائهم سيرة الفوضى
المجاهد الذي باع نفسه لمذهبه
وشعر قطري بن الفجاءة يصور الفدائية والنقة بالنفس والاستماتة بالموت في
أسلوب ساذج رصين :

ومضاربة خدا كريماً على قتي أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطننا له أرض دولاب ودبر حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيع من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم
٢ - وهكذا كانت حال الأحزاب ، وهكذا كانت حال شعرائها ، ولقد قيل شعر
كثير في نصرة كل حزب ، ولكنه لم يكن شعراً ملتبها متأججا ، حتى إنه لكثيرا
ما كان يفر من الحديث عن الحزبية إلى حديث المديح والهجاء . ولم تكن

المناقضات في هذا الشعر السياسي شديدة أو كثيرة ، لتور نفوس الشعراء ، أو لأنهم كانوا مشتهين في الأقطار بين الشام والعراق والحجاز ، ولبعد الشقة بينهم وعسر الاتصال

والذي وعيناه من مناقضات الشعر السياسي ما ذكره المبرد من أن معاوية أرسل إلى علي كتابا كتب في آخره أبيانا لكعب بن جعيل هي :

أرى الشام تنكر ملك العراق وأهل العراق له كارهينا
و كلا لصاحبه مبغضا يرى كل ما كان في ذلك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثله يقرضونا
فقالوا على إمامنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا نرى أن ندبنا
ومن دون ذلك خوط القتاد وضرب وطعن يقرر العيسونا
فكتب إليه علي جواب رسالته ، ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جعيل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعني قوله ، قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، فقال النجاشي بحميه :

دعا يا معاوي ما لا يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟
٣ ... لا نجد كثيرا من المناقضات الروبة السياسية في هذا العهد ، ولكننا نجد نوعا آخر طريفا ، ابتكره معاوية ، وجرى الخلفاء بعده على أثره ، فقد أحيوا العصبية بعد أن أخذ الإسلام نارها ، وأرثوا العداوة بين الشعراء ، وأثاروا بينهم عاصفة من التهاجي والإقذاع ، حتى يصرفوا الناس عما أحدثوه من أحداث ، وحتى يعيشوا روح الجاهلية الأولى ، التي كان لهم فيها مجد عريق ، وشرف ورياسة ، وقد كثرت المناقضات الشعرية في هذا النوع ، وطمى سيلها ، وهي التي نسميها بالمناقضات الهجائية ولا يقصد بها إلا المباراة في فنون الهجاء المقذع . والتباهى بمجد الجاهلية وأحاسيسها وأيامها ، ونبش ما دفنه الإسلام من مثالب القبائل في عهودها الأولى .

كما يقول المرحوم الجارم بك
فقد ثارت حرب الهجاء ضروساطاخنة بين جرير والفرزدق والبعيث المجاشعي
وسبب ذلك أن ناساً من يربوع يقال لهم بنو ذميل سرقوا لإبلا للبعيث فتمال جرير
قصيدة طويلة يهجو بها البعيث أولها :

طاف الخيال وأين منك لما ما فارجع لزورك بالسلام سلاما
فثار البعيث وعارضه بشعر مر الهجاء أوله :

أجرير أقصر لا تحن بك شقوة إن الشقى ترى له أعلاما
وكان الفرزدق في ذلك الحين ، قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى
يحفظ القرآن ، ولكن هجاء جرير للبعيث أقض مضجعه ، وأثار فيه نازعة النجدة
فلك قيوده ، وهب ينتصر للبعيث بقصيدة أولها :

ألا استهزأت مني هنيئة أن رأيت أسيرا يداني خطوة حلق الهجل
وتبعه البعيث بأخرى يهجو جريرا :

أهاج عليك الشوق أطلال دمنة بناصفة الجوين أو جانب الهجل
فأنبرى لها جوير بقصيدة مطلعها :

عوجى علينا واربعى ربة البعل ولا تقتليني لا يحل لكم قتلى
ورماه بأخرى أولها :

ألا حى رهبي ثم حى المطايا فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا
ويرى الباحث في هذه المعارضات أو النقائض أنها ابتدأت بهجر السكامل ،
ثم انتقلت إلى بحر الطويل ، والتزمت فيه قافية واحدة ، حتى نقلها الفرزدق إلى
قافية أخرى ، وهو ضرب يعتمد إليه المعسّز بفنه في المباراة للبعث بالخصم
ولإعجازه وتحديه . كما يقول الجارم بك

وكان من أسباب اشتعال المهاجاة ، وتأجيج المعارضة بين الفرزدق وجرير
مارواه الرواة من أن الأخطل فضل الفرزدق على جرير أمام بشر بن مروان أمير
الكوفة ، وأرسل قصيدة طويلة يمان فيها هذا التفضيل أولها :

بكر العواذل يبتدرن ملامتي والعالمون فسكهم يلحسانى

وفيها يقول :

قبيح الإله بنى كليب لمنهم لا يحفظون محارم الجيران
تاج الملوك ونحرهم في دارم أيام يربوع مع الرعيان
فأسرع الفرزدق يعاضده في هجاء جرير :

يا ابن المراثة والهجاء إذا التقت أعناقك وتمسحك الخصمان
يا ابن المراثة إن تغلب والرفعوا عنائي فوق كل عنان
فصال عليهما جرير يقول :

لمن الديار بهرة الروحان إذ لا نبيح زماننا بزمان
وفيها يخاطب الأخطل :

أنسيت ويل أليك غدر مجاشع ومجر جهن ليلة السيدان ؟
ونسيت أعين والرباب وجاركم ونوار حيث تصال الحجلان !

يقول الأخطل : أنسيت غدر مجاشع ، وهي قبيلة الفرزدق ، بالزبير بن العوام حين استجار بمجاشع بعد وقعة الجمل ، ثم يذكر بعد ذلك حادثة غريبة ، هي أن غالباً أبا الفرزدق جاور طلبة بن قيس بالسيدان ، وكانت جعثن أخت الفرزدق صديقة لظلمياء وكانت إذا أرادت لقاءها صفقت لها بحجل لتجئ إليها ، فاشتبه الفرزدق أن يلتقي بظلمياء ، وحدث أن شغلت أخته ليلة بأمر نفسها ، فأخذ حجلها وحركه فجاءت ظلمياء كعادتها ، فارتابت بالفرزدق وصاحت ، وعادت إلى رحلها فلما علم فتیان الحى من أهلها أسرعوا فأخرجوا جعثن من خباتها ، ثم سبوا ليظهروا بها .

وكان من ضروب إثارة المنافسة والمعارضة بين الشعراء ، مارواه أهل الأدب من أن الفرزدق والأخطل وجريراً كانوا في حضرة عبد الملك بن مروان ، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، ثم قال : ليقبل كل منكم بيتاً في مدح نفسه ، فأبكم غلب فله الكيس ، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء

وقال الأخطل :

فان. بك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء
وقال جرير :

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس لهارب مني نجاء
فقال عبد الملك : لعمري إن الموت يأتي على كل شيء ، وقضى له .
ويروون أن الفرزدق قال في هذا المجلس . النوار طالق إن لم أقل شعراً لا
يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبداً ، ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد
الملك : ما هو ؟ فقال .

فاني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتاتان بوائل من الموت إن الموت لاشك نائله
فأطرق جرير ثم قال : أم حررة طالق ثائلاً إن لم أكن نقضته ورددت
عليه ، فقال عبد الملك : مات فقد والله طلق أحداً لا محالة ، فقال .

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفك يا ابن القين هل أنت نائله ؟
أنا الدهر يقنى الموت والدهر خالد لجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك ، فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك :

٤ - ومعرفة الهجاء التي كانت بين الفرزدق وجرير والأخطل والتي استمرت
مدة كبيرة بتأثير العصبية والخلافات السياسية والأدبية أبلغ سبب من أسباب
المعارضات في العصر الأموي .

وقد خلفت لنا هذه المعركة النقائض بين جرير والفرزدق التي جمعها أبو عبيد
المنوف في عام ٢٠٩ هـ في كتاب النقائض .

وكان لمعركة الهجاء هذه أثر في الأدب واللغة والشعر وكانت بواعثها السياسية
متشعبة وكان بعض الولاة الأمويين يذكى من حديثها ، وعلى أي حال فقد خلفت
لنا ميراثاً أدبياً ضخماً وراثته مع ما وراثته عن العصر الأموي
وقد سميت القصائد التي تبادلها الشعراء (الهجاء) (النقائض) وشاع هذا النوع

من الشعر في العصر الأموي شيوعا شديدا ، وقد كان معروفا من قبل ولكنه لم يكن كثيرا مطردا ، والأصل في ذلك أن يقول الشاعر قصيدة فينقضها عليه خصمه أي يرد عليها ويأتزم في ذلك . التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا ، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المصانير التي قصد إليها الشاعر فينفذها أو يفسدها بأي وجه من الوجوه ، وأول قصيدة عرض فيها الفرزدق لجرير بالهجاء بانيته التي أولها :

ألم تراني يوم جري بيوقسة بكيت فسادتي هنيئدة ماليا
فقلت لها إن البكاء لراحة به يشفي من ظن أن لاتلاقيا

ثم يعنى الشاعر في ذكر صاحبه ، وما يجحد من حب لها ولوعة لفراقها ، حتى اذا فرغ من ذلك في أبيات قصيرة التفت الى البعيت الذي استعان به على جرير فهجاء هجاء مرا ويصفه بالضعف والجهن وسوء الذنب ، ثم ينتقل الى جرير نفسه فيشتمه ، ويصفه بالدلة والقلة ويخبر عليه بحسبه ونسبه ، ولا يطيل في هذه المرة ، فرد عليه جرير ببانيته التي أولها :

الآن ربها ثم حي المطالبا فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا
وفيها غزل طويل عذب رقيق ، يصلح للغناء ، ثم يعاتب أباه أو جده وأسرتة الأذنين لكثرة ما يسيئون اليه ويخذلونه ، مع أنه لا يلقاهم الا بالود والمروءة ، الذود عنهم ، ويفرغ بعد ذلك لأسرة الفرزدق فيبهجوها لأنها أسرة صناع قيون لا شرف لهم ولا بلاء ، ويفخر بقومه قليلا وبنفسه كثيرا ، ويصف خصومه بالغدر واسلام الجار .

والهجاء بين جرير والفرزدق والاختلاف وغيرهم من الشعراء كله على هذا النحو ، فيه نظر واشادة بفضائل الشاعر وقبيلته في الجاهلية والاسلام ، ثم فيه ذم وتشهير بالخصم وقبيلته في القديم والحديث ، وفي هذا الشعر جنائيات منكورة على الاخلاق والاعراض والدين ، ولكنه على الرغم من هذا كله من أنفع المصادر التاريخية لحياة العرب في جاهليتهم واسلامهم ، كما انه مرآة صادقة لأخلاق هذه البيئات من العرب في القرن الاول للهجرة ، وبفضل هذا الشعر حفظ أكثر اللغة من الضياع وقد جمع ابو عبيدة م ٢٠٩ هـ النقائض وشرحها في كتاب كبيره ضمنه الكثير من أخبار العرب وإيامها ومآثرها ومثالبها .

الغناء في العصر الأموي

كان للغناء في العصر الأموي شأن وأى شأن ، نبغ فيه كثير من المغنين كسعيد بن مسجع وسائب خاسر وجميلة ومعبد وعبد الله بن سريج وعزة الميلاء وسواهم وقد اقتبس هؤلاء كثيراً من الأغاني الفارسية والرومية بتأثير الاختلاط وكثرة الموالى وانتشر الغناء وذاع في الحجاز حيث الترف واللهو والأموال والكثيرة المتدفقة

وقد أكرم خلفاء بني أمية وفادة المغنين عليهم ، وأفندوا مكاناً رحيماً للمغنين في قصورهم ، واتخذوا منهم ندماء وسماراً ، وأكرمهم وأثابهم وأجزلوا لهم المنح والمكافآت ، وكان لهم معهم مواقف ونوادير لطيفة ، ومساجلات ومسابقات طريفة ، وكتب الأدب والتاريخ العربي حافلة بأخبارهم ، كالأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني و«نهاية الأرب في فنون العرب» ، للزبير و«العقد الفريد» ، لابن عبد ربه ، وغيرها ، مما يدل بوضوح على تأصل حب الغناء في قلوبهم . فقد كان لكل خليفة وأمير ووزير وغنى جوار وقيان في قصره ، يقضى بينهن أوقات فراغه في السمر واللهو والشراب والغناء والعبث . وكان يحذقن فضلاً عن الغناء والعزف فنون الأدب من شعر ورواية وتاريخ .

ويقال إن أول من غنى من الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، خلال حكمه بالحجاز إذ غنى بسبع أغان تغزل بها جميعها بسعاد . وكان يتمتع بصوت جميل ، وصنعة محكمة ، أداء حسن ، وتلحين متقن . ومن غنائه هذا الشعر وهو الجريز ،

أما صاحبي نزر سعاداً	لوشك فراقها وذرا البعاد
أعمرك إن نفع سعاد عني	أصروف ونفعي عن سعاد
إلى الفساروق ينتسب ابن ليلي	ومروان الذي رفع العباد
ومن غنائه فيها	
علق القلب سعاداً	عادت القلب فماداً

كلنا عـوتب فيـسا أو نسي عنـسا ثمادى
وهـو مشغوف بسعدى قد عصى فيـسا وزاداً

ومن أغانيه هذا الشعر

باسعاد التي سبنتى فؤادى ورقادى هي لعيني رقادى
ثم هذا الغناء

حظ عيني من سعاد أبداً طول السهاد

ويكذب كثير من الباحثين هذه الرويات المنقولة عن عمر بن عبد العزيز .

ومن الخلفاء الأمويين الذين ولعوا بالغناء وتغزوا به ، يزيد بن عبد الملك .
فقد شغف بالمخنية حباة ذات الصوت الساحر ، وكان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه
ومن أشهر أغانيه تغزلاً بحباة ، هذان البيتان ، ولحناً ثقيلاً أول :

أبلغ حباة أسقى ربها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
إن سار صبحي لم أملل بذكركم أو عرسوا فهموم النفس والفكر

وقد تغنى يزيد بن عبد الملك بحباة ، هذين البيتين عندما رآها لأول مرة
وهو نازح عن الحجاز ، فأغرم بها ولكنه لم يجرؤ على ابتياعها خوفاً من أخيه
ساجان بن عبد الملك ، أو من أخيه عمر بن عبد العزيز ، فغناها بعده ، معبد ،
و حباة ، وغيرهما من مشاهير المغنين والمغنيات . ثم اشترى حباة ، بعد ذلك
وقضى معها زمناً يستمتع بها وبصوتها الرخيم ، إلى أن كانت ذات يوم معه تقذف
حبة رمان إلى فيها فشرقت وماتت ، فحزن عليها حزناً شديداً .

وكان الوليد بن يزيد شغوفاً بالغناء كآبيه ، ذات صوت جميل وصنعة متقنة ،
وله مواقف فنية عديدة تدل على طريقة أهل الحجاز ، ومن أغانيه المشهورة هذان
البيتان وهما من نظمه وتلحينه

وصفراء في السكاس كالزعفران سبها التججي من عسقلان
تريك القداة وعرض الانا مستر لها دون لمس البنان

أثر الغناء في الشعر

وللغناء في الشعر الأماوي أثر كبير :

- ١ - فقد ساعد الغناء على ذبوع الشعر وانتشاره كما ساعد على رواجه
- ٢ - وقد دفع الغناء الشعراء إلى تهذيب شعرهم حتى يصلح للغناء ويسهل حفظه وإنشاده وترديده ، ولذلك كثرت المقطعات الصغيرة والأوزان الخفيفة .
- ٣ - نشأت الرقة والسهولة والوضوح في الشعر بتأثير الغناء .
- ٤ - وقرب الغناء الشعراء والشعراء إلى قصور الخلفاء والأمراء والولاة والأثرياء إلى غير ذلك من أثار الغناء في الشعر

ألوان من الغناء ومجاليه

— ١ —

وأول المغنين طويس المغني المشهور فيما يقال :

ولما ولي أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية قعد في بهو له عظيم واصطف له الناس لحناء طويس المغني وقد خضب يديه واشتمل على دف له وعليه ملاء مصقولة فسلم ثم قال بأبي وأمي يا أبان الحمد لله الذي أرانيك أميرا على المدينة اني نذرت لله فيك نذرا ان رأيته أن أخضب يدي واشتمل على دفي وآتي مجلس امارتك واغنيك صوتا قال : يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال : بأبي أنت وأمي يا ابن اطييب أبخني قال : هات يا طويس لحسر عن ذراعيه وألقي رداءه ومشى بين السباطين وغنى .

ما بال أهلك يارباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه

ويروى أن جميلة م ٢٥ هـ خرجت حاجرة ، فخرج معها من الرجال المغنين ، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة ، وخرج معها من القيان مشيات لها ومعظيات لقسدرها ولحقها خمسون قينة ، وجهن موالين معها ، وأعطوهن الفقات وحملوهن على

الإبل في الهوادج والقباب وغير ذلك ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن . وتخاير من خرج معها في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف والهوادج والقباب ، فلم ير أهل المدينة مثل ذلك الجمع سفراً طيباً ، وحسناً وملاحة . ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجع وابن سريج والغريض وابن عرز والهلاليون ، وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير ، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد الخزومي والرجبي وجماعة من الأشراف فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف من سميها وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم .

فلما قضت حجبها سألها المكسيون أو تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جسدًا بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فاني خارج ، فعزم القوم كلهم على الخروج فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة .

فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء ، فدخلت بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ، ونزل أهل مكة على أقاربهم وأخوانهم أنهاها الناس سلبين . وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، فقالت لعمر بن ربيعة . إني جالسه لك ولأصحابك ، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم ، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، فأبتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر (١)

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة يهني أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله يلحج وأبين مخافة أن يهجه بمقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً فقال هذا الشعر

هيات من أمة الوهاب منزلنا
وأحتل أهلك أجيادا^(٢) وليس لنا
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته
إذن رأت غير ماظنت بصاحبها
ما أنس لأنس يوم الخيف^(٤) وقفها
وقولها للثريا وهي باكية
يا لله قولى له في غير معتبة :
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها
فكلهم استحسن الغناء وضح القوم من حسن ما سمعوا . ودمعت عين عمر
حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته ؛ ثم أقبلت على ابن سريج فقالت : هات ، فاندفع
يغنى ورفع صوته بشعر عمر :

أليست بالتى قالت لمولاة لها ظهرا
أشيري بالسلام له إذا هو نحونا نظرا
وقولى فى ملاطفة لزيب نولى عمرا
وهذا سحرك النسوا ن قد خبر نى الخبرا
فسمع من ابن سريج فى هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله ثم
قالت اسمعيد بن مسجع : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى :
قد قلت قبل البين لما خشيتنه لتعقب ودا أر لتعلم ما عندى
لك الخير هل من مصدر تصدوينه^(٦) يريح كما سهلت لى سهل الورد

(١) سيف البحر : ساحله .

(٢) أجياد : موضع بمكة .

(٣) لحج . خلاف باليمن .

(٤) الخيف . موضع بمنى .

(٥) ذو سين . ذو طرائق .

(٦) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره

فلما شكوت الحب صدت كأنما شكوت الذي ألقى إلى حجر صلد
فاستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هات ، فغنى :
أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل (١)
ولمى أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبراك (٢) خصم أو نيا بك منزل
سنة قطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فانظر أى كف تبدل
قالت جميلة : أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء .

ثم قالت : هات يا بن محرز ، فأتى لم أؤخر لك الحساسة بك ، ولا جهلا بالذى
يجب فى الصناعة ، ولستكنى رأيتك تحب من الأمور كلها أو سطها وأعد لها ،
لجملتك حيث تحب واسطة بين المسكين والمدينين . فغنى .
ثم قالت للغريض : هات ، فاندفع يغنى بشعر عمرو بن شأس الأبيات وفى
آخرها .

فواندى على الشباب وواندى ندمت وبان اليوم منى بغير ذم
وإذا لخرى حولي وإذا أنا شائع وإذا لأجيب العاذلات من الصمم
أرادت عرارا (٣) بالهوان ومن يرد عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
قالت جميلة . أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن ، إذا أفسدت غناءك بالتعريض
والله ما وضعناك إلا مريضك ولا نقصنا من حظك ! فبها ذا أمناك !
ثم أقبلت على الجماعة فقالت . يا هؤلاء ، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه
فأقبل القوم عليه ، وقالوا له . قد أخطأت إن كنت عرضت . فقال : قد كان

(١) يريد فأعقل عنه ، وعقل عنه : إذا غرم ما لزمه من دية

(٢) لم أحل : لم أتغير ، أبراك خصم : قهرك ، والشعر لمعن بن أوس وهو
شاعر عجل من مخضرمى الجاهلية والاسلام .

(٣) هو عرار بن عمرو بن شأس وهو من أمة لعمرو سوداء ، وكان بينه وبين
زوج أبيه نزاع وخصام ، فقد كانت تؤذيه وتعيره وتشتمه ، وحاول عمرو أن
يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

ذلك واست به قد . وقام إلى جميله فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقبلت عذرة ،
وقالت له . لا تعذ .

ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت . يا أبا جعفر هات ، فتغنى بشعر النابغة
الذى فيه .

سقى الغيث قبراً بين بصرى^(١) وجاسم علقه من الوسمى جود ووابل
قالت جميله : حسن ما قلت يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع وبديع فقالت :
أحب أن تغنياني صوتاً واحداً فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

ألا يامن يلوم على التصابي أفق شيئاً لتسمع من جوابي
ككـرت تلومني في الحب جهلاً وما في حب مثلي من معاب
مادة غير شك هوى متواصلين على اقـسـتراب
انـي وستر من منعمة كعاب^(٢)

وغلنا كما واحد ، وأنما نتما من بقية السكرم
انـ طالب .

لـ . غنوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنوا

بشعر غيره العيسى :

حييت من طلال تقادم عهدـه أقوى واقفر بعد أم الهيثم
كيف المزار وقد تربع أهلها بعيزتين وأملنا بالغـيلـم^(٣)
إن كنت أزمعت الفرق فأما زمت^(٤) ركابكم بليل مظلم
فالت : ما رأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم .

(١) بصرى وجاسم : موضعان بالشام .

(٢) ناهدة الندى .

(٣) عزيرتين : موضع . والغلم : موضع في ديار بني عيسى .

(٤) زم البعير خطمه .

ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت . هات يانقش الغضار ^(١) وياحسن
اللسان ، فاندفع يغنى .

يا طول ليلي وبنت لم أنتم وسادى الهم مبطن سقمي
أن قتت يوما على البلاط ^(٢) فأب صرت رقاشا وليت لم أقم
فقاتت جميلة . حسن والله .

ثم قالت . يا مالك هات ؛ فاني لم أؤخرك لأنك في طبقة آخرهم ، وليكني أردت
أن أختم بك يومنا تبركا بك ، وكى يكون أول مجلسنا كآخره ، ووسطه كطرفه ،
فانك عندي ومعبدأ في طريقة واحدة ومذهب واحد ، لا يدفع ذلك إلا ظالم ،
ولا ينكره إلا عاضل ^(٣) ، الحق أقول ، فن شاء فلينكر ، فسكت القوم كلهم لإقراراً
لما قالت . واندفع يغنى .

عدو لمن عادت وسلم لسلها ومن قربت سلمى أحب وقربا
هيني امراً إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا
أقول ... التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً ؛
ليمنئك إثمات العدو بهجرنا وقطعتك حبل الوصل حتى تقضيا ^(٤)
قالت جميلة . ليت صوتك يا مالك قد دام لنا ودنا له ! وقطعت المجلس وانصرف
غامة الناس وبقي خواصهم .
فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعاً ، فقالت لطويس . هات يا أباعد النعيم
فابتدا طويس فغنى .

قد طال ليلي وعاد لي طربي من حب خود ^(٥) كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة أو مثل تمثالا صورة الذهب

(١) الغضار : الطين اللازج الاخضر وهو لقب له .

(٢) البلاط . الأرض ، وقيل الأرض المستوية المساء .

(٣) العاضل . المنع . (٤) تقضب : تقطع

(٥) الخرد . الحسنه الخلق الشابة .

صادت فؤادى بحبيد مغزلة (١) ترعى رياضاً ملتفة الشعب
 فقالت جميلة . حسن والله يا أبا عبد النعيم .
 ثم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ، فاندفع فغنى .
 قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدرک أمله
 حتى بدا لي منكم خلف فزجرت قلبي فارعوى جملة
 ليس الفتى بمخلد أبداً حيل ، وليس بفات أمله
 قالت : حسن والله يا أبا زيد . ثم قالت لهيت . إنا نملك اليوم لكبر سنك
 ورقة عظمك . قال : أجل
 ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى . هاتيا جميعاً لحناً واحداً فغنيا .
 إني تذكرت فلا تلحنى لؤلؤة مكنونة تنطق
 فقالت جميلة : أحسنهما .
 ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله . هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فانكم متفقون في
 الاضواء والالخان : فاندفعوا فغنوا .
 أشاقتك من نحو العقيق بروق لوامع تخفى تارة وتشوق
 وما لي لا أهوى جوارى بربر وروحي إلى أرواحهن تتوق
 لهن جمال فائق وملاحة ودل على النساء يفوق
 وكان بربر حاضراً ، فقال . جوارى والله على ما وصفتم ، فن شاء أقر ومن
 شاء أنكر . فقالت جميلة . صدق ثم غنت جميلة بشعر الأعشى
 بان سعاد وأمسى حبلى انقطعا واحتلت الغور فالجدين (٢) فالفرعا
 واستنكرتني وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما
 تقول بنتى وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبى الأوصاب والوجما
 وكان شئ إلى شئ فغيره دهر ملح على تفريق ما جمعا (٣)

(١) المغزلة . الظبية ذات الغزال

(٢) الجدان والفرع . موضعان

(٣) ٢٠٩ / ٨ الأغاني ٤٣٠ / ٥ بلوغ الأدب

فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني ، وقطعت
الجلس ، فانصرف قوم وأقام آخرون .

فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس ، فغزبت ستارة وأجلست الجوارى
كاهن فغزبن وضربن ، فغزبن على خمسين وتوا ، فزلزلت الدار ، ثم غنت على
عردما ، وهن يغزبن على ضربهما بهذا الشعر :

فإن خفيت كانت لعينك قرة وإن تبد يوما لم يعمدك ^(١) عارها
من الخفرات البيض لم تر غلظة وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها
ذاروصة بالحزن طيبة الثرى ينج الندى جثجاها ^(٢) وعرارها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا وقد أوقدت بالمدل الرطب نارها
فدمعت أعين كثير منهم حتى بلوا ثيابهم وتنفسوا الصعداء ، وقالوا بأنفسنا أنت
يا جميلة ! ثم قالت للجوارى : اكففن فكففن ، وقالت يا عز غنى ، فغنت
بشعر لعمري :

تذكرت هذا وأعصارها ^(٣) ولم تقتن نفسك أوطارها
تذكرت النفس ما قد مضى وهاجت على العين عوارها ^(٤)
لتمنع رامة منا الهوى وترعى لرامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا حسدنا على الزور زوارها
فقلت جميلة : يا عز ، إنك لباقية على الدهر ، فنهينا لك حسن هذا الصوت جمع
جودة هذا الغناء .

(١) لم يعمدك . لم يلحقك

(٢) الجثجاها . من أحرار الشجر له زهرة صفراء طيبة ، والعرار نبت طيب

الريح وهو النرجس البري

(٣) الأعصار . جمع عصر ، يريد الأوراق التي يتجمع معها فيها

(٤) العوار . ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .

ثم قالت الحباية وسلامة : هاتيا الحنا واحدا ، فغنتا :
 كفى حزنا أنى أغيب رثشهد وما نلتقى والقلب حران مقصد
 ومن عجب أنى اذا الليل جنفى أقوم من الشوق الشديد وأقعد
 أحسن اليكم مثل ما حن تائق إلى الورد عطشان الفؤاد مصدر (١)
 ولى كبدي حرى يمدبها الهوى ولى جسد يبلى ولا يتجدد
 فاستحسن غناؤهما .

ثم أقبلت على خليدة فقالت لها : بنفى أنت غنى ، فغنت :
 ألا يامن يلوم على التصاى أفق شيئا لتسمع من جوابى
 بكرت تلومنى فى الحب جهلا وما فى حب مثلى من معاب
 أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
 كريم ناك ودا فى عفاف وستر من منعمة كعاب
 فاستحسن منها ما غنت . ثم قالت لعقيلة والشماسية : هاتيا فغنتا :
 هجرت الحبيب اليوم فى غير ما اجترم وقطعت من ذى ودك الحبل فانصرم
 أطعت الوشاة الكاشعين ومن يطع مقالة واش يقرع السن من ندم
 ثم قالت لفرعة وبليلة ولذة اليمش : هاتين فغنتين ، فاندفعن بصوت واحد .
 لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقما إلى لذن لسقيم
 على دماء البدن إن كان حبها على التأى فى طول الزمان يريم
 تسلم ملات فينسين بعدها وينكر منها العمد وهو قديم
 فأقسم ما صافيت بعدك خلة (٢) ولالك عندي فى الفؤاد قسم
 قالت . أحسنتن وهو لعمري حسن .

وقالت لسعدة والزرقاء غنيا فغنتا ، فاستحسن غناؤهما .
 ثم قالت للجماعة غنوا جميعاً ، فغنوا ، وانقض المجلس وعاد كل إنسان إلى
 وطنه . فارتى مجلس ولا جمع أحسن من هذا الأيام الثلاثة !

(١) التصريد سقى دون الرى .

(٢) الخلة . الخليلة .

— ٣ —

وقال أبو عبد الله : جلست جميلة يوماً ولبست برنسا^(١) طويلة ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، وكان في القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلح ، قد اتخذ وفرة^(٢) شعر يضعها على رأسه ، وأحببت جميلة أن ترى صليته ، فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال : دبرت على رب الكعبة ، وكشف صليته ووضع القلنسبة^(٣) على رأسه ، وضحك القوم من قبح صليته .

ثم قامت جميلة ورقةصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى حانقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك ، وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقةصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها .

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيب مغرب^(٤)
والغانيات يردن غيرك صاحباً ويعدنك الهجران بعدد تقرب
إني أقول مقالة بهجـارب حقاً ، ولم يخـبرك مثل مجرب
صاف الكريم وكن لعرضك صائناً وعن اللئيم ومثله فتسكب
ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربت بالود وتمشت وتمشى القوم خلفها ، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :
يمشين مشى قطا البطاح تأودا^(٥) قب^(٦) البطون رواجح الأكفال

(١) البرنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أوجبة أو مطراً .

(٢) الوفرة . الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه

(٣) القلنسبة : القلنسوة : ما يلبس في الرأس .

(٤) مغرب . أبيض (٥) تأود الشيء : توج ، وثني

(٦) قلب البطون : القباء الضامرة البطن .

فبين آنسة الحديث حية ليست بفاحشة ولا متفال (١)
وتكون ريقتها (٢) إذا نهتها كالمسك فوق سلافة الجريال (٣)
جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيمهم ، وأذنت لمن كان يبابها
فدخلوا ، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجوارى :

- ٤ -

وفود ابن مسجج على عبد الملك بن مروان (٤)
قال دحمان الانقر : كنت عالما لعبد الملك بن مروان بمكة ، فمضى إليه أن
رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجج (٥) أفسد فتیان قریش وأنفقوا عليه أموالهم
فكتب إلى : أن اقبط ماله وسيره ، ففعلت .
فتوجه ابن مسجج إلى الشام فصاحبه رجل له جوار مغنيات في طريقه ،
فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريد الشام ، قال له : فتسكون
معي ؟ قال : نعم .
فصاحبه حتى بلغا دمشق ، فدخلوا مسججها ، فسألا : من أنخص الناس بأمر
المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قریش وبنو عمه ، فوقف ابن مسجج عليهم وسلم
ثم قال : يا فتیان هل فيكم من يضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم
إلى بعض - وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها : برق الأفق ، -
فتشاقلوا به إلا فتى منهم تدمم (٦) . فقال : أنا أضيفك وقال لأصحابه : انطلقوا
أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل نجى أنت وضيفك

(١) المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب .

(٢) الريق : ماء الفم غدوة قبل الأكل ويؤث في الشعر .

(٣) الجريال : من أسماء الخمر .

(٤) الأغاني ص ٢٨٢ ج ٣ ، وقصص العرب .

(٥) سعيد بن مسجج أحد المراءى ، مسكى أسود ، مغن : متقدم ، كان أول

من غنى الغناء العربى بمكة وهو الذى علم ابن سريج والغريض

(٦) تدمم : خشى الظم واللوم .

فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد إني إني رجل
أسود ولعل فيكم من يقدرني (١) فأنا أجلس وأكل ناحية وقام . فاستحيوا منه
وبعشوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به كما
فعلوا في المأكل ، وأخرجوا جاريتين جالستا على سرير قد وضع لهما ، فغنتا إلى
العشاء ، ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة ، وهما معها ، جلست على
السريـر وجالستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسـجـح . فتمثلت
هذا البيت .

فقلت أشمس أم مصاييح بيعة (٢) بدت لك خلف السجف (٣) أم أنت حالم

فغضبت الجارية ، وقالت : أ يضرب هذا الأسود بي الأمثال ! فظفروا إلى
نظرا منسكراً ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غنت صوتاً . فقلت : أحسنت والله !
فغضب مولاهما ، وقال ، أمثل هذا إلا . ود يقدم على جاريتي ! فقال لي الرجل
الذي أنزلني عنده . قم فانصرف إلى منزلي ، فقد نقلت على القوم ، فذهبت أقوم
فتدسم القوم ، وقالوا لي بل أقم وأحسن أدبك ، فأقمت وغنت . فقلت . أخطأت
والله وأساءت ، ثم اندفعت فغنت الصوت ، فوثبت الجارية وقالت لمولاهما . هذا
والله أبو عثمان سعيد بن مسـجـح ، فقلت . إني والله أنا هو ، والله لا أقـم عنـدكم ،
فوثب القرشيون . فقال هذا : يكون عندي . وقال هذا : يكون عندي . وقال
هذا . بل عندي ! فقلت . والله لا أقـم إلا عند سيـدكم - يعنى الرجل الذى
أنزله منهم :

ثم سألوهم عما أقدمه ، فأخبرهم الخبر . فقال له صاحبه . إني أسهر الليـلة
مع أمير المؤمنين ، فهل تحسن أن تحذو؟ قال . لا ! ولكنى أستعمل

(١) قدرت الشيء استقدرته وكرهته .

(٢) البيعة كنيسة النصرى

(٣) السجف بالفتح ويسكز . الستر

خدا . قال : فان منزلى بهذا منزل أمير المؤمنين ، فان وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح ، وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدا .

إنك يامعاذ يا بن الفضل إن زلزل الأقدام لم تزلزل
عن دين موسى والكتاب المنزل تقيم أصداع « القرون الميل
للحق حتى ينتهوا للأعدل

فقال عبد الملك للفرشى . من هذا ؟ قال . رجل حجازى قدم على ا قال :
أحضره فأحضره وقال له . أحد مجدأ ، ثم قال له . هل تغنى غناء الركببان ؟
قال . نعم . قال . غنه . فتغنى . فقال له . فهل تغنى الغناء المتقن . قال . نعم ، قال .
غنه . فتغنى .

فاهتز عبد الملك طرباً . ثم قال له . أقسم إن لك فى القوم لاسماء كثيرة ا
من أنت وملك ا قال له . أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن
مسجح قبض مالى عامل الحجاز ونفانى . فتبسم عبد الملك . ثم قال له . قد وضع
عذر فتیان قريش فى أن ينفقوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله ، وكتب إلى عامله
برد ماله عليه وألا يهرض له بسوء .

(١) الصدغ ما بين العين والأذن . والقرنان . جانبى الرأس ، أو الصدغ .
الميل ، ومنه لاقين صاعك ، أى ميلك .

النقد الأدبي

في العصر الأموي

- ١ -

علت ما كان من أمر النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الاسلام
أما العصر الأموي فقد كان لأحياء الأدب القديم والاهتمام بالشعر والشعراء
أثر بعيد في النقد الأدبي في هذا العصر

وكانت مجالس النقد كثيرة متشعبة : في قصور الخلفاء والأمراء والولاة ، وفي
مربد البصرة وكناسة لكوفة ، وفي مجالس الشعراء والرواة ، وقد حفظت مصادر
الأدب الكثير من أخبار النقد في هذا العصر الجاهل

وكان الخلفاء أنفسهم يفهمون الشعر وينقدونه ويهتمون بالنقد الأدبي كثيرا
وبخاصة عبد الملك بن مروان .

ويقول عبد الملك بن مروان :

إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم برهط أعشى بكر وبالأوس والخزرج
وبهذيل (١)

وكان عبد الملك بن مروان عالما بالشعر ناقدا له وتفيض بذكر أخباره في ذلك
كتب الأدب ، ونقده للشعراء كثير ، كنقده لابن الرقيات (٢) وللكثير (٣)
وفي آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الأدبية واشتدت
المصيبة وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الأدبي التي
يصدرونها على الشعر والشعراء الجاهليين والاسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب

(١) ٣/٣٨١ المقد

(٢) ١/٤٠٠ المقد

(٣) ٣/٤٣٨ المقد

امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابعة إذا رهب والاعشى إذا طرب (١) واختلفوا في الجاهليين فقال الفرزدق امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير : النابعة وقال الاختل : الاعشى ، وقال ابن مقبل : طرفه ، وقال السكيت : عمرو بن كلثوم وقال ابو عبيدة وأيده صاحب الجهرة : امرؤ القيس ثم زهير والنابعة والاعشى وليبد وعمرو وطرفه (٢) ، وكان جرير يشبه الاعشى (٣) ؛ والفرزدق بزهير (٤) ، والاختل بالنابعة (٥) ، وقال الفرزدق لما سمع ابن أبي ربيعة : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فاخطأته وبكت الديار (٦) ، وورد مثل ذلك عن جرير (٧) وقال جميل لعمر ، والله ما خاطب النساء مثل مخاطبتك أحد (٨) ، وفضل ابن أبي عتيق عمر فقال : أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومن حشوه وتمطفت حواشيه وأنارت معانيه (٩) ؛ وقال ينقده ، أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك (١٠) ، وقال نصيب : جميل لما منا وعمر أوصفنا للنساء وكثير أبكنا على الدمن وأمدحنا للدوك (١١) ، وقال ، أما أصدقنا في شعره فجميل وأما أكذبنا

(١) ١١١ حلبة السكيت ، وتروى بروايات مختلفة [٥١١ خزائن الادب ، ٥٨ ج ٩ الأغاني ، ٣٨٠ و ٤١٣ ج ٣ العقد ، ١٩٣ حضارة الاسلام في دار السلام] ؛ وهذه الرواية تروى عن كثير أو نصيب [٧٨ ج ١ العمدة] ، وعن ابن أبي طرفه مع حذف امرؤ القيس وزيادة وعنزة إذا كلب [٧٨ ج ١ العمدة] وعن الاصمعي [٣٣ جهره أشعار العرب]

(٢) ٤٥ الجهرة (٣) ١٨٠ الشعر والشعراء

(٤) ١٨٦ المرجع

(٥) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ٦٤ و ٣٤ ج ١ الأغاني وراجع ١٦ ج ٤ العقد

(٧) ٤٥ ج ١ الأغاني

(٨) ٤٩ و ١٢٩ ج ١ الأغاني (٩) ٤٦ ج ١ الأغاني

(١٠) ٤٦ ج ١ المرجع (١١) ١٢٧ ج ١ الأغاني

فعمرو وأما أوسفنا للنساء فكثير (١) ، ونقد قول الكميت : تكامل فيها الدل والشذب ، (٢) ، كما نقد كثير عمرا والاحوص ونصيبا (٣) ، وقال كثير في نصيب جميل : هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا راوية بجميل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه (٤) ، ونقد جرير قول الاحوص : يقر بعيني ما يقر بعينها ، (٥) ، وحسد الفرزدق ليلي الأخيلية على شعرها : وغرق عنه القميص الخ ، (٦) وقال في جرير : ما أخرجني مع فسوق إلى رقه شعره وأحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري (٧) ، ونقد الجعدي (٨) ، وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وكثيرا مما يتصل به

ولكن النقد على أى حال لم يكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه كما أخطأ الفرزدق في نقد بيت جرير (٩) .

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

فقال . ولو كان ساكنه قردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت : ما كانا ، وكان لمربد البصرة مقام كبير في حركة النقد في هذه الفترة الحافلة ، وكان مألوف الاشراف (١٠) ، ويقول الجارود : عليكم بالمربد فانه يطرد الفسك ويحلو البصر ويحلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر (١١)

وابتداء القرن الثاني فازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا ، وكان أئمة اللغة

(١) ١٤١ ج ٢ المرجع (٢) ٣٣٥ ج ١ الكامل للمبرد

(٣) ٣٣٢ و ٣٢٣ ج ١ الكامل (٤) ١٦ ج ٤ المقدم

(٥) ١١٣ ج ١ الأغاني (٦) ١٢١ الكشكول

(٧) ٢٧ الشعر والشعراء ، ٩٠٣ ج ٤ زهر

(٨) ٤٣ طبقات الشعراء لابن سلام (٩) ١٥٥ ج ١ اليتيمة

(١٠) ٢١٠ ج ٢ المقدم

(١١) ٢٢٣ ج ١ البيان والتبيين

وشيوخها ينتقدون الشعر عن صناعة وتقيف ويحللون نصوصه من جميع نواحيها
طبعاً وبنية وتركيباً وفناً وأوزاناً وقوافي ، ومنهم . أبو عمرو ابن العلاء م ١٥٤ ،
وحامد الرواية م ١٥٦ هـ ، وخلف م ١٨٢ هـ ، والمفضل م ١٨٩ هـ ، ويونس ، وأبو
عمرو الشيباني ، وأبو زيد الأنصاري م ٢٠٦ هـ ، وأبو عبيدة م ٢٠٨ هـ والأصمعي
م ٢١٦ هـ ، وابن الأعرابي م ٢٢١ هـ ، وكانوا جميعاً يروون اللغة والغريب والشعر
والنسب والأخبار والنوادر مع تفاوت في الميول ^(١) والاتجاهات

ألوان من النقد في هذا العصر

— ١ —

وفد أعرابي من شعراء المجانين على نصر بن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت
ومدحه ببيتين . فقال له نصر ، والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا شغلت
به نسيتك دون مدحك . ثم غدا عليه بعد ذلك بشعر يقول فيه :
هل تعرف الدار لأم العمر دع ذا وجهر مدحة في نصر
فقال له نصر : لا ذاك ولا ذاك (١)

— ٢ —

وسمع عبد الله بن عمر قول الحطيئة .
مضى تأتته تشو إلى ضوء ناره تجدد خير نار عندها خير موقد
فقال ، ذاك رسول الله إعجاباً بالبيت (١)
وكان الناس يستحسنون قول الأعشى
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
فلما قال الحطيئة .
مضى تأتته تشو إلى ضوء ناره تجدد خير نار عندها خير موقد
سقط بيت الأعشى (٣)

— ٣ —

وقال أبو عمرو بن العلاء :

(١) ٢٠٧ ج ٤ العقد الفريد

(٣) ٣٦ ج ٢ البيان

(٢) ٣٨٠ ج ٣ العقد

ختم الشعر بذي الرمة وفتح بامرئ القيس^(١)

وقال الأصمعي : ختم الشعر بالرماح^(٢)

وكان ذو الرمة فصيحاً بليغاً وكان عصمه بن مالك راويته^(٣) . والرماح شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة وقرن به عمر بن لجأ والفحيف العقيل والعجير السلولى^(٤) وحديث أبو داود قال : سمعت شيخنا عالماً من غطفان يقول ان الرماح أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس ، وبنو ذبيان تزعم أن الرماح آخر الشعراء^(٥)

وأنشد أبو حاتم شعراً لقطرى وقال : وهذا والله الشعر لا ما يتعلمون به من شعر المخانيث^(٦)

واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :
فن يأمن الحجاج - والطير تتقى عقوبته - إلا ضعيف العزائم
فقال جرير :

فن يأمن الحجاج : أما عقابه فر ، وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذي دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت شيئاً ؛ إن الطير تتقى الصبي والخشبة ، ودفع
الخلعة إلى جرير .

(١) ٢/٢٥٥ البيان ، ١/١٥١ البيان ايضاً .

(٢) ٣/١٩٧ المرجع .

(٣) ١٢٤ ذيل الأماي

(٤) ٢/٨٨ الأغاني

(٥) ٢/٨٦ الأغاني

(٦) ٤/١٦٢ زهر

واجتمع جرير والفرزدق في مجلس عبد الملك بن مروان فقال الفرزدق :
النوار بنت جاشع طالق ثلاثا إن لم أقول بيتا لا يستطيع ابن المراغة (١) أن يثمنه
أبدا ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد الملك . ما هو ؟ فقال .
فاني أما الموت الذي هو واقع بنفسك ، فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يابن الأتان بوائل من الموت ، إن الموت لاشك ناله (٢)
فاطرق جرير قليلاً ثم قال . أم حزرة طالق منه ثلاثا إن لم أكن نفسته وزدت
عليه ، فقال عبد الملك . مات ، فقد والله طلق أحداً كما لا محالة ، فأنشد .
أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيلك يابن القين هل أنت ناله (٣)
أنا الله ر يغنى الموت والدهر خالد لختني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك ، فقال الفرزدق :
فما يرى أمير المؤمنين ؟ فقال : وإيم الله لا ترسم (٤) حتى تكتب إلى النوار
بطلاقها ، فتأني ساعة ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها وقال في ذلك :
ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقاً نوار (٥)

(١) المراغة : لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، وهو في الأصل الأتان .

(٢) وأل يثل : التجأ إلى موضع ونجأ .

(٣) القين . الحداد والجمع قيون ، جاء في الشعر والشعراء في ترجمة الفرزدق
وكان لصعصعة (جد الفرزدق) قيون ، منهم جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل
جرير بجاشعاً (قوم الفرزدق) قيونا ، وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة
(والد الفرزدق) إلى جبير .

(٤) رام المكان ، ورام منه . برحه .

(٥) من أمثال العرب ، أئدم من الكسعي ، وهو غامدين الحرث الكسعي ،
وذلك أنه اتخذ قوساً وخمسة أسهم ، وقصد إلى مورد حر وحشية وكن لها ،
فر به قطيع فرمى غيراً منها : فنفذ فيه السهم وجازه وأصاب الجبل وأورى

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار (١)
ولو أنى ملككت يدي ونفسي لسكن إلى القدر الخيار

— ٦ —

واجتمع جرير والفرزدق والاختل في مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم : ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه ،
فأيكم غلب فله الكيس ، فبدر القرزدق فقال .

أنا القطران والشعراء جري وفي القطران للجري شفاء
فقال الاختل .

فان تلك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء (٢)
فقال جرير :

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس لهارب مني نجاء
فقال عبد الملك خذ الكيس ، فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء .

— ٧ —

وأخذوا على الفرزدق قوله :

إذا ألتقت الأبطال أبصرت وجهه مضئاً ، وأعناق السكاة خضوع (٣)
فقالوا . أساء القسمة وأخطأ الترتيب ، وإنما كان يجب أن يقول . أبصرت
سامياً وأعناق الملوك خضوع ، أو . أبصرت لونه مضئاً وألوان السكاة كاسفة ،

== نأراء ، فظن أنه قد أخطأه ، فرمى ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ، وهو في كلها يظن
خطأه فعمد إلى قوسه فكسرها ، ثم بات فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة معصروعة
وأسمه بالدم مضرجة ، فندم وقطع لإبهامه .

(١) ضاره ضرارا ومضارة : خالفه .

(٢) الزق . السقاء ، والزاملة . الدابة التي يحمل عليها من الابل وغيرها .

(٣) السكاة جمع كمي كغني . وهو الشجاع المتكبر في سلاحه أي المتعظم به

وعابوا على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان .
وقد جعل الله الخلافة منهم لا يرضى لأعدائ الخوان ولا جدبهم^(١)
فقالوا . لو مدح به حرسيا^(٢) لعبد الملك لكان قد قصر به
وقال جرير يهجو الأخطل :
إن الذي حرم المسكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأيينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا^(٣)
فلما بلغ عبد الملك بن مروان قول جرير قال : ما زاد ابن المراغة على أن جعلني
شرطيا ، أما إنه لو قال . لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتم إليهم كما قال .

وعابوا على الأحوص قوله لعبد الملك
وأراك تفعل ما تقول و بعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل^(٤)
فقالوا . إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح
بالاغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله

ودخل عبيد الله بن قيس الرقيات على عبيد الملك بن مروان ، فأنشده قصيدة
يمدحه فيها حتى بلغ قوله :
يأتلق التناج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب^(٥)

(١) الخوان . ما يؤكل عليه الطعام .

(٢) الحرسى . واحد حرس الساطان

(٣) القطين . الخدم والأتباع .

(٤) مذق بمعنى بمذوق ، من مذقه كنصر . إذا خلطه .

(٥) أتلق البرق وتألقي . لمع .

فقال له عبد الملك : يا بن قيس ، تمدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللـه تجلت عن وجهه الظلماء (١)
فأعطيته المدح بكشف الغم ، وجلاء الظلم ، وأعطيتني من المدح ما لا يخر
فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة
قال قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » : ووجه عتب عبد الملك إنما هو
من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة
والعدل والشجاعة ، إلى ما يلبق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة .

— ١١ —

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة مطلعها .
ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنه من كل مفرقة سرب (٢)
وكان بعين عبد الملك رمش (٣) فهى تدمع أبدا ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به
فقال . وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟ فتمتته وأمر بإخراجه .

— ١٢ —

وأنشد عبد الملك قول نصيب
أهيم بد عندما حبيت فان أمت فواحننا من ذايهم بها بعدى
فقال بعض من حضر : أساء القول ، أيجوز لمن يهيم بها بعده ؟ فقال عبد الملك
الجيد أن يقول :

أهيم بدعد ما حبيت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى (١)

-
- (١) الشهاب . شعلة من نار ساطعة ، والماضى فى الأمر .
(٢) كل جمع كلية أو كلوة بضم الكاف فيهما ، مفرقة . مشقوفة ، من فراء
يفريه إذا شق ، وسرب الماء كفرح . سال ، فهو سرب .
(٣) الرمش تغفل فى الشعر وحرة فى الجفون مع ماء يسيل
(٤) الخلة . الصداقة لا خلل فيها

وقال كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرهما فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل
فقال بعض الناس : إن كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون

بنى عامر :

فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى ولا قطع الرحمن عن حبا حبي
فما سرني أني خلني من الهوى ولو أن لي ما بين شرق إلى غرب
وأشدد عدى بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها .

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها (١)
وعنده كثير — وقد كان يبلغه عن عدى أنه يطعن على شعره ويقول : هذا
شعر حجازي مقررور إذا أصابه قر الشام (٢) جمد وهلك — فأشده إياها حتى
أنى على قوله

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها (٣)
فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالمياً لم تأت فيها بهيل ولا سناد
فتحتاج إلى أن تقومها ، ثم أنشد :

أنظر المنقف في كمعوب قناته حتى يقيم ثقافه منأدها (٤)
فقال له كثير : لا جرم (٥) إن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولأن
تسكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ، ثم أنشد :

(١) اعتادها . أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها ، حتى عرفها ، وأبلاد
جمع بلاد بالتحريك وهو الأثر .

(٢) القر الرد . (٣) السناد عيب من ديوب القافية .
(٤) الثقاف : ما تعدل به الرماح ، وثقف الرمح . عدله ، والكعوب جمع
كعب وهو ما بين الأنبياء من القصب ، والمنأد : المعوج .
(٥) لا جرم ، قال الفراء . هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محالة
فجرت ، على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً .

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكى أزدادها
فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين بان
يسالك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك، وما كنت قط أحق
منك الآن حيث تظن هذا بنفسك، فضحك الوايد ومن حضر، وقطع بعدى
ابن الرقاع حتى ما نطق.

وقال رجل كان يديم الأسفار، سافرت مرة إلى الشام على طريق البر،
فجملت أتمثل بقول القطامي.

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزوال
ومضى أعرابي قد استاجرت منه مركبي، فقال، ما زاد قائل هذا الشعر على
أن يبط الناس عن الحزم، فهلا قال بعد قوله هذا.

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا
والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادي.
قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهده الحريص
وعدى نظر إلى قول جماعة الجعفي.

مستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدرك فى استعجاله ما يبادر

وأخذوا على السكيت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم.
إلى السراج المنير أحمد، لا تعبدل في رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره، ولو رفع الناس إلى العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت، بل قصدت ولو عنفى القائلون أو ثلبوا (٢)

(١) وروى.

وربما فات قوما جل أمرهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا
(٢) ثلبه كضربه: صرح بالعيب فيه وتنقصه.

إليك يا خير من تضمنت الـ أرض ولو عاب قول العيب (١)
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضججاج والصخب (٢)

فقالوا ، من هذا الذي يقزل له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو
يعنفه أو يثلمه أو يعيبه حتى يكشر عليه فيه الضججاج والصخب ؟ وهو كله خطأ منه
وجهل بموقع المدح ، وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر الاسلام لعل العذر
كان يتسع له فيه .

وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأن قال : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة بهذا الخطاب . وإنما أراد أهل بيته ، لأنه قال فيهم من الشعر ما قال ولأن
بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الإنكار على من يفرق في وصفهم
والثناء عليهم .

ويقال إن أمجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط جرير .
قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولى على النار
لأنه قد جمع فيه ضرورياً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النيران لثلا
يمتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل
بالخطب ، وأخبر عن قلتها ، وإن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهي أقل من
بولة الشابة ، ووصفهم بامتمان أهمهم وابتذالها في مثل هذا الخال ، يدل بذلك على
العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء .

(١) العيب جمع عيوب كصبور .

(٢) ضاجه مضاجعة وضجاجا بالكسر : جادله وشاره وشاغبه ، والاسم
الضججاج بالفتح .

وقال الأصمعي : أغزل بيت قول امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسمييك في أعشار قلب مقتل^(١)
وحسكي عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتا أغزل من

قول جميل بن معمر .

لكل حديث يذنب بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد
وفضلته بهذا البيت سكينته بذت الحسين بن علي رضوان الله عليهم ، وأثابته به
دون جماعة من حضر من الشعراء^(٢) ،

وقال بعضهم . الأحوص من أغزل الناس بقوله .

إذا قلت لي مشتف بلقائها ورحم التلاقي بيننا زاذي سقا^(٣)
وقال غيره . بل جميل بقوله .

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعسود
وقال آخر : بل جرير بقوله

فلما التقى الحيان ألقيت بالعصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة لزيادته سقا إذا التقى بالمحوب
وقال الخاتمي : أغزل ما قاله العرب قول أبي صخر الهذلي :

فياحبها زدني جرى كل ليسة وياسلوة الأيام موعدك الحشر

- ١٥ -

وقال عبد الملك بن مروان المؤدب ولده : إذا رويتم شعراً فلا تروهم إلا

مثل قول العجير السلولي :

(١) ذرفت العين . سال دمعها ، بسمييك . مستعار لهيئتها ، ويقال قلب أعشار ، وقدر
أعشار : أي مكسرة عشرة جمع عشر بالكسر وهو القطعة التي تنكسر منها ، أراد أرقله
كسر ثم شعب كما تشعب القدر ، وهناك معنى آخر ، وهو : أنه أراد بسميها هنا
سهمي قدامح الميسر وهما المعلى والرقيب ، فلله على سجة أنصباء ، والرقيب ثلاثة ،
فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها وأعشار على هذا جمع عشر
بالضم . والمقتل : المذلل غاية التذليل

(٢) انظر الخبر في الأغانى ج ١٤ ص ١٦٦ (٣) سم : قدر

بين الجسار حين يبين عني ولم تأنس إلى كلاب جارئ
وتظعن جارتى من جنب بيتي ولم تستر بستر من جداري
وتأمن أنت أطالع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار
كذلك مدى آبائي قديما توارثه النجار عن النجار

وقال يوما في مجمع من الشعراء . يامعشر الشعراء ، تشبهونا بالأسد الأبحر
والجبل الروع ، والملح الأجاج ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى .

فقل للجهيم يا بكسر بن وائل مقالة من يلجى أخاه ومن يزرى
فـلو كنتم حيا صميا نفينم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان في المال ذا وفر
هو المانع السكب النبأح ، وضيغه خميص الحشايرعى النجوم التي تسرى

وكان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده .
إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
وأصطرع القوم بالبابهم نقضى بحكم عادل فاصل
لأنجعل الباطل حقا ولا نلفظ دون الحق بالباطل (١)
نخاف أن تسفه أحلامنا فتخمل الدهر مع الخامل

وكان يتمثل في الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء .
دعاني حصن للفرار فسأني مواطن أن يثني على فاشما

(١) نلفظ : نلح ونحمد وتشدد .

فقلت الحصن نوح^(١) نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتهدما
سيكفيك أطراف الأسنة فارس إذا ريع نادى بالجوار وبالحنى
إذا المرء لم يغش المسكاره أو شكت جبال الهوينى بالفنى أن تجهدما^(٢)

ولما لاذت به زوجته عاتكة بنت يزيد حين خرج لحرب مصعب، تريد منه
فأبى فبكت وبكت معها جوارها، جلس وقال: قاتل الله كثيرا، والله لكأنه يرانى
ويراك يا عاتكة حيث يقول.

إذا ما أراد الغزو لم تكن معه حصان عليها عقد در يزينا^(٣)
ننته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها^(٤)
ثم نهض، فسكان فى خروجه قتل مصعب

وعيب على أبى محجن الثقفى قوله فى وصف قينة^(٥)
وترفع الصوت أحيانا وتخفضه

كما بطن ذباب الروضة الغرد^(٦)

وقال عبد الملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به الزبير وهو
فان تصبك من الأيام جائحة لم نبك منك على دنيا ولادين
وقال بلال بن جرير: سألت أبى أى شئ هجيت به أشد عليك قال قول البعيت

(١) نوح: أبعد.

(٢) تجهدم. أصله تتجهدم، أى تنقطع.

(٣) الحصان: العفيفة.

(٤) القطين. الخدم، من قطنه بمعنى خدمه.

(٥) الجارية المغنية

(٦) ذباب الروضة هو النحل

وكل كليلي تخيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النمل

- ٢١ -

وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فأقبل إليه الأحوص ونصيب ، فجعلوا يتحدثون
ثم سألهما عمر عن كثير عزة فقالا : هو ههنا قريب ، فقاموا نحوه فألفوه جالسا
في خيمة له ؛ فتحدثوا مليا وأفاضوا في ذكر الشعراء ، فأقبل كثير على عمر فقال له
إنك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرني يا هذا
عن قولك .

ثم اسبطرت تشتد في أثرى تسال أهل الطواف عن عمر (١)
أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسات وقلت الهجر (٢) ؟
لأنما توصف الحرة بالحياء والاباء والبخل والامتناع ؛ ألا قلت كما قال هذا يعني
الأحوص .

أدور ولولا أن أرى أم جعفر باياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى وإن لم يزر لأبد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر وإلى إلى معروفها لفقير
فانكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ، ودخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء
فيه ، فلما استبان كثير ذلك فيه ، قال : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك .
فان تصلى أصلك وإن تبينى بهجر بعد وصلك لأبالي
أما والله لو كنت حزنا لبليت ولو كسرا نفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود
وأشار إلى نصيب .

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب
فانكسر الأحوص ودخلت نصيبا زهوة ، فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته
التفت إليه وقال . وأنت يا ابن السوداء أخبرني عن قولك .

(١) اسبطرت . أسرع ، تشتد . تعدو .

(٢) الهجر : القبيح من الكلام .

أهم بعدد ما حبيت فان أمت فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى
أهمك - ونحك - من يهيم بها بعدك ؟ فلما أمسك كثير اقبل عليه عمر ،
فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع ، أخبرنى عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب
- بيت تقول .

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة بعيران نرعى في الخلاء ونعرب^(١)
كلانا به عرفن يرنا يقل على حسنهما جرباه تعدى وأجرب^(٢)
إذا ما بردنا مهلا صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت (وبيت الله) أذك بكرة هيجان وأنى مصوب ثم نهرب^(٣)
تكون بعيرى ذى غنى فيضيئنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
فقد تمنيت لها ولأنفسك الرق والجرب والرمى والطراد والمسخ ، فأى مكروه
لم تمن لها ولأنفسك ؟ لقد أصابها منك قول القائل : مهادة عاقل خير من مودة
أحمق ، لجعل يخلج جسده كله ، وقام القوم يضحكون .

أما الموازنات الأدبية فقد سبق ذكر الكثير منها مما وقع بين الشعراء وفى
مجالس الخلفاء وستأتى موازنات كثيرة بين شعراء الغزل وبين الفرزدق وجوير
والأخطل

ومن أشهر الأدباء النقاد فى هذا العصر : سكينه بنت الحسين ، وعبد الملك بن
مروان ، ولهما مجالس كثيرة فى النقد وتفضيل الشعراء
وسنفرده عبد الملك بالتأليف فى كتاب مستقل سيصدر قريباً إن شاء الله

(١) نعرب : نبعث فى المراعى .

(٢) العر بالفتح والضم : الجرب ، وداء يسمعه منه وبر الابل .

٣، البكر : الناقة الفتية ، وناقة هيجان : بيضاء كريهة ، والمصعب : الفعل

الذى يترك فلا يركب

شعراء الحماسة

الأمويون

قمنب - حريث النبهاني - شميث - جواس - عبد الرحمن بن الحكم -
زياد الأعجم - ليلى الأخيلية - الحزین - أعشى بن أبي رييمة - السكيت - الأخطل
طنخيم الأسدي - أبو عطام السندی - سعد بن ناشب - قطري ابن
الفجاء - سوار بن المضرب السعدي - زفر بن الحارث الكلابي - تابعي -
القتال الكلابي - الأحوص - الطرماح - زيادة الحارثي - حريث بن عتاب النبهاني -
عويف القوافي الفزاري - بشير بن المغيرة - أبو صخر الهذلي - أرطاة بن سهبة -
عقيل بن علفة المري - أبو الأبيض العبي - هدبة بن الخشرم - قوال الطائي -
وضاح الثين - الفرزدق - العديل المعجلي - محمد بن بشير - الشمردل - أرطاة بن
سهبة - المعجير السلولي - عید الله بن الزبير - منقذ الهلالی - الأيبرد - شبيب بن
البرصاء - عبد الله بن همام السلولي - المقنع الكندي - عبد الله بن معاوية بن
عبد الله بن جعفر - المنوكل الليثي - يزيد بن الحكم - الصلتان العبدی - الصمة بن
عبد الله - ابن الدمينه الخثعمي - ابن أذينة - العرجي - ابن المسور - عمر بن أبي
رييمة - الحارث المخزومي - كثير - نصيب - الحكم الخضري - أبو جميل
راوية هدبة وروى كثير جميل - عملس - زميل - منقذ الهلالی - أبو الغول
الطهوي - مضر بن ربيعي - طريح

أوائل السكتب المؤلفة في الشعر والشعراء

ولقد عنى العلماء منذ مطلع القرن الثالث الهجرى بالتأليف في الشعر والشعراء ، وأخرجوا في ذلك الكثير من المؤلفات ، فقد ألف في الشعر والشعراء ، وطبقاتهم وفي دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفسهم المؤلفات في هذه الناحية ، ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الآن التي لم يحاول أحد معرفتها أو الإلمام بها من قبل وما هي ذى :

١ - كتاب الأربعة في أخبار الشعراء ، وكتاب صناعة الشعر لأبي هفان المهرمى م ١٩٥ هـ (١) .

٢ - كتاب الشعر والشعراء لأبي دعامة العبسي أحد من انقطع إلى البرامكة (٢) .

٣ - كتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة م ٢٠٩ هـ (٣) .

٤ - طبقات الشعراء لأبي المنعم (٤) .

٥ - كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبي سعيد الوراق (٥) .

٦ - كتاب الشعر للأصمعي م ٢١٦ هـ (٥) ، وله كتاب معاني الشعر (١) ،

ولابن أخته عبد الرحمن كتاب معاني الشعر (٧) ، وللفضل كتاب معاني الشعر (٨) ،

وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ هـ (٩) ، وابن الأعرابي م ٢٣١ هـ (١٠) ،

والأشنانداني م ٢٥٧ هـ (١١) ،

(١) ٢٠٧ فهرست ، ٢٨٨ / ٤ معجم الأدباء .

(٢) ٧١ فهرست . (٣) ٧٩ فهرست .

(٤) ١٥٨ فهرست . (٥) ٢٢١ الوسيط .

(٦) ٨٢ فهرست (٧) ٨٣ فهرست (٨) ١٠٢ فهرست :

(٩) ١٠٥ فهرست : (١٠) ١٠٢ فهرست .

(١١) ٨٩ و ١٢٣ فهرست :

- وكذلك ابن السكيت (١) م ٢٤٤ هـ ، وابن قتيبة [١١٥ فهرست] :
٧ - أخبار الشعراء للبدائي م ٢٢٥ هـ (٢) .
٨ - طبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين لمحمد بن سلام الجهمي م ٢٣١ هـ (٣) :
٩ - طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي (٤) .
١٠ - كتاب طبقات الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبي حسان الزياتي م ٢٤٣ هـ (٥) :
١١ - كتاب الشعراء وأنسابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبي جعفر محمد بن حبيب م ٢٤٤ هـ (٦) .
١٢ - طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ هـ (٧) .
١٣ - الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الخثعمي (٨) ، وهو شاعر عاصر البحتري ، وله كتاب أدب الشعر (٩) .
١٤ - كتاب الشعراء للقياس بن سلام (١٠) .
١٥ - عد رسائل في أخبار الشعراء للزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ (١١) .

-
- (١) ١٠٨ : فهرست (٢) ٣١٦ ج ٥ معجم الأدباء
(٣) راجع ٦٥ فهرست .
(٤) ٢٦ : فهرست ، ووالده يحيى م ٢٠٢ هـ وأستاذ المأمون .
(٥) ١٦٠ : فهرست ، ١٤٥ ج ٣ معجم الأدباء .
(٦) ١٥٥ : فهرست ، ٤٧٦ ج ٦ معجم الأدباء . وله كتاب معاني جرير [١٥٩ فهرست]
(٧) ٢٢٨ : فهرست ، ١٩٧ ج ٤ معجم الأدباء .
(٨) ١٥٩ : فهرست . (٩) ٢٤٣ : فهرست .
(١٠) ١٠٦ : فهرست .
(١١) ١٦١ : فهرست ، وميلاد الزبير عام ٢١٨ هـ .

- ١٦ — عدة رسائل في الشعر والشعراء لمحمد بن إسحاق الموصلي و١،
 ١٧ — كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان (٢)،
 ١٨ — كتاب الشعر والشعراء وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب الاغانى لعمر
 ابن شبة (١٧٢ - ٢٦٢ هـ (٣))
 ١٩ — كتاب الشعر والشعراء لأبي جعفر محمد بن أحمد البرقي م ٢٧٤ هـ (٤)
 ٢٠ — كتاب الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
 (٢١٣ - ٢٧٦ هـ (٥))
 ٢١ — كتاب أخبار الشعراء لابن أبي خيثمة م ٢٧٩ هـ (٦).
 ٢٢ — كتاب الشعراء القدماء والاشلامية لأبي الحسن علي بن يحيى المنجم
 ٢٧٥ هـ (٧).
 ٢٣ — أخبار الشعراء لمحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم (٨) وهو أخو علي
 ابن يحيى المنجم.
 ٢٤ — الجامع في الشعر وأخبارهم لأحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ (٩))
 ٢٥ — الشعر والشعراء لأبي حنيفة الدينوري م ٢٨٢ هـ (١٠)
 ٢٦ — الروضة، والكامل، وقواعد الشعر : والبلاغة، للبرد (٢١٠ -
 ٢٨٥ هـ (١١))

- (١) ٢٠٤ فهرست .
 (٢) ٢١٤ فهرست .
 (٣) ١٦٣ فهرست ، ٤/١٩٤ معجم الأدباء .
 (٤) ٢/٣١ معجم الأدباء (٥) ١١٦ فهرست . (٦) ٣٢١ فهرست .
 (٧) ٢٠٥ فهرست : ٤٥٩ ج ٥ معجم الادباء ٥٩ ج ٢ وفيات .
 (٨) ٢٠٥ فهرست . (٩) ٢١٠ فهرست ١/١٥٥ معجم الادباء .
 (١٠) ١١٦ فهرست ١٢٧ ج ٩ معجم الادباء .
 (١١) ٨٨ فهرست ، وقد جمع في الروضة أشعارا للمحدثين من أبي نواس إلى
 من عاصروهم المبرد [راجع ١٢٢ المثل السائر] ، وينقد صاحب العقد اختياراته في
 هذا الكتاب [١٤١ - ٤ العقد] .

- ٢٧ - معاني الشعر: للبحراني م ٢٨٤ هـ، ولعلب م ٢٩١ هـ. ولعلب وقواعد الشعر، أيضا (١).
- ٣٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين، وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبي عبد الله هارون بن علي المنجم (٢٥١ - ٢٨٨ هـ) (٢).
- ٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم (٣).
- ٣٠ - الشعر والشعراء لعلي بن مرشد (٤).
- ٣١ - الشعر والشعراء لمحمد بن أحمد بن الحرون، وله كتاب المطابق والتجنيس أيضا (٥).
- ٣٢ طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أشعار الملوك لابن المعتز م ٢٩٦ هـ (٦) وله رسالة في نقد أبي تمام (٧).
- ٣٣ - الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتات الورقة وكتاب من سمي من الشعراء عمرا، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراج (٢٤٣ - ٢٩٦ هـ) (٨).

-
- (١) ١٠ و ١١ فهرست .
- (٢) ٢٠٦ فهرست ، ٤٨٥ معجم الشعراء ، ٢٣٥ ج ٦ معجم الأدباء ، ١/١٣١ وفيات . (٢) ص ١ طبقات ابن المعتز
- (٤) ٧١ فهرست . (٥) ٢/٢١٢ فهرست ، ٢٧٩ ج ٦ معجم الأدباء
- (٦) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ ج ٣ شذرات ، ٤٦٢ ج ١ وفيات .
- (٧) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه أبا تمام [٢٠٤ ج ٦ معجم الأدباء]
- (٨) ١٨٦ فهرست ، وورد اسم كتاب الورقة في الموازنة للامدي كثيرا [٦١٠ و ٨٥٠] وكان ابن داود من علماء الكتاب فضلا عارفا بالأيام والأخبار [٢٥٥ ج ٥ تاريخ بغداد ، ١٨٥ فهرست] ، والده صاحب الزمام في عهد المتوكل [٤٣ ج ١ الفرج بعد الشدة]

- ٣٤ - كتاب الباهر في أخبار شعراء مخصري الدولتين ليحيى بن علي المنجم
[٢٤١ - ٣٠٠ هـ (١١)] . رلأته أحمد ذيل عليه (٢) .
- ٣٥ - كتاب الإشارة في أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر
[٢٢٢ - ٣٠٠ هـ (٣)] .
- ٣٦ طبقات الشعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي م ٣٠٥ هـ (٤)
- ٣٧ - مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٢ هـ (٥) .
- ٣٨ - الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي م ٣٢٢ هـ (٦) .
- ٣٩ - كتاب صناعة الشعر الأدب لأبي زيد البلخي م ٣٢٢ هـ (٧)
- ٤٠ - الشعر والشعراء لابن السراج م : ٣١ هـ (٨) .
- ٤١ - الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد ، والشعر
والشعراء (لم يتم) ، ومحاسن أشعار المحدثين لجعفر بن حمدان الموصلی (٢٤٠ -
٣٢٣ هـ (٩))
- ٤٢ - أخطاء أبي تمام لأبي العباس الثقفي أحمد بن عبيد الله بن عمار القطريلي
الكتاب المعروف بالفريد ، أبان فيه أخطاء أبي تمام وما في شعره من هجين اللفظ
وبعيد الاستعارة (١٠) ، ونقده الآمدي (١١) في كتاب مستقل (١٢) ألحقه بالموازنة ،
وتوفي ابن عمار عام ٣١٤ هـ (١٣)

(١) ٢٠٦ فهرست ، ٢٨٨ ج ٧ معجم الأدباء ، ٢٠٨ ج ٣ وفيات .

(٢) ٢٠٦ فهرست . (٣) ١٧٠ فهرست .

(٤) ١٦٥ فهرست . (٥) ٢١٤ فهرست ، ٤٥ ج ٢ وفيات .

(٦) ١٩٦ فهرست . والآمدي م ٣٧٩ هـ كتاب ما في عيار الشعر لابن

طباطبا من الخطأ وكتاب تبين غلط قدامة في نقد الشعر [٥١ ج ٣

معجم الأدباء] . (٧) ١٩٨ فهرست (٨) ٩٣ فهرست

(٩) ٢١٣ فهرست ، ٤١٩ ج ٢ معجم الأدباء (١٠) ٦٢ الموازنة

(١١) ٦٢ - ٦٩ من الموازنة

(١٢) ٥٨ ج ٣ معجم الأدباء ، ١٢٥ الموازنة ، ٢٢١ فهرست .

(٣) راجع ترجمته في ٢٠٢ - ٢٥٣ ج ٤ تاريخ بغداد

٤٣ - كتاب طبقات الشعراء بالآندلس لعثمان بن ربيعة الآندلسى ذكره
الحميدى قريبا من سنة ٣٩٠ هـ (١) .
وسوى ذلك من شتى المؤلفات فى هذا الباب .

دواوين الشعراء

ولشعراء صدر الاسلام وعصر بنى أمية دواوين كثيرة مطبوعة ، ومنها
دواوين طبعت عدة مرات .
وسأذكر هنا الطبقات القديمة لبعض هذه الدواوين .
فإنها ديوان للإمام على بن أبى طالب وقد طبع مراراً وهو مرتب على حروف
المعجم وطبع ببولاق عام ١٢٥١ هـ .
وديان أبى محمد الثقفى الصحابى وشرحه لأبى هلال الحسن بن سهل وقد
طبع فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٢ للهجرة من ضمن المجموعة المسماة بالطرف العربية
وديان مختارات شعراء العرب وبه خمسون قصيدة وهو مطبوع
بمطبعة أبى زيد بمصر سنة ١٢٠٦ وديوان عمر بن أبى ربيعة المتوفى سنة ٩٣ . وجميع
شعره فى النسيب ولم يمدح أحداً ولذا قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا
فقال إنما أمدح النساء لا الرجال وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١١٣١ .
وديان الفرزدق المتوفى بالبصرة سنة ١١٠ بعد أن عاش نحو مائة سنة وقد تم
طبعه بمدينة باريس سنة ١٨٧٥ للميلاد وطبع بمصر عدة طبعات . وديوان
جرير المتوفى سنة ١١١ بالهامة وقد طبع بمصر . وديوان مجنون ليلى وهو
شاعر إسلامى وقد طبع سنة ١٢٩٤ بمطبعة بولاق . وديوان ذى الرمة المتوفى
سنة ١١٧ للهجرة . وديوان العجاج وديوان ابنه رؤبة المتوفى سنة ١٤٥ وليس
فيهما إلا أراجيز . والمفضليات وهى أشعار مختارة جمعها للهمدى المفضل الضبي
وقد طبعت بمدينة ليبسيك طنة ١٨٨٥ للميلاد :

وديان الحماسة وهو ديوان جمع فيه أبو تمام ما اختاره من أشعار العرب
ورتبها على عشرة أبواب: الحماسة والمرائي والادب والنسيب والهجاء والاضافات
والصفات والسير والملح ومذمة النساء وهو مطبوع مع شرحه لأبي زكريا يحيى
الشهير بالخطيب التبريزي سنة ١٢٩٦ بمطبعة بولاق في سفرين وطبع عدة طبعات
أخرى وطبع مختصر له مع شرح مناسب

بعض أشهر كتب الادب والتراجم

- الآغانى لأبي الفرج ٣٥٦ هـ - حماسة أبي تمام ٢٣١ هـ
شعراء النصرانية وهو قسمان كل قسم أجزاء جاهلي وأسلمى .
مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٣٥١ هـ مخطوط بمكتبة تيمور باشا
نزهة الالباء في طبقات الأدباء لابن الأثير م ٥٧٧ هـ . الهلة لابن بشكو الم ٥٧٨
دمية القصر للباخرزي م ٤٦٧ هـ
خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني م ٥٩٦ هـ
تاريخ بغداد ١٤ مجلدا للخطيب البغدادي م ٤٦٢ هـ
الآل في شرح أمالي القائل للبكري م ٤٨٧ هـ
قلائد العقيان لابن خاقان م ٥٣٥ هـ
تاريخ دمشق لابن عساكر منه سبع وثلاثون مجلد بدار الكتب مخطوطة
معجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ . عشرون جزء
شرح مقامات الحريري للشريشي م ٦١٩ هـ
أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي م ٦٤٦ هـ
اللباب في معرفة الأنساب لابن الاثير م ٦٢٠ صاحب السكامل في التاريخ
تهذيب الاسماء واللغات للنووي م ٦٧٦ هـ
خلاصة أسماء رجال الحديث للخزرجي من علماء القرن العاشر
وفيات الأعيان لابن خلسكان م ٦٨١ هـ
الوافي بالوفيات للصفدي م ٧٦٤ هـ
شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباته المصري م ٧٦٨ هـ

الطبقات الكبرى للشافعية لابن السبكي م ٧٩٩ هـ
الدرر السكامة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني م ٨٥٢ هـ
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي من علماء القرن التاسع
حياة الحيوان للدميري م ٨٠٨ هـ
خزانة الأدب للبغدادى م ١٠٩٣ هـ تلخيص الشهاب الخفاجى م ١٠٦٩
معاهد التنصيص للعباسي م ٩٦٠
نفع الطيب للمقرئ م بعد ١٠٤١ هـ
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد سنة ١٠٨٩
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر للمعجى م ١١١٢ هـ
نخبايا الزوايا للشهاب الخفاجى م ١٠٦٩ هـ
سلافة العصر لابن معصوم م ١١٠٤ هـ
طبقات الصحابة - أسد الغابة - لابن الأثير
ومن الكتب الحديثة عن الشعراء ومختارات شعرهم :
مختارات البارودى الشاعر الكبير

كتاب شعراء النصرانية جمعه وصححه الاب لويس شيخو اليسوعى .
اربعة اقسام فى شعراء الجاهلية مطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٠ للميلاد . وقد
جمع السيد توفيق البكرى كتابا جليلا فى المختار من اراجيز العرب مفسر للغريب
وشارحا للمعاني ومبيناً للغة - اصد طبعه سنة ١٣١٣ للهجرة : وقد صنف ايضا
كتابا نافعا سماه خول البلاغة قال فى أوله : هذا سفر وضعناه فى المختار من شعر
ممنانية من خول الشعراء وأئمة البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع
الغواني وابو نواس الحسن بن هانىء وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة
البحترى وابن الرومى على بن عباس وابن المعتز وابو الطيب احمد المتنبى وابو العلاء
المعمرى ، وقد طبعه بالمطبعة الاميرية سنة ١٣٠٣ للهجرة

الرجز في العصر الاموي

١ - كان الشعر الجاهلي قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهلهل وامرئ القيس كان كله رجزا ، ينطق الشعراء بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحياه ، كالأبيات التي تؤثر عن ديد بن زيد والعنبر بن عمرو بن تميم وأعصر بن سعد والمتوعر بن ربيعة وسواهم^(١) ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثار التهذيب ، ونخل شأنه ببدء النهضة الفنية في الشعر على يد امرئ القيس وسواه

٢ - ثم جاء الأغلب العجلي ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظم وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طول شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفي ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بتقديم جدا مع أن الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشب فيه وذكر الديار واستوقف أصحاب علمها واستوصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء وارجوزته قد جبر الدين الاله لجبر ، نحو من مائة بيت وهي موقوفة مقيدة^(٢) ، ويؤيد ابن قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز^(٣) وهو الصحيح . وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء في القصيدة

٣ - واشتهر بعد الأغلب من الرجاز : العجاج وابنه رؤبه ، وأبو نخيلة ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ ج ٢ المزهري ، ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء .

(٢) راجع في ذلك كله ص ٢/٢٠٩ المزهري ، ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء

ومن الرجا زين في العصر الاموي : العجاج ، ورؤبة م ١٤٥ هـ ؛ وأبو النجم
المعجلى وكانت بالكوفة وراجز العجاج وأرجوزته ، الحمد لله الوهوب المجزل ،
أجود أرجوزة للعرب كما يقول ابن قتيبة (١) ومدح هشام بن عبد الملك ، وتوفي
عام ١٣٠ هـ

ومن الرجاز : ذكين ومدح عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة
والأغلب الراجز أشهرهم وهو من المختصرمين وأول من أطال الرجز وكان
الرجل قبله يقول البيت والبتين إذا فاخر أو شاتم كما يقول ابن قتيبة (٢)

(١) ٢٣٢ الشعر والشعراء

(٢) ٢٣٥ الشعر والشعراء

خاتمة

وبعد فهذا هو نهاية كتابنا الجديد ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ،
وسنتبعه بكتاب ثان عنراة وأعلام الأدب في عصر بني أمية ، نحال فيه حياة
وأدب جميع الشعراء والكتاب والخطباء والأدباء الأويين وأثارهم الفنية
وخصائصهم ومنزلتهم الأدبية بين أعلام الأدب والشعر في هذا العصر العظيم .
وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

١١ ربيع الأول ١٣٦٩ — أول يناير ١٩٥٠

محمد عبد المنعم مفاهيمي
الاستاذ في كلية اللغة العربية

تقدير ملكي كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعنز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » فتلقى من معالي كبير الأماناء الخطاب الآتي :

ديوان كبير الأماناء

حضرة المحترم الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
أتشرف بإبلاغ حضرتكم أنني رفعت إلى السدة العلية الملكية النسخة التي قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعنز وتراثه في الأدب والنقد والبيان »
فتفضل أعزه الله فأولاهها حسن القبول ، وإنني أتشرف بإبلاغ حضرتكم ذلك مع الشكر السامي .

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام .
تحريراً في ٢١ يوليو ١٩٤٩
عبد اللطيف طلعت
(إمضاء)

وإنني لأنتهز هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعظم شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه ويكلاؤه ويرعاه لمجد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه ملاذاً للثقافة والعلم والحضارة .

محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بكلية اللغة العربية

مطبوعات المؤلف

- ١ — شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة الحلبي ١٩٤٥ — ١٣٦ صفحة
- ٢ — رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والإجتماع نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٦ — ١٤٤ صفحة
- ٣ — قواعد الشعر لعلمب شرح المؤلف ونشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨
- ٤ — التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ط ١٩٤٨ المطبعة الفاروقية
- ٥ — الشعر العربي أوزانه وقوافيه نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨ - ١٣٠ صفحة
- ٦ — فن الشعر: دراسات في العروض نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ - جزءان
- ٧ — فصيح ثعلب والشروح التي عليه ط ١٩٤٩ — مكتبة التوحيد بدرب الجمايز - ٤٠٠ صفحة
- ٨ — الحياة الأدبية في العصر الجاهلي نشر محمود توفيق ١٩٤٩ - ٢٧٦ صفحة
- ٩ — أعلام الشعر الجاهلي - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - بالاشتراك مع استاذ - ١٢٥ صفحة
- ١٠ — ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - ٤٠٠ صفحة
- ١١ — الشعراء الجاهليون - مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ - ٢٠٠ صفحة
- ١٢ — أحلام الشباب ديوان شعر - دار الأنوار ط ١٩٤٩
- ١٣ — شرح متن التلخيص - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٤ — حكومة القاضي الجرساني في النقد الأدبي - ط صبيح ١٩٤٩
- ١٥ — شرح الايضاح في علوم البلاغة - ٦ أجزاء - نشر مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٦ — الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام - نشر مكتبة الحسين ١٩٤٩ - ٦٠٠ صفحة
- ١٧ — مرشد البيان في البلاغة - دار الأنوار ١٩٤٩
- ١٨ — توبة شاعر البطولة - دار الأنوار ١٩٤٩
- ١٩ — وحي العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦
- ٢٠ — نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

تحت الطبع :

- ١ — أعلام الادب في عصر بني أمية — ٤٠٠ صفحة
- ٢ — التجديد في الشعر العربي — ٣٠٠ صفحة
- ٣ — مختارات من الادب الحديث — خمسة أجزاء
- ٤ — الشاعر الخالد ابن هاني شاعر المعز الفاطمي .
- ٥ — اعلام الادب العباسي — بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية — ٦٠٠ صفحة
- ٦ — عبد الملك بن مروان الخليفة الاديب الناقد — بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد .

ابن المعتمر

وترائه في الأدب والنقد والبيان
تأليف محمد عبد المنعم خفاجي

نشرت جريدة المصري كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها
هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة العربية ،
ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق بالقاهرة ، في أربعة صolumes
من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول .
تناول مؤلفه فيه ابن المعتمر الخليفة العباسي الشاعر الأديب الكاتب والناقد
العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره في النقد والبيان
بالدراسة والتحليل والنقد .
وهو أول كتاب يؤلف وينشر في الأدب العربي عن ابن المعتمر وآثاره
الفنية والأدبية والعلمية .
ويمتاز بدقة البحث ؛ وعمق الدراسة وتنوعها ، وتمدد ألوان التجديد في مناهج
النقد الأدبي ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة .
وقد صدره مؤلفه بكلمة عن الفاروق ، وفيض رعايته وتشجيعه
وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية .
ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

الشعراء الجاهليون

هذا كتاب جديد حقاً، جديد في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه ، ولست أقصد بذلك أن المؤلف قد خلق موضوعه من عند نفسه أو ابتكر مادة الكتاب من خياله، فالكتاب هو عرض شيق ، ودراسات واسعة للشعراء الجاهليين ولاشهر القصائد الجاهلية . وقد كتبها المؤلف ونشرها لتكون مرجعاً من مراجع البحث الأدبي في العصر الجاهلي ، وهي مرجع حقاً ولكنها مع ذلك شيء آخر نحن أحوج إليه . لا يكاد القارئ يبدأ فيه حتى يستغرقه جماله وفنه وبهجه ، ويستأثر بعقله وقلبه جميعاً . سهولة في تأليف الألفاظ ، وتسويق الجمل ، وقوة وبراعة في ترتيب الموضوعات وشرح المسائل ومناقشة الآراء والنظريات المختلفة، تجدها كلها مؤلفة في هذا الكتاب تأليفاً يوافق طبعك وسليقتك، ويشعرك الحاجة إلى دراسة الأدب العربي وإلى الإنتاج فيه ويورثك الرغبة الدافعة إلى قراءة الأدب والنوقوف على آثاره .

وكنت مازلت اعتقد أن الكتاب الحقيقي بهذا الاسم والجدير بالعناية والاحتفال هو الذي يعلمنا من الدرس ما يشعر قلوبنا حب الأدب ويثبت فينا روحه ، ويحملنا على العناية بتأريخنا الأدبي وحضارة أسلافنا الأدبية والعقلية؛ وروح المؤلف وشخصيته الخصبية التي يمتاز بها تضيء على الكتاب هذا اللون وتطبعه بهذا الطابع وترفعه إلى مقام الجودة بين النلة الغالية التي تظهر بها المكتبة العربية بين حين وحين .

وهذا هو ميزة المؤلف في كل ما ينشره من البحوث والموضوعات فهمها يكن شأن الموضوع الذي يكتب فيه والفن الذي يعالجه فان عقله المبسك وتفكيره الطبع ينفيان عليه من طابع الجودة والأناقة ما يميزه عن كل ما هناك من البحوث والموضوعات .

ولست في حاجة إلى التذليل على شيء مما أقول فإن هذا الكتاب يسرني
أن أقدمه لقراء العربية جميعا

لقد قرأت الكتاب فشعرت شعورا قويا بحاجة المكتبة العربية لآل إليه
وحده بل إلى دراسات الاستاذ المؤلف للعصور الأدبية كلها، والبيئات العربية المختلفة
فالاستاذ عبد المنعم خفاجي هو في رأي خير من يناط الأمل به في درس هذه العصور
والبيئات وآثارها الأدبية وخصائصها البنيانية أسأل الله أن يطيل أجله ويبارك ثمره
وينفع به الطلاب جميعا ؟ محمد علي هدية - مدرس

دراسة وتحليل لكتابه:

التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي

١ - هذا كتاب جديد في النقد والموازنة ، وهو بحث طريف في الأدب ، طريف في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه . ومولفه الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أديب معروف بعمق نظره ، وقوة ملاحظته ، ورسوخ قدمه في العلم ، وبسعة إطلاعه وبراعته الفائقة في تحليل المعاني ، وقسدرته على التعبير الواضح البليغ ، وهو مع ذلك شديد الحياة في الأدب موفور الكرامة غنى بعلمه وفضله عن المجد الكاذب والشهرة الزائفة ، وتقرأ الجملة الأولى من المقدمة فتشعر بهذه الميزات كلها تبرز بروزاً واضحاً لا غموض فيه ، وأسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عن الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن . وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الخيرة ، ويهدينا سواء السبيل .

٢ - وعبد الله بن المعتز خليفة أدركته حرفة الأدب منذ صغره . وشعره صورة صادقة لنفسه ، وصورة صادقة لعصره ، وصورة صادقة للفن الخالص والأدب العالي ، وهو من مراجع الأدب والسياسة والإجتاج ، فوق أنه ثروة فنية عظيمة . والمؤلف قد جلى الناحية الفنية في شعره في كتابه : التشبيه ، وأفاض في شرحها إفاضة الباحث الموهوب .

٣ - ونحن بازاء لخل آخر من لحول الشعر والأدب لم يكن كصاحبه ذا نعمة ورجاء وترف ، بل عاش طول حياته على الكفاف لا يكاد يجد حاجته الضرورية ولم يكن حظه من الدهر إلا هذه الموهبة الفنية التي لا تغنى عن الفقر شيئاً ، وإن أبدعت للتاريخ والفلسفة والأدب قصيداً خالداً عميقاً ، لا يزل مجالاً للبحث واختلاف الرأي ؛ إلى يومنا هذا .

ذلكم هو ابن الرومي وقد أنصفه المؤلف في كتابه، وهو عندي خليف بذلك ولم يزل في حاجة إلى مزيد من الانصاف. ولا شك أن هذه الدراسة الفنية لشعر ابن الرومي جديدة كل الجدة عميقة كل العمق .

والكتاب آية من آيات المؤلف ، وطرفه نادرة من طرفه ، لا سبيل إلى الشك في عمقها وجدتها وحسن عرضها، وأنا أسأل الله له التوفيق ؛ ولطفاً به حسن الإتيان به ؟ محمد هدية — مدرس

فهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
النثر الفني	٦٩ - ١٨٢	الكلمة الأولى	٣
نماذج	٦٩ - ٩٢	منهج الدراسة	٤
بين الزبرقان وابن الهم	٦٩	٧ - الحياة الأدبية في صدر الإسلام	٣١٩
من حكم الرسول	٧٠	٨ - عصر صدر الإسلام	١٠
تأبين أبي بكر للرسول	٧١	١٠ - الجاهليون والمخضرمون	١٢
تأبين عائشة لأبيها	٧١	١٢ - الإسلام وأثره في الحياة الاجتماعية	١٣
الأحنف وعمر	٧٢	١٣ - وفي الحياة العقلية	١٤
إسلام أبي ذر	٧٣	١٤ - وفي الحياة السياسية	١٥
وفاة النبي	٧٤	١٥ - وفي الحياة الأدبية	١٦
وصف عمر وعلى	٧٦	١٦ - أثره في اللغة العربية	٢٠ - ٥٣
للحسن وللإمام علي	٧٧	٢١ - القرآن الكريم	٢١
من حكم الرسول	٧٠	نزوله	٢٣
من حكم أبي بكر	٧٩	موضوعات السور	٢٤
من حكم عمر	٨٠	أسلوب القرآن	٢٧
من حكم عثمان وعلي	٨٠	جمع القرآن	٣١
استمناح أعرابي لعلي	٨١	رواية القرآن وقراءاته	٤٠
بين أبي بكر وعمر وعلي	٨٢	أثره في اللغة والأدب	٤٢٠
كتاب علي إلى الأشتر	٩٠	خصائصه	٤٤
النثر ومميزاته	٩٣ -	إعجاز القرآن	٥٤ - ٦٨
تمهيد	٩٣	أحاديث رسول الله	٥٤
شبهة للمستشرقين	٩٦	البلاغة النبوية	٥٨
وصف النثر الفني	٩٨	جوامع كلمه (ص)	٦١
موضوعات النثر	٩٩	خصائص البلاغة النبوية	٦٢
معانيه وأسلوبه	١٠٠	أثر الحديث في اللغة والأدب	٦٣
موازنة	١٠١	الرسول والشعر	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٠	نشأته	١٠٢ — ١٦٥	الخطابه
١٣١	ألوان من حياته	١٠٢ — ١٢٤	نماذج
١٣٢	نهج البلاغة	١٠٣	خطب لرسول الله
١٣٤	بلاغة على	١٠٣	الخطبة المدنية الأولى
١٣٥	بعض آثار لعلي	١٠٤	خطبة الوداع
١٣٧	الخطبة الشقشقية	١٠٦	خطبة أبي بكر يوم السقيفة
١٤٠	من حكم على	١٠٧	وصية أبي بكر ليزيد
١٤٥	على والشعر	١٠٩	خطبة لعمر
١٤٧ — ١٦٥	عمر	١١٠	خطب له
١٤٧	حياته	١١١	خطبة لعثمان
١٤٨	بلاغته	١١١	خطبة أم الخير
١٥١	عمر والشعراء	١١٥	خطبة على بعد التحكيم
١٥١	عمر وأبو كلاب	١١٦	خطب لعلي
١٥٣	عمر وأبو محجن	١١٨	خطب لأبي بكر ولعثمان
١٥٥	عمر والخطيئة	١٢٠	خطبة لفاطمة الزهراء
١٦١	عمر والشعر	١٢١	خطبة لأبي بكر بعد الردة
١٦١	آثار لعمر	١٢٢	خطبة لعلي
١٦٣	رسائله في القضاء	١٢٣	خطبة لعائشة
١٦٦	الكتابة الفنية	١٢٥ — ١٢٨	وصف الخطابة
١٦٦ — ١٧٦	نماذج	١٢٥	تمهيد
١٦٦	كتب للرسول	١٢٥	أسباب رقى الخطابة
١٦٩	لأبي بكر	١٢٦	أغراضها
١٧١	كتب لعمر	١٢٧	أسلوبها وألفاظها
١٧٤	بين علي ومعاوية	١٢٨	معانيها
١٧٥	وصية أبي بكر لعمر	١٢٩	أعلام الخطباء
١٧٥	كتاب عمر إلى أبي موسى	١٢٩ — ١٤٦	على بن أبي طالب
١٧٦	كتاب لعلي	١٢٩	أمرته

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٩٧ - ٢٤٥ حسان		١٧٧ - ١٨١ وصف الكتابة	
٢٤٥ تمهيد		١٧٧ تمهيد	
٢٤٥ أسرته		١٧٧ الكتابة في عصر النبوة	
٢٤٦ نشأته		١٧٨ الكتابة بعد عهد النبوة	
٢٤٧ حياة في الاسلام		١٧٩ بواعث الكتابة	
٢٥١ شعر حسان		١٧٩ تدوين الدواوين	
٢٥١ آراء النقاد		١٨٠ أسلوب الكتابة	
٢٥٥ وصف شعره		١٨٢ التوقيعات	
٢٥٨ أسلوب شعره		١٨٣ - ٣١٢ الشعر في صدر الاسلام	
٢٥٨ معاني شعره		١٨٣ - ٢٠٣ نماذج	
٢٥٩ زوائج حسان		٢٠٤ - ٢١٢ انشعر وما طرأ عليه	
٢٥٩ نقد النابغة له		٢٠٤ تمهيد	
٢٦١ حسان والنعمان		٢٠٤ الشعر في صدر الاسلام	
٢٦١ حسان النعمان		٢٠٨ أغراضه	
٢٦١ حسان وعمرو		٢١٠ معانيه وأسلوبه	
٢٦٥ نماذج من شعره		٢١٢ ألماظه	
مع شروح ودراسات		٢١٣ - ٣١٢ المختصر من	
٢٩٨ الجعدي		٢١٣ ابن رواحة	
٣٠٤ معن بن أوس		٢١٧ كعب بن مالك	
٣٠٨ مالك بن الريب		٢١٨ كعب بن زهير	
٣١٣ النقد في صدر الاسلام		٢٢٠ - ٣٤ : الخنساء	
٣١٨ أشهر الشعراء المختصر من		٢٢٥ الخنساء لدى عائشة	
٣١٨ شعراء الحماسة المختصر من		٢٢٦ الخنساء تعاضم بمصاحبها	
٣٢٠ الحياة الأدبية في العصر الأموي		٢٢٧ مرثي الخنساء	
٢٢٠ تمهيد		٢٣٤ رأى النقاد فيها	
٣٢٢ سياسة الدولة الجديدة		٢٢٤ أبو محجن	
٣٢٧ الموالي في الدولة الأموية		٢٣٨ أبو ذؤيب	
٣٢٩ انتشار اللغة		٢٤٠ الخطبة	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
خطبة أبي حمزة	٤٠٠	طروء اللحن	٣٣٢
خطبة قطري	٤٠٢	وضع النحو	٣٣٢
نصيحة رجل هشام	٤٠٤	وضع الشكل	٣٣٨
نصيحة أعرابي لسليمان	٤٠٥	وضع النقط	٣٤٠
خطبة للحسين	٤٠٥	بدء تدوين العلوم	٣٤١
وصف الخطابة	٤٠٧	العلوم المدونة	٣٤٢
٤١٠ - ٤٢١ الكتابة الفنية		اشهر مجامع العلم والأدب	٣٤٥
٤١٠ - ٤١٤ نماذج		المربد	٣٤٧
٤١٥ وصف الكتابة		عناية الخلفاء باللغة والأدب	٣٥٤
٤١٧ تحول الكتابة		نماذج اعتنايتهم بالأدب	٣٥٥
الى صنائه فنية		تأثر الأدب بالحياة الجديدة	٣٧٧
٤٢٤ - ٤٤٦ الاجوبة والمحاورات		٣٨٠ - ٤٤٦ النثر الفني	
٤٢٤ - ٤٤٥ نماذج		نماذج	٣٨٠
٤٢٤ أبو الأسود وزوجه		صفة الإمام العادل	٣٨٠
٤٢٧ صمصمة ومعاوية		لطارق	٣٨٢
٤٢٩ عبد الملك وجلسائه		الأحنف ولعمرو بن العاص	٣٨٤
٤٣١ عبد الملك ومعبود		وصف النثر الفني	٣٨٥
٤٣٢ عبد الملك وسعدى		٣٨٨ - ٤٠٩ الخطابة	
٤٣٣ معاوية وعقيل		٣٨٨ - ٤٠٦ نماذج	
٤٣٣ معاوية ولبن عباس		خطبة لمعاوية	٣٨٨
٤٣٥ عبد الملك وخالد		وصية لمعاوية	٣٨٩
٤٣٥ عبد الملك وابن أسيد		خطبة ابن الزبير	٣٩٠
٤٣٦ عبد الملك وأحد عماله		خطبة عبد الملك	٣٩٢
٤٣٧ عبد الملك والحجاج		خطبة عمرو بن سعيد	٣٩٣
٤٣٧ الحجاج وكعب		وصية لعبد الملك	٣٩٤
٤٣٨ هشام وابن أبي الجهم		وصية لنبية	٣٩٥
٤٤٠ هشام وابن أذينة		خطبة زياد البتر	٣٩٥
		خطبة الحجاج بالبصرة	٣٩٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المناقضات في الشعر الأموي	٥١٢	هشام وأبو العجم	٤٤١
الغناء في العصر الأموي	٥٢٠	أياس	٤٤٤
ألوان من الغناء وبجاليه	٥٢٢	خاتمة السكلام على المحاورات	٤٤٦
النقد الأدبي	٥٢٥	٤٤٧ - ٥١٩ الشعر الأموي	
ألوان من النقد الأدبي	٥٢٩	٤٧٢ نماذج	٤٤٧
شعراء الحماسة	٥٥٣	٥١٩ الشعر في العصر الأموي	٤٧٣
أوائل كتب الشعر	٥٥٤	تمهيد	٤٧٣
دواوين الشعراء	٥٥٩	مظاهر العناية بالشعر	٤٧٤
أشهر كتب الأدب	٥٦٠	أسباب العناية بالشعر	٤٨٣
الرجز في العصر الأموي	٥٦٣	نمضة الشعر الفنية	٤٨٧
خاتمة	٥٦٤	معاني الشعر الأموي	٤٨٨
تقدير ملسكي كريم		أسلوبه	٤٨٩
كتاب التشبيه		ألفاظه وأشعاره	٤٩٢
الشعراء الجاهليون		الشعر السياسي	٤٩٣
مطبوعات		الغزل العذري والقصصي	٤٩٥
ابن المعتز		شعر الحكمة والدين	٤٩٩
فهرست السكتاب		الأغراض القديمة	٥٠١
استدراك	٥٨٠	التكسب بالشعر	٥٠٨
		طوائف الشعراء	٥٠٨
		طبقات الشعراء	٥١٠
		الرواية والرواة	٥١٠
		رواة الشعر	٥١٢

الايضاح في علوم البلاغة

للخطيب القزويني [٦٦٦-٧٣٩ هـ]

كتاب الخطيب : د الايضاح ، أهم كتب البلاغة ، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجملها بيانا ، وأوفاهما بحثا ، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين في البلاغة ، وخاصة : عبد القاهر الجرجاني أمام البلاغة م ٥٧٤١ ، والسكاكي فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ

وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسي المقرر في شتى كليات اللغة والأدب في الشرق العربي

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ، في ستة أجزاء كبيرة

وقد حرص في شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها وأعظم عمل في هذا الكتاب فوق ذلك هو ذكر جميع المصادر والمراجع وشرح الشواهد وذكر مصادرها وموضع الشاهد فيها ، فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات في غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودراسيها وفي آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة في البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها ، مما لم يسبق إليه أحد

وقد ظهر من الكتاب جزآن وسيظهر الجزء الثالث بعد أسبوع
أما الثلاثة الأجزاء الباقية فستظهر خلال شهر واحد إن شاء الله .

ومن الله التوفيق والعون والسداد

٧ يناير ١٩٥٠

يظهر قريبا للمؤلف :

- ١ - التجديد في الشعر العربي
- ٢ - أعلام الأدب في عصر بني أمية
- ٣ - الجزء الثالث من شرح الأيضاح

نشر

مكتبة الحسين التجارية

إصاحبا

محمود توفيق

الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ
سنة ١٩٦٥ م

استمرراك

تذكر هنا بعض أخطاء مطبعية وتترك باقيها اعتيادا على فطنة القارىء وثقته

الصفحة	المطبع	الكلمة	صحفها	الصفحة	المطبع	الكلمة	صحفها
٤	١٧	واحد	اثنين	١٤٠	١٤	يكفيك	يكفك
١١	١٧	كراعة	كراع	١٤٩	١١	أيها	أيها الناس
١١	١٤	له	لله	١٥٣	١٦	أباك	أبويك
١٣	٢	متحابين	متحابين	١٥٤	١٢	مصنبا	مصنبا
١٥	١٢	اقتبسبه	اقتبسه	١٥٤	٢٢	وقاس	وقاص
٢٢	١٠	ونعم	ونعم	١٦٩	١٧	فان	أفان
٢٢	١١	لدى	الذى	١٧٣	١٣	أحد	أحدا
٣١	٢	النجارى	البخارى	١٧٤	١٠	اطلحة	على طلحة
٤٥	٢	شيئا	شيئا	١٧٤	١١	أهل على	أهل
٤٦	٣	قدر	قدروا	١٧١	١٠	يدا	يد
٥٣	٨	أنزل	نزل	١٧٨	١٤	إلا	إلى
٥٨	٣	السفد	السفلى	١٨١	٧	محمد	محمد
٦٠	٩	بالقواوير	بالقوارير	١٨٧	٦	علم	ظلم
٦٩	٢	نماذج	نماذج	١٨٧	١٨	فعدنا	فعدنا
٨٠	٧	مايزع	ولعثمان مايزع	١٨٩	١	إذ	إذا
١٢٩	٨	محمد	محمد	١٨٩	٦	فتردريه	فتردريه
١٣٠	٣	الهجرة	البعثة	١٩١	٣	ينسينى	ينسينى
١٣٠	٨	وأنا واحد	وأنا واحدا	١٩٥	٢١	دراثه	ردائه
١٣٣	١٤	ريب	ريب فيه	٢٠٠	٢	الدناء	الثناء
١٣٣	١٨	على	على	٢٠١	١٦	والحد	والحمد
١٣٤	١٤	الحديث	الحكيم	٢٠٧	٥	البرجى	البرجى
١٣٤	٢٠	ظهرت	ظهر	٢٠٨	٩	أسبابها	أسبابها
١٣٨	١	رتى	أرتى	٢٠٩	١٨	ذلك	وغير ذلك
١٣٩	٤	واعنى	راعنى	٢١١	١	كثير	كثر
١٣٩	١٤	هذه	هذه أزهد	٢١١	١١	عرض	عن عرض

الصفحة	السطر	الكلمة	الصفحة	السطر	الكلمة	الصفحة	السطر
٢١٧	١	الاخلاف	٢٩٦	٥	غي	٢١٧	١٣
٢١٧	١٣	يببشته	٣٠٠	١١	وكان	٢١٩	٩
٢١٩	٩	الوصف	٣٠١	٣	أجادوا	٢٢٠	١٢
٢٢٠	١٢	وفدت	٣٠٩	٤	أجادى	٢٢٩	٨
٢٢٩	٨	الذمار	٣٠٢	١٣	بملى	٢٢٩	١٢
٢٢٩	١٢	كذلك	٣٠٣	٢٠	وقال	٢٣٤	٢١
٢٣٤	٢١	الحجاج	٣٠٥	١٦	فيؤنبا	٢٣٥	٤
٢٣٥	٤	يتمدحو	٣٠٩	٨	الله	٢٣٥	١٣
٢٣٥	١٣	قلته	٣٠٩	١٤	محبوك	٢٣٨	١٦
٢٣٨	١٦	ومثلى	٣٢٩	١٣	هذا	٢٤٣	٦
٢٤٣	٦	فاستعصى	٣٣١	١٩	غير	٢٤٣	١٢
٢٤٣	١٢	هم	٣٣٣	٦	اللحن	٢٤٥	١٩
٢٤٥	١٩	منهلا	٣٣٣	١١	صوتا	٢٤٧	١٠
٢٤٧	١٠	ينسى - متصرا	٣٣٦	١٦	ثم ته	٢٥٤	٩
٢٥٤	٩	بمستبق	٣٣٩	٧	وأذن	٢٥٦	٣
٢٥٦	٣	المشركين	٢٤٨	١٩	البرية فى	٢٦٠	٦
٢٦٠	٦	وإن	١٤٨	٢٠	ويتناشدوا	٢٦٠	١٦
٢٦٠	١٦	أكثرهم	٣٤٩	١٢	الممالك	٢٦٨	٧
٢٦٨	٧	قن هجاتم	٣٥٠	٢	الأمويين	٢٧١	١٥
٢٧١	١٥	وينجد	٣٥٠	٢٠	يتهاجيا	٢٧٤	١
٢٧٤	١	لقولى	٣٥٢	١١	والمهاجاة	٢٧٤	٤
٢٧٤	٤	يهدر	٣٥٣	٤	والنحوين	٢٧٦	١١
٢٧٦	١١	يلبس	٣٥٤	٥	لغاتهم	٢٧٨	١٠
٢٧٨	١٠	ذراعها	٣٥٤	٦	ويكون	٢٨٠	١٣
٢٨٠	١٣	العود	٣٥٥	٢٠	عن	٢٨١	١٢
٢٨١	١٢	حق	٣٥٣	٢١	وفيان	٢٨٢	٢
٢٨٢	٢	ببشة	٣٥٥	٢٢	فى الأدب	٢٨٩	٤
٢٨٩	٤	وإذا	٣٧٣	١٥	سكتوا		

المتبعة	السطر	الكلمة	معناها	الاصحاح	السطر	الكلمة	معناها
٢٧٥	١	سائل	سأل	٤٥٠	٩	أبي	بني أبي
٣٧٨	٨	الفجر	الفجر	٤٥٥	٢٠	ضرا	ضر
٣٧٨	١٣	العرب	العرب	٤٥٨	٥	إذ	إذا
٣٨٦	٩	للاحتياط	للاختلاط	٤٥٩	١٠	منها	منها
٣٨٧	٨	لأنكم	لأنكم	٤٦١	٨	بالبنين	بالبنين
٣٨٩	١١	وانظر	وانظر	٤٧٤	١	يزم	يزمهم
٣٩٣	٩	والهو	والهو	٤٧٥	١	أبي	أبي ربيعة
٣٩٨	١١	فاستجبوا	فاستجبوا	٤٧٦	٣	قيما	قيما
٤٠٠	١	تضيق	تضيق	٤٧٦	١٢	تمت	لم تمت
٤٠٤	١٨	بها	بهذا	٤٨٠	١٤	القمطار	القماطر
٤٠٦	٤	عليه	عليها	٤٨٩	١	السحرهم	السحر
٤١٠	١٢	ضائعا	ضالعا	٤٩١	٣	مسته	مسته
٤١٦	١٤	كان	كانت	٤٩٣	٣	عبد	عبيد الله
٤٢٠	١٠	لغته	فلغته	٥١٠	٢٢	بجيد	بجيده
٤٢١	٢	ثابت	ثابتة	٥٢٠	١٩	ذات	ذا
٤٢٢	١٦	بن	بن أبي وقاص	٥٢٣	١٠	أو	أن
٤٢٣	٨	أدراك	أدراك	٣٢٣	٢٠	ربيعة	أبي ربيعة
٤٢٣	٢٣	شكل	شكى	٥٢٦	١٨	الفرق	الفراق
٤٣٧	١٠	الملك	الملك بن	٥٢٧	١٤	لهنك	لهنك
٤٣٩	٨	هاتها	قال : هاتها	٥٢٩	١٦	أما	إذا
٤٤٣	٢	دنت إليها	دنت	٥٣٢	١٢	فصحوبه	فصحبه
٤٤٧	١١	ذاك	أن	٥١٢	٤	الجاهلي	الجاهلي والاسلامي

ملحق للكتاب
موازنات أدبية :
بين قصيدتين
من عيون الشعر الجاهلي

١ - أما الأولى فهي معلقة عمرو بن كلثوم (٥٠٠ - ٦٠٠ م) المشهورة :
الاهي بضحكك فاصبحينا ولا تبق نخور الاندرينا
وأما الثانية فهي بجمهرة أمية بن أبي الصلت (٥٥٠ - ٦٢٤)

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزينب إذ تجل بها قطينا

٢ - والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجيد القديم لتغلب قبلة الشاعر
وملاحمها الحربية التي انتصرت فيها على أعدائها ، وهي فريدة في نوعها فهي جديدة
حقاً بأن تسمى ملحمة ، وهي تصور قوى رائع لمجد القبيلة ومفاخرها وأيامها
ومنها يوم خزا ، وإشادة بنفوذها ومسكانتها وتهديد لأعدائها وتنبيه للملك عمرو بن
هند حتى لا يطيع بهم الوشاة ويتحيز لبسكر شتيقة تغلب ومزاحمتها في النفوذ والمجد
والسلطان ، وقد بداها الشاعر بوصف الحجر بما يعد ميزة فريدة لها ، ثم انتقل الى
موضع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
ملانا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا
وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتحل بعضها أمام الملك عمرو بن هند وهو الجزء
الذي هدد فيه أعداء تغلب وحذر الملك من الاستماع للوشاة والميل معهم على
تغلب ، ومنه :

أما هند فلا تمجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا
بأننا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد رويننا
ثم أكمل القصيدة كلها ، وأنشدها في سوق عكاظ وقد عدتها تغلب مجدا لها
وملحمة تاريخية تصور تاريخها فاعزت بها اعزازاً كثيراً ويقال إنها أضافت

لأهلها الكثير حتى بلغت أبياتها نحو الألف بيت حتى قال بعض البكرين فيها :
 ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قاطعاً عمرو بن كلثوم
 يفاخرون بها مذكان أولهم يا للرجال لشعر غير مسوم
 وأما المجهرة فقد تحدث فيها أمية عن مجد قبيلة ثقيف وهى من أمهات القبائل
 العربية وصاحبة النفوذ والسيادة فى الطائف ، واقتخر بها وصور مكانتها وورائتها
 لمجد الآباء والأجداد ، ولم يبدأها بوصف الخمر كما فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما
 يبدأ الشعراء قصائدهم فوصف فى مطلعها أطلال محبوتة ، زينب ، وعناءها
 وأعب الرياح المعصرات بها ، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة نفسها من الفخر
 بمجد القبيلة وشرف الآباء فقال فيما قال :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا ماثرنا البنى
 وكنا حبيبا علمت معد أقننا حيث ساروا هارينا
 وتغبرك القبائل من معد إذا عدوا سعاية أولينا
 بأننا النازلون بكل ثغر وأنا الضاربون إذا لقينا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه ومجدهم ومنابهم وما أرسده
 لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب والشبان وورائتهم للمجد
 عن كبرى نزار إلى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التى أضافها
 أمية إلى قومه . ولا ندرى شيئاً عن التاريخ الأدبى للقصيدة وإن كنا نرجح أن
 الشاعر نظمها فى مفاخرة من المفاخرات التى تحدث كثيراً بين القبائل العربية وخاصة
 فى العصر الجاهلى .

٣ - وتتفق القصيدتان فى كثير من وجوه الشعر والشاعرية :

تتفقان فى الموضوع وفى الوزن والقافية . كما تتفقان فى خيالهما والمبالغة
 الواضحة فيهما .

وتتفقان فوق ذلك فى هذه السهولة الواضحة الغالبة عليهما وخاصة عند ما ينتقل
 الشاعران إلى الغرض الأسمى من قصيدتهما وهو الفخر ، وليست هذه السهولة
 الفنية بغريبة على الشاعرين : فارتجال عمرو لقصيدته ومقام الفخر يقتضيان
 السهولة ، ونشأة أمية فى الطائف وحياته فيها بين الزروع والفاكهة والجو الجميل

والهواء الطلق وتقله بين الشام واليمن ومكة والمدينة كل ذلك جعله يعيش في ظلال
قسط من الحضارة صقلت مواهبه الأدبية وطبخته الفنية فظهر أثر ذلك في شعره
وضوحاً وسهولة وإسجاحاً وصقلاناً رائعاً .

وتتفق القصيدتان فوق ذلك في كثير من معاني الشعر وأساليبه ، ومن مظاهر
هذا التشابه هذه المعاني والآيات :

أه قال عمرو :

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى بيننا (١)
وقال : ورثنا مجد علقمة بن سيف :

وقال :

ورثناهم (٢) عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بيننا
فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البيننا
وتستطيع أن توازن بين البيتين الأخيرين إذا علمت أن وراثته المجد في بيت
أمية أبلغ في الفخر من وراثته الخيل وبركوبها واتخاذها عتادا . دليل الشجاعة والبطولة وحسب
النضال ، وقول أمية : فأورثنا مآثرنا البيننا ، أبلغ من قول عمرو : ونورثها إذا
متنا البيننا ، لأن أمية ذكرها أن أبناءهم ورثوا هذا المجد عن آباءهم سواء كان الآباء
قد ماتوا أم لا يزالون أحياء ؛ فهم قد ورثوه فعلاً ، أما عمرو فقال إن الأبناء
يرثون الخيل بعد موت الآباء فهم لم يرثوه في حياتهم فكأنهم لا يعرفون بالشجاعة
إلا بعد موت الآباء وهذا قصور في الفخر . وقال أمية : ، البيننا ، وقال عمرو
وبيننا ، فثبتهم أميناً بأن عن ضررهم وقال عمرو : اصدق ، فدل على شجاعتهم
أو وضوح نسبهم وهي زيادة لانظير لها في قول أمية .

(١) أي حتى يظهر الشرف لنا .

(٢) الضمير يعود إلى الأفراس في بيت سابق .

وقد أخذ أمية لفظ ، قد علمت مد ، من قول عمرو فقال :
وكنا حينما علمت مد أقنا حيث ساروا هاربيننا
ب - ويقول عمرو : ، وأنا المملكون إذا ابتلينا ، أى نهلك أعداءنا ونبيد
إذا اخترنا بقتالهم فيقول أمية : وأنا الضاربون إذا التقينا . فتجد قول عمرو
أبلغ حيث نهى على إهلاك الأعداء ولم يذكر أمية إلا الضرب وإن كان يكنى به
عن الشجاعة والأقدام والعزيمة والجد في طلب الأعداء ولكنه على أى حال لم
يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بفعله : المملكون ،
ج - ويقول عمر : وأنا المانعون لما أردنا ، ويروى ، الحاكون بما أردنا ،
فيقول أمية ، وأنا المانعون إذا أردنا .

د - ويقول عمرو :
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
ويروى من الجمهرة :
وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
ويقول عمرو :
بفتيان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجربينا
وقد روى من الجمهرة :
وفتيان يرون القتل مجدا وشيبا في الحروب مجربينا
ه - وتمتاز المعلقة : بتنوع أغراضها ، وبطولها ، وسهولتها وأنها ملحمة
تاريخية وتصوير لمجد تغلب القومى والحربى ، وبما فيها من وصف للخمر ، وهى
على أى حال وباعتراف نقاد الأدب القديم من أشهر القصائد الجاهلية ، ولذلك
وضعوها مع المعلقات ، وقال ابن قتيبة فيها : وهى من جيد شعر العرب .
أما قصيدة أمية فقد وضعها فى منزلة أدبية بعد منزلة المعلقات حيث رتبها
فى المجموعات . والمجموعات سبع قصائد من الشعر الجاهلى رواها أبو زيد
الانصارى فى الجهرة وأصححها هم .

- أ - عبيد بن الأبرص وبجهرته مشهورة ومطلعها :
 أقفر من أهله ملحوب فالفطيات فالذنوب
 أو : عيناك دمعها سروب (١) كأن شأنهما شعيب
 وتشتهر باختلاف رزنها واضطرابه ، وهي قاصرة على الحكمة ومنها :
 والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب
 من يسأل الناس يحرموه رسائل الله لا يخيب
 ويغلب عليها صبغة التدين وروح الايمان :
- ب - عدى بن زيد ، ومطلع بجهرته :
 أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد
 وتشبه معلقة طرفة في وزنها وفافيتها وروح الحكمة السارية فيها كما تنفق معها
 في بعض الأبيات ، ويغلب عليها روح التدين ، ومنها :
 فنفسك فاحفظها عن الغنى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى
 عن المرء لانسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمتقارن يقتدى
 والبيت الأخير نجده في معلقة طرفة أيضا .
- ج - النمر بن تولب ، ومطلع بجهرته :
 تأبى من أطلال عمرة مأسل :
 وتغلب عليها روح الحكمة ، ومنها :
 يود الفتى طول السـ لامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل
 دعاني الغواني عهم وخلتني لى اسم فما أدعى به وهو اول
- د - أمية بن أبي الصلت ، وبجهرته معروفة
 وهي وقف على الفخر
- هـ - بشر بن أبي خازم : وبجهرته في الفخر بقوم وبطولتهم وعزهم ، ومطلعها
 لمن الديار غشيتها بالأنعم تعدو معالمها كلون الأرقم

(١) سروب كثيرة الجريان . الشعيب : المادة

و — خدّاش بن زهير ، وبجهرته في الفخر بقومه أيضا ومطلعها :
أمن رسم أطلال بتوضيح كالسطر

ز عنبرة وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يمدها البمض من المعلقة والآخر من المجمرات وهي على أي حال في
الفخر حيث وصف فيها الشاعر بطولته وشخصيته بوضوح .. وهذه القصائد السبع :
١ — من الناحية التاريخية نجد أن أصحابها لم يعيشوا في عصر واحد : فعلى
توفي نحو عام ٥٦٥ م وعبيد عام ٥٥٥ م وأمّية عام ٦٢٤ وعنبرة عام ٦١٥ م الخ
مما يؤكد لنا أنه لم تلاحظ الناحية التاريخية في ترتيبها

ب ... ومن ناحية موضوع هذه القصائد نجد أن ثلاثا منها في الحكمة وأربعا
في الفخر ، مما يؤكد أنها لم ترتب بحسب موضوعاتها .

ج — فلم يبق إلا أنها رتبّت بحسب جودتها الفنية ومنزلتها الأدبية ، ومن غير
شك فإن شاعرية هؤلاء الشعراء وخصائص الشاعرية في هذه القصائد تكاد تكون
في منزلة واحدة مما يبدو بوضوح للناقد الدارس .

فهذه القصائد السبع يشبه بعضها بعضا في النواحي الفنية والقيمة الأدبية
وتكاد تكون متساوية في حكم النقد الأدبي السليم ، وهي لا تحتل الذروة بين
قصائد العصر الجاهلي وإنما تلي هذه القصائد السبع الجياد المشهورة والمعلقة ،
ويليها كثير من القصائد التي لا تبلغ منزلة المجمرات الأدبية .

د — ومن الغريب أن تخلو مجهرة أمّية من هذه الصبغة الدينية التي اشتهر
بها أمّية ، ويبدو أنه نظّمها في أوائل عهده بالشعر وفي عصر الشباب مما يتضح من
تقليده فيها لعمر بن كلثوم ومعلقته

وقد يكون السبب الذي جعل أمّية ينظم بجهرته محتذيا فيها عمرا هو إعجابه
بمعلقته وروايته لها أو تأثره بعمر وخاصة من بين الشعراء الجاهليين

ومعلقة عمرو يرى فيها الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي »
أنه لا يمكن أن تكون هي أو أكثرها جاهلية

ويذكر أن الرواة قد شكوا في بعضها وإن عمرا نفسه قد أخط بظائفة من الأساطير ويرجح انتقال المعلقة وهي ومعلقة الحارث بن حلزة .

والمعلقة نفسها خير رد على هذا الرأي فهي صورة لحياة جاهلية لاشك فيها وتمثل حياة عمرو نفسه تمام التمثيل ، والشخصية الفنية في المعلقة شبيهة تمام الشبه بالآثار الفنية القليلة التي ثبتت صحتها لعمرو بما ورد في الحماسة وسواها .

٦ — وبعد فنستطيع أخيرا أن نقول أن أمية نظم بجهرة متأثرا فيها بعمرو ومعلته ، وأنه قلد عمرا تقليدا فنيا واضحا لالبس فيه ، والتقليد الفني ليس ببعيد على الشعر الجاهلي ولا بغريب فيه ؛ وكما قلد الشعراء المحدثون من تقدمهم من أمية الشعر العربي فقد كان الشاعر الجاهلي يقلد من سبقه من الشعراء وسننسط حديث التقليد والنجديد في الشعر الجاهلي في بحث آخر .

الطبع والصنعة

في الشعر الجاهلي

بين القدامى والمحدثين من النقاد خلاف كبير في تحديد معنى الطبع والصنعة: يرى الأولون أن التهذيب الفني للأسلوب هو الصنعة ، فالمصنوع هو المثقف المهذب من الشعر أما الطبع فهو خلو الأثر الأدبي من آثار التجويد والتقييد ، ويرى الآخرون أن شعور الشاعر بنفسه حدين الطبع والصنعة ، فإذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو مصنوع متكلف ، والأديب المطبوع عندهم من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه ، وكان صاحب موهبة في نفسه وعقله لا في لسانه فقط

ورأى المحدثين المعاصرين من النقاد اصطلاح جديد في معنى الطبع والصنعة. وأرى أن الأولى في تحديد معنهما أن نجمع بين الرأيين الذين يتلاقيان ولا يتناقضان ، فالطبع هو الملمسة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفنه وأدبه وحي الفطرة والطبيعة واستجابة لمواطفه ومشاعره دون تكلف وتعجب في الصوغ أو استجداء آتري الأسلوب والصناعة ، أما الصنعة فهي إحساس

الشاعر أو الأديب آثار الجمال الفني وترف الأداء وزخرف الأسلوب ، وجبه لهذا الجمال والترف والزخرف ؛ وهيامه الفني بها ، وقصده إليها ، وتعنده لها في شعره ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من مكانه الفنية التي استهدت بها هذه النزعة ، مما يطفى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة .

ويجمع جمهور النقاد في القديم والحديث على عيب الصنعة والتصنيع .

وسموا المصنعين من الشعراء في العصر الجاهلي عبيد الشعر ، رعايا الشعرهم ، قال الأصمعي الأديب الراوي الناقد ٢١٦ هـ : زهير والنايفة وأشباههما عبيد الشعر ، وقال : الخطيب وهو شاعر إسلامي مشهور - عبد الشعر ، قال الجاحظ إمام الأدباء والنقاد ٢٥٥ هـ : عاب الأصمعي شعره حين وجدته كله متغصرا مستويا لمكان الصنعة والتسكك والقيام عليه ، وكان الأصمعي يستحسن التفاوت في الشعرية لأنه مظهر الطبع وخلق الشعر من آثار الصناعة ، وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ، يرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه ، ويعده النقاد الآية الناطقة على شاعرية المتنبي وعظيم مكانته في الشعر .

ولقد كان الشعر العربي أثرا للفطرة والبديهة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية وكان أكثره ارتجالا أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتي به عفوا خاطرا ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتتابع ، فتتوالى عليه الألفاظ وتأتيه الأساليب شعرا وشعورا وسحرا وجمالا ؛ كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة دون تنقيف وتهذيب وتقييد ، حتى قال الجاحظ : وكل شيء للعرب فأنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فكرة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا وتتوالى عليه الألفاظ انثيالاً ،

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التهذيب والصنعة في الشعر على يد أدس وزهير وتلاميذهما .

كان أوس بن حجر من أصحاب التنقيح وكان يسمى محبرا لحسن شعره ، وتتلذذ عليه زهير ، وكان طفيف الغنوى كذلك ، وكان النمر بن تواب من أصحاب التنقيف والتهديب ، وكان أبو عمرو بن العلاء الناقد الراوية م ١٥٤ هـ يسميه الكيس لحدقه بالشعر ، والنقاد يعدون النابغة الذبياني أيضا من المصنعين ، ويقول أنصار الصنعة إن امرأ القيس أيضا كان يشقف شعره ويعيد النظر فيه فيسقط رديته ويثبت جيده ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي وكان يلوذ به في شعره ويتوكأ على معانيه كثيرا ، ولكن شعر امرئ القيس ينفي عنه الصنعة والتصنيع ، وفرق بين أن يحصى عفو في شعره بعض آثار الصناعة الفنية وأن يكون مصنعا ينحت فنه كما ينحت الفنانون تماثيلهم

وأبرز رجال هذه المدرسة على أى حال هو زهير ، قال بعض النقاد : عمل سبع قصائد في سبع سنين وكان يسميها الحوليات ، كان زهير يصنع الحوليات على وجه التنقيف والتهديب ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها - خوفا من النقد والنقاد - بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وقيل كان ينظم القصيدة في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ، وقيل : بل كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ، وقال الجاحظ : كان زهير يسمى كبار قصائد الحوليات . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم كالحطيئة الشاعر الاسلامي وسواه

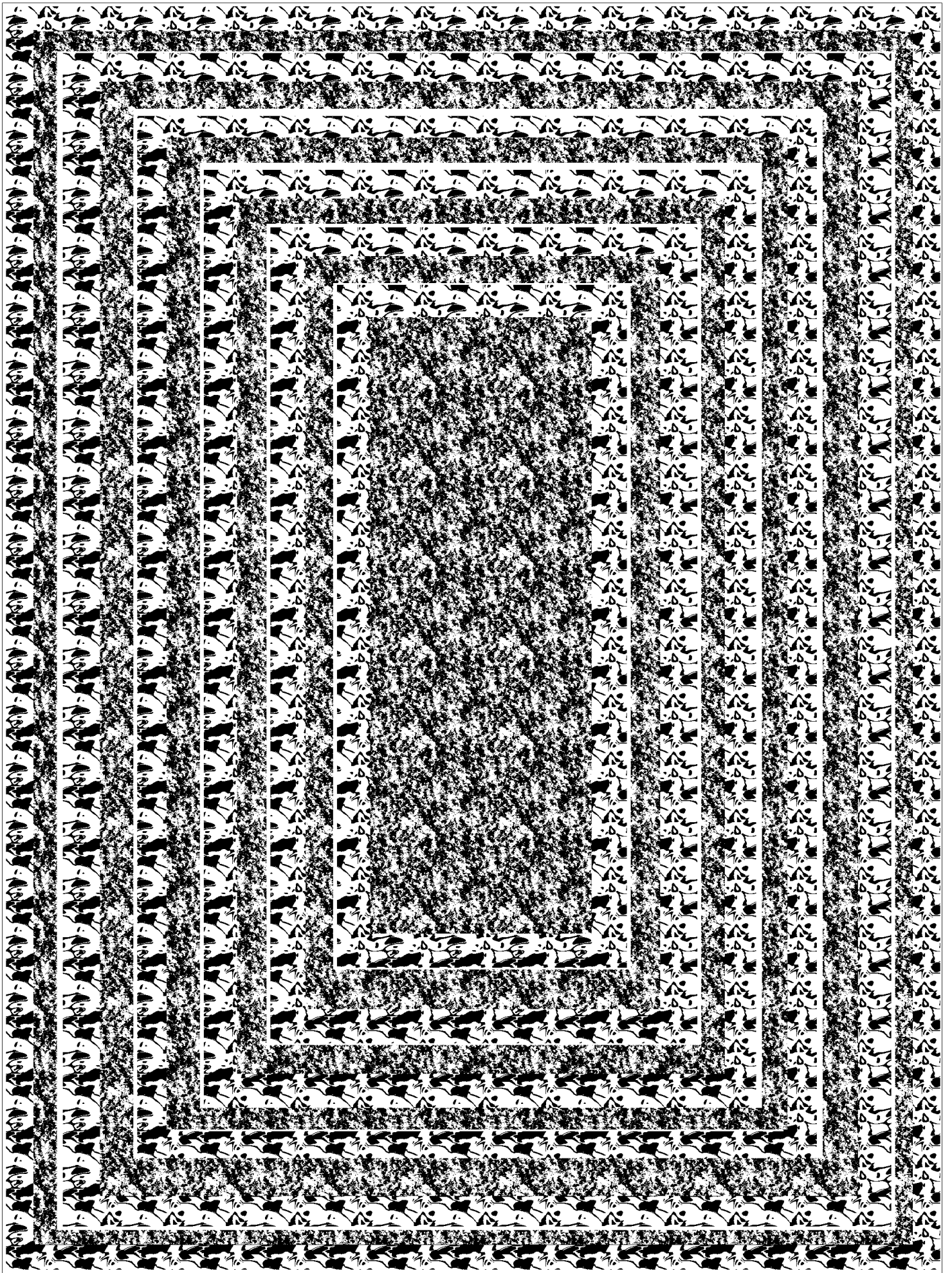
وكان هذا المذهب الفني في الشعر الجاهلي - مذهب الصنعة والتصنيع - أثر الانافس بين الشعراء وقيام الأسواق الأدبية كعكاظ وسواه بالحكومة الأدبية بينهم وكان النابغة تقام له قبة في عكاظ ويتحاكم إليه الشعراء ، كما كان أثر اللسكسب بالشعر واتخاذهم وسيلة للشراء وعكوف الشعراء المصنعين على تجويد مدائحهم ليستخرجوا بها سنى الهدايا والالطاف من ممدوحهم ، وكان ارتباط الشعر الجاهلي بالغناء ورغبة بعض الشعراء في التجويد والتجديد في المعاني من أسباب نشأة هذا المذهب الفني أيضا وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نفسه وجدنا الفرق كبيرا بين آثار أصحاب الطبع والبدية كطرفه وامرئ القيس وممازل وآثار الشعراء المصنعين والمعلقات السبع وهى من أشهر القصائد الجاهلية في البلاغة الأدبية وأحفلها

بمواهب الشعارية والفن والخيال وخصب المملكات ، كلما من آثار الطبع الأدبي
الموهوب ، وليس فيها شيء من مظاهر الصناعة الفنية ، فمعلقة امرئ القيس أروع
صورة لحياة الشاعر وترفه ولهوه ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ملحمة تاريخية تصور
التاريخ القومي والحربي والسياسي لقبيلة الشعراء تغلب ، ومعلقة عنتره حديث
عذب جميل بين الحب والحرب والبطولة ، ومعلقة زهير دعوة للسلام ووصف
لأحوال الحرب وقسوتها على الناس والبشرية ، ويكاد يكون زهير فيها أشبه شيء
بالمطبوع ، ويكاد أسلوبه فيها يبعد عن الصنعة وآثارها الفنية .

رشتان بين معلقة زهير هذه وبين قصيدة النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطلي الكواكب
أو قصيدة أخرى لزهير نفسه هي :

صحا القلب عن سلبى وأقصير باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله
لبعد ما بين الأثر المطبوع والأثر المصنوع ؟



To: www.al-mostafa.com